جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزءان

١٣ - ١٤

دار الفكر

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الثالث عشر

دار الفكر

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م



بيروت
لبنان

المكاتب : البناية المركزية - هاتف : ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب : ٧٠٦١ / ١١
المطابع والمعمل : حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف : ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
برقيا : فكسي - تلكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

فهارس الجزء الثالث عشر

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

١ — فهرس الآيات

٢ — فهرس الموضوعات

٣ — فهرس القوافى

٤ ــ فهرس الأحاديث

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾

يقول يوسف صلوات الله عليه (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي) من الخطأ والزلل فأزكيها (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) يقول: إن النفوس نفوس العباد تأمرهم بما تهواه وإن كان هواها فى غير ما فيه رضا الله (إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) يقول: إلا أن يرحم ربى من شاء من خلقه ، فينجيه من اتباع هواها ، وطاعته فيما تأمره به من السوء (إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) . و « ما » فى قوله (إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) فى موضع نصب ، وذلك أنه استثناء منقطع عما قبله ، كقوله (وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا) بمعنى : إلا أن يرحموا ، وأنْ إذا كانت فى معنى المصدر تضارع « ما » .

ويعنى بقوله (إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) : إن الله ذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه، بتركه عقوبته عليها ، وفضيحته بها ، رحيم به بعد توبته أن يعذبه عليها. وذُكر أن يوسف قال هذا القول من أجل أن يوسف لما قال (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) قال مَلَك من الملائكة: ولا يوم هممت بها ؟ فقال يوسف حينئذ (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) . وقد قيل: إن القائل ليوسف: ولا يوم هَمَمْتَ بها فحللت سراويلك، هو امرأة العزيز ، فأجابها يوسف بهذا الجواب. وقيل : إن يوسف قال ذلك ابتداء من قِبَل نفسه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما جمع الملك النسوة، فسألهن: هل (رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ؟ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ، قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) . . . الآية، قال يوسف (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) قال فقال له جبرئيل : ولا يوم هممت بما هممت ، فقال (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما جمع الملك النسوة ، قال لهن : أنتن راودتن يوسف عن نفسه ؟ ثم ذكر سائر الحديث، مثل حديث أبي كريب ، عن وكيع .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا إسرائيل عن سماك ،عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما جمع الملك النسوة ، قال : أنتنّ راودتنّ يوسف عن نفسه، ثم ذكر نحوه غير أنه قال : فغمزه جبرائيل ، فقال: ولا حين هممتَ بها ؟ فقال يوسف (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مسعر ، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير ، قال : لما قال يوسف (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) قال جبرئيل ، أو ملك : ولا يومَ هممتَ بما هممت به ؟ فقال (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا مسعر ، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير بنحوه ، إلا أنه قال: قال له الملَك: ولا حين هممت بها ؟ ولم يقل: أو جبرئيل، ثم ذكرسائر الحديث مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر وأحمد بن بشير ، عن مسعر ، عن أبي حصين، عن سعيد ابن جبير (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) قال : فقال له الملك ، أو جبرئيل: ولا حين هممت بها ؟ فقال يوسف : (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ،عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : لما قال يوسف (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) قال له جبرئيل: ولا يوم هممت بما هممت به ؟ فقال: (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، بمثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو ، قال: أخبرنا مسعر، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، مثل حديث ابن وكيع ، عن محمد بن بشر وأحمد بن بشير سواء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار، وزيد بن حباب ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن الحسن (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) قال له جبرئيل : اذكر همك ، فقال (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت ، عن الحسن (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) قال جبرئيل : يا يوسف اذكر همك ، قال (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم، عن أبي صالح ، في قوله (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ

أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بالغَيْبِ) قال : هذا قول يوسف ، قال : فقال له جبرئيل : ولا حين حللت سراويلك ؟ قال : فقال يوسف (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسوءِ) . . . الآية .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبى صالح ، بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذلكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بالغَيْبِ) ذكر لنا أن الملك الذى كان مع يوسف ، قال له : اذكر ماهممت به ، قال نبىّ الله : (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنى أن المَلَكَ قال له حين قال ما قال : أتذكر هَمَّكَ ؟ فقال : (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ إِلاَّ ما رَحِمَ رَبِّى) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله (ذلكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بالغَيْبِ) قال الملك : وطعن فى جنبه يا يوسف ، ولا حين هممت ؟ قال : فقال : (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي) .

ذكر من قال قائل ذلك له المرأة

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (ذلكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بالغَيْبِ) قال : قاله يوسف حين جىء به ليُعْلِم العزيز أنه لم يخنه بالغيب فى أهله (وأَنَّ اللهَ لا يَهْدِى كَيْدَ الخائِنِينَ) فقالت امرأة العزيز : يا يوسف ، ولا يوم حللت سراويلك ؟ فقال يوسف (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ) .

ذكر من قال قائل ذلك يوسف لنفسه ، من غير تذكير مذكِّر ذكَّره ،
ولكنه تذكر ما كان سَلَفَ منه فى ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمِّى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ذلكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بالغَيْبِ ، وأَنَّ اللهَ لا يَهْدِى كَيْدَ الخائِنِينَ) هو قول يوسف لمليكه حين أراه الله عذره ، فذكَّره أنه قد همّ بها وهمّت به ، فقال يوسف (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾

❊ يقول تعالى ذكره: وقال الملك: يعني ملك مصر الأكبر، وهو فيما ذكر ابن سحاق: الوليد بن الريان. حدثنا بذلك ابن حميد، قال: ثنا سلمة عنه: حين تبين عذر يوسف، وعرف أمانته وعلمه، قال لأصحابه (ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) يقول: أجعله من خلصائي دون غيري.

وقوله (فَلَمَّا كَلَّمَهُ) يقول: فلما كلم الملك يوسف، وعرف براءته، وعظم أمانته، قال له: إنك يا يوسف لدينا مكين أمين: أي متمكن مما أردت، وعرض لك من حاجة قبلنا، لرفعة مكانك ومنزلتك لدينا، أمين على ما اؤتمنت عليه من شيء.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي، قال: لما وجد الملك له عذرا، قال: (ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) يقول: أتخذه لنفسي.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي سنان، عن ابن أبي الهذيل، (قَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) قال: قال له الملك: إني أريد أن أخلصك لنفسي، غير أني آنف أن تأكل معي، فقال يوسف: أنا أحق أن آنف، أنا ابن إسحاق، أو أنا ابن إسماعيل «أبو جعفر شك»، وفي كتابي: ابن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن سفيان، عن أبي سنان، عن ابن أبي الهذيل بنحوه، غير أنه قال: أنا ابن إبراهيم خليل الله ابن إسماعيل ذبيح الله.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن أبي سنان، عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: قال العزيز ليوسف: مامن شيء إلا وأنا أحب أن تشركني فيه، إلا أني أحب أن لا تشركني في أهلي، وأن لا يأكل معي عبدي، قال: أتأنف أن آكل معك؟ فأنا أحق أن آنف منك، أنا ابن إبراهيم خليل الله، وابن إسحاق الذبيح، وابن يعقوب الذي ابيضت عيناه من الحزن.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا سفيان بن عقبة، عن حمزة الزيات، عن ابن إسحاق، عن أبي ميسرة، قال: لما رأى العزيز لبق يوسف وكيسه وظرفه، دعاه فكان يتغدى ويتعشى معه دون غلمانه؛ فلما كان بينه وبين المرأة ما كان، قالت له: تدني هذا، مره فليتغد مع الغلمان، قال له: اذهب فتغد مع الغلمان، فقال له يوسف في وجهه: ترغب أن تأكل معي، أو تنكف؟ أنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله، ابن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾

﴿ يقول جلّ ثناؤه: قال يوسف للملك : اجعلنى على خزائن أرضك ، وهى جمع خزانة ، والألف واللام دخلتا فى الأرض خلفا من الإضافة ، كما قال الشاعر :

والأحْلامُ غيرُ عَوَازِبِ[1]

وهذا من يوسف صلوات الله عليه مسألة منه للملك أن يوليه أمر طعام بلده وخراجها ، والقيام بأسباب بلده ، ففعل ذلك الملك به فيما بلغنى .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (اجْعَلْنِى على خَزَائِنِ الأَرْضِ) قال : كان لفرعونَ خزائن كثيرة غير الطعام ، قال : فأسلم سلطانه كله إليه ، وجعل القضاء إليه ، أمره وقضاؤه نافذ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا إبراهيم بن المختار ، عن شيبة الضبى ، فى قوله (اجْعَلْنِى على خَزَائِنِ الأَرْضِ) قال : على حفظ الطعام .

وقوله (إِنّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : إنى حفيظ لما استودعتنى ، عليم بما وليتنى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ) إنى حافظ لما استودعتنى ، عالم بما ولّيتنى ، قال : قد فعلت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ) يقول : حفيظ لما وليتُ ، عليم بأمره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا إبراهيم بن المختار ، عن شيبة الضبى فى قوله (إِنّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ) يقول : إنى حفيظ لما استودعتنى ، عليم بسنى المجاعة .

وقال آخرون : إنى حافظ للحساب ، عليم بالألسن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن الأشجعى (إِنّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ) : حافظ للحساب ، عليم بالألسن .

﴿ وأولى القولين عندنا بالصواب ، قول من قال : معنى ذلك : إنى حافظ لما استودعتنى ، عالم بما

---

(1) هذا جزء من بيت للنابغة الذبيانى فى شعره (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ١٦٢) والبيت بتمامه :

لَهُمْ شِيمَةٌ لم يُعْطِها اللهُ غَيْرَهُمْ   مِنَ الجُودِ ، والأحْلامُ غيرُ عَوَازِبِ

وهو من قصيدة فى مدح بعض آل جفنة غساسنة الشام . و الأحلام : جمع حلم بالكسر وهو العقل . وعوازب جمع عازب ، وهو الضال . و الشاهد فيه نيابة أل عن المضاف إليه : أى وأحلامهم .

أوليتنى ، لأن ذلك عقيب قوله (اجْعَلْنِي على خَزَائِنِ الأَرْضِ) ومسألته الملك استكفاءه خزائن الأرض، فكان إعلامه بأن عنده خبرة فى ذلك ، وكفايته إياه ، أشبه من إعلامه حفظه الحساب ، ومعرفته بالألسن .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : وهكذا وطأنا ليوسف فى الأرض : يعنى أرض مصر (يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) يقول : يتخذ من أرض مصر منزلا حيث يشاء بعد الحبس والضيق (نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ) من خلقنا، كما أصبنا يوسف بها ، فكنّا له فى الأرض بعد العبودة والإسار ، وبعد الإلقاء فى الجبّ (وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) يقول : ولا نُبطل جزاء عمل من أحسن فأطاع ربه، وعمل بما أمره وانتهى عما نهاه عنه ، كما لم نبطل جزاء عمل يوسف إذ أحسن فأطاع الله .

وكان تمكين الله ليوسف فى الأرض ، كما حدثنا ابن حميد ، ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال يوسف للملك (اجْعَلْنِي على خَزَائِنِ الأَرْضِ إنّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ) قال الملك: قد فعلت ، فولاه فيما يذكرون عمل إطفير ، وعزل إطفير عما كان عليه، يقول الله (وكَذلكَ مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ) . . . الآية ، قال : فذكر لى والله أعلم أن إطفير هلك فى تلك الليالى ، وأن الملك الرّيان بن الوليد زوّج يوسف امرأة إطفير راعيل، وأنها حين دخلت عليه ، قال : أليس هذا خير مما كنت تريدين ؟ قال : فيزعمون أنها قالت : أيها الصدّيق لاتلُمنى ،فإنى كنتُ امرأة كما ترى حُسنا وجمالا ، ناعمة فى مُلك ودنيا ، وكان صاحبي لايأتى النساء ، وكنتَ كما جعلك الله فى حُسنك وهيئتك ، فغلبتنى نفسى على ما رأيت ، فيزعمون أنه وجدها عذراء ، فأصابها ، فولدت له رجلين : إفرائيم بن يوسف ، وميشا بن يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (وكَذلكَ مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ) قال : استعمله الملك على مصر ، وكان صاحب أمرها ، وكان يلى البيع والتجارة، وأمرها كله ، فذلك قوله(وكَذلكَ مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يشاءُ).

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ) قال : ملكناه فيما يكون فيها حيث يشاء من تلك الدنيا ، يصنع فيها ما يشاء ، فوّضت إليه. قال : ولو شاء أن يجعل فرعون من تحت يديه ، ويجعله فوقه لفعل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبى إسحاق الكوفى ، عن مجاهد ، قال: أسلم الملك الذى كان معه يوسف .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره : ولثواب الله فى الآخرة خير للذين آمنوا : يقول: للذين صدّقوا الله ورسوله مما أعطى يوسف فى الدنيا من تمكينه له فى أرض مصر (وكانُوا يَتَّقُونَ) يقول: وكانوا يتقون الله فيخافون عقابه فى خلاف أمره ، واستحلال محارمه ، فيطيعونه فى أمره ونهيه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره: (وَجاءَ إخْوَةُ يُوسُفَ ،فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ) يوسف ، (وَهُمْ) ليوسف (مُنْكِرونَ) لايعرفونه .

وكان سبب مجيئهم يوسف فيما ذكر لى ، كما حدثنا ابن حميد، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما اطمأنّ يوسف فى ملكه ، وخرج من البلاء الذى كان فيه ، وخلت السنون المخصبة التى كان أمرهم بالإعداد فيها للسنين التى أخبرهم بها أنها كائنة،جهد الناس فى كلّ وجه، وضربوا إلى مصر يلتمسون بها الميرة من كلّ بلدة . وكان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد ، قد أسا بينهم، وكان لايحمل للرجل إلا بعيرا واحدا ، ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين تقسيطا بين الناس ، وتوسيعا عليهم، فقدم إخوته فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر ، فعرفهم وهم له منكرون ، لما أراد الله أن يبلّغ ليوسف عليه السلام ما أراد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : أصاب الناس الجوع ، حتى أصاب بلاد يعقوب التى هو بها ، فبعث بنيه إلى مصر ، وأمسك أخا يوسف بنيامين ؛ فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون ؛ فلما نظر إليهم، قال : أخبرونى ما أمركم،فإنى أُنكِر شأنكم ؟ قالوا : نحن قوم من أرض الشأم ، قال : فما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا نمتار طعاما ، قال: كذبتم ، أنتم عيون ، كم أنتم ؟ قالوا : عشرة ، قال : أنتم عشرة آلاف ، كل رجل منكم أمير ألف ، فأخبرونى خبرَكم ، قالوا : إنا إخوة بنو رجل صِدّيق ، وإنا كنا اثنى عشر ، وكان أبونا يحبّ أخالنا ، وإنه ذهب معنا البرية فهلك منا فيها ، وكان أحبنا إلى أبينا ، قال: فإلى من سكن أبوكم بعده ؟ قالوا : إلى أخ لنا أصغر منه ، قال : فكيف تخبرونى أن أباكم صدّيق ، وهو يحبّ الصغير منكم دون الكبير؟ ائتونى بأخيكم هذا حتى أنظر إليه (فإنْ لَمْ تأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي ، وَلا تَقْرَبُونِ . قالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أباهُ ، وإنَّا لَفاعِلُونَ) قال : فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا ، فوضعوا شمعون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة(وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ) قال : لايعرفونه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾

يقول : ولما حمل يوسف لإخوته أباعرهم من الطعام ، فأوقر لكل رجل منهم بعيره ، قال لهم (ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ) كيما أحمل لكم بعيرا آخر ، فتزدادوا به حمل بعير آخر (أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ) فلا أبخسه أحدا (وأنا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) ، وأنا خير من أنزل ضيفا على نفسه من الناس بهذه البلدة ، فأنا أضيفكم .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وأنا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) يوسف يقول : أنا خير من يضيف بمصر .

حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما جهز يوسف فيمن جهز من الناس ، حمل لكلّ رجل منهم بعيرا بعدتهم ، ثم قال لهم : (ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ) أجعل لكم بعيرا آخر ، أو كما قال (أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ) : أى لاأبخس الناس شيئا (وأنا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) : أى خير لكم من غيرى ، فإنكم إن أتيتم به أكرمت منزلتكم ، وأحسنت إليكم ، وازددتم به بعيرا مع عدتكم ، فإنى لاأعطى كل رجل منكم إلا بعيرا (فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي ، وَلا تَقْرَبُونِ) لاتقربوا بلدى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ) يعنى بنيامين ، وهو أخو يوسف لأبيه وأمه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل يوسف لإخوته : (فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ) بأخيكم من أبيكم (فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي) يقول : فليس لكم عندى طعام أكيله لكم (وَلا تَقْرَبُونِ) يقول : ولا تقربوا بلادى . وقوله (وَلا تَقْرَبُونِ) فى موضع جزم بالنهى ، والنون فى موضع نصب ، وكسرت لما حذفت ياؤها ، والكلام : ولا تقربونى .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف ليوسف إذ قال لهم : (ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ) ، (قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ) ونسأله أن يخليه معنا حتى نجيء به إليك (وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ) يعنون بذلك : وإنا لفاعلون ماقلنا لك أنا نفعله من مراودة أبينا عن أخينا منه ولنجتهدن .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ) لنجتهدن .

وقوله (وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ) يقول تعالى ذكره : وقال يوسف لفتيانه : وهم غلمانه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ) : أى لغلمانه : (اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ) يقول : اجعلوا أثمان الطعام الذى أخذتموها منهم فى رحالهم .

والرحال : جمع رحل ، وذلك جمع الكثير ، فأما القليل من الجمع منه ، فهو أرحُل ، وذلك جمع مابين الثلاثة إلى العشرة .

وبنحو الذى قلنا فى معنى البضاعة ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ) : أى أوراقهم [1] .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم أمر ببضاعتهم التى أعطاهم بها ما أعطاهم من الطعام ، فجعلت فى رحالهم وهم لايعلمون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : وقال لفتيته وهو يكيل لهم : اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون إلى .

﴿ فإن قال قائل : ولأية علة أمر يوسف فتيانه أن يجعلوا بضاعة إخوته فى رحالهم . قيل : يحتمل ذلك أوجها : أحدها أن يكون خشى أن لايكون عند أبيه دراهم ، إذ كانت السنة سنة جدب وقحط ، فيضر أخذ ذلك منهم به ، وأحب أن يرجع إليه ، أو أراد أن يتسع بها أبوه وإخوته مع حاجتهم إليه ، فرده عليهم من حيث لايعلمون سبب رده تكرما وتفضلا . والثالث : وهو أن يكون أراد بذلك أن لايخلفوه الوعد فى الرجوع ، إذا وجدوا فى رحالهم ثمن طعام قد قبضوه ، وملكه عليهم غيرهم عوضا من طعامهم ، ويتحرجوا من إمساكهم ثمن طعام قد قبضوه ، حتى يؤدوه على صاحبه ، فيكون ذلك أدعى لهم إلى العود إليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : فلما رجع إخوة يوسف إلى أبيهم ، قالوا (يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ

(١) جمع ورق بالتحريك ، وهو الفضة . يريد ثمن القمح الذى اشتراه إخوة يوسف (اللسان) .

معنا أخانا نكتل) يقول: منع منا الكيل فوق الكيل الذى كيل لنا، ولم يكل لكل رجل منا إلا كيل بعير، فأرسل معنا أخانا بنيامين يكتل لنفسه كيل بعير آخر زيادة على كيل أباعرنا (وإنا له لحافظون) من أن يناله مكروه فى سفره.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو، عن أسباط، عن السدى: فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا: يا أبانا إن ملك مصر أكرمنا كرامة ما لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته، وإنه ارتهن شمعون وقال: ائتونى بأخيكم هذا الذى عكف عليه أبوكم بعد أخيكم الذى هلك، فإن لم تأتونى به فلا تقربوا بلادى، قال يعقوب (هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل، فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) قال: فقال لهم يعقوب: إذا أتيتم ملك مصر فاقرءوه منى السلام: وقولوا: إن أبانا يصلى عليك، ويدعو لك بما أوليتنا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: خرجوا حتى قدموا على أبيهم، وكان منزلهم فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالعربات من أرض فلسطين بغور الشام. وبعض يقول: بالأولاج[1] من ناحية الشعب أسفل من حسمى، وكان صاحب بادية له شاء وإبل، فقالوا: يا أبانا قدمنا على خير رجل أنزلنا، فأكرم منزلنا وكال لنا فأوفانا، ولم يبخسنا، وقد أمرنا أن نأتيه بأخ لنا من أبينا، وقال: إن أنتم لم تفعلوا فلا تقربنى، ولا تدخلن بلدى، فقال لهم يعقوب (هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل، فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين).

واختلفت القراء فى قراءة قوله (نكتل)، فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل مكة والكوفة (نكتل) بالنون، بمعنى: نكتل نحن وهو. وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (يكتل) بالياء، بمعنى يكتل هو لنفسه، كما نكتال لأنفسنا.

۞ والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان، متفقتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب، وذلك أنهم إنما أخبروا أباهم، أنه منع منهم زيادة الكيل على عدد رءوسهم، فقالوا (يا أبانا منع منا الكيل) ثم سألوه أن يرسل معهم أخاهم ليكتال لنفسه، فهو إذن اكتال لنفسه، واكتالوا هم لأنفسهم، فقد دخل الأخ فى عددهم، فسواء كان الخبر بذلك عن خاصة نفسه، أو عن جميعهم بلفظ الجميع، إذ كان مفهوما معنى الكلام، وما أريد به.

القول فى تأويل قوله تعالى:

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾

(١) العربات: جمع عربة، وهى بلدة فى فلسطين، نقله صاحب التاج عن صاحب المراصد. والأولاج: جمع ولجة، بالتحريك. قال البكرى: موضع بالرمل معروف اهـ، وهو قريب من أجأ فى بلاد طيىء، جنوبى الشام.

❁ يقول تعالى ذكره : قال أبوهم يعقوب : هل آمنكم على أخيكم من أبيكم الذى تسألونى أن أرسله معكم إلا كما أمنتكم على أخيه يوسف من قبل : يقول : من قبله .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فاللهُ خَيْرٌ حافِظا) فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض الكوفيين والبصريين (فاللهُ خَيْرٌ حفْظا) بمعنى : والله خيركم حفظا . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين وبعض أهل مكة (فاللهُ خَيْرٌ حافِظاً) بالألف على توجيه الحافظ إلى أنه تفسير للخير ، كما يقال : هو خير رجلا ، والمعنى : فالله خيركم حافظا ، ثم حذفت الكاف والميم .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما أهل علم بالقرآن ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أن من وصف الله بأنه خيرهم حفظا، فقد وصفه بأنه خيرهم حافظا ، ومن وصفه بأنه خيرهم حافظا فقد وصفه بأنه خيرهم حفظا (وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) يقول : والله أرحم راحم بخلقه، يرحم ضَعْفِى على كبر سنى ، ووحدتى بفقد ولدى ، فلا يضيعه ، ولكنه يحفظه حتى يردّه علىّ لرحمته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾

❁ يقول تعالى ذكره : ولما فتح إخوة يوسف متاعهم الذى حملوه من مصر من عند يوسف ، وجدوا بضاعتهم ، وذلك ثمن الطعام الذى اكتالوه منه ردّت إليهم (قالُوا يا أبانا ما نَبْغِي هَذِهِ بِضاعَتُنا رُدَّتْ إلَيْنا) يعنى أنهم قالوا لأبيهم : ماذا نبغى؟ هذه بضاعتنا ردّت إلينا ، تطييبا منهم لنفسه بما صنع بهم فى ردّ بضاعتهم إليه ، وإذا وُجّه الكلام إلى هذا المعنى كانت « ما » استفهاما فى موضع نصب بقوله : (نَبْغِي) ، وإلى هذا التأويل كان يوجهه قتادة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما نَبْغِي) يقول : ما نبغى وراء هذا ، إن بضاعتنا رُدّت إلينا ، وقد أوفى لنا الكيلُ .

وقوله (وَنَمِيرُ أهْلَنا) يقول : ونطلب لأهلنا طعاما فنشتريه لهم ، يقال منه : مارَ فلان أهله يَميرهم مَيْرا ، ومنه قول الشاعر :

بَعَثْتُكَ مائِرًا فَمَكَثْتَ حَوْلاً ... مَتى يَأْتى غِياثُكَ مَنْ تُغِيثُ (١)

(وَنَحْفَظُ أخانا) الذى ترسله معنا (وَنَزْدادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) يقول : ونزداد على أحمالنا الطعام حمل بعير يكال لنا ما حمل بعير آخر من إبلنا (ذلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) يقول : هذا حمل يسير .

---

(١) المائر : اسم فاعل من ماره ، يقال : مار عياله وأهله يميرهم ميرا ، وامتارهم : جلب لهم الطعام . والميرة بالكسر : الطعام يمتاره الإنسان ، وهم يمتارون لأنفسهم ، ويميرون غيرهم . والميار : جالب الميرة .

كما حدثني الحارث، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج، عن ابن جريج (وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) قال : كان لكل رجل منهم حمل بعير ، فقالوا : أرسل معنا أخانا نزداد حمل بعير.

وقال ابن جريج : قال مجاهد(كَيْلَ بَعِيرٍ) حمل حمار قال : وهي لغة، قال القاسم : يعني مجاهد : أن الحمار يقال له في بعض اللغات : بعير.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة، قوله(وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) يقول : حمل بعير.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثناسلمة ، عن ابن إسحاق (وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) نَعُدُّ به بعيرا مع إبلنا (ذلكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ).

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لبنيه : لن أرسل أخاكم معكم إلى ملك مصر (حتى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ) يقول : حتى تُعْطون مؤثقا من الله، بمعنى الميثاق، وهومايوثق به من يمين وعهد(لَتَأْتُنَّنِي بِهِ) يقول لتأتنني : بأخيكم (إلاَّ أنْ يُحاطَ بِكُمْ) يقول : إلا أن يحيط بجميعكم مالاتقدرون معه على أن تأتونى به .

وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ) قال : عهدهم .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلاَّ أنْ يُحاطَ بِكُمْ) : إلا أن تهلكوا جميعا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

قال : وحدثنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر، عن قتادة (إلاَّ أنْ يُحاطَ بِكُمْ) قال : إلا أن تُغلَبوا حتى لاتطيقوا ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، ، عن ابن إسحاق ، قوله (إلاَّ أنْ يُحاطَ بِكُمْ) : إلا أن يصيبكم أمر يذهب بكم جميعا ، فيكون ذلك عذرا لكم عندى :

وقوله (فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ) يقول : فلما أعطوه عهودهم ، قال يعقوب (اللهُ على ما نَقُولُ) أنا وأنتم (وَكِيلٌ) يقول : هو شهيد علينا بالوفاء بما نقول جميعا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لبنيه لما أرادوا الخروج من عنده إلى مصر ليمتاروا الطعام : يابَنِيَّ لاتدخلوا مصر من طريق واحد ، وادخلوا من أبواب متفرّقة. وذُكر أنه قال ذلك لهم ، لأنهم كانوا رجالا لهم جمال وهيبة ، فخاف عليهم العين إذا دخلوا جماعة من طريق واحد ، وهم ولد رجل واحد ، فأمرهم أن يفترقوا فى الدخول إليها .

* كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد الواسطىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (لاتَدْخُلُوا مِنْ بابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أبْوَابٍ مُتَفَرّقَةٍ) قال : خاف عليهم العين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا بَنِيَّ لاتَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ) خشى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم العينَ على بنيه ؛ كانوا ذوى صورة وجمال .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَادْخُلُوا مِنْ أبْوَابٍ مُتَفَرّقَةٍ) قال : كانوا قد أوتوا صورةً وجمالا ، فخشى عليهم أنفسُ الناس .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقالَ يا بَنِيَّ لاتَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ ، وَادْخُلُوا مِنْ أبْوَابٍ مُتَفَرّقَةٍ) قال : رهب يعقوب عليه السلام عليهم العين .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (لاتَدْخُلُوا مِنْ بابٍ وَاحِدٍ) خَشِي يعقوب على ولده العين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب (لاتَدْخُلُوا مِنْ بابٍ وَاحِدٍ) قال : خشى عليهم العين .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : خاف يعقوب صلى الله عليه وسلم على بنيه العين ، فقال : (يا بَنِيَّ لاتَدْخُلُوا مِنْ بابٍ وَاحِدٍ) فيقال : هؤلاء لرجل واحد ، ولكن ادخلوا من أبواب متفرّقة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أجمعوا الخروج ، يعني ولد يعقوب ، قال يعقوب (يا بَنِيَّ لاتَدْخُلُوا مِنْ بابٍ وَاحِدٍ وادْخُلُوا مِنْ أبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ) خشي عليهم أعين الناس لهيبتهم ، وأنهم لرجل واحد .

وقوله (وَما أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ) يقول : وما أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذي قد قضاه عليكم من شيء صغير ولا كبير ، لأن قضاءه نافذ في خلقه (إنِ الحُكْمُ إلاَّ لِلهِ) يقول : ما القضاء والحكم إلا لله دون ما سواه من الأشياء ، فإنه يحكم في خلقه بما يشاء ، فينفذ فيهم حكمه ، ويقضي فيهم ، ولا يُرَدّ قضاؤه (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) يقول : على الله توكلت ، فوثقت به فيكم ، وفي حفظكم على حتى يردَّكم إليَّ وأنتم سالمون معافون ، لا على دخولكم مصر إذا دخلتموها من أبواب متفرّقة (وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ) يقول : وإلى الله فليفوّض أمورَهم المفوِّضون .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : ولما دخل ولد يعقوب من حيث أمرهم أبوهم ، وذلك دخولهم مصر من أبواب متفرّقة (ما كانَ يُغْنِي) دخولهم إياها كذلك (عَنْهُمْ مِنَ) قضاء (اللهِ) الذي قضاه فيهم فحتمه (مِنْ شَيْءٍ إلاَّ حاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاها) إلا أنهم قضوا وطرا ليعقوب بدخولهم ، لا من طريق واحد خوفا من العين عليهم ، فاطمأنت نفسه أن يكونوا أُوتُوا من قبل ذلك أو نالهم من أجله مكروه .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إلاَّ حاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاها) خيفة العين على بنيه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إلاَّ حاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاها) قال : خشية العين عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله (إلاَّ حاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاها) قال : ما تخوّف على بنيه من أعين الناس لهيبتهم وعدتهم .

وقوله (وإنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْناهُ) يقول تعالى ذكره : وإن يعقوب لذو علم لتعليمنا إياه .

وقيل : معناه وإنه لذو حفظ لما استودعنا صدره من العلم .

واختلف عن قتادة في ذلك ، فحدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (وَإنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْناهُ) : أي مما علمناه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن أبى عَرُوبة عن قتادة (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ) قال : إنه لعامل بما علم .

قال المثنى ، قال إسحاق ، قال عبد الله ، قال سفيان: إنه لذو علم مما علمناه ، وقال : من لايعمل لايكون عالما (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يقول جلّ ثناؤه: ولكن كثيرا من الناس غير يعقوب ، لايعلمون مايعلمه ، لأنا حرّمناه ذلك فلم يعلمه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

❊ يقول تعالى ذكره : ولما دخل ولد يعقوب على يوسف (آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ) يقول : ضمّ إليه أخاه لأبيه وأمه ، وكلّ أخوه لأبيه .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدّىّ (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ) قال : عرف أخاه ، فأنزلهم منزلا ، وأجرى عليهم الطعام والشراب ؛ فلما كان الليل جاءهم بمُثُل ، فقال : لينم كلّ أخوين منكم على مِثال[1] ؛ فلما بقى الغلام وحده ، قال يوسف : هذا ينام معى على فراشى ، فبات معه ، فجعل يوسف يشمّ ريحه ، ويضمه إليه حتى أصبح ، وجعل رُوبيل يقول : مارأينا مثل هذا ، أريحونا منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما دخلوا ، يعنى ولد يعقوب على يوسف ، قالوا : هذا أخونا الذى أمرتنا أن نأتيك به ، قد جئناك به ، فذكر لى أنه قال لهم : قد أحسنتم وأصبتم ، وستجدون ذلك عندى ، أو كما قال ، ثم قال : إنى أراكم رجالا ، وقد أردت أن أكرمكم ، ودعا ضافته[2] فقال : أنزل كل رجلين على حدة ، ثم أكرمهما وأحسن ضيافتهما ، ثم قال : إنى أرى هذا الرجل الذى جئتم به ليس معه ثان ، فسأضمه إلىّ ، فيكون منزله معى ، فأنزلهم رجلين رجلين فى منازل شتى ، وأنزل أخاه معه ، فآواه إليه ، فلما خلا به (قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ) أنا يوسف (فَلَا تَبْتَئِسْ) بشىء فعلوه بنا فيما مضى ، فإن الله قد أحسن إلينا ، ولا تعلمهم شيئا مما أعلمتك ، يقول الله (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ، قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ) ضمه إليه وأنزله ، وهو بنيامين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه ، يقول : وسئل عن قول يوسف (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) كيف أجابه حين أخذ بالصواع ، وقد كان أخبره أنه أخوه وأنتم تزعمون أنه لم يزل متنكرا لهم يكايدهم ، حتى رجعوا ، فقال : إنه لم يعترف له

(١) المثال : الفراش ينام عليه ، جمعه مثل .

(٢) ضافته : يظهر أنه جمع ضائف وهم الموكلون بالضيوف من ضافه يضيفه : إذا نزل به ضيفا .

بالنسبة ، ولكنه قال: أنا أخوك مكان أخيك الهالك (فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : لايحزنك مكانه .

وقوله (فَلَا تَبْتَئِسْ) يقول : فلا تستكين ولا تحزن ، وهو فلا تفتعل من البؤس، يقال منه: ابتأس يبتئس ابتئاسا .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (فَلَا تَبْتَئِسْ) يقول : فلا تحزن ، ولا تيأس .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال : ثنى عبد الصمد ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول (فَلَا تَبْتَئِسْ) يقول : لايحزنك مكانه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : لاتحزن على ما كانوا يعملون .

فتأويل الكلام إذن : فلا تحزن ولا تستكن لشىء سلف من إخوتك إليك فى نفسك وفى أخيك من أملك ، وما كانوا يفعلون قبل اليوم بك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾

يقول : ولما حمّل يوسف إبل إخوته ماحملها من الميرة وقضى حاجتهم ، كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله(فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ) يقول : لما قضى لهم حاجتهم ووفاهم كيلهم .

وقوله (جَعَلَ السِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ) يقول : جعل الإناء الذى يكيل به الطعام فى رحل أخيه ، والسقاية : هى المشربة ، وهى الإناء الذى كان يشرب فيه الملك ، ويكيل به الطعام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال :ثنا عفان ، قال : ثنا عبد الواحد ، عن يونس ، عن الحسن أنه كان يقول : الصُّواع والسقاية سواء : هو الإناء الذى يشرب فيه .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : السقاية والصُّواع شىء واحد ، كان يشرب فيه يوسف .

قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : السقاية الصُّواع الذى يشرب فيه يوسف .

حدثنا محمد بن الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (جَعَلَ السِّقَايَةَ) قال : مَشْرَبة الملك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أخيهِ) وهو إناء الملك الذى كان يشرب فيه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ المَلِكِ وِلِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ)وهى السقاية التى كان يشرب فيها الملك يعنى مَكُّوكه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (جَعَلَ السِّقَايَةَ)وقوله(صُوَاعَ المَلِكِ)قال : هما شيء واحد، السقاية والصواع شيء واحد يشرب فيه يوسف .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبَرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أخيهِ) : هو الإناء الذى كان يشرب فيه الملك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أخيهِ) قال : السقاية : هو الصُّواع ، وكان كأسا من ذهب فيما يذكرون .

قوله (فِي رَحْلِ أخيهِ) فإنه يعنى : فى متاع أخيه ابن أمه وأبيه وهو بنيامين ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِي رَحْلِ أخيهِ) : أى فى متاع أخيه ، وقوله (ثُمَّ أذَّنَ مُؤَذِّنٌ) يقول : ثم نادى مناد ، وقيل : أعلم مُعْلِم (أيَّتُها العِيرُ) : وهى القافلة فيها الأحمال (إنَّكُمْ لَسارِقُونَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أخيهِ) والأخ لايشعر، فلما ارتحلوا أذّن مؤذّن قبل أن ترتحل العير : (إنَّكُمْ لَسارِقُونَ).

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم جهزهم بجهازهم ، وأكرمهم وأعطاهم وأوفاهم ، وحمل لهم بعيرا بعيرا ، وحمل لأخيه بعيرا باسمه ، كما حمل لهم ، ثم أمر بسقاية الملك ، وهو الصواع ، وزعموا أنها كانت من فضة ، فجُعلت فى رحل أخيه بنيامين ، ثم أمهلهم حتى إذا انطلقوا وأمعنوا من القرية ، أمر بهم فأُدركوا ، فاحتُبِسوا ، ثم نادى مناد (أيَّتُها العِيرُ إنَّكُمْ لَسارِقُونَ) قفوا

وانتهى إليهم رسوله ، فقال لهم فيما يذكرون : ألم نكرم ضيافتكم ، ونوفكم كيلكم ، ونحسن منزلتكم ، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم ، وأدخلناكم علينا فى بيوتنا ومنازلنا ؟ أو كما قال لهم ؟ قالوا : بلى ، وما ذاك؟ قال : سقاية الملك فقدناها ، ولا نتهم عليها غيركم (قالوا : تالله لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الأرْضِ وَما كُنَّا سارِقِينَ) .

وقوله (أيَّتُها العِيرُ) قد بيَّنا فيما مضى معنى العير ، وهو جمع لا واحد له من لفظه . وحُكى عن مجاهد أن عير بنى يعقوب كانت حميرا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أيَّتُها العِيرُ) قال : كانت حميرا .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى رجل ، عن مجاهد ، فى قوله (أيَّتُها العِيرُ إنَّكُمْ لَسارِقُونَ) قال : كانت العير حميرا .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾

يقول تعالى ذكره : قال بنو يعقوب لما نودوا (أيَّتُها العِيرُ إنَّكُمْ لَسارِقُونَ) وأقبلوا على المنادى ومن بحضرتهم يقولون لهم (ماذَا تَفْقِدُونَ) : ما الذى تفقدون (قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ المَلِكِ) يقول : فقال لهم القوم : نفقد مَشْرَبة الملك .

واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فذُكر عن أبى هريرة أنه قرأ (صاعَ المَلِكِ) بغير واو ، كأنه وجهه إلى الصاع الذى يكال به الطعام . ورُوى عن أبى رجاء أنه قرأه (صَوْعَ المَلِكِ) ، ورُوى عن يحيى بن يعمر أنه قرأه (صَوْغَ المَلِكِ) بالغين ، كأنه وجهه إلى أنه مصدر ، من قولهم صاغ يصوغ صوغا . وأما الذى عليه قرّاء الأمصار : فصواع الملك ، وهى القراءة التى لا أستجيز القراءة بخلافها لإجماع الحجة عليها ، والصُّواع : هو الإناء الذى كان يوسف يكيل به الطعام ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذا الحرف (صُواعَ المَلِكِ) قال : كهيئة المَكُّوك . قال : وكان للعباس مثله فى الجاهلية يشرب فيه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (صُواعَ المَلِكِ) قال : كان من فضة مثل المَكُّوك . وكان للعباس منها واحد فى الجاهلية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع . وحدثنا ابن وكيع . قال : ثنا أبى . عن شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (قالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ المَلِكِ) قال : كان من فضة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قرأ (صُوَاعَ المَلِكِ) قال وكان إناءه الذى يشرب فيه ، وكان إلى الطول ما هو .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن أبىعوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير (صُوَاعَ المَلِكِ) قال : المَكُّوكُ الفارسىّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : (صُوَاعَ المَلِكِ) قال : هو المَكُّوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه ، كانت تشرب فيه الأعاجم .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَغْراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (صُوَاعَ المَلِكِ) قال : إناء الملك الذى كان يشرب فيه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى : يعنى ابن عباد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : (صُوَاعَ المَلِكِ) : مَكُّوك من فضة يشربون فيه . وكان للعباس واحد فى الجاهلية .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (صُوَاعَ المَلِكِ) : إناء الملك الذى يشرب فيه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد ابن جبير ، فى قوله (صُوَاعَ المَلِكِ) قال : هو المَكُّوك الفارسى الذى يلتقى طَرَفاه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الصواع : كان يشرب فيه يوسف .

حدثنا محمد بن معمر البحرانى ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبدالوارث ، قال : ثنا صدقة بن عباد ، عن أبيه عن ابن عباس (صُوَاعَ المَلِكِ) قال : كان من نُحاس .

وقوله (وَلِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) يقول : ولمن جاء بالصواع حمل بعير من الطعام .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) يقول : وِقْر بعير .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (حِمْلُ بَعِيرٍ) قال : حمل طعام[1] وهى لغة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد .

---

(١) أى حمل حمار من طعام . . . الخ ، ويقال لما يحمل الميرة من الدواب : عير ، إبلا أو حميرا أو بغالا .

قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (حِمْلُ بَعِيرٍ) قال : حمل طعام ، وهى لغة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قوله (حِمْلُ بَعِيرٍ) قال : حمل حمار .

وقوله (وأنا بِهِ زَعِيمٌ) يقول : وأنا بأن أوفيه حمل بعير من الطعام إذا جاءنى بصواع الملك كفيل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأنا بِهِ زَعِيمٌ) يقول : كفيل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأنا بِهِ زَعِيمٌ) الزعيم : هو المؤذن الذى قال (أَيَّتُها العِيرُ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر وأبو خالد الأحمر ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى عن مجاهد ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، عن ورقاء بن إياس ، عن سعيد بن جبير (وأنا بِهِ زَعِيمٌ) قال : كفيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنا بِهِ زَعِيمٌ) : أى وأنا به كفيل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأنا بِهِ زَعِيمٌ) قال : كفيل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك (وأنا بِهِ زَعِيمٌ) قال كفيل .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، فذكر مثله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (وأنا بِهِ زَعِيمٌ) قال كفيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال لهم الرسول : إنه من جاءنا به فله حمل بعير وأنا به كفيل بذلك حتى أؤدّيه إليه ، ومن الزعيم الذى بمعنى الكفيل قول الشاعر :

فلَسْتُ بآمِرٍ فيها بسَلْمٍ ولكنِّى على نَفْسِي زَعِيمُ[1]

وأصل الزعيم فى كلام العرب : القائم بأمر القوم ، وكذلك الكفيل والحميل ، ولذلك قيل : رئيس القوم زعيمهم ومدبرهم ، يقال منه : قد زعم فلان زَعامة وزعاما ؛ ومنه قول ليلى الأخيلية :

حتى إذا بَرزَ اللِّوَاءُ رأيْتَهُ تحتَ اللِّوَاءِ على الخَمِيسِ زَعِيما[2]

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف (تالله) يعنى : والله ، وهذه التاء فى تالله إنما هى واو قلبت تاء كما فعل ذلك فى التورية ، وهى من ورّيت ، والتراث ، وهى من ورثت ، والتخمة ، وهى من الوخامة قُلبت الواو فى ذلك كله تاء ، والواو فى هذه الحروف كلها من الأسماء ، وليست كذلك فى تالله ، لأنها إنما هى واو القسم ، وإنما جعلت تاء لكثرة ماجرى على ألسن العرب فى الأيمان فى قولهم والله ، فخصت فى هذه الكلمة بأن قلبت تاء ، ومن قال ذلك فى اسم الله ، فقال : تالله لم يقل تالرحمن وتالرحيم ، ولا مع شىء من أسماء الله ، ولا مع شىء مما يقسم به ، ولا يقال ذلك إلا فى تالله وحده .

وقوله (لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِى الأرْضِ) يقول : لقد علمتم ماجئنا لنعصىَ الله فى أرضكم ، كذلك كان يقول جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، فى قوله (قالُوا تالله لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِى الأرْضِ) يقول : ماجئنا لنعصىَ فى الأرض .

فإن قال قائل : وما كان أعلم من قيل له (لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِى الأرْضِ) بأنهم لم يجيئوا لذلك حتى استجاز قائلو ذلك أن يقولوه ؟ قيل : استجازوا أن يقولوا ذلك لأنهم فيما ذكر ردّوا البضاعة التى وجدوها فى رحالهم ، فقالوا : لو كنا سرّاقا لم نردّ عليكم البضاعة التى وجدناها فى رحالنا . وقيل: إنهم كانوا قد عرفوا فى طريقهم ومسيرهم أنهم لايظلمون أحدا ، ولا يتناولون ما ليس لهم ، فقالوا ذلك حين قيل لهم (إنَّكُمْ لَسارِقُونَ) .

---

(١) البيت للمؤسى الأزدى ، قاله أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣١٥) واستشهد به على أن « زعيم » بمعنى كفيل . وبعد البيت بيت آخر ، وهو :

بغَزْوٍ مِثْلِ وَلْغِ الذِّئْبِ حَتَّى يَنوء بصاحِبِي ثأْرٌ مُنِيمُ

(٢) البيت فى « اللسان : زعم » شاهد على أن « الزعيم بمعنى السيد الرئيس » . قال : وزعيم القوم رئيسهم وسيدهم . وقيل : رئيسهم المتكلم عنهم ، ومدرههم ، والجمع زعماء ، والزعامة : السيادة والرياسة ، وقد زعم زعامته ، قال : حتى إذا رفع اللواء ... الخ البيت.

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾

يقول تعالى ذكره : قال أصحاب يوسف لإخوته : فما ثواب السَّرَق إن كنتم كاذبين فى قولكم (ماجِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَما كُنَّا سارِقِينَ . قالُوا: جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ) . يقول جلّ ثناؤه: وقال إخوة يوسف : ثواب السَّرَق مَنْ وُجد فى متاعه السَّرَق فهو جزاؤه، يقول : فالذى وجد ذلك فى رحله ، ثوابه بأن يُسْلَم بسرقته إلى من سرق منه،حتى يسترقه (كَذلكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) يقول : كذلك نفعل بمن ظلم ، ففعل ما ليس له فعله من أخذه مال غيره سَرَقا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَهُوَ جَزَاؤُهُ) : أى سُلِّم به (كَذلكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) : أى كذلك نصنع بمن سَرَق منا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزّاق ، عن معمر ، قال : بلغنا ، فى قوله (قالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ) أخبروا يوسف بما يُحْكَم فى بلادهم أنه من سَرَق أُخِذ عبدا، فقالوا (جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، (قالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ ؟ قالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ) تأخذونه فهو لكم .

ومعنى الكلام : قالوا : ثواب السَّرَق الموجود فى رحله ، كأنه قيل : ثوابه استرقاق الموجود فى رحله ، ثم حذف استرقاق، إذ كان معروفا معناه، ثم ابتدئ الكلام فقيل : هو جزاؤه (كَذلكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) .

وقد يحتمل وجها آخر : أن يكون معناه : قالوا : ثواب السرق الذى يوجد السرق فى رحله ، فالسارق جزاؤه ، فيكون جزاؤه الأوّل مرفوعا بجملة الخبر بعده . ويكون مرفوعا بالعائد من ذكره فى هو ، وهو : رافع جزاؤه الثانى .

ويحتمل وجها ثالثا : وهو أن تكون « مَنْ » جزائية ، وتكون مرفوعة بالعائد من ذكره فى الهاء التى فى رحله ، والجزاء الأوّل مرفوعا بالعائد من ذكره فى وجد ، ويكون جواب الجزاء الفاء فى « فهو » . والجزاء الثانى مرفوع بهو ، فيكون معنى الكلام حينئذ : قالوا: جزاء السَّرَق من وُجد السَّرَق فى رحله، فهو ثوابه يُسترَقّ ويستعبد .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ ٧٦

يقول تعالى ذكره : ففتّش يوسف أوعيتهم ورحالهم ، طالبا بذلك صُواع الملك ، فبدأ فى تفتيشه بأوعية إخوته من أبيه ، فجعل يفتشها وعاء وعاء قبل وعاء أخيه من أبيه وأمه ، فإنه أخّر تفتيشه ، ثم فتش آخرها وعاء أخيه ، فاستخرج الصواع من وعاء أخيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ) ذُكر لنا أنه كان لاينظر فى وعاء إلا استغفر الله تأثما مما قذفهم به ، حتى بقى أخوه ، وكان أصغر القوم ، قال : ما أرى هذا أخذ شيئا ، قالوا : بَلَى فاستْبره(١) ، ألا وقد علموا حيث وضعوا سقايتهم ، ثم استخرجها من وعاء أخيه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معْمر ، عن قتادة ، قال : فاستخرجها من وعاء أخيه ، قال : كان كلما فتح متاعا استغفر تائبا مما صنع ، حتى بلغ متاع الغلام ، فقال : ما أظنّ هذا أخذ شيئا ، قالوا : بلى ، فاستبره .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ) فلما بقى رَحْل الغلام ، قال : ماكان هذا الغلام ليأخذه ، قالوا : والله لايترك حتى تنظر فى رحله ، لنذهب وقد طابت نفسك ، فأدخل يده فاستخرجها من رحله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال الرسول لهم (وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) قالوا : ما نعلمه فينا ولا معنا ، قال : لستم ببارحين حتى أفتش أمتعتكم ، وأُعْذِر فى طلبها منكم ، فبدأ بأوعيتهم وعاء وعاء ، يفتشها وينظر مافيها ، حتى مرّ على وعاء أخيه ففتشه ، فاستخرجها منه ، فأخذ برقبته ، فانصرف به إلى يوسف ، يقول الله (كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ذُكِر لنا أنه كان كلما بَحَث متاع رجل منهم استغفر ربه تأثما ، قد علم أين موضع الذى يطلب ، حتى إذا بقى أخوه وعلم أن بغيته فيه ، قال : لاأرى هذا الغلام أخذه ، ولا أبالى أن لاأبحث متاعه ، قال إخوته : إنه أطيب لنفسك ، وأنفسنا أن تستبرئ متاعه أيضا ، فلما فتح متاعه استخرج بغيته منه ، قال الله (كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) .

---

(١) أصله : استبرئه ، أى اطلب براءته بتفتيشه ، ثم خفف الهمزة ، وحذفها للأمر .

واختلف أهل العربية فى الهاء والألف اللتين فى قوله (ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ) فقال بعض نحويّى البصرة: هى من ذكر الصواع ، قال : وأنث ، وقد قال (وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) لأنه عنى الصُّواع ، قال : والصواع مذكر ، ومنهم من يؤنث الصواع ، وعنى ههنا السقاية، وهى مؤنثة . قال : وهما اسمان لواحد مثل الثوب والملحفة مذكر ومؤنث لشىء واحد .

وقال بعض نحويّى الكوفة فى قوله (ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ) ذهب إلى تأنيث السرقة ، قال : وإن لم يكن الصواع فى معنى الصاع ، فلعل هذا التأنيث من ذلك ، قال : وإن شئت جعلته لتأنيث السقاية ، قال : والصواع ذكر ، والصاع يؤنث ويذكر ، فمن أنثه قال : ثلاث أصْوُع مثل ثلاث أدْوُر ، ومن ذكّره قال : أصواع مثل أبواب .

وقال آخر منهم : إنما أُنث الصواع حين أنث لأنه أريدت به السقاية، وذُكِّر حين ذكر ، لأنه أريد به الصواع ، قال : وذلك مثل الخِوان والمائدة ، وسنان الرمح وعاليته ، وما أشبه ذلك من الشىء الذى يجتمع فيه اسمان : أحدهما مذكر ، والآخر مؤنث .

وقوله (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) يقول: هكذا صنعنا ليوسف حتى يُخلِّص أخاه لأبيه وأمه من إخوته لأبيه ، بإقرارمنهم أن له أن يأخذه منهم ، ويحتبسه فى يديه، ويحول بينه وبينهم ، وذلك أنهم قالوا إذ قيل لهم : (مَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ) جزاء من سرق الصواع أن من وجد ذلك فى رحله فهو مُسْتَرَقٌ به، وذلك كان حكمهم فى دينهم، فكاد الله ليوسف كما وصف لنا حتى أخذ أخاهُ منهم، فصار عنده بحكمهم وصنع الله له .

وقوله (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) يقول : ما كان يوسف ليأخذ أخاه فى حكم ملك مصر وقضائه وطاعته منهم، لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يُسترق أحد بالسرق ، فلم يكن ليوسف أخذ أخيه فى حكم ملك أرضه ، إلا أن يشاء الله بكيده الذى كاده له ، حتى أَسْلَمَ مَنْ وُجد فى وعائه الصُّواع إخوتُه ورفقاؤه بحكمهم عليه ، وطابت أنفسهم بالتسليم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ) إلا فعلة كادها الله له ، فاعتلّ بها يوسف .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) كادها الله له ، فكانت علة ليوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) قال : إلا فعلة كادها الله فاعتلّ بها يوسف .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) قال : صنعنا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) يقول : صنعنا ليوسف .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) يقول : صنعنا ليوسف .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ) فقال بعضهم : ما كان ليأخذ أخاه فى سلطان الملك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ) يقول : فى سلطان الملك .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ) يقول : فى سلْطان الملك .

وقال آخرون : معنى ذلك : فى حكمه وقضائه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) يقول : ما كان ذلك فى قضاء الملك أن يستعبد رجلا بسرقة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فِي دِينِ الْمَلِكِ) قال : لم يكن ذلك فى دين الملك ، قال : حكمه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح محمد بن ليث المروزى ، عن رجل قد سماه ، عن عبد الله بن المبارك ، عن أبى مودود المدينىّ ، قال : سمعت محمد بن كعب القُرَظىّ يقول (قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ، كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ) قال : دين الملك لا يؤخذ به من سرق أصلا ، ولكن الله كاد لأخيه ، حتى تكلموا ما تكلموا به ، فأخذهم بقولهم ، وليس فى قضاء الملك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، قال : بلغه فى قوله (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ) قال : كان حكم الملك أن من سرق ضوعف عليه الغُرم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ) يقول : فى حكم الملك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ) : أى بظلم ، ولكن الله كاد ليوسف ليضمّ إليه أخاه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ما كَانَ لِيَأْخُذَ أخاهُ فِي دِينِ المَلِكِ) قال : ليس في دين الملك أن يؤخذ السارق بسرقته ، قال : وكان الحكم عند الأنبياء يعقوب وبنيه : أن يؤخذ السارق بسرقته عبدا يُسترقّ . وهذه الأقوال وإن اختلفت ألفاظ قائليها في معنى دين الملك ، فمتقاربة المعاني ، لأن من أخذه في سلطان الملك عامله بعمله ، فيريناه[1] أخذه إذا لم يغيره ، وذلك منه حكم عليه ، وحكمه عليه قضاؤه ، وأصل الدِّين : الطاعة ، وقد بيَّنت ذلك في غير هذا الموضع بشواهده بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ) كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ) ولكن صنعنا له بأنهم قالوا : (فَهُوَ جَزَاؤُهُ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ) إلا بعلة كادها الله ، فاعتلّ بها يوسف .

وقوله (نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ) اختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (نَرْفَعُ دَرَجاتِ مَنْ نَشاءُ) بإضافة الدرجات إلى « مَنْ » بمعنى : نرفع منازل من نشاء ، رفع منازله ومراتبه في الدنيا بالعلم على غيره ، كما رفعنا مرتبة يوسف في ذلك ومنزلته في الدنيا على منازل إخوته ومراتبهم . وقرأ ذلك آخرون (نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ) بتنوين الدرجات ، بمعنى : نرفع من نشاء مراتب ودرجات في العلم على غيره ، كما رفعنا يوسف ، فمَن على هذه القراءة نصب ، وعلى القراءة الأولى خفض . وقد بيَّنا ذلك في سورة الأنعام .

وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (نَرْفَعُ دَرَجاتِ مَنْ نَشاءُ) يوسف وإخوته أُوتوا علما ، فرفعنا يوسف فوقهم في العلم .

وقوله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) يقول تعالى ذكره : وفوق كل عالم مَنْ هو أعلم منه حتى ينتهي ذلك إلى الله تعالى ، وإنما عَنَى بذلك أن يوسف أعلم إخوته ، وأن فوق يوسف من هو أعلم من يوسف ، حتى ينتهي ذلك إلى الله تعالى .

وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبوعامر العَقَدىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الأعلى الثعلبىّ ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه حدّث بحديث ، فقال رجل عنده (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) فقال ابن عباس : بئسما قلت ، إن الله هو عليم ، وهو فوق كلّ عالم .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عبد الأعلى

---

(١) كذا وردت هذه الكلمة في الأصل المخطوط ، وفيها غموض .

عن سعيد بن جبير ، قال : حدّث ابن عباس بحديث ، فقال رجل عنده : الحمد لله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) فقال ابن عباس : العالم الله ، وهو فوق كلّ عالم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، قال : كنا عند ابن عباس، فحدّث حديثا ، فتعجب رجل فقال : الحمد لله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) فقال ابن عباس : بئسما قلت : الله العليم [1] ، وهو فوق كل عالم .

حدثنا الحسن بن محمد و ابن وكيع ، قالا : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سالم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : يكون هذا أعلم من هذا ، وهذا أعلم من هذا ، والله فوق كل عالم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : أخبرنا أبو الأحوص ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : الله الخبير العليم فوق كلّ عالم.

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : الله فوق كلّ عالم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : سأل رجل عليا عن مسئلة ، فقال فيها ، فقال الرجل : ليس هكذا ، ولكن كذا وكذا ، قال عليّ : أصبت وأخطأت (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عُلَيّة، عن خالد ، عن عكرمة ، فى قوله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : علم الله فوق كلّ أحد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن نصر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : الله عزّ وجلّ .

حدثنا ابن وكيع ، ثنا يعلى بن عبيد ، عن سفيان ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : الله أعلم من كلّ أحد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ابن شبرمة ، عن الحسن ، فى قوله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهى العلم إلى الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عاصم ، قال : ثنا جويرية ، عن بشير الهجيمى ، قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية يوما (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) ، ثم وقف فقال : إنه والله ما أمسى على ظهر الأرض عالم إلا فوقه من هو أعلم منه ، حتى يعود العلم إلى الذى علمه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ ، عن جرير ، عن ابن شُبْرُمة ، عن الحسن (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : فوق كل عالم عالم ، حتى ينتهى العلم إلى الله .

---

(١) لعل هذه الرواية أظهر من التى قبلها ، فإن ابن عباس فهم من كلام الرجل أنه هو العليم ، فرد عليه القول بأن العليم هو الله ، أما من عداه فيوصف بأنه عالم ، لا عليم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) حتى ينتهي العلم إلى الله ، منه بدئ ، وتعلمت العلماء ، وإليه يعود . في قراءة عبد الله (وَفَوْقَ كُلِّ عالِمٍ عَلِيمٌ) .

☼ قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وكيف جاز ليوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه ، ثم يسرق قوما أبرياء من السَّرَق ، ويقول (أَيَّتُها العِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ) ؟ قيل : إن قوله (أَيَّتُها العِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ) إنما هو خبر من الله عن مؤذّن أذّن به ، لاخبر عن يوسف . وجائز أن يكون المؤذّن أذن بذلك أنْ فَقَدَ الصواع ، ولا يعلم بصنيع يوسف . وجائز أن يكون كان أذن المؤذن بذلك عن أمر يوسف ، واستجاز الأمر بالنداء بذلك ، لعلمه بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقة في بعض الأحوال ، فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسَّرَق ، ويوسف يعني ذلك السرق ، لاسرقهم الصواع . وقد قال بعض أهل التأويل : إن ذلك كان خطأ من فعل يوسف ، فعاقبه الله بإجابة القوم إياه (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) وقد ذكرنا الرواية فيما مضى بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾

☼ يقول تعالى ذكره (قالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) يعنون أخاه لأبيه وأمه وهو يوسف .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) ليوسف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : يعني يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : يوسف .

وقد اختلف أهل التأويل في السَّرَق الذي وصفوا به يوسف ؛ فقال بعضهم : كان صنما لجده أبي أمه كسره وألقاه على الطريق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن عمرو البصري ، قال : ثنا العيص بن الفضل ، قال : ثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : سرق يوسف صنما لجدّه أبي أمه كسره وألقاه في الطريق ، فكان إخوته يعيبونه بذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) ذكر أنه سرق صنما لجدّه أبى أمه ، فعيروه بذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) : أرادوا بذلك عيب نبىّ الله يوسف ، وسرقته التى عابوه بها صنم كان لجدّه أبى أمه ، فأخذه ، إنما أراد نبىّ الله بذلك الخير ، فعابوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : كانت أم يوسف أمرت يوسف يسرق صنما لخاله يعبده ، كانت مسلمة .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبى ، قال : كان بنو يعقوب على طعام اضطرّ يوسف إلى عَرْق[1] ، فخبأه ، فعيروه بذلك (إن يَسْرِقْ ، فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد أبى الحجاج ، قال : كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما بلغنى أن عمته ابنة إسحاق ، وكانت أكبر ولد إسحاق ، وكانت إليها منطقة إسحاق ، وكانوا يتوارثونها بالكِبَر ، فكان من اختصّ بها ممن وليها كان له سلما لاينازع فيه ، يصنع فيه ما شاء ، وكان يعقوب حين ولد له يوسف ، كان قد حضنته عمته ، فكان معها وإليها ، فلم يحب أحد شيئا من الأشياء حبها إياه حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات ، وقعت نفس يعقوب عليه ، أتاها فقال : يا أخية سلمى إلىّ يوسف ، فوالله ما أقدر على أن يغيب عنى ساعة ، فقالت: والله ما أنا بتاركته ، والله ما أقدر أن يغيب عنى ساعة ، قال : فوالله ما أنا بتاركه ، قالت : فدعه عندى أياما أنظر إليه ، وأسكن عنه ، لعل ذلك يسلينى عنه ، أو كما قالت ؛ فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ، ثم قالت : لقد فقدت منطقة إسحاق ، فانظروا من أخذها ومن أصابها ، فالتمست ثم قالت : اكشفوا أهل البيت ، فكشفوهم ، فوجدوها مع يوسف ، فقالت والله إنه لى لسلم أصنع فيه ماشئت . قال : وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر ، فقال لها : أنت وذاك إن كان فعل ذلك ، فهو سلم لك ، ما أستطيع غير ذلك ، فأمسكته فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت ، قال : فهو الذى تقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ماصنع ، حين أخذه (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) .

قال ابن حميد : قال ابن إسحاق : لما رأى بنو يعقوب ماصنع إخوة يوسف ، ولم يشكوا أنه سرق ، قالوا أسفا عليهم لما دخل عليهم فى أنفسهم تأنيبا له (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) ؛ فلما سمعها يوسف (قالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكانا) سرّا فى نفسه (وَلَمْ يُبْدِها لَهُمْ - وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) .

وقوله (فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِى نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِها لَهُمْ ، قالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكانا ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) يعنى بقوله : فأسرّها : فأضمرها ، وقال : فأسرّها : فأنث ، لأنه عنى بها الكلمة ، وهى

---

(١) العرق ، بفتح العين ، وإسكان الراء : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم ، وبقى عليه لحوم رقيقة طيبة فيؤكل لحمه ، ويتمشش عظمه ، والعرق أيضا : القدرة من اللحم (اللسان) .

أنتمْ شرٌّ مكانا ، والله أعلم بما تصفون ، ولو كانت جاءت بالتذكير كان جائزا ، كما قيل (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ - وذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى) ، وكنى عن الكلمة ، ولم يجر لها ذكر متقدم ، والعرب تفعل ذلك كثيرا ، إذا كان مفهوما المعنى المراد عند سامعي الكلام ، وذلك نظير قول حاتم الطائى :

أماوِيَّ ما يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الفَتَى إذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وضَاقَ بِها الصَّدْرُ[1]

يريد : وضاق بالنفس الصدر ، فكنى عنها ، ولم يجر لها ذكر ، إذ كان فى قوله : إذا حشرجت يوما ، دلالة لسامع كلامه على مراده بقوله : وضاق بها . ومنه قول الله (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) فقال : من بعدها ، ولم يجر قبل ذلك ذكر لاسم مؤنث .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ) أما الذى أسرّ فى نفسه فقوله (أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ ، وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ) ، قالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) قال هذا القول.

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ) يقول : أسرّ فى نفسه قوله (أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) .

وقوله (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) يقول : والله أعلم بما تكذّبون فيما تصفون به أخاه بنيامين.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) يقولون : يوسف يقوله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله.

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) : أى بما تكذبون .

---

(١) البيت فى (اللسان : حشرج) قال : الحشرجة : تردد صوت النفس ، وهو الغرغرة فى الصدر عند الموت . تمثلت بالبيت أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر ودخلت على أبيها عند موته قائلة :

لعمرك ما يغنى الثراء ولا الغنى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

والبيت لحاتم يخاطب زوجه ماوية . والشاهد فيه : أن الضمير فى حشرجت ليس له مرجع مذكور فى الكلام .

فمعنى الكلام إذن : فأسرّها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم ، قال : أنتم شرّ عند الله منزلا ممن وصفتموه بأنه سرق ، وأخبث مكانا بما سلف من أفعالكم ، والله عالم بكذبكم ، وإن جهله كثير ممن حضر من الناس ،

وذُكر أن الصواع لما وُجد فى رحل أخى يوسف تلاوم القوم بينهم كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما استخرجت السرقة من رحل الغلام انقطعت ظهورهم ، وقالوا : يا بنى راحيل ، مايزال لنا منكم بلاء حتى أخذت هذا الصواع ، فقال بنيامين : بل بنو راحيل الذين لايزال لهم منكم بلاء ، ذهبتم بأخى فأهلكتموه فى البرية ، وضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع الدراهم فى رحالكم ، فقالوا : لاتذكر الدراهم فنؤخذ بها ؛ فلما دخلوا على يوسف دعا بالصواع ، فنقر فيه ، ثم أدناه من أذنه ، ثم قال: إن صواعى هذا ليخبرنى أنكم كنتم اثنى عشر رجلا ، وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه ؛ فلما سمعها بنيامين ، قام فسجد ليوسف ، ثم قال : أيها الملك ، سل صواعك هذا عن أخى أحىّ هو؟ فنقره ، ثم قال : هو حىّ ، وسوف تراه ، قال : فاصنع بى ماشئت ، فإنه إن علم بى سوف يستنقذنى ، قال : فدخل يوسف فبكى ، ثم توضأ ، ثم خرج فقال بنيامين : أيها الملك إنى أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحقّ ، فسله من سرقه ، فجعله فى رحلى ، فنقره فقال : إن صواعى هذا غضبان ، وهو يقول : كيف تسألنى عن صاحبى ، وقد رؤيت مع من كنت ، قال : وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا ، فغضب روبيل ، فقال : أيها الملك ، والله لتتركنا ، أو لأصيحنّ صيحة لايبقى بمصر امرأة حامل إلا ألقت ما فى بطنها ، وقامت كلّ شعرة فى جسد روبيل ، فخرجت من ثيابه ، فقال يوسف لابنه : قم إلى جنب روبيل فمسه ؛ وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فمسه الآخر ذهب غضبه ، فمرّ الغلام إلى جنبه فمسه ، فذهب غضبه ، فقال روبيل : من هذا ؟ إن فى هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب ، فقال يوسف من يعقوب ؟ فغضب روبيل فقال : يا أيها الملك لاتذكر يعقوب ، فإنه سرىّ الله ، ابن ذبيح الله ، ابن خليل الله ، قال يوسف : أنت إذن كنت صادقا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

يقول تعالى ذكره : قالت إخوة يوسف ليوسف (يا أيُّها العَزيزُ) ياأيها الملك (إنّ لَهُ أبا شَيْخا كَبيرًا) كلفا بحبه ، يعنون يعقوب (فَخُذْ أحَدنا مَكانَهُ) يعنون فخذ أحدا منا بدلا من بنيامين ، وخلّ عنه (إنّا نَراكَ مِنَ المُحْسِنِينَ) يقولون : إنا نراك من المحسنين فى أفعالك .

وقال محمد بن إسحاق فى ذلك ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إنّا نَراكَ مِنَ المُحْسِنِينَ) إنا نرى ذلك منك إحسانا إن فعلت .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : قال يوسف لإخوته (مَعاذَ اللهِ) أعوذ بالله ، وكذلك تفعل العرب فى كل مصدر وضعته موضع يَفْعَل ويَفْعِل ، فإنها تنصب كقولهم : حمداً لله وشكرا له ، بمعنى : أحمد الله وأشكره ؛ والعرب تقول فى ذلك : معاذ الله ، ومعاذة الله ، فتدخل فيه هاء التأنيث كما يقولون : ما أحسن معناه هذا الكلام ، وعوذ الله ، وعوذة الله ، وعياذ الله ؛ ويقولون : اللهمّ عائذا بك ، كأنه قيل : أعوذ بك عائذا ، أو أدعوك عائذا (أنْ نأْخُذَ إلاّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ) يقول : أستجير بالله من أن نأخذ بريئا بسقيم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قالَ مَعاذَ اللهِ أنْ نأْخُذَ إلاّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ ، إنّا إذًا لَظالِمُونَ) يقول : إن أخذنا غير الذى وجدنا متاعنا عنده أنا إذا نفعل ما ليس لنا فعله ، ونجور على الناس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (قالُوا يا أيُّها العَزِيزُ إنّ لَهُ أبا شَيْخا كَبِيرًا ، فَخُذْ أحَدَنا مَكانَهُ ، إنّا نَراكَ مِنَ المُحْسِنِين . قالَ مَعاذَ اللهِ أنْ نأْخُذَ إلاّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ ، إنّا إذًا لَظالِمُونَ) قال يوسف : إذا أتيتم أباكم فأقرئوه السلام ، وقولوا له : إن ملك مصر يدعولك أن لاتموت حتى ترى ابنك يوسف ، حتى يعلم أن فى أرض مصر صدّيقين مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾

﴿ يعنى تعالى ذكره (فَلَمّا اسْتَيْأسُوا مِنْهُ) فلما يئسوا منه من أن يخلى يوسف عن بنيامين ، ويأخذ منهم واحدا مكانه ، وأن يجيبهم إلى ماسألوه من ذلك ، وقوله (اسْتَيْأسُوا) استفعلوا ، من يئس الرجل من كذا ييأس .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمّا اسْتَيْأسُوا مِنْهُ)يئسوا منه ورأوا شدّته فى أمره .

وقوله (خَلَصُوا نَجِيًّا) يقول بعضهم لبعض : يتناجون، لايختلط بهم غيرهم ، والنجىّ جماعة القوم المنتجين يسمى به الواحد والجماعة ، كما يقال : رجل عدل ، ورجال عدل ، وقوم زور وفطر ، وهو

مصدر من قول القائل : نجوت فلانا أنجوه نجيا ، جعل صفة ونعتا . ومن الدليل على أن ذلك كما ذكرنا قول الله تعالى (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) فوصف به الواحد، وقال فى هذا الموضع (خَلَصُوا نَجِيًّا) فوصف به الجماعة، ويجمع النَّجِيّ أنجية ، كما قال لبيد :

وشَهِدْتُ أَنْجِيَةَ الأُفاقةِ عالِيا كَعْبِي وأَرْدافُ المُلُوكِ شُهُودُ[1]

وقد يقال للجماعة من الرجال : نجوى، كما قال جلّ ثناؤه (وَإِذْ هُمْ نَجْوَى) وقال (ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ) وهم القوم الذين يتناجون ، وتكون النجوى أيضا مصدرا ، كما قال الله (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطانِ) تقول منه : نجوت أنجو نجوى ، فهى فى هذا الموضع : المناجاة نفسها، ومنه قول الشاعر :

بُنَيَّ بَدَا خِبٌّ نَجْوَى الرِّجالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبَّ النَّجِيّ[2]

فالنجوى والنجيّ فى هذا البيت بمعنى واحد ، وهو المناجاة ، وقد جمع بين اللغتين .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (خَلَصُوا نَجِيًّا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا) وأخلص لهم شمعون ، وقد كان ارتهنه ، خَلَوْا بينهم نجيا يتناجون بينهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (خَلَصُوا نَجِيًّا) خلصوا وحدهم نجيا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (خَلَصُوا نَجِيًّا) : أى خلا بعضهم ببعض، ثم قالوا : ماذا ترون .

وقوله (قالَ كَبِيرُهُمْ) اختلف أهل العلم فى المعنىّ بذلك، فقال بعضهم: عنى به كبيرهم فى العقل والعلم ، لا فى السنّ ، وهو شمعون ، قالوا : وكان روبيل أكبر منه فى الميلاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ،

---

(١) البيت للبيد ، استشهد به أبو عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٣١٥) قال فى معنى قوله تعالى (خلصوا نجيا) : أى اعتزلوا نجيا يتناجون . والنجى : يقع لفظه على الواحد والجمع أيضا . وقد يجمع ، فيقال : نجى وأنجية ، وقال لبيد : « وشهدت أنجية » . . . البيت . والشاهد فيه أن فاعل حشرجت ضمير تقديره هى راجع إلى النفس . المفهومة من السياق . والنفس مؤنثة ، فلذلك أنث الفعل بالتاء . وانظره فى (اللسان : أفق) .

(٢) البيت للصلتان العبدى : قثم بن خبية ، أورده صاحب الخزانة مع عدة أبيات له (١ : ٣٠٨) وأورد المقطوعة أبو تمام فى الحماسة ، وعدتها تسعة أبيات وقال التبريزى فى شرح البيت (٣ : ١١٢) : الخب : المكر بكسر الخاء ، والخب بفتحها : المكار . والنجوى مصدر ، وهو مستعمل فيما يتحدث فيه اثنان على طريق السر والكتمان . فيقول : إذا ناجيت صاحبا لك . فكن خبا فيما تودعه من سرك فإن نجوى الرجال إذا بدا خبها عادت وبالا . والنجى : يقع على الواحد والجمع ، وكذلك النجوى ؛ وفى القرآن : وإذ هم نجوى اهـ .

فى قول الله تعالى (قالَ كَبِيرُهُمْ) قال : هو شمعون الذى تخلف ، وأكبر منه ، وأكبر منهم فى الميلاد روبيل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قالَ كَبِيرُهُمْ) : شمعون الذى تخلف ، وأكبر منه فى الميلاد روبيل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قالَ كَبِيرُهُمْ) قال : شمعون الذى تخلف ، وأكبرهم فى الميلاد روبيل .

وقال آخرون : بل عَنَى به كبيرهم فى السنّ وهو روبيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ كَبِيرُهُمْ) وهو روبيل أخو يوسف ، وهو ابن خالته ، وهو الذى نهاهم عن قتله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قالَ كَبِيرُهُمْ) قال : رُوبيل ، وهو الذى أشار عليهم أن لا يقتلوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (قالَ كَبِيرُهُمْ) فى العلم[1] (أَنَّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللهِ وَمِنْ قَبْلُ مافَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ) . . . الآية ، فأقام روبيل بمصر ، وأقبل التسعة إلى يعقوب فأخبروه الخبر ، فبكى وقال : يا بنىّ ماتذهبون مرّة إلا نقصتم واحدا ، ذهبتم مرّة فنقصتم يوسف ، وذهبتم الثانية فنقصتم شمعون ، وذهبتم الآن فنقصتم روبيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا) قال : ماذا ترون ؟ فقال رُوبيل كما ذُكرلى ، وكان كبير القوم (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللهِ ـ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَنْ يُحاطَ بِكُمْ ـ وَمِنْ قَبْلُ مافَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ) . . . الآية

❊ وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة ، قول من قال : عنى بقوله(قالَ كَبِيرُهُمْ) رُوبيل لإجماع جميعهم على أنه كان أكبرهم سنا ، ولا تفهم العرب فى المخاطبة إذا قيل لهم : فلان كبير القوم مطلقا بغير وصل إلا أحد معنيين ، إما فى الرياسة عليهم والسؤدد ، وإما فى السنّ ، فأما فى العقل فإنهم إذا أرادوا ذلك وصلوه ، فقالوا : هو كبيرهم فى العقل ، فأما إذا أطلق بغير صلته بذلك فلا يفهم إلا ما ذكرت . وقد قال أهل التأويل لم يكن لشمعون ، وإن كان قد كان من العلم والعقل بالمكان الذى جعله الله به على إخوته رياسة وسؤدد ، فيعلم بذلك أنه عنى بقوله (قالَ كَبِيرُهُمْ) فإذا كان ذلك كذلك ، فلم يبق إلا الوجه الآخر ، وهو الكبر فى السنّ ، وقد قال الذين ذكرنا جميعا : رُوبيل كان أكبر القوم سنا ، فصحّ بذلك القول الذى اخترناه .

وقوله (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللهِ) يقول : ألم تعلموا أيها

(١) لعله فى السن تأمل .

القوم أن أباكم يعقوب قد أخذ عليكم عهود الله ومواثيقه ، لتأتينه به جميعا ، إلا أن يُحاط بكم ، ومن قبل فعلتكم هذه تفريطكم في يوسف : يقول : أو لم تعلموا من قبل هذا تفريطكم في يوسف . وإذا صرف تأويل الكلام إلى هذا الذى قلناه ، كانت « ما » حينئذ فى موضع نصب . وقد يجوز أن يكون قوله (وَمِنْ قَبْلُ ما فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ) خبرا مبتدأ ، ويكون قوله (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ) خبرا متناهيا ، فتكون « ما » حينئذ فى موضع رفع ، كأنه قيل : ومن قبل هذا تفريطكم فى يوسف ، فتكون « ما » مرفوعة بمن قبل هذا ، ويجوز أن تكون « ما » التى تكون صلة فى الكلام ، فيكون تأويل الكلام : ومن قبل هذا تفريطكم [1] فى يوسف .

وقوله (فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ) التى أنا بها ، وهى مصر فأفارقها (حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي) بالخروج منها ، كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ) التى أنا بها اليوم (حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي) بالخروج منها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال شمعون : (لَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ، أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) .

وقوله (أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي) : أو يقضىَ لى ربى بالخروج منها ، وترك أخى بنيامين ، وإلا فإنى غير خارج (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) يقول : والله خير من حكم ، وأعدل من فصَل بين الناس .

وكان أبو صالح يقول فى ذلك بما حدثنى الحسين بن يزيد السبيعىّ ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح فى قوله (حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي) قال : بالسيف ، وكأن أبا صالح وجه تأويل قوله (أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي) إلى : أو يقضى الله لى بحرب مَنْ منعنى من الانصراف بأخى بنيامين إلى أبيه يعقوب ، فأحاربه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل رُوبيل لإخوته حين أخذ يوسف أخاه بالصواع الذى استخرج من وعائه (ارْجِعُوا) إخوتى (إِلَىٰ أَبِيكُمْ) يعقوب (فَقُولُوا) له (يا أبانا إنَّ ابنك) بنيامين (سَرَقَ) ، والقراءة على قراءة هذا الحرف بفتح السين والراء والتخفيف (إنَّ ابنَكَ سَرَقَ) . ورُوى عن ابن عباس (إن ابنَكَ سُرِّقَ) بضم السين وتشديد الراء ، على وجه ما لم يسمَّ فاعله ، بمعنى : أنه سُرِّق (وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا) .

(١) هذا مصدر صريح ، مأخوذ من ما المصدرية والفعل الماضى « ما فرطتم » .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وما قلنا : إنه سَرَق إلا بظاهر علمنا بأن ذلك كذلك ، لأن صوَاع الملك أصيب فى وعائه دون أوعية غيره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (ارْجِعُوا إلى أَبِيكُمْ) فإنى ماكنت راجعا حتى يأتينى أمره ، (فقُولُوا يا أبانَا إنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنا إلاَّ بِمَا عَلِمْنَا) : أى قد وُجِدَت السرقة فى رحله ، ونحن ننظر لاعلم لنا بالغيب (وَمَا كُنَّا للغَيْبِ حافِظِينَ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقته إلا بما علمنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قال لهم يعقوب عليه السلام : مايدرى هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته إلا بقولكم ؟ فقالوا : (ماشَهِدْنا إلاَّ بِمَا عَلِمْنا) لم نشهد أن السارق يؤخذ بسرقته ، إلا وذلك الذى علمنا . قال : وكان الحكم عند الأنبياء يعقوب وبنيه : أن يؤخذ السارق بسرقته عبدا فيسترقّ .

وقوله (وَمَا كُنَّا للغَيْبِ حافِظِينَ) يقول : وماكنا نرى أن ابنك يَسْرِق ويصير أمرنا إلى هذا ، وإنما قلنا (ونَحْفَظُ أخانا) مما لنا إلى حفظه منه السبيل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن الحريث أبوعمار المروزى ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الحسن بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة (وَمَا كُنَّا للغَيْبِ حافِظِينَ) قال : ما كنا نعلم أن ابنك يسرق .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا كُنَّا للغَيْبِ حافِظِينَ) لم نشعر أنه سيسرق .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَا كُنَّا للغَيْبِ حافِظِينَ) قال : لم نشعر أنه سيسرق .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَا كُنَّا للغَيْبِ حافِظِينَ) قال : لم نشعر أنه سيسرق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد وأبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا كُنَّا للغَيْبِ حافِظِين) قال : ما كنا نظنّ ولا نشعر أنه سيسرق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كُنَّا للغَيْبِ حافِظِينَ) قال : ما كنا نرى أنه سيسرق .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَما كُنَّا للغَيْبِ حافِظِينَ) قال : ماكنا نظن أن ابنك يسرق .

⁂ وأولى التأويلين بالصواب عندنا فى قوله (وَما شَهِدْنا إلاَّ بِمَا عَلِمْنا) قول من قال· وما شهدنا بأن ابنك سرق ، إلا بما علمنا من رؤيتنا للصواع فى وعائه، لأنه عقيب قوله (إنَّ ابْنَكَ سَرَقَ) فهو بأن يكون خبرا عن شهادتهم بذلك أولى من أن يكون خبرا عما هو منفصل .

وذكر أن الغيب فى لغة حمير هو الليل بعينه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَسْـَٔلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

⁂ يقول: وإن كنت متهما لنا لاتصدقنا على مانقول من أن ابنك سرق ، فاسأل القرية التى كنا فيها، وهى مصر ، يقول : سل من فيها من أهلها (والعِيرَ التى أقْبَلْنا فيها) وهى القافلة التى كنا فيها ، التى أقبلنا منها معها ، عن خبر ابنك، وحقيقة ما أخبرناك عنه من سرقه ، فإنك تخبر مصداق ذلك (وإنَّا لَصَادِقونَ) فيما أخبرناك من خبره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (واسأَلِ القَرْيَةَ التى كنا فيها) وهى مصر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (وَاسأَلِ القَرْيَةَ التى كُنَّا فيها) قال : يعنون مصر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قد عرف رُوبيل فى رجع قوله لإخوته أنهم أهل تُهَمة عند أبيهم ، لما كانوا صنعوا فى يوسف ، وقولهم له (اسأَلِ القَرْيَةَ التى كُنَّا فيها، والعِيرَ التى أقْبَلْنا فيها) فقد علموا ماعلمنا ، وشهدوا ماشهدنا إن كنت لاتصدقنا (وَإنَّا لَصادِقُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾

⁂ قال أبو جعفر : فى الكلام متروك ، وهو : فرجع إخوة بنيامين إلى أبيهم ، وتخلف روبيل ، فأخبروه خبره ، فلما أخبروه أنه سرق قال(بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أنْفُسُكُمْ أمْرًا) يقول : بل زينت لكم أنفسكم أمرا هممتم به وأردتموه (فَصَبْرٌ جَميلٌ) يقول : فصبرى على ما نالنى من فقد ولدى صبر جميل لاجزع

فيه ولا شكاية ، عسى الله أن يأتيني بأولادى جميعا ، فيردّهم علىّ (إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ) بوحدتى وبفقدهم وحزنى عليهم ، وصدق مايقولون من كذبه (الحَكِيمِ) فى تدبيره خلقه .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) يقول : زينت، وقوله (عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعا) يقول : بيوسف وأخيه وروبيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما جاءوا بذلك إلى يعقوب ، يعنى بقول روبيل لهم اتهمهم ، وظنّ أن ذلك كفعلتهم بيوسف ، ثم قال (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعا) : أى بيوسف وأخيه وروبيل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ) وأعرض عنهم يعقوب (وَقَالَ يا أسفا على يُوسُفَ) يعنى : ياحزنا عليه ، يقال : إن الأسف هو أشدّ الحزن والتندم ، يقال منه : أسفت على كذا آسف عليه أسفا ، يقول الله جلّ ثناؤه : وابيضت عينا يعقوب من الحزن (فَهُوَ كَظِيمٌ) يقول : فهو مكظوم على الحزن ، يعنى أنه مملوء منه ممسك عليه ، لايبينه صرف المفعول منه إلى فعيل .

ومنه قوله (والكاظِمِينَ الغَيْظَ) وقد بيّنا معناه بشواهده فيما مضى .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ما قلنا فى تأويل قوله (وَقَالَ يا أَسَفَا على يُوسُفَ)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ) أعرض عنهم ، وتتامّ حزنه ، وبلغ مجهوده حين لحق بيوسف أخوه وهيّج عليه حزنه على يوسف ، فقال (يا أَسَفَا على يُوسُفَ ، وابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يا أَسَفَا على يُوسُفَ) يقول : ياحزنى على يوسف .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يا أَسَفَا على يُوسُفَ) : يا حزنا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يا أَسَفَا على يُوسُفَ) : ياجزعاه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يا أَسَفَا على يُوسُفَ) ياجزعاه حزنا .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يا أَسَفَا على يُوسُفَ) قال : ياجزعا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، قوله (يا أَسَفَا على يُوسُفَ) أي حزناه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يا أَسَفَا على يُوسُفَ) قال : ياحزناه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن حميد المَعْمَرِى، عن معمر ، عن قتادة نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَقَالَ يا أَسَفا على يُوسُفَ) [1] .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي حجيرة ، عن الضحاك (يا أَسَفَا على يُوسُفَ) قال : ياحزَنا على يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أبي مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاك (يا أَسَفَا) ياحزناه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : ثني هشيم ، قال : أخبرنا جويبر عن الضحاك (يا أَسَفَا) ياحزنا على يوسف .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا الثوري، عن سفيان العصفري ، عن سعيد بن جبير ، قال : لم يعط أحدٌ غير هذه الامة الاسترجاع ، ألا تسمعون إلى قول يعقوب (يا أَسَفَا على يُوسُفَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن سعيد بن جبير ، نحوه .

ذكر من قال ماقلنا في تأويل قوله تعالى (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فهُوَ كَظِيمٌ) قال : كظيم الحزن .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (فَهُوَ كَظِيمٌ) قال : كظيم الحزن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَهُوَ كَظِيمٌ) قال : الحزن .

---

(١) لعله ترك المتن اختصارا أو اكتفاء بما تقدم عنه بسند محمد بن سعد .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَهُوَ كَظِيمٌ) مكمود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَهُوَ كَظِيمٌ) قال : كظيم على الحزن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (فَهُوَ كَظِيمٌ) قال : الكظيم : الكميد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ،عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (فَهُوَ كَظِيمٌ) قال كميد.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك، فى قوله (كَظِيمٌ) قال : كميد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) يقول : يردّد حزنه فى جوفه ولم يتكلم بسوء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَهُوَ كَظِيمٌ) قال : كظيم على الحزن فلم يقل بأسا .

حدثنا الحسن بن محمد، قال : ثنا الحسين بن الحسن ، قال : ثنا ابن المبارك، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) قال: كظيم على الحزن فلم يقل إلا خيرا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن يزيد بن زُريع ، عن عطاء الخراسانىّ (فَهُوَ كَظِيمٌ) قال : مكروب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (فَهُوَ كَظِيمٌ) قال : من الغيظ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) . قال : الكظيم : الذى لا يتكلم ، بلغ به الحزن حتى كان لا يكلمهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾

يعنى تعالى ذكره : قال ولد يعقوب الذين انصرفوا إليه من مصر له حين قال (يا أَسَفَا على يُوسُفَ) تالله لاتزال تذكر يوسف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: (تَفْتَؤُ) تَفْتُرُ من حبه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَفْتَؤُ) ما تفتر من حبه ، كذا قال الحسن فى حديثه ، وهو غلط ، إنما هو : تَفْتُرُ من حبه ، تزال تذكر يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قالُوا تاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ) قال : لاتفتر من حبه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (تَفْتَؤُ) : تفتر من حبه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (تاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ) قال : لاتزال تذكر يوسف .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (قالُوا تاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ) قال : لاتزال تذكر يوسف ، قال : لاتفتر من حبه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ) قال : لاتزال تذكر يوسف .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال: ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ) قال : لاتزال تذكر يوسف [1] .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال: ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ) قال : لاتزال تذكر يوسف، يقال منه: مافتئت أقول ذاك ، وما فتأت لغة أفتيء وأفتأ فتأ وفتوءا . وحكى أيضا ما أفتأت به ؛ ومنه قول أوس بن حجر :

فما فَتِئَتْ حتى كأنَّ غُبارَها سُرَادِقُ يَوْمٍ ذى رِياحٍ تَرَفَّعُ [2]

وقول الآخر :

فما فَتِئَتْ خَيْلٌ تَثُوبُ وتَدَّعِي ويَلْحَقُ مِنها لاحِقٌ وتَقَطَّعُ [3]

بمعنى : فما زالت ، وحذفت « لا» من قوله (تَفْتَؤُ) وهى مرادة فى الكلام ، لأن اليمين إذا كان ما بعدها خبرا لم يصحبها الجحد ، ولم تسقط اللام التى يجاب بها الأيمان ، وذلك كقول القائل : والله لآتينك ، وإذا كان مابعدها مجحودا تلقيت بما أو بلا ؛ فلما عرف موقعها حذفت من الكلام لمعرفة السامع بمعنى الكلام ومنه قول امرئ القيس :

(١) كذا فى النسخ ، وهو مكرر سندا ومتنا باللفظ والمعنى .

(٢) البيت لأوس بن حجر التميمى ، من قصيدة له فى وصف الخيل ، منها ثلاثة أبيات فى كتاب « المعانى الكبير لابن قتيبة ص ١٠٠٢ » وهو شاهد مثل الذى قبله على أن معنى ما فتئت : ما زالت .

(٣) البيت لأوس بن حجر التميمى أيضا ، استشهد به أبوعبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣١٦) على أن معنى «فما فتئت» فما زالت .

فقُلْتُ يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قاعِداً ولوقَطَّعوا رأسِي لَدَيْكِ وأوْصَالى[١]

فحذفت « لا » من قوله : أبرح قاعدا ، لما ذكرت من العلة ، كما قال الآخر :

فَلا وأبي دَهْماءَ زَالَتْ عَزِيزَةً على قومِها ما فَتَّلَ الزَّنْدَ قادِحُ[٢]

يريد : لازالت .

وقوله (حتى تَكُونَ حَرَضًا) يقول : حتى تكون دنف الجسم ، مخبول العقل . وأصل الحرض : الفساد فى الجسم والعقل من الحزن أو العشق ؛ ومنه قول العرْجى :

إنى امرُؤٌ لَجَّ بي حُبٌّ فأحرَضَني حتى بُلِيتُ وحتى شَفَّني السَّقَمُ[٣]

يعنى بقوله : فأحرضنى : أذابنى فتركنى مُحْرَضا ، يقال منه : رجل حَرَض ، وامرأة حَرَض ، وقوم حَرَض ، ورجلان حَرَض ، على صورة واحدة للمذكر والمؤنث ، وفى التثنية والجمع ، ومن العرب من يقول للذكر : حارض ، وللأنثى حارضة ، فإذا وصف بهذا اللفظ ثنى وجمع وذكر وأنث ، ووحد حرض بكل حال ، ولم يدخله التأنيث لأنه مصدر ، فإذا أخرج على فاعل على تقدير الأسماء ، لزمه مايلزم الأسماء من التثنية والجمع والتذكير والتأنيث . وذكر بعضهم سماعا رجل محرض : إذا كان وجعا ، وأنشد فى ذلك بيتا .

(١) البيت لامرئ القيس ، من شعره فى (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة ، ص ٣٨) . أبرح : أى لا أبرح بإضمار حرف النفى ، لدلالة المعنى عليه ، لأن الفعل بعد القسم غير مؤكد ، ولو كان الكلام إثباتا ، لوجب توكيد الفعل بالنون . ومثله فى القرآن « تالله تفتأ تذكر يوسف » أى لاتفتأ . حذف منه حرف النفى ، كما حذف فى قول امرئ القيس : « يمين الله أبرح » أى لا أبرح . والأوصال : جمع وصل ، بالكسر ، وهو كل عضو ينفصل من آخر .

(٢) أورد البيت البغدادى فى خزانة الأدب الكبرى (٤ : ٤٥ — ٤٧) ولم يعرف قائله ولا تتمة الشعر . وهو شاهد على أنه قد فصل بالجار والمجرور أعنى الجملة القسمية ، وهو « وأبى دهماء » ؛ بين « لا » النافية ، وبين « زالت » . وهذا الفصل لايجيزه النحاة ، ويعتبرون ماجاء منه شاذا ، إلا ابن هشام فى باب الجملة الاعتراضية فقد قال : ويفصل بين حرف النفى ومنفيه ، كقوله فلا وأبى دهماء زالت عزيزة . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٥٦ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) : قالوا « تالله تفتأ تذكر يوسف » معناها : لا تزال تذكر يوسف . ولا قد يضمر مع الأيمان ، لأنها إذا كانت خبرا ، لايضمر فيها لا ، لم تكن إلا لابلام ألا ترى أنك تقول والله لآتينك ، لا يجوز أن تقول : والله آتيك ، إلا أن تكون تريد لا ، فلما تبين موضعها ، وفارقت الخبر أضمرت . قال امرؤ القيس : « فقلت يمين الله أبرح » ... البيت . وأنشد بعضهم : « فلا وأبى دهماء زالت عزيزة . . . » البيت . يريد لا زالت . وقد تبع المؤلف الفراء فى قوله . وقال ابن الملا الحلبى (الخزانة ٤ : ٤٦) يجوز أن تكون لا فى البيت ردا ، وحرف النفى محذوفا ولا اعتراض . انتهى . وقد رد شارح كافية ابن الحاجب محمد بن الحسن الإستراباذى هذا الجواز (٢ : ٢٩٥ طبع الشركة الصحافية العثمانية بالقسطنطينية سنة ١٣١٠ هـ) قال : وقوله : « فلا » وأبى دهماء زالت عزيزة » شاذ ، وليس مما حذف منه حرف النفى ، كما فى قوله تعالى : « تالله تفتأ تذكر يوسف » بتأويل لا وأبى دهماء لا زالت ، لأن حذفها لم يسمع إلا من مضارعاتها ، وإنما جاز حذفها لعدم اللبس ، إذ قد تقرر أنها لا تكون ناقصة إلا معها . قال :

تَنْفَكُّ تَسْمَعُ ما حَيِيتَ بهالكٍ حتّى تَكُونَهْ

ويحذف منها كثيرا فى جواب القسم ، كقوله تعالى : « تالله تفتأ تذكر يوسف » لأن حذف حرف النفى فى جواب القسم ثابت فى غير هذه الأفعال أيضا ، نحو والله أقوم : أى لا أقوم ، فكيف بها . اهـ .

ودهماء : اسم امرأة ، أقسم الشاعر بوالدها ، وجملة « لا زالت عزيزة » جواب القسم . وفتل الزند أو تفتيله عند الاقتداح مفصل فى الخزانة (٤ : ٤٧) فراجعه .

(٣) البيت للعرجى عبدالله بن عمر بن عبد الله (انظره فى اللسان : حرض) . وذكره أبوعبيدة شاهدا على أن معنى أحرضنى : أذابنى (مجاز القرآن : ١ : ٣١٧) . وقال فى اللسان : أحرضه الحب : أى أفسده ، وأنشد للعرجى . . . البيت . أى أذابنى .

طَلَبَتْهُ الخَيْلُ يَوْمًا كامِلا ... ولَوْ آلْفَتْهُ لأَضْحَى مُحْرَضًا[١]

وذُكر أن منه قول امرئ القيس :

أَرَى المَرْءَ ذا الأَذْوَادِ يُصْبِحُ مُحْرَضًا ... كإحْرَاضِ بَكْرٍ فى الدِّيارِ مَرِيضِ[٢]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حتّى تَكُونَ حَرَضًا) يعنى : الجهد فى المرض البالى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (حتّى تَكُونَ حَرَضًا) قال : دون الموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد (حتّى تَكُونَ حَرَضًا) قال : الحرض : مادون الموت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله.

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حتّى تَكُونَ حَرَضًا) حتى تبلى أوتهرم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حتّى تَكُونَ حَرَضًا) حتّى تكون هرما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أبى بكر الهذلى ، عن الحسن (حتّى تَكُونَ حَرَضًا) قال : هرما .

قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : الحرض : الشىء البالى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (حتّى تَكُونَ حَرَضًا) قال : الحرض : الشىء البالى الفانى .

---

(١) البيت فى تفسير الشوكانى (طبع شركة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة ٣ : ٤٦) ولم ينسبه إلى قائله . وهو شاهد على أن الحرض : الفاسد العقل والجسم . وأحرضه الهم : أسقمه . والمحرض الذائب من الهم .

(٢) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا . طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة ص ٦٥) والأذواد : جمع ذود ، وهو الثلاثة إلى العشرة من الإبل . والمحرض الذى قارب الهلاك . وقال فى اللسان : حرضه المرض وأحرضه إذا أشفى منه على شرف الموت ، وأحرض هو نفسه كذلك ، وقال الأزهرى : المحرض : الهالك مرضا ، الذى لاحى فيرجى . ولا ميت فيوءس منه . قال امرؤ القيس . . . البيت ، ويروى محرضا (بكسر الراء) .

قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أبي معاذ ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك (حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا) الحرض : البالى .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك يقول فى قوله (حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا) : هو البالى المندثر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا) باليا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما ذكر يعقوب يوسف ، قالوا : يعنى ولده الذين حضروه فى ذلك الوقت جهلا وظلما (تَاللَّهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا) أى تكون فاسدا لاعقل لك (أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) قال : الحرض : الذى قد ردّ إلى أرذل العمر حتّى لايعقل ، أو تهلك فتكون هالكا قبل ذلك .

وقوله (أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) يقول : أو تكون ممن هلك بالموت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد (أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) قال : الموت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) من الميتين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك (أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) قال : الميتين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن عون ، عن أبى بكر الهذلى ، عن الحسن (أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) قال : الميتين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) قال أو تموت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) قال : من الميتين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) قال : من الميتين .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

يقول تعالى ذكره : قال يعقوب للقائلين له من ولده (تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين) لست إليكم أشكو بثى وحزنى ، وإنما أشكو ذلك إلى الله .

ويعنى بقوله (إنما أشكو بثى) ما أشكو همى (وحزنى) إلا (إلى الله) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (إنما أشكو بثى) قال ابن عباس : بثى : همى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يعقوب : عن علم بالله (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون) لما رأى من فظاظتهم وغلظتهم وسوء لفظهم به لم أشك ذلك إليكم (وأعلم من الله ما لا تعلمون) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن الحسن (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) قال : حاجتى وحزنى إلى الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا هوذة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، مثله . وقيل : إن البثّ أشدّ الحزن ، وهو عندى من بثّ الحديث ، وإنما يراد منه : إنما أشكو خبرى الذى أنا فيه من الهمّ ، وأبثّ حديثى وحزنى إلى الله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن (إنما أشكو بثى) قال : حزنى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن (إنما أشكو بثى وحزنى) قال : حاجتى .

وأما قوله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) فإن ابن عباس كان يقول فى ذلك فيما ذكر عنه ماحدثنى به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يقول : أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأنى سأسجد له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى (قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون) قال : لما أخبروه بدعاء الملك أحست نفس يعقوب ، وقال : ما يكون فى الأرض صدّيق إلا نبىّ فطمع ، قال : لعله يوسف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ) الآية ، ذكر لنا أن نبيّ الله يعقوب لم ينزل به بلاء قطّ إلا أتى حسن ظنه بالله من ورائه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عيسى بن يزيد ، عن الحسن ، قال : قيل : ما بلغ وجد يعقوب على ابنه ؟ قال : وجد سبعين ثكلى ، قال : فما كان له من الأجر ، قال : أجر مئة شهيد ، قال : وما ساء ظنه بالله ساعة من ليل ولا نهار .

حدثنا به ابن حميد مرّة أخرى ، قال : ثنا حكام ، عن أبي معاذ ، عن يونس ، عن الحسن ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن المبارك بن مجاهد ، عن رجل من الأزد ، عن طلحة بن مصرّف الإيامى ، قال : ثلاثة لاتذكرهن ، واجتنبْ ذكرهن ، لاتشك مرضك ، ولا تشك مصيبتك ، ولا تزك نفسك ، قال : وأنبئت أن يعقوب بن إسحاق دخل عليه جار له ، فقال له : يا يعقوب مالى أراك قد انهشمت وفنيت ، ولم تبلغ من السنّ ما بلغ أبوك ، قال : هشمنى وأفنانى ما ابتلانى الله به من همّ يوسف وذكره ، فأوحى الله إليه : يايعقوب أتشكونى إلى خلقى؟ فقال : ياربّ خطيئة أخطأتها ، فاغفرها لى ، قال: فانى قد غفرت لك ، وكان بعد ذلك إذا سئل ، قال (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لاتَعْلَمُونَ) .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنى مؤمل بن إسماعيل ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : بلغنى أن يعقوب كبر حتى سقط حاجباه على وجنتيه ، فكان يرفعهما بخرقة ، فقال له رجل : مابلغ بك ما أرى ؟ قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان ، فأوحى الله إليه : يا يعقوب تشكونى ؟ قال : خطيئة فاغفرها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيي بن واضح ، قال : ثنا ثور بن يزيد ، قال : دخل يعقوب على فرعون وقد سقط حاجباه على عينيه ، فقال : مابلغ بك هذا يا إبراهيم ، فقالوا : إنه يعقوب ، فقال : ما بلغ بك هذا يا يعقوب ، قال : طول الزمان وكثرة الأحزان ، فقال الله : يا يعقوب أتشكونى ؟ فقال : يا ربّ خطيئة أخطأتها ، فاغفرها لى .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا هشام ، عن ليث بن أبي سليم ، قال : دخل جبرئيل على يوسف السجن ، فعرفه فقال : أيها الملك الحسن وجهه ، الطيبة ريحه ، الكريم على ربه ، ألا تخبرنى عن يعقوب أحيّ هو؟ قال : نعم ، قال : أيها الملك الحسن وجهه ، الطيبة ريحه ، الكريم على ربه ، فما بلغ من حزنه ؟ قال : حزن سبعين مثكلة ، قال : أيها الملك الحسن وجهه ، الطيبة ريحه ، الكريم على ربه ، فهل فى ذلك من أجر؟ قال : أجر مئة شهيد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، قال : حُدثت أن جبرئيل أتى يوسف صلى الله عليهما وسلم وهو بمصر فى صورة رجل ؛ فلما رآه يوسف عرفه ،

فقام إليه ، فقال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل لك بيعقوب من علم ؟ قال : نعم ، قال : أيها الملك الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، فكيف هو؟ قال : ذهب بصره ، قال : أيها الملك الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، وما الذى أذهب بصره ؟ قال : الحزن عليك ؟ قال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، فما أعْطِيَ على ذلك ؟ قال : أجر سبعين شهيدا .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال أبوشريح : سمعت من يحدّث أن يوسف سأل جبرئيل ، مابلغ من حزن يعقوب ؟ قال : حُزْنَ سبعين ثَكْلَى ، قال : فما بلغ أجره ؟ قال : أجر سبعين شهيدا .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى نافع بن يزيد ، عن عبيد الله بن أبى جعفر ، قال : دخل جبرئيل على يوسف فى البئر أو فى السجن ، فقال له يوسف : ياجبرئيل ، ما بلغ حزن أبى قال : حزن سبعين ثكلى ، قال : فما بلغ أجره من الله ، قال : أجر مئة شهيد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : أتى جبرئيل يوسف بالبشرى وهو فى السجن ، فقال : هل تعرفنى أيها الصدّيق ، قال : أرى صورة طاهرة وروحا طيبة لاتشبه أرواح الخاطئين ، قال : فإنى رسول ربّ العالمين ، وأنا الروح الأمين ، قال : فما الذى أدخلك على مُدْخَل المذنبين ، وأنت أطيب الطيبين ، ورأس المقرّبين ؟ وأمين ربّ العالمين ؟ قال : ألم تعلم يا يوسف أنّ الله يطهر البيوت بطهر النبيين ، وأن الأرض التى يدخلونها هى أطهر الأرضين ، وأن الله قد طهر بك السجن وما حوله ياطهر الطاهرين وابن المطهرين ، إنما يتطهر بفضل طهرك وطهر آبائك الصالحين المخلصين ، قال : كيف لى باسم الصدّيقين ، وتعدنى من المخلصين ، وقد أدخلت مدخل المذنبين ، وسميت بالضالين المفسدين ؟ قال : لم يفتتن قلبك ، ولم تطع سيدتك فى معصية ربك ، ولذلك سماك الله فى الصدّيقين ، وعدّك من المخلصين ، وألحقك بآبائك الصالحين. قال : لك علم بيعقوب أيها الروح الأمين ؟ قال : نعم ، وهبه الله الصبر الجميل ، وابتلاه بالحزن عليك ، فهو كظيم ، قال : فما قدر حزنه ؟ قال : حزن سبعين ثكلى ، قال : فماذا له من الأجر يا جبرئيل ؟ قال : قدر مئة شهيد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن ثابت البنانى ، قال : دخل جبرئيل على يوسف فى السجن، فعرفه يوسف ، قال : فأتاه فسلم عليه ، فقال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل لك من علم بيعقوب ؟ قال : نعم ، قال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل تدرى ما فعل ؟ قال : ابيضت عيناه ، قال : أيها الملك الطيب ريحه، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، ممّ ذاك ؟ قال : من الحزن عليك ، قال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه، وما بلغ من حزنه ؟ قال : حزن سبعين مثكلة ، قال : أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل له على ذلك من أجر ؟ قال : نعم أجر مئة شهيد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : أتى جبرئيل يوسف وهو فى السجن فسلم عليه ، وجاء فى صورة رجل حسن الوجه طيب الريح نقىّ الثياب ، فقال له يوسف : أيها الملك الحسن وجهه ، الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، حدّثنى كيف يعقوب ؟ قال : حَزِن عليك حزنا شديدا ، قال : وما بلغ من حزنه ؟ قال : حزن سبعين مُثْكَلة ، قال : فما بلغ من أجره ؟ قال : أجر سبعين أو مئة شهيد ، قال يوسف : فإلى من أوَى بعدى ؟ قال : إلى أخيك بنيامين ، قال : فترانى ألقاه أبدا ؟ قال : نعم ، فبكى يوسف لِمَالَقِىَ أبوه بعده ، ثم قال : ما أبالى ما لقيت إن اللهُ أرانيه .

قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : أتى جبرئيل يوسف وهو فى السجن ، فسلم عليه ، فقال له يوسف : أيها الملك الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، هل من علم بيعقوب ؟ قال : نعم ما أشدّ حزنه ! قال : أيها الملك الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، ماذا له من الأجر ، قال : أجر سبعين شهيدا ، قال : أفترانى لاقيه ؟ قال : نعم ، قال : فطابت نفس يوسف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما دخل يعقوب على الملك وحاجباه قد سقطا على عينيه ، قال الملك : ما هذا ؟ قال : السنون والأحزان أوالهموم والأحزان ، فقال ربه : يا يعقوب لم تشكونى إلى خلقى ، ألم أفعل بك وأفعل ؟ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن مسلم بن يسار يرفعه إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ بَثَّ لَمْ يَصْبِرْ » ثم قرأ (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وحُزْنِى إلى اللهِ) » .

حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآملى ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى يوم رجع ثمانون سنة ، لم يفارق الحزنُ قلبه ، يبكى حتى ذهب بصره ، قال الحسن : والله ماعلى الأرض يومئذ خليقة أكرم على الله من يعقوب صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾

﴿ يقول تعالى ذكره ، حين طمع يعقوب فى يوسف ، قال لبنيه : يابنىّ اذهبوا إلى الموضع الذى جئتم منه ، وخلّفتم أخويكم به (فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ) يقول : التمسوا يوسف وتعرّفوا من خبره ، وأصل التحسس : التفعل من الحسّ (وأخِيهِ) يعنى بنيامين (وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ) يقول : ولا تقنطوا من أن يروّح الله عنا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه بفَرَج من عنده فيرينيهما

(إِنَّهُ لايَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ) يقول : لايقْنَط من فَرَجه ورحمته ، ويقطع رجاءه منه (إِلاَّ القَوْمُ الكافِرُونَ) يعنى : القوم الذين يجحدون قدرته على ماشاء تكوينه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وأخيهِ) بمصر (وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ) قال : من فرج الله أن يردّ يوسف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ) : أى من رحمة الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم إن يعقوب قال لبنيه ، وهو على حسن ظنه بربه مع الذى هو فيه من الحزن : (يا بنىّ اذهبوا) إلى البلاد التى منها جئتم (فتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وأخيهِ ، وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ) : أى من فرجه (إِنَّهُ لايَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ القَوْمُ الكافِرُونَ) .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ) يقول : من رحمة الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ) قال : من فرج الله ، يفرُج عنكم الغمّ الذى أنتم فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾

❊ وفى الكلام متروك قد استغنى بذكر ماظهر عما حذف ، وذلك فخرجوا راجعين إلى مصر حتى صاروا إليها ، فدخلوا على يوسف (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قالُوا يا أَيُّها العَزِيزُ مَسَّنا وأَهْلَنا الضُّرُّ) : أى الشدّة من الجدب والقحط (وَجِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ) .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وخرجوا إلى مصر راجعين إليها ببضاعة مزْجاة : أى قليلة ، لاتبلغ ما كانوا يتبايعون به ، إلا أن يُتَجاوز لهم فيها ، وقد رأوا ما نزل بأبيهم ، وتتابع البلاء عليه فى ولده وبصره ، حتى قدموا على يوسف (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قالُوا يا أَيُّها العَزِيزُ) رجاء أن يرحمهم فى شأن أخيهم (مَسَّنا وأَهْلَنا الضُّرُّ) ، وعَنَى بقوله (وَجِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ)

بدراهم أو ثمن لايجوز فى ثمن الطعام إلا لمن يتجاوز فيها ، وأصل الإزجاء : السَّوْق بالدفع ، كما قال النابغة الذبيانى :

وَهَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقاءِ ذى أُرُلٍ   تُزْجِي معَ اللَّيلِ مِن صُرَّادها صِرَما[1]

يعنى تسوق وتدفع ؛ ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

الوَاهِبُ المِئَةَ الهِجانَ وعَبْدَها   عُوذاً تُزَجِّى خَلْفَها أطْفالَها[2]

وقول حاتم :

لِيَبْكِ على مِلْحانَ ضَيْفٌ مُدَفَّعٌ   وأرْمَلَةٌ تُزْجِي معَ اللَّيلِ أرْمَلا[3]

يعنى أنها تسوقه بين يديها على ضعف منه عن المشى وعجز . ولذلك قيل(بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) لأنها غير نافقة ، وإنما تجوز تجويزا على نفع[4] من آخذيها . وقد اختلف أهل التأويل فى البيان عن تأويل ذلك، وإن كانت معانى بيانهم متقاربة .

ذكر أقوال أهل التأويل فى ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس(بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : ردية زيوف لاتنفق حتى يوضع منها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس، فى قوله(وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال: الردية التى لاتنفق حتى يُوضَع منها.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبى سليمان ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : خَلَقَ الغرارة والحبل والشىء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبى سليمان عن ابن أبى مليكة ، قال : سمعت ابن عباس ، وسئل عن قوله (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : رثة المتاع : الحبل والغرارة والشىء .

(١) البيت فى شعر النابغة الذبيانى (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ١٧٠) وهو البيت التاسع فى القصيدة) . وذو أرل : جبل بأرض غطفان فى مهب الشمال) . وتلقاءه : قبالته . وتزجى : تسوق . والصراد : سحاب بارد لا ماء فيه . . والصرم : جمع صرمة ، وهى قطع السحاب وأصلها : القطعة من الإبل . يقول : إذا هبت الريح من عند ذى أرل كانت شمالا و هى أشد الرياح بردا ، وأقلها خيرا . والبيت شاهد على أن الإزجاء السوق بالدفع .

(٢) البيت لأعشى بنى ثعلبة ، ميمون ، وهو الأعشى الأكبر ، وهو فى ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص ٢٩) وهو من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب ، ومطلعها : « رحلت سمية غدوة أجمالها » . والهجان : جمع هجين ، وهو الأبيض الكريم ، يقال إبل هجان . والعوذ : الحديثات النتاج ، وزجى الشىء دفعه برفق . يقول : إن الممدوح يهب المئة من الإبل وعبدها ، تتبعها أطفالها ، تسعى خلفها .

(٣) البيت فى (اللسان : رمل) أنشده ابن برى شاهدا على أن الأرمل المرأة التى لا زوج لها . واستشهد به المؤلف على أن معنى الإزجاء السوق والدفع .

(٤) لعله على دفع .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : البضاعة : الدراهم ، والمزجاة : غير طائل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن ابن أبي زياد ، عمن حدثه ، عن ابن عباس ، قال : كاسدة غير طائل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبوبكر بن عياش ، قال : ثنا أبوحصين ، عن سعيد بن جبير وعكرمة (وَجِئْنا ببِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال سعيد : ناقصة . وقال عكرمة : دراهم فُسُول .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوبكربن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير وعكرمة ، مثله .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير وعكرمة (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال أحدهما : ناقصة . وقال الآخر : ردية .

وبه قال : ثنا أبي عن سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : كان سمنا وصوفا .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا على بن عاصم ، عن يزيد بن أبي زياد قال : سأل رجل عبد الله بن الحارث وأنا عنده ، عن قوله (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : قليلة ، متاع الأعراب : الصوف والسمن .

حدثنا إسحاق بن زياد القطان أبويعقوب البصرى ، قال : ثنا محمد بن إسحاق البلخى ، قال : ثنا مروان ابن معاوية الفزارى ، عن مروان بن عمرو العذرى ، عن أبي إسماعيل ، عن أبي صالح ، فى قوله (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : الصنوبر والحبة الخضراء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن يزيد بن الوليد ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : قليلة ، ألا تسمع إلى قوله : فأوقر ركابنا وهم يقرءون كذلك .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، أنه قال : ما أراها إلا القليلة ، لأنها فى مصحف عبد الله : وأوقر ركابنا ، يعنى قوله : مزجاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن القعقاع بن يزيد ، عن إبراهيم ، قال : قليلة ، ألم تسمع إلى قوله : وأوقر ركابنا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي بكر الهذلى ، عن سعيد بن جبير والحسن (بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال سعيد : الردية . وقال الحسن : القليلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن يزيد ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : متاع الأعراب سمن وصوف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية ، قال : دراهم ليست بطائل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (مُزْجاةٍ) قال : قليلة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مُزْجاةٍ) قال : قليلة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الله بن الحارث (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : شىء من صوف ، وشىء من سمن .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال : قليلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عمن حدثه ، عن مجاهد (مُزْجاةٍ) قال : قليلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى حصين ، عن عكرمة ، قال : ناقصة . وقال سعيد بن جبير : فُسول .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن سعيد بن جبير (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : ردية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : كاسدة لاتنفق .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : كاسدة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : كاسدة غير طائل .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) يقول : كاسدة غير نافقة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد الزبيرى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : الناقصة ، وقال عكرمة : فيها تجوّز .

قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الدراهم الردية التى لاتجوز إلا بنقصان .

قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الدراهم الرذال التى لاتجوز إلا بنقصان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : دراهم فيها جواز .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) : أى يسيرة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) قال : المزجاة : القليلة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجاةٍ) : أى قليلة لاتبلغ ما كنا نشترى به منك ، إلا أن تتجاوز لنا فيها .

وقوله (فَأَوْفِ لَنا الكَيْلَ) بها ، وأعطنا بها ماكنت تعطينا قبلُ بالثمن الجيد والدراهم الجائزة الوافية التى لاتردّ .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَأَوْفِ لَنا الكَيْلَ) : أى أعطنا ما كنت تعطينا قبل ، فإن بضاعتنا مزجاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (فَأَوْفِ لَنا الكَيْلَ) قال : كما كنت تعطينا بالدراهم الجياد .

وقوله (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا) يقول تعالى ذكره : قالوا : وتفضل علينا بما بين سعر الجياد والردية ، فلا تنقصنا من سعر طعامك لردىّ بضاعتنا (إنَّ اللهَ يَجْزِى المُتَصَدِّقِينَ) يقول : إن الله يثيب المتفضلين على أهل الحاجة بأموالهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا) قال : تفضل بما بين الجياد والردية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن سعيد بن جبير (فَأَوْفِ لَنا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا) لاتنقصنا من السعر من أجل ردىّ دراهمنا .

واختلفوا فى الصدقة ، هل كانت حلالا للأنبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أو كانت حراما ؟ فقال بعضهم : لم تكن حلالا لأحد من الأنبياء عليهم السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن سعيد بن جبير ، قال : ماسأل نبىّ قط الصدقة ، (و) لكنهم قالوا (جِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ فَأَوْفِ لَنا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا) لاتنقصنا من السعر .

ورُوى عن ابن عيينة ماحدثنى به الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : يحكى عن سفيان بن عيينة أنه سئل : هل حرِّمت الصدقة على أحد من الأنبياء قبل النبىّ صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ألم تسمع قوله : (فَأَوْفِ لَنا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا ، إنَّ اللهَ يَجْزِى المُتَصَدِّقِينَ) .

قال الحارث : قال القاسم : يذهب ابن عيينة إلى أنهم لم يقولوا ذلك إلا والصدقة لهم حلال ، وهم أنبياء ، فإن الصدقة إنما حرمت على محمد صلى الله عليه وسلم ، لاعليهم .

وقال آخرون : إنما عنى بقوله (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) وتصدّق علينا بردّ أخينا إلينا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) قال : ردّ إلينا أخانا ، وهذا القول الذى ذكرناه ، عن ابن جريج ، وإن كان قولا له وجه ، فليس بالقول المختار فى تأويل قوله (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) لأن الصدقة فى المتعارف : إنما هى إعطاء الرجل ذا الحاجة بعض أملاكه ابتغاء ثواب الله عليه ، وإن كان كل معروف صدقة ، فتوجيه تأويل كلام الله إلى الأغلب من معناه فى كلام من نزل القرآن بلسانه أولى وأحرى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال مجاهد .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن عثمان بن الأسود ، قال: سمعت مجاهدا ، وسئل : هل يكره أن يقول الرجل فى دعائه : اللهمّ تصدّق علىّ ؟ فقال : نعم ، إنما الصدقة لمن يبغى الثواب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ ٨٩

ذُكِر أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه ، لما قال له إخوته (يا أَيُّها العَزِيزُ مَسَّنا وأَهْلَنا الضُّرُّ وَجِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ ، فَأَوْفِ لَنا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا إنَّ اللهَ يَجْزِى المُتَصَدِّقِينَ) أدركته الرقة وباح لهم بما كان يكتمهم من شأنه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكر لى أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه ، فارفضّ دمعه باكيا ، ثم باح لهم بالذى يكتم منهم ، فقال(هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ)، ولم يعن بذكر أخيه ماصنعه هو فيه حين أخذه ، ولكن للتفريق بينه وبين أخيه ، إذ صنعوا بيوسف ماصنعوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا دَخَلوا عَلَيْهِ قالُوا يا أَيُّها العَزِيزُ مَسَّنا وأَهْلَنا الضُّرُّ) . . . الآية ، قال : فرحمهم عند ذلك ، فقال لهم : (هَلْ عَلِمْتُمْ مافَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وأَخِيهِ ، إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ) .

فتأويل الكلام : هل تذكرون مافعلتم بيوسف وأخيه ،إذ فرّقتم بينهما ، وصنعتم ما صنعتم إذ أنتم جاهلون ، يعنى فى حال جهلكم بعاقبة ماتفعلون بيوسف ، وما إليه صائر أمره وأمركم ؟

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف له حين قال لهم ذلك يوسف : (إِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفَ) ، فقال : نعم (أنا يُوسُفُ وَهَذَا أخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنا) بأن جمع بيننا بعد ما فرّقتم بيننا (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ) يقول : إنه من يتق الله فيراقبه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ويصبر يقول : ويكفّ نفسه ، فيحبسها عما حرم الله عليه من قول أو عمل عند مصيبة نزلت به من الله (فإنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجْرَ المُحْسِنِينَ) يقول : فإن الله لا يبطل ثواب إحسانه ، وجزاء طاعته إياه ، فيما أمره ونهاه .

وقد اختلف القرّاء فى قراءة قوله (إنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (أئِنَّكَ) على الاستفهام ، وذُكر أن ذلك فى قراءة أبيّ بن كعب (أوَ أنْتَ يُوسُفُ) . ورُوى عن ابن محيصن أنه قرأ (إنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ) على الخبر ، لا على الاستفهام .

⁂ والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، قراءة من قرأه بالاستفهام ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال لهم ذلك ، يعنى قوله (هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وأخِيهِ إذْ أنْتُمْ جاهِلُونَ) كشَفَ الغطاء فعرفوه ، فقالوا (أئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى من سمع عبد الله بن إدريس يذكر ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله (إنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ) يقول : من يتق معصية الله ويصبر على السجن .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾

⁂ يقول جلّ ثناؤه : قال إخوة يوسف له : تالله لقد فضلك الله علينا ، وآثرك بالعلم والحلم والفضل ، (وَإِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ) يقول : وما كنا فى فعلنا الذى فعلنا بك فى تفريقنا بينك وبين أبيك وأخيك ، وغير ذلك من صنيعنا الذى صنعنا بك ، إلاّ خاطئين : يعنون مُخْطئين ، يقال منه : خَطِئَ فلان يَخْطَأ خَطأ وخِطْأ ، وأخطأ يخطئ إخطاء ؛ ومن ذلك قول أمية بن الأسكر :

وإنَّ مُهاجِرَيْنِ تَكَنَّفاهُ لَعَمْرُ اللهِ قَدْ خَطِئا وَحابا (١)

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) البيت لأمية بن الأسكر الليثى . ويقال فيه : الأشكر بالشين ، وهو شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام وأسلم . والبيت من شعر له فى ابنه كلاب الذى لقى طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، فسألهما : أى الأعمال أفضل فى الإسلام ؟ فقالا : الجهاد ، فسأل عمر ، فأغزاه فى جيش ، وكان أبوه كبر وضعف ، فطالت غيبته عنه فقال : « وإن مهاجرين » . . . الخ . والبيت =

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما قال لهم يوسف (أنا يُوسُفُ وَهَذَا أخِي) اعتذَروا إليه،وقالوا (تاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنا وَإنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ) فيما كنا صنعنا بك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنا) وذلك بعد ما عرّفهم أنفسهم ، يقول : جعلك الله رجلا حليما .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾

☼ يقول تعالى ذكره : قال يوسف لإخوته (لاتَثْرِيبَ) يقول : لاتغيير عليكم ولا إفساد لما بيني وبينكم من الحُرْمة ، وحقّ الأخوّة ، ولكن لكم عندى الصفح والعفو .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لاتَثْرِيبَ عَلَيْكُم) لم يثرّب عليهم أعمالهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزُّبير ، قوله (لاتَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ) قال : قال سفيان : لا تغيير عليكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قالَ لاتَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ) : أى لاتأنيب عليكم اليوم عندى فيما صنعتم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : اعتذروا إلى يوسف ، فقال (لاتَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ) يقول : لاأذكر لكم ذنبكم .

وقوله (يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) وهذا دعاء من يوسف لإخوته بأن يغفر الله لهم ذنبهم فيما أتوا إليه ، وركبوا منه من الظلم، يقول : عفا الله لكم عن ذنبكم وظلمكم ، فستره عليكم (وَهُوَ أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) يقول : والله أرحم الراحمين ممن تاب من ذنبه ، وأناب إلى طاعته بالتوبة من معصيته .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) حين اعترفوا بذنبهم .

= استشهد به أبو عبيدة فى مجاز القرآن عند قوله تعالى (إنه كان حوبا كبيرا) أى إثما لأن الرواية فى البيت « وحابا » بالحاء ، لا بالخاء . واستشهد به مرة ثانية عند قوله تعالى : « وإن كنا لخاطئين » قال : مجازه : وإن كنا خاطئين . وتزاد اللام المفتوحة للتوكيد والتثبيت ، وخطئت وأخطأت واحد . قال امرؤ القيس : « يالهف هند إذ خطئن كاهلا » أى أخطأن . وقال أمية بن الأسكر : « وإن مهاجرين . . . . الخ » .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ٩٣

قال أبو جعفر : ذكر أن يوسف صلى الله عليه وسلم لما عرّف نفسه إخوته ، سألهم عن أبيهم ، فقالوا ذهب بصره من الحزن ، فعند ذلك أعطاهم قميصه وقال لهم (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال لهم يوسف : ما فعل أبى بعدى ؟ قالوا : لما فاته بنيامين عمى من الحزن قال (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ، وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) .

وقوله (يَأْتِ بَصِيرًا) يقول : يعد بصيرا (وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) يقول : وجيئونى بجميع أهلكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ ٩٤

يقول تعالى ذكره : ولما فصلت عير بنى يعقوب من عند يوسف متوجهة إلى يعقوب ، قال أبوهم يعقوب (إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) ذكر أن الريح استأذنت ربها فى أن تأتى يعقوب بريح يوسف ، قبل أن يأتيه البشير ، فأذن لها ، فأتته بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى أبو شريح ، عن أبى أيوب الهوزنى ، حدثه ، قال : استأذنت الريح أن تأتى يعقوب بريح يوسف حين بعث بالقميص إلى أبيه ، قبل أن يأتيه البشير ، ففعل ، قال يعقوب (إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) قال : هاجت ريح ، فجاءت بريح يوسف من مسيرة ثمان ليال ، فقال (إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل ، عن ابن عباس (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ) قال : هاجت ريح ، فجاءت بريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن ابن أبى الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول : وجد يعقوب ريح يوسف ، وهو منه على مسيرة ثمان ليال .

حدثنا ابن وكيع والحسن بن محمد ، قالا : ثنا سفيان بن عيينة ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل ،

قال : كنت إلى جنب ابن عباس، فسئل : مِن كم وجدَ يعقوب ريح القميص ؟ قال : من مسيرة سبع ليال أو ثمان ليال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أبى سنان ، عن أبى الهذيل ، قال : قال لى أصحابى : إنك تأتى ابن عباس ، فسله لنا ، قال : فقلت : ما أسأله عن شىء، ولكن أجلس خلف السرير فيأتيه الكوفيون فيسألون عن حاجتهم وحاجتى ، فسمعته يقول : وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ، قال ابن أبى الهذيل : فقلت : ذاك كمكان البصرة من الكوفة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ بن عاصم ، عن ضرار بن مرّة ، عن عبد الله بن أبى الهذيل، قال : سمعت ابن عباس يقول : وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ، قال : فقلت فى نفسى : هذا كمكان البصرة من الكوفة .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِنّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : وجد ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ، قال : قلت له : ذاك كما بين البصرة إلى الكوفة ، واللفظ لحديث أبى كريب.

حدثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا عاصم وعلى ، قالا : أخبرنا شعبة ، قال : أخبرنى أبوسنان ، قال : سمعت عبد الله بن أبى الهذيل ، عن ابنَ عباس فى هذه الآية (إِنّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : وجد ريحه من مسيرة ما بين البصرة إلى الكوفة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا آدم العسقلانى ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبوسنان ، قال : سمعت عبد الله ابن أبى الهذيل يحدث عن ابن عباس ، مثله .

قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى سنان ، عن عبد الله بن أبى الهذيل ، قال : كنا عند ابن عباس فقال (إِنّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : وجد ريح قميصه من مسيرة ثمان ليال .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى سنان، عن عبد الله ابن أبى الهذيل، قال : سمعت ابن عباس يقول (وَلَمّا فَصَلَتِ العِيرُ) قال : لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف ، فقال (إِنّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ) قال: فوجد ريحه من مسيرة ثمان ليال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، ذكر لنا أنه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخا ، يوسف بأرض مصر ، ويعقوب بأرض كنعان ، وقد أتى لذلك زمان طويل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِنّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : بلغنا أنه كان بينهم يومئذ ثمانون فرسخا ،وقال (إِنّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) وكان قد فارقه قبل ذلك سبعا وسبعين سنة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس ، فى قوله (إِنّى لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : وجد ريح القميص من مسيرة ثمانية أيام.

قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَمَّا فَصَلَتِ العِيرُ) قال : فلما خرجت العير هبَّت ريح ، فذهبت بريح قميص يوسف إلى يعقوب ، فقال (إِنّى لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : ووجد ريح قميصه من مسيرة ثمانية أيام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق قال : لما فصلت العير من مصر استروح يعقوب ريح يوسف ، فقال لمن عنده من ولده : (إِنّى لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ) .

وأما قوله (لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ) فإنه يعنى : لولا أن تُعَنِّفُونى - وتُعَجِّزُونى - وتلُومونى - وتكذّبونى ؛ ومنه قول الشاعر :

يا صاحِبَيَّ دَعا لَوْمى وتَفْنِيدِى فلَيْسَ ما فاتَ من أمْرِى بمَرْدُودِ[١]

ويقال : أفند فلانا الدهر ، وذلك إذا أفسده ؛ ومنه قول ابن مقبل :

دَعِ الدَّهرَ يفْعَلْ ما أرَادَ فإنَّه إذا كُلِّفَ الإفْنادَ بالنَّاسِ أفْنَدا[٢]

واختلف أهل التأويل فى معناه ، فقال بعضهم : معناه : لولا أن تسفهونى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس (لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ) قال : تسفهون .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ، مثله .

وبه قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد(لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ) قال : تسفهون .

حدثنى المثنى وعليّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ) يقول : تجهلون .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن ابن عباس (لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ) قال : لولا أن تسفهون .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم ، قالا : جميعا ، ثنا سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ) قال : لولا أن تسفهون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمَّانى ، قال : ثنا شريك ، عن أبي سنان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس وسالم ، عن سعيد (لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ) قال : أحدهما تسفهون ، وقال الآخر : تكذّبون .

(١) البيت لهانئ بن شكيم العدوى ، استشهد به أبو عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٣١٨) على أن معنى تفندون : تسفهونى وتعجزونى وتلومونى . والبيت فى القرطبى (٩ : ٢٦٠) وفى رواية أبي عبيدة : « ما فات من أمر » .

(٢) الفند بالتحريك : الخرف وإنكار العقل من الهرم والمرض . وأفنده الكبر : إذا أوقعه فى الفند .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : لولا أن تكذّبون ، لولا أن تسفهون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، قال : تسفهون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) يقول : لولا أن تسفهون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَوْلا أنْ تُفَنِّدونِ) يقول : لولا أن تسفهون .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل، عن أبي سنان ، عن عبد الله ابن أبي الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) يقول : تسفهون .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، قوله (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : ذهب عقله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : قد ذهب عقله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثني المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : قد ذهب عقله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : لولا أن تقولوا : ذهب عقلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) يقول : لولا أن تضعفوني .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : الذي ليس له عقل ذلك المفند ، يقولون لايعقل .

وقال آخرون : معناه : لولا أن تكذّبون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو الكلبي ، عن شريك ، عن سالم (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : تكذبون .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السديّ ، قال : لولا أن تهرّمون وتكذّبون .

قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغني عن مجاهد ، قال : تكذّبون .

قال : ثنا عبدة وأبوخالد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : لولا أن تكذّبون .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَوْلا تُفَنِّدُونِ) تكذّبون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء، فى قوله (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : تسفهون أو تكذّبون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) يقول : تكذّبون .

وقال آخرون : معناه : تهرِّمون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : لولا أن تهرِّمون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : تُهرِّمون .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبوالأشهب ، عن الحسن (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) قال : تهرمون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبى الأشهب وغيره ، عن الحسن ، مثله .

وقد بيّنّا أن أصل التفنيد : الإفساد ، وإذا كان ذلك كذلك فالضعف والهرم والكذب ، وذهاب العقل وكل معانى الإفساد تدخل فى التفنيد ، لأن أصل ذلك كله الفساد ، والفساد فى الجسم : الهرم وذهاب العقل والضعف ، وفى الفعل الكذب ، واللوم بالباطل ، ولذلك قال جرير بن عطية :

يا عاذلىّ دعَا المَلامَ وأقْصِرَا طالَ الهَوَى وأطلْتُمَا التَّفْنِيدا[1]

يعنى الملامة ، فقد تبين إذ كان الأمر على ماوصفنا أن الأقوال التى قالها مَن ذكرنا قوله فى قوله (لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ) على اختلاف عباراتهم عن تأويله ، متقاربة المعانى ، محتمل جميعها ظاهر التنزيل ، إذ لم يكن فى الآية دليل على أنه معنىّ به بعض ذلك دون بعض .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

يقول تعالى ذكره : قال الذين قال لهم يعقوب من ولده (إِنِّى لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أنْ

(١) البيت لجرير بن عطية بن الخطفى . ومعنى أقصرا : قللا الملام ، وكفا عن لومكما . والتفنيد : اللوم بالباطل .

تُفَنِّدُونِ) تالله أيها الرجل ، إنك من حبّ يوسف وذكره ، لفى خطئك وزللك القديم لاتنساه ، ولا تتسلى عنه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ القَدِيمِ) يقول : خطئك القديم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (قالُوا تاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ القَدِيمِ) أى من حبّ يوسف لاتنساه ولا تسلاه ، قالوا لوالدهم كلمة غليظة لم يكن ينبغى لهم أن يقولوها لوالدهم ولا لنبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (قالُوا تاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ القَدِيمِ) قال : فى شأن يوسف .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : قال سفيان (تاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ القَدِيمِ) قال : من حبك ليوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن سفيان ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (قالُوا تاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ القَدِيمِ) قال : فى حبك القديم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قالُوا تاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ القَدِيمِ) أى إنك لمن ذكر يوسف فى الباطل الذى أنت عليه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ القَدِيمِ) قال : يعنون : حزنه القديم على يوسف ، وفى ضلالك القديم : لفى خطئك القديم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾

يقول تعالى ذكره : فلما أن جاء يعقوبَ البشيرُ من عند ابنه يوسف ، وهو المبشر برسالة يوسف ، وذلك بريد فيما ذكر كان يوسف يردّه إليه ، وكان البريد فيما ذكر والبشير يهوذا بن يعقوب أخا يوسف لأبيه.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَمَّا أَنْ جاءَ البَشِيرُ أَلْقاهُ على وَجْهِهِ) يقول : البشير : البريد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر عن الضحاك (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : البريد .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطى ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : البريد .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : يهوذا بن يعقوب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (الْبَشِيرُ) قال : يهوذا بن يعقوب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : يهوذا ابن يعقوب .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هو يهوذا ابن يعقوب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : يهوذا بن يعقوب كان البشير .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : هو يهوذا بن يعقوب .

قال سفيان : وكان ابن مسعود يقرأ : وجاء البشير من بين يدى العير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : البريد هو يهوذا بن يعقوب .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال يوسف (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ، وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) قال يهوذا : أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم إلى يعقوب ، فأخبرته أن يوسف أكله الذئب ، وأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره أنه حىّ ، فأفرّحه كما أحزنته ، فهو كان البشير .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : البريد .

وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول : «أن» فى قوله (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) وسقوطها بمعنى واحد ، وكان يقول هذا فى لما وحتى خاصة ، ويذكر أن العرب تدخلها فيهما أحيانا ، وتسقطها أحيانا ، كما قال جلّ ثناؤه (وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا) ، وقال فى موضع آخر (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا)

وقال : هى صلة لاموضع لها فى هذين الموضعين ، يقال : حتى كان كذا وكذا ، وحتى أن كان كذا وكذا .

وقوله (أَلْقَاهُ على وَجْهِهِ) يقول : ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب .

كما حدثنا ابن حميد، قال : ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا أَنْ جاءَ البَشِيرُ) ألقى القميص على وجهه.

وقوله(فارْتَدَّ بَصِيرًا) يقول : رجع وعاد مبصرا بعينيه بعد ماقد عمى(قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لاتَعْلَمُونَ) يقول عزّ وجلّ : قال يعقوب لمن كان بحضرته حينئذ من ولده: ألم أقل لكم يابنىّ إنى أعلم من الله أنه سيردّ علىّ يوسف ، ويجمع بينى وبينه ، وكنتم لاتعلمون أنتم من ذلك ماكنت أعلمه ، لأن رؤيا يوسف كانت صادقة ، وكان الله قد قضى أن أخِرّ أنا وأنتم له سجودا ، فكنت موقنا بقضائه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

يقول تعالى ذكره: قال ولد يعقوب الذين كانوا فرّقوا بينه وبين يوسف: يا أبانا سل لنا ربك يعف عنا ، ويستر علينا ذنوبنا التى أذنبناها فيك، وفى يوسف ، فلا يعاقبنا بها فى القيامة(إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ) فيما فعلنا به ، فقد اعترفنا بذنوبنا ، قال (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى) يقول جل ثناؤه : قال يعقوب : سوف أسأل ربى أن يعفو عنكم ذنوبكم التى أذنبتموها فىّ وفى يوسف .

ثم اختلف أهل التأويل فى الوقت الذى أخر الدعاء إليه يعقوب لولده بالاستغفار لهم من ذنبهم، فقال بعضهم : أخر ذلك إلى السحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الرحمن بن إسحاق، يذكر، عن محارب ابن دثار ، قال : كان عمّ لى يأتى المسجد ، فسمع إنسانا يقول : اللهمّ دعوتنى فأجبت ، وأمرتنى فأطعت وهذا سحر ، فاغفر لى، قال : فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود ، فسأل عبد الله عن ذلك ، فقال : إن يعقوب أخّر بنيه إلى السحر بقوله (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن محارب بن دثار، عن عبد الله ابن مسعود (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى) قال : أخرهم إلى السحر .

قال : ثنا أبوسفيان الحميرىّ ، عن العوام، عن إبراهيم التيمىّ فى قول يعقوب لبنيه(سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى) قال : أخرهم إلى السَّحر .

قال : ثنا عمرو ، عن خلاد الصفّار ، عن عمرو بن قيس (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) قال : في صلاة الليل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) قال : أخَّر ذلك إلى السَّحَر .

وقال آخرون : أخَّر ذلك إلى ليلة الجمعة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقي ، قال : ثنا الوليد ، قال : أخبرنا ابن جُريج ، عن عطاء وعكرمة ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) يقول : حتّى تأتي ليلة الجمعة ، وهو قول أخي يعقوب لبنيه .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقيّ ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء وعكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قَدْ قالَ أَخِي يَعْقُوبُ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ، يَقُولُ حتى تَأْتِيَ لَيْلَةُ الجُمُعَةِ » .

وقوله (إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ) يقول : إن ربّي هو الساتر على ذنوب التائبين إليه من ذنوبهم الرحيم بهم أن يعذّبهم بعد توبتهم منها .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

❁ يقول جلّ ثناؤه : فلما دخل يعقوبُ وولده وأهلوهم على يوسف (آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ) يقول : ضمّ إليه أبويه ، فقال لهم (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ) .

❁ فإن قال قائل : وكيف قال لهم يوسف (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ) بعد ما دخلوها ، وقد أخبر الله عزّ وجلّ عنهم أنهم لما دخلوها على يوسف ، وضمّ إليه أبويه قال لهم هذا القول ؟ قيل : قد اختلف أهل التأويل في ذلك ؛ فقال بعضهم : إن يعقوب إنما دخل على يوسف هو وولده ، وآوى يوسف

أبويه إليه قبل دخول مصر، قالوا: وذلك أن يوسف تلقى أباه تكرمة له قبل أن يدخل مصر، فآواه إليه، ثم قال له ولمن معه (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ) بها قبل الدخول.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو، عن أسباط، عن السدىّ، فحملوا إليه أهلهم وعيالهم، فلما بلغوا مصر كلم يوسف الملك الذى فوقه، فخرج هو والملوك يتلقونهم، فلما بلغوا مصر (قال: ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ - فَلَمَّا دَخَلُوا على يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ).

حدثنى الحارث، قال: ثنا عبدالعزيز، قال: ثنا جعفر بن سليمان، عن فرقد السبخىّ، قال: لما ألقى القميص على وجهه ارتدّ بصيرا، وقال: ائتونى بأهلكم أجمعين، فحُمل يعقوب وإخوة يوسف؛ فلما دنا أُخبر يوسف أنه قد دنا منه، فخرج يتلقاه؛ قال: وركب معه أهل مصر، وكانوا يعظمونه؛ فلما دنا أحدهما من صاحبه، وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على رجل من ولده يقال له يهوذا، قال: فنظر يعقوب إلى الخيل والناس، فقال: يايهوذا هذا فرعون مصر؟ قال: لا، هذا ابنك؛ قال: فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه، فذهب يوسف يبدؤه بالسلام، فمنع من ذلك، وكان يعقوب أحقّ بذلك منه وأفضل، فقال: السلام عليك يا ذاهب الأحزان عنى، هكذا قال: «يا ذاهب الأحزان عنى».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: قال حجاج: بلغنى أن يوسف والملك خرجا فى أربعة آلاف يستقبلون يعقوب وبنيه.

قال: وحدثنى من سمع جعفر بن سليمان يحكى، عن فرقد السبخىّ، قال: خرج يوسف يتلقى يعقوب وركب أهل مصر مع يوسف، ثم ذكر بقية الحديث، نحو حديث الحارث، عن عبد العزيز.

وقال آخرون: بل قوله (إِنْ شاءَ اللهُ) استثناء من قول يعقوب لبنيه (أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى) قال: وهو من المؤخر الذى معناه التقديم، قالوا: وإنما معنى الكلام: قال: أستغفر لكم ربى إن شاء الله إنه هو الغفور الرحيم (فَلَمَّا دَخَلُوا على يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وقال: ادْخلوامصْر) ورفع أبويه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج (قال سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى) إن شاء الله آمنين، وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن، يعنى ابن جريج، وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن، أنه قد دخل بين قوله (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى) وبين قوله (إِنْ شاءَ اللهُ) من الكلام ما قد دخل، وموضعه عنده أن يكون عقيب قوله (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى).

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندنا ما قاله السُّدىّ، وهو أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقاهم، لأن ذلك فى ظاهر التنزيل كذلك، فلادلالة تدلّ على صحة ما قال ابن جريج، ولا وجه لتقديم شىء من كتاب الله عن موضعه، أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة.

وقيل: عنى بقوله (آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ) : أبوه وخالته ، وقال الذين قالوا هذا القول : كانت أمّ يوسف قد ماتت قبلُ . وإنما كانت عند يعقوب يومئذ خالته أخت أمه ، كان نكحها بعد أمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا دَخَلُوا على يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ) قال : أبوه وخالته .

وقال آخرون : بل كان أباه وأمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا دَخَلُوا على يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ) قال : أباه وأمه .

❊ وأولى القولين فى ذلك بالصواب ما قاله ابن إسحاق ، لأن ذلك هو الأغلب فى استعمال الناس ، والمتعارف بينهم فى أبوين ، إلا أن يصحّ ما يقال من أن أم يوسف كانت قد ماتت قبل ذلك بحجة يجب التسليم لها ، فيسلّم حينئذ لها .

وقوله (وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ) مما كنتم فيه فى باديتكم من الجدب والقحط .

وقوله (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ على العَرْشِ) يعنى : على السرير .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ على العَرْشِ) قال : السرير .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : العرش : السرير .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ على العَرْشِ) قال : السرير .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ؛ وحدثنى المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ على العَرْشِ) قال : سريره .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عَلَى العَرْشِ) قال : على السرير .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ) يقول : رفع أبويه على السرير .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : قال سفيان (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ) قال: على السرير .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ) قال : مجلسه .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقيّ ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سألت زيد بن أسلم، عن قول الله تعالى (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ) فقلت : أبلغك أنها خالته ، قال : قال ذلك بعض أهل العلم ، يقولون : إن أمه ماتت قبل ذلك ، وأن هذه خالته .

وقوله (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) يقول: وخرّ يعقوبُ وولده وأمه ليوسف سجدا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) يقول : رفع أبويه على السرير ، وسجدا له ، وسجد له إخوته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال: تَحَمَّلَ ، يعني يعقوب بأهله حتى قدموا على يوسف ؛ فلما اجتمع إلى يعقوب بنوه دخلوا على يوسف ؛ فلما رأوه وقعوا له سجودا ، وكانت تلك تحية الملوك في ذلك الزمان أبوه وأمه وإخوته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) وكانت تحية من قبلكم ، كان بها يحيّي بعضهم بعضا ، فأعطى الله هذه الأمة السلام ، تحية أهل الجنة ، كرامة من الله تبارك وتعالى ، عَجَّلَها لهم ، ونعمة منه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) قال : وكانت تحية الناس يومئذ أن يسجد بعضهم لبعض .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوإسحاق ، قال : قال سفيان (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) قال : كانت تحية فيهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) أبواه وإخوته ، كانت تلك تحيتهم كما تصنع ناس اليوم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربيّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) قال : تحية بينهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) قال : قال ذلك السجود تشرفة ، كما سجدت الملائكة لآدم تشرفة ليس بسجود عبادة .

وإنما عنى من ذكر بقوله : إن السجود كان تحية بينهم ، أن ذلك كان منهم على الخُلُق ، لا على وجه العبادة من بعضهم لبعض ، ومما يدلّ على أن ذلك لم يزل من أخلاق الناس قديما على غير وجه العبادة من بعضهم لبعض ، قول أعشى بنى ثعلبة :

فَلَمَّا أتانا بُعَيْدَ الكَرَى　　سَجَدْنا لَهُ وَرَفَعْنا العَمارَا(١)

وقوله (يا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّى حَقًّا) يقول جلّ ثناؤه : قال يوسف لأبيه : يا أبت هذا السجود الذى سجدت أنت وأمى وإخوتى لى (تَأْوِيلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ) يقول ما آلت إليه رؤياى التى كنت رأيتها ، وهى رؤياه التى كان رآها قبل صنيع إخوته ما صنعوا ، أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدون (قَدْ جَعَلَها رَبِّى حَقًّا) يقول : قد حققها ربى لمجىء تأويلها على الصحة .

وقد اختلف أهل العلم فى قدر المدّة التى كانت بين رؤيا يوسف وبين تأويلها ؛ فقال بعضهم : كانت مدة ذلك أربعين سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو عثمان ، عن سلمان الفارسىّ ، قال : كان بين رؤيا يوسف إلى أن رأى تأويلها أربعون سنة .

حدثنى يعقوب بن برهان ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : ثنا سليمان التيمىّ ، عن أبى عثمان النهدىّ ، قال : قال عثمان : كانت بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويله ، قال : فذكر أربعين سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن التيمىّ ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى سنان ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاما .

قال : ثنا سفيان ، عن سليمان التيمى ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، مثله .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن عبد الله بن شداد أنه سمع قوما يتنازعون

(١) البيت للأعشى الأكبر ميمون ، وهو أعشى بنى ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥١) وهو من قصيدته التى مطلعها : « أأزمعت من آل ليلى ابتكارا » يمدح قيس بن معد يكرب ، وكان قد صحبه فى بعض غاراته . بمكان اسمه لعلع وتعرض للأسر ، حتى أنقذ بدخول الممدوح عليهم آخر الليل مظفرا ، فسجدوا له شكرا وتعظيما رافعين أيديهم بالعمار وهو الريحان وذلك من تحية الملوك ، على جهة التكريم لا العبادة .

فى رؤيا رآها بعضهم وهو يصلى ، فلما انصرف سألهم عنها ، فكتموه فقال : أما إنه جاء تأويل رؤيا يوسف بعد أربعين عاما .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن ضرار بن مرّة أبى سنان ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل وجرير ، عن أبى سنان ، قال : سمع عبد الله بن شدّاد قوما يتنازعون فى رؤيا ، فذكر نحو حديث أبى السائب ، عن ابن فُضَيل .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن سليمان التيمى ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، قال : رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاما .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن أبى سنان ، عن عبد الله بن شداد ، قال : وقعت رؤيا يوسف بعد أربعين سنة ، وإليها تنتهى أيضا الرؤيا .

قال : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا سليمان التيمىّ ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف ، وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة .

قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سليمان التيمىّ ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف وبين عبارتها أربعون سنة .

قال : حدثنا سعيد بن سليمان ، قال : ثنا هشيم ، عن سليمان التيمىّ ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف ، وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة .

قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزىّ ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى سنان ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : كان بين رؤيا يوسف وبين تعبيرها أربعون سنة .

وقال آخرون : كانت مدة ذلك ثمانين سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عبد الوهاب الثقفى ، قال : ثنا هشام ، عن الحسن ، قال : كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ، ودموعه تجرى على خدّيه ، وما على وجه الأرض يومئذ عبد أحبّ إلى الله من يعقوب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن أبى جعفر حسن بن فَرْقَد ، قال : كان بين أن فقد يعقوب يوسف إلى يومَ رُدَّ عليه ثمانون سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسن بن علىّ ، عن فضيل بن عياض ، قال : سمعت أنه كان بين فراق يوسف حجر يعقوب إلى أن التقيا ثمانون سنة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا داود بن مهران ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، عن يونس ، عن

الحسن ، قال : أُلقى يوسف في الجبّ وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان بين ذلك وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة ، ومات وهو ابن عشرين ومئة سنة .

قال : ثنا سعيد بن سليمان ، قال : ثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن ، نحوه ، غير أنه قال : ثلاث وثمانون سنة .

قال : ثنا داود بن مهران ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : ألقى يوسف فى الجبّ وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان فى العبودية وفى السجن وفى الملك ثمانين سنة ، ثم جمع الله عزّ وجلّ شمله وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : أُلقى يوسف فى الجبّ ، وهو ابن سبع عشرة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، ثم عاش بعد ما جمع الله له شمله ، ورأى تأويل رؤياه ثلاثا وعشرين سنة ، فمات وهو ابن عشرين ومئة سنة .

حدثنا مجاهد ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا هشيم ، عن الحسن ، قال : غاب يوسف ، عن أبيه فى الجبّ وفى السجن حتى التقيا ثمانين عاما ، فما جفت عينا يعقوب ، وما على الأرض أحد أكرم على الله من يعقوب .

وقال آخرون : كانت مدة ذلك : ثمانى عشرة سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكر لى - والله أعلم - أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمانى عشرة سنة ، قال : وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأن يعقوب بقى مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ، ثم قبضه الله إليه .

وقوله (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل يوسف : وقد أحسن الله بى فى إخراجه إياى من السجن الذى كنت فيه محبوسا ، وفى مجيئه بكم من البدو ، وذلك أن مسكن يعقوب وولده فيما ذكر ، كان ببادية فلسطين كذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان منزل يعقوب وولده فيما ذُكر لى بعض أهل العلم ، بالعَرَبات من أرض فلسطين ثغور الشام ، وبعض يقول بالأولاج من ناحية الشعب ، وكان صاحبَ بادية له إبل وشاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا شيخ لنا أن يعقوب كان ببادية فلسطين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) وكان يعقوب وبنوه بأرض كنعان أهل مواش وبرية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ)

وقال : كانوا أهل بادية وماشية ، والبدو مصدر من قول القائل : بدا فلان : إذا صار بالبادية يبدو بدوا .
وذُكر أن يعقوب دخل مصر هو ومن معه من أولاده وأهاليهم وأبنائهم يوم دخلوها ، وهم أقلّ من مئة ،
وخرجوا منها يوم خرجوا منها وهم زيادة على ستّ مئة ألف .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب وعمرو بن محمد ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : اجتمع آل يعقوب إلى يوسف بمصر وهم ستة وثمانون إنسانا ، صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، وخرجوا من مصر يوم أخرجهم فرعون وهم ستّ مئة ألف ونيف .

قال : ثنا عمرو ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : خرج أهل يوسف من مصر وهم ستّ مئة ألف وسبعون ألفا ، فقال فرعون : إن هؤلاء لشرذمة قليلون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن إسرائيل والمسعودى ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود ، قال : دخل بنو إسرائيل مصر وهم ثلاثة وستون إنسانا ، وخرجوا منها وهم ستّ مئة ألف ، قال إسرائيل فى حديثه : ستّ مئة ألف وسبعون ألفا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسروق ، قال : دخل أهل يوسف مصر وهم ثلاث مئة وتسعون من بين رجل وامرأة .

وقوله (مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وبينَ إِخْوَتِي) يعنى : من بعد أن أفسد ما بينى وبينهم وجهل بعضنا على بعض ، يقال منه : نزغ الشيطان بين فلان وفلان ، ينزغ نزغا ونزوغا .

وقوله (إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ) يقول : إن ربي ذو لطف وصنع لما يشاء ، ومن لطفه وصنعه أنه أخرجنى من السجن ، وجاء بأهلى من البدو بعد الذى كان بينى وبينهم من بُعد الدار ، وبعد ما كنت فيه من العبودة والرقّ والإسار .

كالذى حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ) لطف بيوسف وصنع له حتى أخرجه من السجن ، وجاء بأهله من البدو ، ونزع من قلبه نزغ الشيطان وتحريشه على إخوته .

وقوله (إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ) بمصالح خلقه ، وغير ذلك لايخفى عليه مبادى الأمور وعواقبها (الحَكِيمُ) فى تدبيره .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾

❊ يقول تعالى ذكره : قال يوسف بعد ما جمع الله له أبويه وإخوته ، وبسط عليه من الدنيا ما بسط من الكرامة ، ومكنه فى الأرض ، متشوقا إلى لقاء آبائه الصالحين (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ) يعنى : من ملك مصر (وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ) يعنى من عبارة الرؤيا ، تعديدا لنعم الله ، وشكرا له عليها (فاطِرَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) يقول : يا فاطر السموات والأرض ، يا خالقها وبارئها ، أنت وليى فى الدنيا والآخرة ، يقول : أنت وليى فى دنياى على من عادانى وأرادنى بسوء بنصرك ، وتغذونى فيها بنعمتك ، وتلينى فى الآخرة بفضلك ورحمتك (تَوَفَّنِي مُسْلِما) يقول : اقبضنى إليك مسلما ، (وأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ) يقول : وألحقنى بصالح آبائى إبراهيم وإسحاق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك .

وقيل : إنه لم يتمنّ أحد من الأنبياء الموت قبل يوسف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ) . . . الآية ، قال ابن عباس : يقول : أوّل نبىّ سأل الله الموت يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (ربِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ) . . . الآية ، قال : اشتاق إلى لقاء ربه ، وأحبّ أن يلحق به وبآبائه ، فدعا الله أن يتوفاه ويلحقه بهم ، ولم يسأل نبىّ قط الموت غير يوسف ، فقال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيث) . . . الآية ، قال ابن جريج : فى بعض القرآن من الأنبياء من قال : توفنى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَوَفَّنِي مُسْلِما وأَلْحِقْنِي بالصالِحِينَ) لما جمع شمله ، وأقرّ عينه ، وهو يومئذ مغموس فى نعيم الدنيا وملكها وغضارتها ، فاشتاق إلى الصالحين قبله . وكان ابن عباس يقول : ما تمنى نبىّ قط الموت قبل يوسف .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبدالله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن أبى عروبة ، عن قتادة ، قال : لما جمع ليوسف شمله ، وتكاملت عليه النعم سأل لقاء ربه فقال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ فاطِرَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ، أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِما وأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ) قال قتاده : ولم يتمنّ الموت أحد قط ، نبىّ ولا غيره ، إلا يوسف .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنى غير واحد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، أن يوسف النبىّ صلى الله عليه وسلم لما جمع بينه وبين أبيه وإخوته ، وهو يومئذ ملك مصر ، اشتاق إلى الله وإلى آبائه الصالحين إبراهيم وإسحاق ، قال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي

مِنْ تَأْوِيلِ الأحادِيثِ ، فاطِرَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ، أنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيا والآخرةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِما وأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ) .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله (وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأحادِيثِ) قال : العبارة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (تَوَفَّنِي مُسْلِما وأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ) يقول : توفنى على طاعتك ، واغفر لى إذا توفيتنى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يوسف حين رأى ما رأى من كرامة الله وفضله عليه وعلى أهل بيته حين جمع الله له شمله ، وردّه على والده ، وجمع بينه وبينه فيما هو فيه من الملك والبهجة (يا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا) . . . إلى قوله (إنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ) ثم ارعوى يوسف ، وذكر أن ما هو فيه من الدنيا بائد وذاهب ، فقال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأحادِيثِ فاطِرَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ أنْتَ وَلِيِّي فى الدُّنْيا والآخِرَةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِما وأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ) وذكر أن بنى يعقوب الذين فعلوا بيوسف ما فعلوا ، استغفر لهم أبوهم ، فتاب الله عليهم وعفا عنهم ، وغفر لهم ذنبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن صالح المرى ، عن يزيد الرقاشى ، عن أنس بن مالك ، قال : إن الله تبارك وتعالى بما جمع ليعقوب شمله ، وأقرّ عينه ، خلا وُلْدُه نجيا ، فقال بعضهم لبعض : ألستم قد علمتم ما صنعتم ، وما لقى منكم الشيخ ، وما لقى منكم يوسف ؟ قالوا : بلى ، قال : فيغركم عفوهما عنكم ، فكيف لكم بربكم ، فاستقام أمرهم على أن أتوا الشيخ فجلسوا بين يديه ، ويوسف إلى جنب أبيه قاعد ، قالوا : يا أبانا أتيناك فى أمر لم نأتك فى أمر مثله قط ، ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله حتى حركوه ، والأنبياء أرحم البرية ، فقال : مالكم يا بنىّ ؟ قالوا : ألست قد علمت ما كان منا إليك ، وما كان منا إلى أخينا يوسف ؟ قال : بلى ، قالوا : أفلستما قد عفوتما ؟ قالا : بلى ، قالوا : فإن عفوكما لايغنى عنا شيئا إن كان الله لم يعف عنا ، قال : فما تريدون يا بنىّ ؟ قالوا : نريد أن تدعو الله لنا ، فإذا جاءك الوحى من عند الله بأنه قد عفا عما صنعنا قرّت أعيننا واطمأنت قلوبنا ، وإلا فلا قرّة عين فى الدنيا لنا أبدا . قال : فقام الشيخ واستقبل القبلة ، وقام يوسف خلف أبيه ، وقاموا خلفهما أذلة خاشعين ، قال : فدعا وأمن يوسف ، فلم يجب فيهم عشرين سنة ، قال صالح المرى : يخيفهم . قال : حتى إذا كان رأس العشرين ، نزل جبرئيل صلى الله عليه وسلم على يعقوب عليه السلام ، فقال : إن الله تبارك وتعالى بعثنى إليك أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك فى ولدك ، وأنه قد عفا عما صنعوا ، وأنه قد اعتقد مواثيقهم من بعدك على النبوّة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن أبى عمران الجونىّ ، قال : والله لو كان قتل يوسف مضى لأدخلهم الله النار كلهم ، ولكن الله جلّ ثناؤه أمسك نفس يوسف ليبلغ فيه أمره ورحمة لهم ، ثم يقول والله ما قصّ الله نبأهم يعيرهم بذلك إنهم لأنبياء من أهل الجنة ، ولكنّ الله قصّ علينا نبأهم لئلا يقنط عبده .

وذُكر أن يعقوب توفى قبل يوسف ، وأوصى إلى يوسف وأمره أن يدفنه عند قبر أبيه إسحاق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما حضر الموت يعقوب ، أوصى إلى يوسف أن يدفنه عند إبراهيم وإسحاق ، فلما مات نفخ فيه المر وحمله إلى الشام ، قال : فلما بلغوا إلى ذلك المكان أقبل عيص أخو يعقوب ، فقال : غلبنى على الدعوة ، فوالله لايغلبنى على القبر ، فأبى أن يتركهم أن يدفنوه ، فلما احتبسوا قال هشام بن دار بن يعقوب ، وكان هشام أصمّ لبعض إخوته ما لجدّى لايدفن ؟ قالوا : هذا عمك يمنعه ، قال : أرونيه أين هو ؟ فلما رآه ، رفع هشام يده فوجأ بها رأس العيص وجأة سقطت عيناه على فخذ يعقوب ، فدفنا فى قبر واحد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ ١٠٢

يقول تعالى ذكره : هذا الخبر الذى أخبرتك به من خبر يوسف ووالده يعقوب وإخوته وسائر ما فى هذه السورة (مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ) يقول : من أخبار الغيب الذى لم تشاهده ، ولم تعاينه ، ولكنا (نُوحِيهِ إِلَيْكَ) ونعرّفكه ، لنثبت به فؤادك ، ونشجع به قلبك ، وتصبر على ما نالك من الأذى من قومك فى ذات الله ، وتعلم أن من قبلك من رسل الله إذ صبروا على ما نالهم فيه ، وأخذوا بالعفو ، وأمروا بالعرف ، وأعرضوا عن الجاهلين ، فازوا بالظفر ، وأيدوا بالنصر ، ومكنوا فى البلاد ، وغلبوا من قصدوا من أعدائهم وأعداء دين الله ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فبهم يا محمد فتأسّ ، وآثارهم فقصّ (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) يقول : وما كنت حاضرا عند إخوة يوسف ، إذ أجمعوا ، واتفقت آراؤهم ، وصحّت عزائمهم على أن يلقوا يوسف فى غيابة الجبّ ، وذلك كان مكرهم الذى قال الله عزّ وجلّ وهم يمكرون .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ، يقول : ماكنت لديهم وهم يلقونه فى غيابة الجبّ وهم يمكرون : أى بيوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن

ابن عباس (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) . . . الآية ، قال : هم بنو يعقوب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

❁ يقول جلّ ثناؤه : وما أكثر مشركى قومك يا محمد ، ولو حرصت على أن يؤمنوا بك فيصدّقوك ، ويتبعوا ما جئتهم به من عند ربك بمصدّقيك ولا متبعيك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

❁ يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم : وما تسأل يا محمد هولاء الذين ينكرون نبوّتك ، ويمتنعون من تصديقك ، والإقرار بما جئتهم به من عند ربك على ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لربك، وهجر عبادة الأوثان ، وطاعة الرحمن ، من أجر ، يعنى من ثواب وجزاء منهم ، بل إنما ثوابك وأجر عملك على الله ، يقول : ما تسألهم على ذلك ثوابا ، فيقولوا لك : إنما تريد بدعائك إيانا إلى اتباعك لننزل لك عن أموالنا إذا سألتنا ذلك ، وإذ كنت لاتسألهم ذلك ، فقد كان حقا عليهم أن يعلموا أنك إنما تدعوهم إلى ماتدعوهم إليه اتباعا منك لأمر ربك ، ونصيحة منك لهم ، وأن لايستغشوك .

وقوله(إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ للعالَمِينَ) يقول تعالى ذكره : ما هذا الذى أرسلك به ربك يامحمد من النبوّة والرسالة إلا ذكر ، يقول : إلا عظة وتذكير للعالمين ، ليتعظوا ويتذكروا به .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾

❁ يقول جلّ وعزّ : وكم من آية فى السموات والأرض لله ، وعبرة وحجة ، وذلك كالشمس والقمر والنجوم ونحو ذلك من آيات السموات ، وكالجبال والبحار والنبات والأشجار ، وغير ذلك من آيات الأرض (يَمُرُّونَ عَلَيْهَا) يقول : يعاينونها فيمرّون بها معرضين عنها ، لايعتبرون بها ، ولا يفكرون فيها ، وفيما دلت عليه من توحيد ربها ، وأن الألوهة لاتبتغى إلا للواحد القهار الذى خلقها وخلق كلّ شيء ، فدبرها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا) وهى فى مصحف عبد الله يمشون عليها السماء والأرض آيتان عظيمتان .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾

يقول تعالى ذكره : وما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف عزّ وجلّ صفتهم بقوله (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) بالله ، أنه خالقه ورازقه ، وخالق كلّ شيء ، إلا وهم به مشركون فى عبادتهم الأوثان والأصنام ، واتخاذهم من دونه أربابا ، وزعمهم أن له ولدا ، تعالى الله عما يقولون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ) . . . الآية ، قال : من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء ، ومن خلق الأرض ، ومن خلق الجبال ؟ قالوا : الله ، وهم مشركون .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ) قال : تسألهم من خلقهم ، ومن خلق السموات والأرض ، فيقولون : الله ، فذلك إيمانهم بالله ، وهم يعبدون غيره .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر وعكرمة (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ) . . . الآية ، قالا : يعلمون أنه ربهم ، وأنه خلقهم ، وهم مشركون به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر وعكرمة بنحوه .

قال : ثنا ابن نمير ، عن نصر ، عن عكرمة (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ) قال : من إيمانهم إذا قيل لهم : من خلق السموات ؟ قالوا : الله ، وإذا سئلوا : من خلقهم ؟ قالوا : الله ، وهم يشركون به بعد .

قال : ثنا أبو نعيم ، عن الفضيل بن يزيد الثمالى ، عن عكرمة ، قال : هو قول الله (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ) فإذا سئلوا عن الله وعن صفته ، وصفوه بغير صفته ، وجعلوا له ولدا ، وأشركوا به .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ) إيمانهم قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ) فإيمانهم قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَا يُؤْمِنُ

أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ) إيمانهم قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا ، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ) قال : إيمانهم قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هانئ بن سعيد وأبومعاوية ، عن حجاج ، عن القاسم ، عن مجاهد ، قال يقولون : الله ربنا ، وهو يرزقنا وهم يشركون به بعد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : إيمانهم قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوتميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد وعامر ، أنهم قالوا فى هذه الآية (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ) قال : ليس أحد إلا وهو يعلم أن الله خلقه وخلق السموات والأرض ، فهذا إيمانهم ، ويكفرون بما سوى ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ) فى إيمانهم هذا ، إنك لست تلقى أحدا منهم إلا أنبأك أن الله ربه ، وهو الذى خلقه ورزقه ، وهو مشرك فى عبادته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ) . . . الآية ، قال : لاتسأل أحدا من المشركين من ربك إلا قال : ربى الله ، وهو يشرك فى ذلك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ) يعنى النصارى ، يقول : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، ليقولنّ الله ، ولئن سألتهم من خلقهم ؟ ليقولنّ الله ، ولئن سألتهم من يرزقكم من السماء والأرض ؟ ليقولنّ الله ، وهم مع ذلك يشركون به ، ويعبدون غيره ، ويسجدون للأنداد دونه .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : كانوا يشركون به فى تلبيتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن عبد الملك ، عن عطاء (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ) . . . الآية ، قال : يعلمون أن الله ربهم ، وهم يشركون به بعد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، فى قوله (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ) قال : يعلمون أن الله خالقهم ورازقهم ، وهم يشركون به .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال : سمعت ابن زيد يقول (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ) . . . الآية ، قال : ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ، ويعرف أن الله ربه ، وأن الله

خالقه ورازقه ، وهو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم (أَفَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وآباؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ، فإنَّهُمْ عَدُوٌّ لى إلاَّ رَبَّ العالَمِينَ) قد عرف أنهم يعبدون ربّ العالمين مع ما يعبدون ، قال : فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به ، ألا ترى كيف كانت العرب تلبى ، تقول : لبيك اللهمّ لبيك ، لاشريك لك ، إلا شريك هولك ، تملكه وما ملك ، المشركون كانوا يقولون هذا .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾

⁂ يقول جلّ ثناؤه : أفأمن هؤلاء الذين لايقرّون بأن الله ربهم إلا وهم مشركون فى عبادتهم إياه غيره ، (أَنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ) تغشاهم من عقوبة الله وعذابه ، على شركهم بالله ، أو تأتيهم القيامة فجأة وهم مقيمون على شركهم وكفرهم بربهم، فيخلدهم الله عزّ وجلّ فى ناره وهم لايدرون بمجيئها وقيامها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ) قال : تغشاهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (غاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ) قال : تغشاهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ) : أى عقوبة من عذاب الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (غاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ) قال : غاشية واقعة تغشاهم من عذاب الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد (هَذِهِ) الدعوة التى أدعو إليها ،

والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان ، والانتهاء إلى طاعته ، وترك معصيته (سَبِيلِى) وطريقتي ودعوتي (أَدْعُو إِلَى اللهِ) وحده لاشريك له (على بَصِيرَةٍ) بذلك ، ويقين علم مني به (أَنَا وَ) يدعو إليه على بصيرة أيضا (مَنِ اتَّبَعَنِي) وصدّقني ، وآمن بي ، (وَسُبْحَانَ اللهِ) يقول له تعالى ذكره : وقل تنزيها لله وتعظيما له ، من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يقول : وأنا بريء من أهل الشرك به ، لست منهم ، ولا هم مني .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، في قوله (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ على بَصِيرَةٍ) يقول : هذه دعوتي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ على بَصِيرَةٍ) قال : هذه سبيلي ، هذا أمري وسنتي ومنهاجي (أَدْعُو إِلَى اللهِ على بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) قال : وحقّ الله وعلى من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه ، ويذكر بالقرآن والموعظة ، وينهى عن معاصي الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قوله (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي) : هذه دعوتي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي) قال : هذه دعوتي .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

يقول تعالى ذكره (وَمَا أَرْسَلْنَا) يا محمد (مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً) لانساء ، ولا ملائكة (نُوحِي إِلَيْهِمْ) آياتنا بالدعاء إلى طاعتنا ، وإفراد العبادة لنا (مِنْ أَهْلِ الْقُرَى) يعني من أهل الأمصار ، دون أهل البوادي .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى) لأنهم كانوا أحلم وأحلم من أهل العمود .

وقوله (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : أفلم يسر هؤلاء المشركون الذين يكذبونك يا محمد ، ويجحدون نبوّتك ، وينكرون ما جئتهم به من توحيد الله ، وإخلاص الطاعة والعبادة له في الأرض (فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) إذ كذّبوا رسلنا ، ألم نحلّ بهم عقوبتنا ، فنهلكهم بها ، وننج منها رسلنا وأتباعنا ، فيتفكروا في ذلك ويعتبروا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ) قال : إنهم قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء ، قال : وقوله (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ . وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) ، وقوله (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا) ، وقوله (أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ) ، وقوله (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا) من أهلكنا ؟ قال : فكل ذلك قال لقريش : أفلم يسروا في الأرض فينظروا في آثارهم فيعتبروا ويتفكروا .

وقوله (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ) يقول تعالى ذكره : هذا فعلنا في الدنيا بأهل ولايتنا وطاعتنا ، إن عقوبتنا إذا نزلت بأهل معاصينا والشرك بنا أنجيناهم منها ، وما في الدار الآخرة لهم خير ، وترك ذكر ما ذكرنا اكتفاء بدلالة قوله (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) عليه ، وأضيفت الدار إلى الآخرة ، وهي الآخرة لاختلاف لفظهما ، كما قيل : (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) وكما قيل : أتيتك عامَ الأوّلِ ، وبارحةَ الأولى ، وليلةَ الأولى ، ويومَ الخميس ، وكما قال الشاعر :

أَتَمْدَحُ فَقْعَسًا وَتَذُمُّ عَبْسًا ... أَلَا لِلَّهِ أُمُّكَ مِنْ هَجِينِ
وَلَوْ أَقْوَتْ عَلَيْكَ دِيارُ عَبْسٍ ... عَرَفْتَ الذُّلَّ عِرْفَانَ الْيَقِينِ[1]

يعني عرفانا به يقينا .

فتأويل الكلام : وللدار الآخرة خير للذين اتقوا الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

وقوله (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) يقول : أفلا يعقل هؤلاء المشركون بالله حقيقة ما نقول لهم ونخبرهم به من سوء عاقبة الكفر ، وغبّ ما يصير إليه حال أهله مع ما قد عاينوا ورأوا وسمعوا مما حلّ بما قبلهم من الأمم الكافرة المكذّبة رسل ربها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (١١٠)

---

(١) البيتان مما رواه الفراء عن بعضهم في معاني القرآن (ص ١٥٧ مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩) قال : أضيف الدار إلى الآخرة ، وهي الآخرة ؛ وقد تضيف العرب الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه كقوله : (إن هذا لهو حق اليقين) والحق هو اليقين وجميع الأيام تضاف إلى أنفسها لاختلاف لفظها ، وكذلك شهر ربيع ، والعرب تقوله في كلامها ، أنشدني بعضهم : أتمدح . . . . اليقين . قال : وإنما معناه عرفانا يقينا .

﴿ يقول تعالى ذكره : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى إليهم من أهل القُرى، فدعوا من أرسلنا إليهم ، فكذّبوهم ، وردّوا ما أتوا به من عند الله ، حتى إذا استيأس الرسل الذين أرسلناهم إليهم منهم أن يؤمنوا بالله ، ويصدّقوهم فيما أتوهم به من عند الله ، وظنّ الذين أرسلناهم إليهم من الأمم المكذّبة أن الرسل الذين أرسلناهم ، قد كذبوهم فيما كانوا أخبروهم عن الله من وعده إياهم نصرهم عليهم ، جاءهم نصرنا . وذلك قول جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو السائب سلم بن جنادة ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس ، فى قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قال : لما أيست الرسل أن يستجيب لهم قومهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم ، جاءهم النصر على ذلك ، فننجي من نشاء .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبومعاوية الضرير ، قال : ثنا الأعمش، عن مسلم ، عن ابن عباس بنحوه ، غير أنه قال فى حديثه ، قال : أيست الرسل ، ولم يقل : لما أيست .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) أن يسلم قومهم ، وظنّ قوم الرسل أن الرسل قد كَذّبوا جاءهم نصرنا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قال : حتى إذا استيأس الرسل من قومهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذّبوا (جاءَهُمْ نَصْرُنا) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن عمران السلمى ، عن ابن عباس (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) أيس الرسل من قومهم أن يصدّقوهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذّبتهم .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا جرير ، عن حصين ، عن عمران بن الحرث السلمى ، عن عبد الله بن عباس ، فى قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) قال : استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قال : ظنّ قومهم أنهم جاءوهم بالكذب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت حصينا، عن عمران بن الحرث ، عن ابن عباس (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) من أن يستجيب لهم قومهم، وظنّ قومهم أن قد كذبوهم ، (جاءَهُمْ نَصْرُنا) .

حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس ، فى هذه الآية (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) قال : استيأس الرسل من

قومهم أن يؤمنوا ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم فيما وعدوا وكذبوا (جاءَهُمْ نَصْرُنا) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدىّ ، عن شعبة ، عن حصين ، عن عمران بن الحرث ، عن ابن عباس ، قال : (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) من نصر قومهم (وَظَنُّوا أنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) ظنّ قومهم أنهم قد كذبوهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عمران بن الحرث ، عن ابن عباس ، فى قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) قال : من قومهم أن يؤمنوا بهم ، وأن يستجيبوا لهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم (جاءَهُمْ نَصْرُنا) يعنى الرسل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن عمران بن الحرث ، عن ابن عباس بمثله سواء .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن هارون ، عن عباد القرشى ، عن عبد الرحمن بن معاوية ، عن ابن عباس (وَظَنُّوا أنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) خفيفة ، وتأويلها عنده : وظنّ القوم أن الرسل قد كَذَبوا .

حدثنا أبوبكر ، قال : ثنا طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس ، قال (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) من قومهم أن يصدّقوهم ، وظنّ قومهم أن قد كذبتهم رسلهم ، (جاءَهُمْ نَصْرُنا) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وظَنُّوا أنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) يعنى : أيس الرسل من أن يتبعهم قومهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كَذَبوا ، فينصر الله الرسل ، ويبعث العذاب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا) حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يطيعوهم ويتبعوهم ، وظنّ قومهم أن رسلهم كذبوهم (جاءهم نصرنا) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن عمران بن الحرث ، عن ابن عباس (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) من قومهم (وَظَنُّوا أنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قال : فما أبطأ عليهم إلا من ظنّ أنهم قد كذَبوا .

قال : ثنا آدم العسقلانى ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنا حصين بن عبد الرحمن ، عن عمران بن الحرث قال : سمعت ابن عباس يقول (وَظَنُّوا أنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) خفيفة . وقال ابن عباس : ظنّ القوم أن الرسل قد كذبوهم خفيفة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) من قومهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم .

قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن خصيف ، قال : سألت سعيد بن جبير ، عن قوله (حتى إذا استيأس الرسل) من قومهم ، وظن الكفار أنهم هم كذبوا .

حدثني يعقوب والحسن بن محمد ، قالا : ثنا إسماعيل بن علية . قال : ثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد ابن جبير ، قوله (حتى إذا استيأس الرسل) من قومهم أن يؤمنوا ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم.

حدثني المثنى ، قال : ثنا عارم أبو النعمان ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : ثنا شعيب ، قال : ثني إبراهيم بن أبي حمزة الجزري ، قال : سأل فتى من قريش سعيد بن جبير ، فقال له : يا أبا عبد الله كيف تقرأ هذا الحرف ، فإني إذا أتيت عليه تمنيت أن لا أقرأ هذه السورة (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : نعم . حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدقوهم . وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا . قال : فقال الضحاك بن مزاحم : ما رأيت كاليوم قط رجلا يدعى إلى علم ، فيتلكأ لو رحلت فى هذه إلى اليمن كان قليلا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : ثني أبي ، أن مسلم بن يسار . سأل سعيد بن جبير . فقال : يا أبا عبد الله . آية بلغت مني كل مبلغ (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) فهذا الموت أن تظن الرسل أنهم قد كذبوا ، أو نظن أنهم قد كذبوا مخففة ؛ قال : فقال سعيد بن جبير : يا أبا عبد الرحمن ، حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم . وظن قومهم أن الرسل كذبتهم (جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) قال : فقام مسلم إلى سعيد ، فاعتنقه وقال : فرج الله عنك كما فرجت عني .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا وهيب ، قال : ثنا أبو المعلى العطار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : استيأس الرسل من إيمان قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم ، ما كانوا يخبرونهم ويبلغونهم .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حتى إذا استيأس الرسل) أن يصدقهم قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا ، جاء الرسل نصرنا .

حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد ، مثله.

حدثني المثنى . قال : ثنا الحجاج . قال : ثنا حماد . عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، فى هذه الآية (حتى إذا استيأس الرسل) من قومهم . وظن قومهم أن الرسل قد كذبت .

قال : ثنا حماد . عن كلثوم بن جبر . قال : قال لي سعيد بن جبير : سألني سيد من ساداتكم عن هذه الآية . فقلت : استيأس الرسل من قومهم . وظن قومهم أن الرسل قد كذبت .

حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد . فى قوله (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : استيأس الرسل أن يؤمن قومهم بهم ؛ وظن قومهم المشركون

أن الرسل قد كُذِبوا ماوعدهم الله من نصره إياهم عليهم وأُخْلِفوا ، وقرأ (جاءَهُم نَصْرُنا) قال : جاء الرسل النصر حينئذ ، قال : وكان أبى يقرؤها : كَذَبوا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن أبى المتوكل ، عن أيوب ابن أبى صفوان ، عن عبدالله بن الحرث ، أنه قال (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) من إيمان قومهم (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) وظن القوم أنهم قد كذبوهم فيما جاءوهم به .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : ظنّ قومهم أن رسلهم قد كذبوهم فيما وعدوهم به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن جحش بن زياد الضبى ، عن تميم ابن حذلم ، قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول فى هذه الآية (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قال : استيأس الرسل من إيمان قومهم أن يؤمنوا بهم ، وظنّ قومهم حين أبطأ الأمر ، أنهم قد كذبوا بالتخفيف .

حدثنا أبو المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى المعلى ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُل) قال : استيأس الرسل من نصر قومهم ، وظنّ قوم الرسل أن الرسل قد كذبوهم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) أن يصدّقوهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) أن يصدّقهم قومهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك فى قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ) يقول : استيأسوا من قومهم أن يجيبوهم ، ويؤمنوا بهم ، وظنوا : يقول : وظنّ قوم الرسل أن الرسل قد كذبوهم الموعد .

والقراءة على هذا التأويل الذى ذكرنا فى قوله (كُذِبُوا) بضم الكاف وتخفيف الذال ، وذلك أيضا قراءة بعض قرّاء أهل المدينة ، وعامّة قرّاء أهل الكوفة .

وإنما اخترنا هذا التأويل وهذه القراءة ، لأن ذلك عقيب قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إلاّ رِجالاً نُوحِي إلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ القُرَى ، أفَلَمْ يَسِيرُوا فى الأرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) فكان ذلك دليلا على أن إياس الرسل كان من إيمان قومهم الذين أهلكوا ، وأن المضمر فى قوله (وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) إنما هو من ذكر الذين من قبلهم من الأمم الهالكة ، وزاد ذلك وضوحا أيضا ، اتباع الله فى سياق الخبر ، عن الرسل وأممهم قوله (فَنُجِّيَ مَنْ نَشاءُ) إذ الذين أهلكوا هم الذين ظنوا أن الرسل قد كذبتهم ، فكذبوهم ظنا منهم أنهم قد كذبوهم .

وقد ذهب قوم ممن قرأ هذه القراءة إلى غير التأويل الذى اخترنا ، ووجهوا معناه إلى : حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم ، وظنت الرسل أنهم قد كذبوا فيما وعدوا من النصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة ، قال : قرأ ابن عباس (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قال : كانوا بشرا ضعفوا ويئسوا .

قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس ، قرأ (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) خفيفة . قال ابن جريج : أقول كما يقول : أخلفوا ؛ قال عبد الله : قال لى ابن عباس : كانوا بشرا ، وتلا ابن عباس (حتى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ ، ألا إنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ) قال ابن جريج : قال ابن أبى مليكة : ذهب بها إلى أنهم ضعفوا فظنوا أنهم أخلفوا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق عن عبد الله ، أنه قرأ (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) مخففة ، قال عبد الله : هو الذى تكره .

قال : ثنا أبوعامر ، قال : ثنا سفيان ، عن سليمان ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، أن رجلا سأل عبد الله بن مسعود (حتى إذا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قال : هو الذى تكره ، مخففة .

قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قال فى هذه الآية (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قلت : كذبوا ، قال : نعم ألم يكونوا بشرا.

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قال : كانوا بشرا قد ظنوا . وهذا تأويل . ☼ وقول غيره من أهل التأويل أولى عندى بالصواب ، وخلافه من القول أشبه بصفات الأنبياء والرسل ، إن جاز أن يرتابوا بوعد الله إياهم ، ويشكوا فى حقيقة خبره مع معاينتهم من حجج الله وأدلته ما لا يعاينه المرسَل إليهم ، فيعذروا فى ذلك أن المرسل إليهم لأولى فى ذلك منهم بالعذر ، وذلك قول إن قاله قائل لا يخفى أمره ، وقد ذكر هذا التأويل الذى ذكرناه أخيرا عن ابن عباس لعائشة ، فأنكرته أشدّ النكرة فيما ذُكر لنا .

ذكر الرواية بذلك عنها رضوان الله عليها

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة ، قال : قرأ ابن عباس (حتى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) فقال : كانوا بشرا ضعفوا ويئسوا ؛ قال ابن أبى مليكة : فذكرت ذلك لعروة ، فقال : قالت عائشة : معاذ الله ، ما حدّث الله

رسوله شيئا قطّ إلا علم أنه سيكون قبل أن يموت ، ولكن لم يزل البلاء بالرسل ، حتى ظنّ الأنبياء أن من تبعهم قد كذبوهم ، فكانت تقرؤها قد كذبوا تثقلها .

قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال: أخبرنى ابن أبى مليكة ، أن ابن عباس قرأ (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) خفيفة ؛ قال عبد الله : ثم قال لى ابن عباس : كانوا بشرا ، وتلا ابن عباس (حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ ، أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ) قال ابن جريج : قال ابن أبى مليكة ، يذهب بها إلى أنهم ضعفوا ، فظنوا أنهم أخلفوا . قال ابن جريج : قال ابن أبى مليكة : وأخبرنى عروة عن عائشة ، أنها خالفت ذلك وأبته ، وقالت : ما وعدالله محمدا صلى الله عليه وسلم من شيء إلا وقد علم أنه سيكون حتى مات ، ولكنه لم يزل البلاء بالرسل حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم . قال ابن أبى مليكة فى حديث عروة : كانت عائشة تقرؤها (وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا) مثقلة للتكذيب .

قال : ثنا سليمان بن داود الهاشمى ، قال : ثنا إبراهيم بن سعد ، قال : ثنى صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة قال : قلت لها قوله (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) قال : قالت عائشة : لقد استيقنوا أنهم قد كذّبوا ، قلت : كُذِبُوا ، قالت : معاذ الله ، لم تكن الرسل تظنّ يوما ، إنما هم أتباع الرسل لمّا استأخر عنهم الوحى ، واشتدّ عليهم البلاء ظنّت الرسل أن أتباعهم قد كذّبوهم (جاءَهُمْ نَصْرُنا) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : حتى إذا استيأس الرجل ممن كذبهم من قومهم أن يصدّقوهم ، وظنت الرسل أن من قد آمن من قومهم قد كذبوهم ، جاءهم نصر الله عند ذلك .

فهذا ما روى فى ذلك عن عائشة ، غير أنها كانت تقرأ (كُذِّبُوا) بالتشديد وضمّ الكاف ، بمعنى ما ذكرنا عنها ، من أن الرسل ظنت بأتباعها الذين قد آمنوا بهم أنهم قد كذبوهم ، فارتدّوا عن دينهم ، استبطاء منهم للنصر .

وقد بيّنا أن الذى نختار من القراءة فى ذلك والتأويل غيره فى هذا الحرف خاصة .

وقال آخرون ممن قرأ قوله (كُذِّبُوا) بضم الكاف وتشديد الذال ، معنى ذلك : حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يؤمنوا بهم ويصدّقوهم ، وظنت الرسل : بمعنى واستيقنت أنهم قد كذّبهم أممهم جاءت الرسل نُصْرَتُنا ؛ وقالوا : الظنّ فى هذا بمعنى العلم ، من قول الشاعر :

فَظَنُّوا بِأَلْفَىْ فارِسٍ مُتَلَبِّبٍ   سَرَاتُهُم فى الفارِسِىِّ المُسَرَّدِ [1]

---

(١) البيت لدريد بن الصمة الجشمى (اللسان : ظن) ورواية الشطر الأول فيه : « فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج » واستشهد بالبيت على أن الظن قد يوضع موضع العلم . ثم قال بعد البيت : أى استيقنوا ، وإنما يخوف عدوه باليقين لا بالشك . قال : وكذلك قوله عز وجل : « وظنوا أنهم قد كذبوا » أى علموا ، يعنى الرسل أن قومهم قد كذبوا هم فلا يصدقونهم . وكذبوا بالتشديد هى =

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وهو قول قتادة (حتى إذا استيأس الرسل) من إيمان قومهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) : أى استيقنوا أنه لاخير عند قومهم ، ولا إيمان ، جاءهم نصرنا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حتى إذا استيأس الرسل) قال : من قومهم) وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : وعلموا أنهم قد كذبوا (جاءهم نصرنا) وبهذه القراءة كانت تقرأ عامة قرّاء المدينة والبصرة والشام ، أعنى بتشديد الذال من كذبوا ، وضمّ كافها .

وهذا التأويل الذى ذهب إليه الحسن وقتادة فى ذلك إذا قرئ بتشديد الذال وضمّ الكاف خلاف لما ذكرنا من أقوال جميع من حكينا قوله من الصحابة ، لأنه لم يوجّه الظنّ فى هذا الموضع منهم أحد إلى معنى العلم واليقين ، مع أن الظنّ إنما استعمله العرب فى موضع العلم فيما كان من علم أدرك من جهة الخبر أو من غير وجه المشاهدة والمعاينة ، فأما ما كان من علم أدرك من وجه المشاهدة والمعاينة ، فإنها لاتستعمل فيه الظنّ ، لاتكاد تقول : أظننى حيا ، وأظننى إنسانا بمعنى : أعلمنى إنسانا ، وأعلمنى حيا ، والرسل الذين كذّبتهم أممهم ، لاشكّ أنها كانت لأممها شاهدة ، ولتكذيبها إياها منها سامعة ، فيقال فيها : ظنّت بأممها أنها كذبتها .

ورُوى عن مجاهد فى ذلك قول هو خلاف جميع ما ذكرنا من أقوال الماضين الذين سمينا أسماءهم ، وذكرنا أقوالهم ، وتأويل خلاف تأويلهم ، وقراءة غير قراءة جميعهم ، وهو أنه فيما ذكر عنه كان يقرأ (وظنوا أنهم قد كَذَبوا) بفتح الكاف والذال وتخفيف الذال .

ذكر الرواية عنه بذلك

حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبوعبيد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أنه قرأها (كَذَبوا) بفتح الكاف بالتخفيف .

وكان يتأوّله كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد استيأس الرجل أن تعذّب قومهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوا ، جاءهم نصرنا ، قال : جاء الرسل نصرنا ؛ قال مجاهد : قال فى المؤمن (فلما جاءتهم رسلنا بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) قال : قولهم نحن أعلم منهم ، ولن نعذّب . وقوله (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) قال : حاق بهم ماجاءت به رسلهم من الحقّ .

= قراءة أبي عمرو وابن كثير ونافع وابن عامر ، وبه قرأت عائشة ، وفسرته على ماذكرناه . ورواية الديوان (شعراء النصرانية : ٧٥٦) كرواية اللسان . والمدجج : التام السلاح . والمتلبب : المتحزم بالسلاح وغيره . وسراتهم : خيارهم . والمسرد : المتتابع الحلق فى النسج .

وهذه القراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار على خلافها ، ولو جازت القراءة بذلك لاحتمل وجها من التأويل وهو أحسن مما تأوّله مجاهد، وهو (حتّى إذا استيأس الرسُلُ) من عذاب الله قومها المكذّبة بها، وظنت الرسلُ أن قومها قد كَذَّبوا وافتروا على الله بكفرهم بها ، ويكون الظنّ موجها حينئذ إلى معنى العلم ، على ما تأوّله الحسن وقتادة .

وأما قوله (فَنُجِّيَ مَنْ نَشاءُ) فإن القرّاء اختلفت فى قراءته ، فقرأه عامة قرّاء أهل المدينة ومكة والعراق (فَنُنْجِّي مَنْ نَشاءُ) بنونين ، بمعنى : فننجى نحن من نشاء من رسلنا والمؤمنين بنا ، دون الكافرين الذين كذّبوا رسلنا إذا جاء الرسلَ نصرُنا. واعتلّ الذين قرءوا ذلك كذلك ، أنه إنما كُتب فى المصحف بنون واحدة ، وحكمه أن يكون بنونين ، لأن إحدى النونين حرف من أصل الكلمة ، من أنجى ينجى ، والأخرى النون التى تأتى لمعنى الدلالة على الاستقبال ، من فعل جماعة مخبرة عن أنفسها ، لأنهما حرفان ، أعنى النونين من جنس واحد يخفى الثانى منهما عن الإظهار فى الكلام ، فحذفت من الخط واجتزئ بالمثبتة من المحذوفة، كما يفعل ذلك فى الحرفين اللّذين يدغم أحدهما فى صاحبه ، وقرأ ذلك بعض الكوفيين على هذا المعنى ، غير أنه أدغم النون الثانية وشدّد الجيم ، وقرأه آخر منهم بتشديد الجيم ، ونصب الياء على معنى فعل ذلك به من نجيته أنجيه . وقرأ ذلك بعض المكيين (فَنَجا مَنْ نَشاءُ) بفتح النون والتخفيف من نجا من عذاب الله من نشاء ينجو .

۞ والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأه (فَنُنْجِّي مَنْ نَشاءُ) بنونين ، لأن ذلك هو القراءة التى عليها القرّاءة فى الأمصار، وما خالفه ممن قرأ ذلك ببعض الوجوه التى ذكرناها فنفرد بقراءته عما عليه الحجة مجمعة من القرّاء ، وغير جائز خلاف ما كان مستفيضا بالقراءة فى قرّاءة الأمصار. وتأويل الكلام فننجى الرسل ومن نشاء من عبادنا المؤمنين إذا جاء نصرنا .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال ثنى عمى ، قال: ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَنُنْجِّيَ مَنْ نَشاءُ) فننجّى الرسل ومن نشاء (وَلا يُرَدُّ بأْسُنا عَنِ القَوْمِ المُجْرِمينَ) وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث الرسل ، فدعَوا قومهم ، وأخبروهم أنه من أطاع نجا ، ومن عصاه عُذّب وغوَى، وقوله (وَلا يُرَدُّ بأْسُنا عَنِ القَوْمِ المُجْرِمينَ) يقول : ولا تردّ عقوبتنا وبطشنا بمن بطشنا به من أهل الكفر بنا عن القوم الذين أجرموا ، فكفروا بالله ، وخالفوا رسله ، وما أتوهم به من عنده .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

۞ يقول تعالى ذكره : لقد كان فى قصص يوسف وإخوته عبرة لأهل الحجا والعقول ، يعتبرون بها

وموعظة يتعظون بها ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه بعد أن ألقى يوسف فى الجبّ ليهلك ، ثم بيع بيع العبيد بالخسيس من الثمن ، وبعد الإسار والحبس الطويل ، ملّكه مصر ، ومكّن له فى الأرض ، وأعلاه على من بغاه سوءا من إخوته ، وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته بعد المدّة الطويلة ، وجاء بهم إليه من الشُّقّة النائية البعيدة ، فقال جلّ ثناؤه للمشركين من قريش من قوم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لقد كان لكم أيّها القوم فى قَصَصِهم عبرة لو اعتبرتم به ، أن الذى فعل ذلك بيوسف وإخوته لايتعذّر عليه أن يفعل مثله بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيخرجه من بين أظهركم ، ثم يظهره عليكم ، ويمكن له فى البلاد ، ويؤيده بالجند والرجال من الأتباع والأصحاب وإن مرّت به شدائد ، وأتت دونه الأيام والليالى والدهور والأزمان .

وكان مجاهد يقول : معنى ذلك : لقد كان فى قصصهم عبرة ليوسف وإخوته .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ) ليوسف وإخوته .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : عبرة ليوسف وإخوته .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبابِ) قال : يوسف وإخوته .

⁂ وهذا القول الذى قاله مجاهد وإن كان له وجه يحتمله التأويل ، فإن الذى قلنا فى ذلك أولى به ، لأن ذلك عقيب الخبر ، عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، وعن قومه من المشركين ، وعقيب تهديدهم ووعيدهم على الكفر بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنقطع عن خبر يوسف وإخوته ، ومع ذلك أنه خبر عامّ عن جميع ذوى الألباب ، أن قصصهم لهم عبرة ، وغير مخصوص بعض به دون بعض ، فإذا كان الأمر على ما وصفت فى ذلك ، فهو بأن يكون خبرا عن أنه عبرة لغيرهم أشبه ، والرواية التى ذكرناها عن مجاهد ، رواية ابن جريج أشبه به أن تكون من قوله ، لأن ذلك موافق القول الذى قلناه فى ذلك .

وقوله (ما كانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) يقول تعالى ذكره : ماكان هذا القول حديثا يُختلَق ويتكذّب ويتخرّص .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما كانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) والفرية : الكذب (وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) يقول : ولكنه تصديق الذى بين يديه ، من كتب الله التى أنزلها قبله على أنبيائه ، كالتوراة والإنجيل والزبور ، ويصدّق ذلك كله ، ويشهد عليه أن جميعه حقّ من عند الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَـكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بينَ يَدَيْهِ) والفرقان تصديق الكتب التي قبله ، ويشهد عليها .

وقوله (وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ) يقول تعالى ذكره : وهو أيضا تفصيل كل ما بالعباد إليه حاجة من بيان أمر الله ونهيه وحلاله وحرامه وطاعته ومعصيته .

وقوله (وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : وهو بيان أمره ، ورشاد من جهل سبيل الحق ، فعمى عنه إذا تبعه فاهتدى به من ضلالته ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه ، ينقذه من سخط الله وأليم عذابه ، ويورثه فى الآخرة جنانه ، والخلود فى النعيم المقيم (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : لقوم يصدقون بالقرآن ، وبما فيه من وعد الله ووعيده وأمره ونهيه ، فيعملون بما فيه من أمره ، وينتهون عما فيه من نهيه .

آخر تفسير سورة يوسف .

(١٣) سورة الرعد مدنية
وآياتها ثلاث وأربعون

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴿١﴾

قال أبو جعفر : قد بينا القول فى تأويل قوله (الر) و (المر) ونظائرهما من حروف المعجم التى افتتح بها أوائل بعض سور القرآن فيما مضى بما فيه الكفاية من إعادتها ، غير أنا نذكر من الرواية ما جاء خاصا به كل سورة افتتح أولها بشىء منها ، فمما جاء من الرواية فى ذلك فى هذه السورة عن ابن عباس ، من نقل أبى الضحى مسلم بن صبيح وسعيد بن جبير عنه ، التفريق بين معنى ما ابتدئ به أولها مع زيادة الميم التى فيها على سائر سور ذوات الراء ، ومعنى ما ابتدئ به أخواتها ، مع نقصان ذلك منها عنها .

ذكر الرواية بذلك عنه

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن هشيم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (المر) قال : أنا الله أرى .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس ، قوله (المر) قال : أنا الله أرى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (المر) : فواتح يفتتح بها كلامه .

وقوله (تِلْكَ آياتُ الكِتابِ) يقول تعالى ذكره : تلك التى قصصت عليك خبرها آياتُ الكتاب الذى أنزلته قبل هذا الكتاب الذى أنزلته إليك ، إلى من أنزلته إليه من رسلى قبلك .

وقيل : عنى بذلك : التوراة والإنجيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (المر تِلْكَ آياتُ الكِتابِ) الكتب التى كانوا قبل القرآن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (تِلْكَ آياتُ الكتابِ) قال : التوراة والإنجيل .

وقوله (والَّذِى أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ) فاعمل بما فيه واعتصم به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (والَّذِى أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ) قال : القرآن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (والَّذِى أُنْزِى إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ) : أى هذا القرآن .

وفى قوله (وَالَّذِى أُنْزِلَ إلَيْكَ) وجهان من الإعراب : أحدهما الرفع على أنه كلام مبتدأ ، فيكون مرفوعا بالحقّ والحقّ به . وعلى هذا الوجه تأويل مجاهد وقتادة الذى ذكرنا قبل عنهما . والآخر : الخفض على العطف به على الكتاب ، فيكون معنى الكلام حينئذ : تلك آيات التوراة والإنجيل والقرآن ، ثم يبتدئ الحقّ بمعنى ذلك الحقّ ، فيكون رفعه بمضمر من الكلام قد استغنى بدلالة الظاهر عليه منه . ولو قيل : معنى ذلك : تلك آيات الكتاب الذى أنزل إليك من ربك الحقّ ، وإنما أدخلت الواو فى « والذى » ، وهو نعت للكتاب ، كما أدخلها الشاعر فى قوله :

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابنِ الهُمامِ ... ولَيْثِ الكَتِيبَةِ فى المُزْدَحَمْ[1]

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٥٧) قال : وقوله (والذى أنزل إليك من ربك الحق) . فوضع الذى رفع تستأنفه على الحق ، وترفع كل واحد بصاحبه . وإن شئت جعلت(الذى) فى موضع خفض، تريد : تلك آيات الكتاب ، وآيات الذى أنزل إليك من ربك ، فيكون خفضا ، ثم ترفع الحق ، أى ذلك هو الحق ، كقوله فى البقرة : (وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك) فترفع على إضمار ذلك الحق ، أو هو الحق : وإن شئت جعلت (الذى) خفضا ، فخفضت الحق ، فجعلته من صفة الذى ، ويكون الذى نعتا للكتاب ، مردودا عليه ، وإن كانت فيه الواو ، كما قال الشاعر : (إلى الملك . . . الخ)فعطف الواو ، وهو يريد واحدا . ومثله فى الكلام : أتانا هذا الحديث عن أبى حفص والفاروق ، فأنت تريد عمر بن الخطاب اه . والقرم بفتح القاف : السيد . والهمام : الملك العظيم الهمة ، والسيد الشجاع السخى . والكتيبة : جماعة الخيل إذا أغارت ، من المئة إلى الألف . والمزدحم : محل الازدحام . يقال : ازدحم القوم وتزاحموا : أى تضايقوا ، وأراد به المعركة .

فعطف بالواو ، وذلك كله من صفة واحد كان مذهبا من التأويل ولكن ذلك إذا تؤوّل كذلك ، فالصواب من القراءة فى الحقّ الخفض ، على أنه نعت للذى .

وقوله.(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) من مشركى قومك لايصدّقون بالحقّ الذى أنزل إليك من ربك ، ولا يقرّون بهذا القرآن ، وما فيه من محكم آيه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

يقول تعالى ذكره : الله يا محمد هو الذى رفع السموات السبع بغير عمد ترونها ، فجعلها للأرض سقفا مسموكا ، والعمد جمع عمود ، وهى السوارى ، وما يُعْمد به البناء ، كما قال النابغة :

وخَيِّسِ الجِنَّ أَنِّى قدْ أذِنْتُ لهُمْ ... يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ [1]

وجمع العمود : عمد ، كما جمع الأديم : أدم ، ولو جمع بالضم فقيل : عُمد جاز ، كما يجمع الرسول : رُسُل ، والشكور : شُكُر .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) فقال بعضهم : تأويل ذلك : الله الذى رفع السموات بعمَد لاترونها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا عمران بن حدير ، عن عكرمة ، قال : قلت لابن عباس : إن فلانا يقول : إنها على عَمَد ، يعنى السماء ، قال : فقال : اقرأها بغيرِ عَمَدٍ تَرَوْنها : أى لاترونها .

حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، عن عمران بن حُدَيْر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن مجاهد ، فى قوله (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : بعمد لاترونها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن مجاهد ، فى قول الله (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : هى لاترونها .

(١) البيت للنابغة الذبيانى زياد بن معاوية (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ١٥٢) . استشهد به أبو عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٣٢٠) على أن معنى العمد : السوارى والدعائم ، وما يعمد البناء . ومعنى خيس : ذلل . وتدمر مدينة فى البرية بين الشام والعراق . والصفاح : حجارة عراض .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بغير عمد ١ يقول : عمد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحسن وقتادة ، قوله (اللهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال قتادة : قال ابن عباس : بعَمَد ولكن لاترونها .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قوله (رَفَعَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : ما يدريك لعلها بعمد لاترونها . ومن تأوّل ذلك كذلك ، قصد مذهب تقديم العرب الجحد من آخر الكلام إلى أوّله ، كقول الشاعر :

ولا أَرَاهَا تَزَالُ ظَالِمَةً تُحْدِثُ لِى نَكْبَةً وَتَنْكَؤُهَا٢

يريد : أراها لاتزال ظالمة ، فقدم الجحد عن موضعه من تزال ، وكما قال الآخر :

إِذَا أَعْجَبَتْكَ الدَّهْرَ حَالٌ مِنِ امْرِئٍ فَدَعْهُ وَوَاكِلْ حَالَهُ وَاللَّيَالِيَا
يَجِئْنَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ صَالِحٍ بِهِ وَإِنْ كَانَ فِيمَا لَا يَرَى النَّاسُ آلِيَا٣

يعني : وإن كان فيما يرى الناس لايألو .

وقال آخرون : بل هى مرفوعة بغير عمد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خلف العسقلانىّ ، قال : أخبرنا آدم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن إياس بن معاوية ، فى قوله (رَفَعَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : السماء مقببة على الأرض مثل القبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : رفعها بغير عمد .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله تعالى (اللهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) فهى مرفوعة بغير عمد نراها ، كما قال ربنا جلّ ثناؤه ، ولا خبر بغير ذلك ، ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه .

وأما قوله (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) فإنه يعنى : علا عليه .

وقد بيّنا معنى الاستواء واختلاف المختلفين فيه ، والصحيح من القول فيما قالوا فيه بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

---

(١) لعله : يقول عمد لاترونها .

(٢) البيت من شواهد الفراء (معانى القرآن مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٥٧) قال : وقال الآخر : ولا أراها ... البيت . ومعناها : أراها لاتزال . ويقال : نكأ القرحة ينكؤها نكأ : قشرها قبل أن تبرأ ، فنديت . والبيت كالشاهد الذى بعده على أن العرب قد تقدم الجحد من آخر الكلمة إلى أولها يكون ذلك جائزا . اهـ . يريد تقدمه على موضعه المتأخر .

(٣) البيتان من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٥٧) قال : والعرب قد تقدم الجحد من آخر الكلمة إلى أولها ، يكون ذلك جائزا . أنشدنى بعضهم : إذا أعجبتك . . . . الخ البيتين . معناه : وإن كان فيما يرى الناس لايألو.

وقوله (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ) يقول: وأجرى الشمس والقمر فى السماء ، فسخرهما فيها لمصالح خلقه ، وذللهما لمنافعهم، ليعلموا بجريهما فيها عدد السنين والحساب ، ويفصلوا به بين الليل والنهار.

وقوله (كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى) يقول جلّ ثناؤه : كل ذلك يجرى فى السماء لأجل مسمى : أى لوقت معلوم ، وذلك إلى فناء الدنيا وقيام القيامة التى عندها تكوّر الشمس، ويُخسف القمر ، وتنكد النجوم ؛ وحذف ذلك من الكلام لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه ، وأنّ « كلٌّ » لابدّ لها من إضافة إلى ما تحيط به .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (لِأَجَلٍ مُسَمًّى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى) قال : الدنيا .

وقوله (يُدَبِّرُ الأَمْرَ) يقول تعالى ذكره : يقضى الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها أمور الدنيا والآخرة كلها ، ويدبر ذلك كله وحده ، بغير شريك ، ولا ظهير ، ولا معين سبحانه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (يُدَبِّرُ الأَمْرَ) يقضيه وحده .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

وقوله (يُفَصِّلُ الآيَاتِ) يقول : يفصل لكم ربكم آيات كتابه، فيبينها لكم احتجاجا بها عليكم أيها الناس(لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) يقول : لتوقنوا بلقاء الله ، والمعاد إليه، فتصدّقوا بوعده ووعيده ، وتنزجروا عن عبادة الآلهة والأوثان ، وتخلصوا له العبادة إذا تيقنتم ذلك .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) وأن الله تبارك وتعالى إنما أنزل كتابه ، وأرسل رسله لنؤمن بوعده ، ونستيقن بلقائه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ٣

يقول تعالى ذكره : والله الذى مدّ الأرض ، فبسطها طولا وعرضا . وقوله (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ) يقول جلّ ثناؤه : وجعل فى الأرض جبالا ثابتة ؛ والرواسي : جمع راسية ، وهى الثابتة ، يقال منه : أرسيت الوتد فى الأرض : إذا أثبته ، كما قال الشاعر :

بِهِ خالِدَاتٌ ما يَرِمْنَ وهامِدٌ وأَشْعَثُ أَرْسَتْهُ الوَلِيدَةُ بالفِهْرِ [١]

يعنى : أثبته .

وقوله (وأنهارًا) يقول : وجعل فى الأرض أنهارا من ماء . وقوله (وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) فمن فى قوله (وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) من صلة جعل الثانى لا الأول . ومعنى الكلام : وجعل فيها زوجين اثنين من كلّ الثمرات ، وعنى بزوجين اثنين : من كل ذكر اثنان ، ومن كل أنثى اثنان ، فذلك أربعة من الذكور اثنان ، ومن الإناث اثنان فى قول بعضهم . وقد بيَّنا فيما مضى أن العرب تسمى الاثنين زوجين ، والواحد من الذكور زوجا لأنثاه ، وكذلك الأنثى الواحدة زوجا وزوجة لذكرها بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . ويزيد ذلك إيضاحا قول الله عزّ وجلّ (وأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثَى) فسمى الاثنين الذكر والأنثى زوجين . وإنما عنى بقوله (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) : نوعين وضربين .

وقوله (يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهارَ) يقول : يجلل الليل النهار فيلبسه ظلمته ، والنهار الليل بضيائه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ) : أى يلبس الليلَ النهار .

وقوله (إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فيما وصفت وذكرت من عجائب خلق الله وعظيم قدرته ، التى خلق بها هذه الأشياء ، لدلالات وحججا وعظات ، لقوم يتفكرون فيها ، فيستدلون ويعتبرون بها ، فيعلمون أن العبادة لاتصلح ولا تجوز إلا لمن خلقها ودبّرها دون غيره من الآلهة والأصنام التى لاتقدر على ضرّ ولا نفع ، ولا لشىء غيرها إلا لمن أنشأ ذلك ، فأحدثه من غير شىء تبارك وتعالى ، وأن القدرة التى أبدع بها ذلك ، هى القدرة التى لايتعذّر عليه إحياء من هلك من خلقه ، وإعادة ما فنى منه ، وابتداع ما شاء ابتداعه بها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى

(١) البيت للأحوص (اللسان : رسا) . والشطر الأول فيه : « سوى خالدات ما يرمن وهامد » بجر خالدات وهامد . ورواية المؤلف كرواية أبي عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢١) . واستشهد به على أن الرواسى : الجبال الثابتات ، يقال : أرسيت الوتد : أى أثبته فى الأرض .

﴿بِمَآءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿﴾ يقول تعالى ذكره : (وفى الأرض قطعٌ متجاوراتٌ) : وفى الأرض قطع منها متقاربات متدانيات يقرب بعضها من بعض بالجوار ، وتختلف بالتفاضل مع تجاورها ، وقرب بعضها من بعض ، فمنها قطعة سَبِخة لاتنبت شيئا فى جوار قطعة طيبة ، تنبت وتنفع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وفى الأرض قطعٌ متجاوراتٌ) قال : السَّبِخة والعَذِية ، والمالح والطيب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله (وفى الأرض قطعٌ متجاوراتٌ) قال : سباخ وعُذُوية .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن سليمان ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبى سنان ، عن ابن عباس فى قوله (وفى الأرض قطعٌ متجاوراتٌ) قال : العَذِية والسَّبِخة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وفى الأرض قطعٌ متجاوراتٌ) يعنى : الأرض السَّبِخة ، والأرض العَذِية ، يكونان جميعا متجاورات ، تفضل بعضها على بعض فى الأُكل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (قطعٌ متجاوراتٌ) العَذِية والسَّبِخة متجاورات جميعا ، تنبت هذه ، وهذه إلى جنبها لاتنبت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قطعٌ متجاوراتٌ) طيبها : عَذِيُّها ، وخبيثها : السباخ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وفى الأرض قطعٌ متجاوراتٌ) قرى قربت متجاورات بعضها من بعض .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وفى الأرض قطعٌ متجاوراتٌ) قال : قُرًى متجاورات .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي إسحاق الكوفيّ ، عن الضحاك ، في قوله (قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) قال : الأرض السَّبِخة بينها الأرض العَذِية .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) يعني الأرض السَّبِخة والأرض العَذِية ، متجاورات بعضها عند بعض .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، في قوله (وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) قال : الأرض تنبت حلوًا ، والأرض تنبت حامضا ، وهي متجاورة (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) قال : يكون هذا حلوا ، وهذا حامضا ، وهو يُسْقَى بماء واحد ، وهنّ متجاورات .

حدثني عبد الجبار بن يحيى الرمليّ ، قال : ثنا ضَمْرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب في قوله (وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) قال : عذية ومالحة .

وقوله (وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ) يقول تعالى ذكره . وفي الأرض مع القطع المختلفات المعاني منها ، بالملوحة والعذوبة ، والخبيث والطيب ، مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض ، بساتينُ من أعناب وزرع ونخيل أيضا ، متقاربة في الخِلقة ، مختلفة في الطعوم والألوان ، مع اجتماع جميعها على شِرب واحد ، فمِنْ طيِّب طعمُه منها حَسَنٍ منظره طيبة رائحته ، ومِن حامض طعمه ولا رائحة له .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ) قال : مجتمع وغير مجتمع (يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ) قال : الأرض الواحدة يكون فيها الخَوْخ والكُمَّثرى والعنب الأبيض والأسوَد ، وبعضها أكثر حملا من بعض ، وبعضه حلو ، وبعضه حامض ، وبعضه أفضل من بعض .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (وَجَنَّاتٌ) قال : وما معها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ قال المثنى ، وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ) فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة (وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ) بالخفض عطفا بذلك على الأعناب ، بمعنى : وفي الأرض قطع متجاورات ، وجنّات من أعناب

ومن زرع ونخيل . وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل البصرة (وزرعٌ ونخيلٌ) بالرفع عطفا بذلك على الجنات ، بمعنى : وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب ، وفيها أيضا زرع ونخيل .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إنهما قراءتان متقاربتا المعنى . وقرأ بكلّ واحدة منهما قرّاء مشهورون ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أن الزرع والنخل إذا كانا فى البساتين فهما فى الأرض ، وإذا كانا فى الأرض ، فالأرض التى هما فيها جنة ، فسواء وصفا بأنهما فى بستان أو فى أرض .

وأما قوله (ونخيلٌ صنوانٌ وغيرُ صنوانٍ) فإن الصنوان : جمع صنو ، وهى النخلات يجمعهن أصل واحد ، لايفرّق فيه بين جميعه واثنيه إلا بالإعراب فى النون ، وذلك أن تكون نونه فى اثنيه مكسورة بكل حال ، وفى جميعه متصرّفة فى وجوه الإعراب ، ونظيره القنوان : واحدها قنو .

وبنحو الذى قلنا فى معنى الصّنوان ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن البراء (صنوانٌ) قال : المجتمع (وغيرُ صنوانٍ) : المتفرّق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ، قال : (صنوانٌ) : هى النخلة التى إلى جنبها نخلات إلى أصلها (وغيرُ صنوانٍ) : النخلة وحدها .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب (صنوانٌ وغيرُ صنوانٍ) قال : الصنوان : النخلتان أصلهما واحد (وغيرُ صنوانٍ) النخلة والنخلتان المتفرّقتان .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت البرّاء يقول فى هذه الآية ، قال : النخلة يكون لها النخلات (وغيرُ صنوانٍ) النخل المتفرّق .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن الهيثم أبوقطن ، ويحيى بن عباد وعفان ، واللفظ لفظ أبى قطن ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ، فى قوله (صنوانٌ وغيرُ صنوانٍ) قال : الصنوان : النخلة إلى جنبها النخلات (وغيرُ صنوانٍ) : المتفرّق .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البراء فى قوله (صنوانٌ وغيرُ صنوانٍ) قال : الصنوان : النخلات الثلاث والأربع ، والثنتان أصلهنّ واحد ، وغير صنوان : المتفرّق .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان وشريك ، عن أبى إسحاق ، عن البراء فى قوله (صنوانٌ وغيرُ صنوانٍ) قال : النخلتان يكون أصلهما واحد ، وغير صنوان : المتفرّق .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (صنوانٌ) يقول : مجتمع .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوانٍ) يعنى بالصنوان: النخلة يخرج من أصلها النخلات، فيحمل بعضه ، ولا يحمل بعضه ، فيكون أصله واحدا ، ورءوسه متفرّقة .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) النخيل فى أصل واحد ، وغير صنوانٍ : النخيل المتفرّق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : مجتمع ، وغير مجتمع .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا النفيلى ، قال : ثنا زهير ، قال : ثنا أبوإسحاق ، عن البرّاء ، قال : الصنوان: ماكان أصله واحدا وهو متفرّق ، وغير صنوان : الذى نبت وحده .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (صِنْوَانٌ) النخلتان وأكثر فى أصل واحد (وَغيرُ صِنْوَانٍ) وحدها .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (صِنْوَانٌ) : النخلتان أو أكثر فى أصل واحد (وغيرُ صِنْوَانٍ) واحدة .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : الصنوان : المجتمع أصله واحد ، وغير صنوان : المتفرّق أصله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (صِنْوانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : الصنوان : المجتمع الذى أصله واحد ، وغير صنوان : المتفرّق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوانٍ) أما الصنوان : فالنخلتان والثلاث أصولهنّ واحدة ، وفروعهنّ شتّى ، وغير صنوان : النخلة الواحدة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : صنوان : النخلة التى يكون فى أصلها نخلتان وثلاث أصلهنّ واحد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله (وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : الصنوان : النخلتان أو الثلاث يكنّ فى أصل واحد ، فذلك يعدّه الناس صنوانا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : حدثنى رجل أنه كان بين عمر ابن الخطاب وبين العباس قول ، فأسرع إليه العباس ، فجاء عمر إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، ألم ترعباسا فعل بى وفعل ، فأردت أن أجيبه ، فذكرت مكانه منك ، فكففت ، فقال « يَرْحَمُكَ اللهُ إنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أبِيهِ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (صِنْوَانٌ) :

النخلة التي يكون فى أصلها نخلتان وثلاث أصلهن واحد ؛ قال: فكان بين عمر بن الخطاب وبين العباس رضى الله عنهما قول ، فأسرع إليه العباس ، فجاء عمر إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبيّ الله ألم تر عباسا فعل بى وفعل ؟ فأردت أن أجيبه، فذكرت مكانه منك فكففت عند ذلك ، فقال : « يَرْحَمُكَ اللهُ إنّ عَمّ الرَّجُلِ صِنْوُ أبيهِ » .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن داود بن شابور ، عن مجاهد ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال: « لا تُؤْذُونِي فِي العَبَّاسِ فإنَّهُ بَقِيَّةُ آبائِى، وإنّ عَمّ الرَّجُلِ صِنْوُ أبِيهِ »

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء وابن أبي مليكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر : « يا عُمَرُ أما عَلِمْتَ أنّ عَمّ الرَّجُلِ صِنْوُ أبِيهِ » ؟

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى القاسم بن أبي بَزّة ، عن مجاهد (صِنْوَانٌ) قال: فى أصل واحد ثلاث نَخَلات ، كمثل ثلاثة بنى أم وأب يتفاضلون فى العمل ، كما يتفاضل ثمر هذه النخلات الثلاث فى أصل واحد . قال ابن جريج : قال مجاهد : كمثل صالح بنى آدم وخبيثهم أبوهم واحد .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثني القاسم، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن الحسن ، قال : هذا مثل ضربه الله لقلوب بنى آدم كانت الأرض فى يد الرحمن طينة واحدة، فسَطَحها وبطَحَها، فصارت الأرض قطعا متجاورات ، فينزل عليها الماء من السماء ، فتخرج هذه زهرتها وثمرها وشجرها، وتخرج نباتها ، وتحيي مواتها ، وتخرج هذه سَبَخها ومِلْحها وخَبَثها،وكلتاهما تسقى بماء واحد ، فلوكان الماء مالحا ، قيل : إنما استسبخت هذه من قبل الماء ، كذلك الناس خلقوا من آدم ، فينزل عليهم من السماء تذكرة ، فترق قلوب فتخشع وتخضع ، وتقسو قلوب فتلهو وتسهو وتجفو ؛ قال الحسن: والله ماجالس القرآنَ أحدٌ إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان ،قال الله (وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إلاَّ خَسارًا) .

وقوله (تُسْقَى بِماءٍ واحِدٍ) اختلفت القرّاء فى قوله (تُسْقَى)، فقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل المدينة والعراق من أهل الكوفة والبصرة (تُسْقَى) بالتاء ، بمعنى: تسقى الجنات والزرع والنخيل . وقد كان بعضهم يقول : إنما قيل : تُسقى بالتاء لتأنيث الأعناب ، وقرأ ذلك بعض المكيين والكوفيين (يُسْقَى) بالياء . وقد اختلف أهل العربية فى وجه تذكيره إذا قرئ كذلك، وإنما ذلك خبر عن الجنات والأعناب والنخيل والزرع أنها تسقى بماء واحد ، فقال بعض نحويّي البصرة : إذا قرئ ذلك بالتاء، فذلك على الأعناب كما ذكروا الأنعام فى قوله (ما فِي بُطُونِهِ) وأنث بعدُ فقال (وَعَلَيْها وَعَلى الفُلْكِ تُحْمَلُونَ) فمن قال : (يُسْقَى) بالياء جعل الأعناب مما تذكر وتؤنث ، مثل الأنعام . وقال بعض نحويي الكوفة : من

قال (تُسْقَى) ذهب إلى تأنيث الزرع والجنات والنخيل ، ومن ذكَّر ذهب إلى أن ذلك كله يسقى بماء واحد ، وأكله مختلف حامض وحلو ، ففي هذا آية .

وأعجب القراءتين إلىّ أن أقرأ بها ، قراءة من قرأ ذلك بالتاء (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) على أن معناه : تسقى الجنات والنخل والزرع بماء واحد ، لمجىء تسقى بعد ما قد جرى ذكرها ، وهى جماع من غير بنى آدم ، وليس الوجه الآخر بممتنع على معنى يسقى ذلك بماء واحد : أى جميع ذلك يسقى بماء واحد عذب دون المالح.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) ماء السماء كمثل صالح بنى آدم وخبيثهم أبوهم واحد .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : ماء السماء .

حدثنى أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي إسحاق الصوفى ، عن الضحاك (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : ماء المطر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قرأه ابن جريج ، عن مجاهد (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : ماء السماء كمثل صالح بنى آدم وخبيثهم أبوهم واحد .

قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملى ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : بماء السماء .

وقوله (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه عامة قرّاء المكيين والمدنيين والبصريين ، وبعض الكوفيين ، ونفضل بالنون بمعنى ونفضل نحن بعضها على بعض فى الأكل . وقرأته عامّة قرّاء الكوفيين : ويفضل بالياء ، ردا على قوله (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ) ويفضل بعضها على بعض ، وهما قراءتان مستفيضتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن الياء أعجبهما إلىّ فى القراءة ، لأنه فى سياق كلام ابتداؤه « الله الذى رفع السموات » فقراءته بالياء إذ كان كذلك أولى .

ومعنى الكلام : أن الجنات من الأعناب والزرع والنخيل ، الصنوان وغير الصنوان ، تسقى بماء واحد عذب لامالح ، ويخالف الله بين طعوم ذلك ، فيفضل بعضها على بعض فى الطعم ، فهذا حلو ، وهذا حامض.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا على بَعْضٍ فِي الأُكُلِ) قال : الفارسي والدقَل والحلو والحامض .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا على بَعْضٍ فِي الأُكُلِ) قال : الأرض الواحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى والعنب الأبيض والأسود ، وبعضها أكثر حملا من بعض ، وبعضه حلو ، وبعضه حامض ، وبعضه أفضل من بعض .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عارم أبو النعمان ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا على بَعْضٍ فِي الأُكُلِ) قال : برنى وكذا وكذا ، وهذا بعضه أفضل من بعض .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا على بَعْضٍ فِي الأُكُلِ) قال : هذا حامض ، وهذا حلو ، وهذا مزٌّ .

حدثني محمود بن خداش ، قال : ثنا سيف بن محمد بن أحمد ، عن سفيان الثورى ، قال : ثنا الأعمش عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم فى قوله (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ) قال : الدقل والفارسى والحلو والحامض .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذى ، قال : ثنا سليمان بن عبد الله الرقى ، قال : ثنا عبيد الله بن عمر الرقى ، عن زيد بن أبى أنيسة ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا على بَعْضٍ فِي الأُكُلِ) قال : الدقل والفارسى والحلو والحامض.

وقوله (إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فى مخالفة الله عزّ وجلّ بين هذه القطع الأرض المتجاورات وثمار جناتها وزروعها على ماوصفنا وبينا لدليلا واضحا ، وعبرة لقوم يعقلون اختلاف ذلك ، أن الذى خالف بينه على هذا النحو الذى خالف بينه، هو المخالف بين خلقه فيما قسم لهم من هداية وضلال وتوفيق وخذلان ، فوفق هذا وخذل هذا ، وهدى ذا ، وأضلّ ذا ، ولو شاء لسوّى بين جميعهم ، كما لوشاء سوّى بين جميع أُكل ثمار الجنة التى تشرب شربا واحدا ، وتسقى سقيا ، وهى متفاضلة فى الأكل .

القول في تأويل قوله تعالى :

* وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝

يقول تعالى ذكره : وإن تعجب يا محمد من هؤلاء المشركين المتخذين ما لايضرّ ولاينفع آلهة يعبدونها من دونى ، فعجب قولهم (أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا) وبلينا فعدمنا (أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) إنا لمجدّد إنشاؤنا

وإعادتنا خلقا جديدا كما كنا قبل وفاتنا ؟ تكذيبا منهم بقدرة الله ، وجحودا للثواب والعقاب ، والبعث بعد الممات .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ) إن عجبت يا محمد فعجب (قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا إبراهيم ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ) قال : إن تعجب من تكذيبهم ، وهم قد رأوا من قدرة الله وأمره ، وما ضرب لهم من الأمثال ، فأراهم من حياة الموتى فى الأرض الميتة ، إن تعجب من هذه ، فتعجب من قولهم : (أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) أو لا يرون أنا خلقناهم من نطفة ، فالخلق من نطفة أشدّ أم الخلق من تراب وعظام ؟

واختلف فى وجه تكرير الاستفهام فى قوله (أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) بعد الاستفهام الأوّل فى قوله (أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا) أهل العربية ، فقال بعض نحويى البصرة : الأوّل ظرف ، والآخر هو الذى وقع عليه الاستفهام كما تقول : أيوم الجمعة زيد منطلق ؟ قال : ومن أوقع استفهاما آخر على قوله : أئذا متنا وكنا ترابا ؟ جعله ظرفا لشيء مذكور قبله ، كأنهم قيل لهم تبعثون ، فقالوا : أئذا كنا ترابا ؟ ثم جعل هذا استفهاما آخر ، قال : وهذا بعيد . قال : وإن شئت لم تجعل فى قولك : أئذا استفهاما ، وجعلت الاستفهام فى اللفظ على أئنا ، كأنك قلت : أيوم الجمعة أعبد الله منطلق ، وأضمرت نفيه ، فهذا موضع قد ابتدأت فيه أئذا ، وليس بكبير فى الكلام لو قلت اليوم : إن عبد الله منطلق لم يحسُن ، وهو جائز ، وقد قالت العرب ماعلمت أنه لصالح ، تريد : إنه لصالح ما علمت ، وقال غيره : أئذا جزاء وليست بوقت ، وما بعدها جواب لها إذا لم يكن فى الثانى استفهام ، والمعنى له ، لأنه هو المطلوب ، وقال : ألا ترى أنك تقول : إن تقم يقوم زيد ويقم من جزم ، فلأنه وقع موقع جواب الجزاء ، ومن رفع فلأن الاستفهام له ، واستشهد بقول الشاعر :

حَلَفْتُ لهُ إنْ تُدْلِجِ اللَّيْلَ لا يَزَلْ أمامَكَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِيَ سائِرُ [1]

فجزم جواب اليمين ، لأنه وقع موقع جواب الجزاء ، والوجه الرفع ، قال : فهكذا هذه الآية ، قال : ومن أدخل الاستفهام ثانية ، فلأنه المعتمد عليه ، وترك الجزء الأوّل .

وقوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين أنكروا البعث ، وجحدوا الثواب والعقاب (وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) هم الذين جحدوا قدرة ربهم ، وكذّبوا رسوله ، وهم الذين فى أعناقهم الأغلال يوم القيامة فى نار جهنم ، فأولئك أصحاب النار : يقول : هم سكان النار يوم القيامة ، هم فيها خالدون : يقول : هم فيها ماكثون أبدا ، لايموتون فيها ، ولا يخرجون منها .

(١) البيت ينسب للراعى ، وقد تقدم الاستشهاد به فى الجزء الرابع ص ١١٤ من هذه الطبعة ، فانظره ثمة ،

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

يقول تعالى ذكره : ويستعجلونك يامحمد مشركو قومك بالبلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافية، فيقولون : (اللَّهُمَّ إنْ كانَ هذا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ ، أوِ ائْتِنا بِعَذابٍ ألِيمٍ) وهم يعلمون ماحلّ بمن خلا قبلهم من الأمم التى عصت ربها ، وكذّبت رسلها من عقوبات الله وعظيم بلائه، فمن بين أمة مُسِخت قِرَدة وأخرى خنازير، ومن بين أمة أهلكت بالرجْفَة ، وأخرى بالخسف، وذلك هو المَثُلات التى قال الله جلّ ثناؤه (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثُلاتُ)والمَثُلات : العقوبات المنكّلات ، والواحدة منها : مَثُلة بفتح الميم وضمّ الثاء، ثم تجمع مَثُلات كما واحدة الصَّدُقات صَدُقَة ، ثم تجمع صَدُقات. وذكر أن تميما من بين العرب تضم الميم والثاء جميعا من المَثُلات ، فالواحدة على لغتهم منها مُثْلة ، ثم تجمع على مُثُلات ، مثل غُرْفة وغُرُفات ، والفعل منه : مثلتَ به أمثُل مَثْلا بفتح الميم وتسكين الثاء ، فإذا أردت أنك أقصصته من غيره، قلت : أَمْثلته من صاحبه أُمْثِله إمثالا ، وذلك إذا أقصصته منه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثُلاتُ) : وقائع الله فى الأمم فيمن خلا قبلكم .

وقوله (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ) وهم مشركو العرب استعجلوا بالشرّ قبل الخير ، وقالوا (اللَّهُمَّ إنْ كانَ هذا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أوِ ائْتِنا بِعَذابٍ ألِيمٍ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال : ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ) قال : بالعقوبة قبل العافية (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثُلاتُ) قال : العقوبات .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (المَثُلاتُ) قال : الأمثال .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد . وحدثنى المُثَنَّى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ

المَثُلاتُ) قال : المَثُلاتُ: الذى مَثَّل الله فى الأمم من العذاب الذى عذَّبهم تولَّت المَثُلات من العذاب ، قد خلَت من قبلهم ، وعرفوا ذلك، وانتهى إليهم ما مَثَّل الله بهم حين عصَوه وعصَوا رسله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سليم ، قال : سمعت الشعبىَّ يقول فى قوله (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثُلاتُ) قال : القِردَة والخنازير هى المثلات .

وقوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ على ظُلْمِهِمْ) يقول تعالى ذكره : وإن ربك يا محمد لذوستر على ذنوب من تاب من ذنوبه من الناس ، فتارك فضيحتَه بها فى موقف القيامة ، وصافحٌ له عن عقابه عليها ، عاجلا وآجلا على ظلمهم . يقول : على فعلهم ما فعلوا من ذلك بغير إذن لهم بفعله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقابِ) لمن هلك مُصِرًّا على معاصيه فى القيامة إن لم يُعَجِّل له ذلك فى الدنيا، أو يجمعهما له فى الدنيا والآخرة ، وهذا الكلام وإن كان ظاهرُه ظاهرَ خير ، فإنه وعيد من الله وتهديد للمشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن هم لم ينيبوا ويتوبوا من كفرهم قبل حلول نقمة الله بهم .

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ) يقول : ولكن ربك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ﴿٧﴾

يقول تعالى ذكره (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) يا محمد من قومك (لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) هلا أنزل على محمد آية من ربه ، يعنون: علامة وحُجة له على نبوّته ، وذلك قولهم (لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ ، أوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ) يقول الله له : يا محمد (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ) لهم ، تنذرهم بأس الله أن يحل بهم على شركهم (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) : يقول ولكلّ قوم إمام يأتمون به ، وهاد يتقدّمهم، فيهديهم إما إلى خير ، وإما إلى شرّ ، وأصله من هادى الفَرَس ، وهو عنقه الذى يهدى سائر جسده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى المعنىّ بالهادى فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) هذا قول مشركى العرب ، قال الله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) لكلّ قوم داعٍ يدعوهم إلى الله .

حدثنا أبو كريب ، قال: ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن السُّدىّ ، عن عكرمة ومنصور ، عن أبى الضحى (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قالا : محمد هو المنذر وهو الهاد .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، مثله .

وقال آخرون : عُنِى بالهادى فى هذا الموضع : الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : محمد المنذر ، والله الهادى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال محمد المنذر ، والله الهادى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعىّ ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ) قال : أنت يا محمد منذر ، والله الهادى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد فى قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : المنذر : النبىّ صلى الله عليه وسلم (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : الله هادى كلّ قوم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) يقول : أنت يا محمد منذر وأنا هادى كل قوم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) المنذر : محمد صلى الله عليه وسلم ، والهادى : الله عزّ وجل .

وقال آخرون : الهادى فى هذا الموضع ، معناه نبىّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : المنذر : محمد صلى الله عليه وسلم ، (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : نبىّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بَزّة ، عن مجاهد فى قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : نبىّ .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أسباط بن محمد ، عن عبدالملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، فى قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : لكلّ قوم نبىّ ، والمنذر : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنى عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : نبىّ .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) يعنى : لكلّ قوم نبيّ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : نبيّ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : نبيّ يدعوهم إلى الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : لكلّ قوم نبيّ ، الهادى : النبيّ صلى الله عليه وسلم ، والمنذر أيضا : النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وقرأ (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيها نَذِيرٌ) وقال (نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى) قال : نبيّ من الأنبياء .

وقال آخرون : بل عُنِي به : ولكلّ قوم قائد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : إنما أنت يا محمد منذر ، ولكلّ قوم قادة .

قال : ثنا الأشجعيّ ، قال : ثنى إسماعيل أو سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح : (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : لكلّ قوم قادة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : الهادى : القائد ، والقائد : الإمام ، والإمام : العمل .

حدثني الحسن ، قال : ثنا محمد ، وهو ابن يزيد ، عن إسماعيل ، عن يحيى بن رافع ، في قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : قائد .

وقال آخرون : هو عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن يحيى الصوفيّ ، قال : ثنا الحسن بن الحسين الأنصارى ، قال : ثنا معاذ بن مسلم ، ثنا الهروى ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « لما نزلت (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) وضع صلى الله عليه وسلم يده على صدره ، فقال أنا المُنْذِرُ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ ، وأومأ بيده إلى منكب عليّ ، فقال : أنت الهادى يا عليّ ، بك يهتدى المهتدون بعدى » .

وقال آخرون : معناه : لكلّ قوم داع .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) قال : داع ، وقد بيّنت معنى الهداية ، وأنه الإمام المتبع الذى يقدمُ القوم ، فإذا كان ذلك

كذلك ، فجائز أن يكون ذلك هو الله الذى يهدى خلقه ، ويتّبعُ خلقه هداه ، ويأتمون بأمره ونهيه ، وجائز أن يكون نبيّ الله الذى تأتمّ به أمته ، وجائز أن يكون إماما من الأئمة يؤتمّ به ، ويتبع مِنهاجَه وطريقته أصحابه ، وجائز أن يكون داعيا من الدُّعاة إلى خير أو شرّ .

❊ وإذا كان ذلك كذلك ، فلا قول أولى فى ذلك بالصواب من أن يقال كما قال جلّ ثناؤه : إن محمدا هو المنذر مَن أُرْسِل إليه بالإنذار ، وإن لكلّ قوم هاديا يهديهم ، فيتبعونه ويأتمون به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره (وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) منكرين قدرة الله على إعادتهم خلقا جديدا بعد فنائهم وبلائهم ، ولا ينكرون قدرته على ابتدائهم وتصويرهم فى الأرحام ، وتدبيرهم وتصريفهم فيها حالاً بعد حال ، فابتدأ الخبر عن ذلك ابتداء ، والمعنى فيه ما وصف ، فقال جلّ ثناؤه (اللهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأرْحامُ وَمَا تَزْدَادُ) يقول : وما تنقص الأرحام من حملها فى الأشهر التسعة بإرسالها دم الحيض ، وما تزداد فى حملها على الأشهر التسعة لتمام ما نقص من الحمل فى الأشهر التسعة بارسالها دم الحيض (وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ) لا يجاوز شىء من قَدَره عن تقديره ، ولا يقصر أمر أراده ، فدبره عن تدبيره ، كما لا يزداد حمل أنثى على ما قدر له من الحمل ، ولا يقصر عما حدّ له من القَدْر والمِقدار ، مفعال من القدر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن ماهانَ ، قال : ثنا القاسم بن مالك ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله (يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأرْحامُ) قال : ما رأت المرأة من يوم دما على حملها زاد فى الحمل يوما .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (اللهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأرْحامُ) يعنى السِّقْط (وَمَا تَزْدَادُ) يقول : ما زادت الرحم فى الحمل على ما غاضت ، حتى ولدته تماما ، وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر ، ومنهنّ من تحمل تسعة أشهر ، ومنهنّ من تزيد فى الحمل ، ومنهنّ من تنقص ، فذلك الغَيْض ، والزيادة التى ذكر الله ، وكلّ ذلك بعلمه .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموى ، قال : ثنا عبد السلام ، قال : ثنا خَصيف ، عن مجاهد أو سعيد بن جبير فى قول الله (وَمَا تَغِيضُ الأرْحامُ) قال : غيضها دون التسعة ، والزيادة فوق التسعة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، أنه قال : الغيض : ما رأت

الحامل من الدم فى حملها ، فهو نقصان من الولد ، والزيادة : مازاد على التسعة أشهر ، فهو تمام للنقصان وهو زيادة .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، فى قوله (وَمَا تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدادُ) قال : ما ترى من الدم ، وما تزداد على تسعة أشهر .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، أنه قال (يَعْلَمُ ماتَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدادُ) قال : ما زاد على التسعة الأشهر ؛ وما تغيض الأرحام : قال : الدم تراه المرأة فى حملها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون والحجاج بن المنهال ، قالا : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، فى قوله (وَمَا تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدادُ) قال : الغيض : الحامل ترى الدم فى حملها فهو الغيض ، وهو نقصان من الولد ، وما زاد على تسعة أشهر فهو تمام لذلك النقصان ، وهى الزيادة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا عبد السلام ، عن خصيف ، عن مجاهد (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدادُ) قال : إذا رأت دون التسعة زاد على التسعة مثل أيام الحيض .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال : خروج الدم (وَما تَزْدادُ) قال : استمساك الدم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) إراقة المرأة حتى يَخس الولد (وَما تَزْدادُ) قال : إن لم تهرق المرأة تمّ الولد وعظُم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا شعبة ، عن جعفر ، عن مجاهد ، فى قوله (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدادُ) قال : المرأة ترى الدم وتحمل أكثر من تسعة أشهر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال : هى المرأة ترى الدم فى حملها .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدادُ) إهراق الدم حتى يخس الولد ، وتزداد إن لم تهرق المرأة تمّ الولد وعظم .

قال : ثنا الحكم بن موسى ، قال : ثنا هقل ، عن عثمان بن الأسود ، قال : قلت لمجاهد : امرأتى رأت دما ، وأرجو أن تكون حاملا « قال أبوجعفر : هكذا هو فى الكتاب » ، فقال مجاهد : ذاك غيض الأرحام (يَعْلَمُ ماتَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ) . الولد لايزال يقع فى النقصان مارأت الدم ، فإذا انقطع الدم وقع فى الزيادة ، فلا يزال حتى يتم ، فذلك قوله (وَمَا تَغِيضُ الأرحَامُ وَمَا تَزْدادُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ) .

قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، فى قوله (وَما

تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدادُ) قال: الغَيْض: الحامل ترى الدم فى حملها، وهو الغَيض، وهو نقصان من الولد، فما زادت على التسعة الأشهر، فهى الزيادة، وهو تمام للولادة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عكرمة فى هذه الآية (اللهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال: كلما غاضت بالدم زاد ذلك فى الحمل.

قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة نحوه.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبوأحمد، قال: ثنا عباد بن العوّام، عن عاصم، عن عكرمة (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال: غيض الرحم: الدم على الحمل كلما غاض الرحم من الدم يوما زاد فى الحمل يوما حتى تستكمل وهى طاهرة.

قال: ثنا عباد، عن سعيد، عن يَعْلَى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، مثله.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا الوليد بن صالح، قال: ثنا أبو يزيد، عن عاصم، عن عكرمة فى هذه الآية (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال: هو الحيض على الحمل (وَما تَزْدادُ) قال: فلها بكلّ يوم حاضت على حملها يوم تزداده فى طهرها حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرا.

قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا عمران بن حدير، عن عكرمة، فى قوله (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدادُ) قال: ما رأت الدم فى حملها زاد فى حملها.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا إسحاق، عن جويبر، عن الضحاك، فى قوله (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدادُ) ما تغيض أقلّ من تسعة، وما تزداد: أكثر من تسعة.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبوأحمد، قال: ثنا ابن المبارك، عن الحسن بن يحيى، قال: سمعت الضحاك يقول: قد يُولد المولود لسنتين، قد كان الضحاك ولد لسنتين، والغيض: مادون التسعة، وما تزداد: فوق تسعة أشهر.

قال: ثنا أبوأحمد، قال: ثنا سفيان، عن جويبر، عن الضحاك (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ وَما تَزْدادُ) قال: دون التسعة، وما تزداد: قال: فوق التسعة.

قال: ثنا أبوأحمد، قال: ثنا سفيان، عن جويبر، عن الضحاك، قال: ولدت لسنتين.

حدثنى المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن الحسن بن يحيى، قال: ثنا الضحاك أن أمه حملته سنتين، قال (وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال: ماتنقص من التسعة (وَما تَزْدادُ) قال: مافوق التسعة.

قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، فى قوله (اللهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ) قال: كلّ أنثى من خلق الله.

قال: ثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، ومنصورعن الحسن، قالا: الغَيْض ما دون التسعة الأشهر.

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن داود بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن جميلة بنت سعد ، عن عائشة قالت : لايكون الحمل أكثر من سنتين ، قدر ما يتحوّل ظلّ مغزل .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفى (وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ) قال : هو الحمل لتسعة أشهر وما دون التسعة (وَمَا تَزْدَادُ) قال : على التسعة .

قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه ، عن سعيد بن جبير (وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ) قال : حيض المرأة على ولدها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) . قال : الغيض : السِّقْط ؛ وما تزداد : فوق التسعة الأشهر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن سعيد بن جبير : إذا رأت المرأة الدم على الحمل ، فهو الغيض للولد ، يقول : نقصان فى غذاء الولد ، وهو زيادة فى الحمل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ،عن قتادة ، قوله (اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) قال : كان الحسن يقول: الغيضوضة أن تضع المرأة لستة أشهر أو لسبعة أشهر ، أولما دون الحدّ . قال قتادة : وأما الزيادة ، فما زاد على تسعة أشهر .

حدثنى الحارث . قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : غيض الرحم : أن ترى الدم على حملها ، فكلّ شيء رأت فيه الدم على حملها ازدادت على حملها مثل ذلك.

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد ، قال : إذا رأت الحاملُ الدم كان أعظم للولد .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) الغيض : النقصان من الأجل ، والزيادة : ما زاد على الأجل وذلك أن النساء لايلدن لعدّة واحدة ، يولد المولود لستة أشهر فيعيش ، ويولد لسنتين فيعيش ، وفيما بين ذلك . قال : وسمعت الضحاك يقول : ولدت لسنتين ، وقد نبتت ثناياى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ) قال : غيض الأرحام : الإهراقة التى تأخذ النساء على الحمل ، وإذا جاءت تلك الإهراقة ، لم يعتدّ بها من الحمل ، ونقص ذلك حملها حتى يرتفع ذلك؛ وإذا ارتفع استقبلت عِدة مستقبلة تسعة أشهر ؛ وأما ما دامت ترى الدم ، فإن الأرحام تغيض وتنقص،والولد يرقّ ، فإذا ارتفع ذلك الدم ربا الولد واعتدّت حين يرتفع عنها ذلك الدم ، عِدّة الحمل تسعة أشهر،وماكان قبله فلا تعتدّ به هو هِراقة يُبْطِل ذلك أجمع أكتع.

وقوله (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) إى والله ، لقد حفظ عليهم رزقهم وآجالهم ، وجعل لهم أجلا معلوما

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾

❁ يقول تعالى ذكره : والله عالم ما غاب عنكم وعن أبصاركم فلم ترَوْه وما شاهدتموه ، فعاينتم بأبصاركم ، لايخفى عليه شىء ، لأنهم خلقه ، وتدبيره الكبير الذى كلّ شىء دونه ، المتعال المستعلى على كلّ شىء بقدرته ، وهو المتفاعل من العلوّ مثل المتقارب من القرب ، والمتدانى من الدنوّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾

❁ يقول تعالى ذكره : معتدلٌ عند الله منكم أيها الناس الذى أسر القول ، والذى جهر به ، والذى (هُوَ مُسْتَخْفٍ باللَّيْلِ) فى ظلمته بمعصية الله (وَسارِبٌ بالنهارِ) يقول : وظاهر بالنهار فى ضوئه ، لايخفى عليه شىء من ذلك ، سواء عنده سرّ خلقه وعلانيتهم ، لأنه لا يستسرّ عنده شىء ، ولا يخفى ، يقال منه : سَرَبَ يَسْرُبُ سُروباً إذا ظهر ، كما قال قيس بن الخطيم :

أَنَّى سَرَبْتِ وكنتِ غيرَ سَرُوبِ وتَقَرُّبُ الأحْلامِ غيرُ قَرِيبِ[1]

يقول : كيف سريت بالليل بعد هذا الطريق ، ولم تكونى تبرزين وتظهرين . وكان بعضهم يقول : هو السالك فى سِرْبه : أى فى مذهبه ومكانه .

واختلف أهل العلم بكلام العرب فى السرب ، فقال بعضهم : هو آمن فى سَربه ، بفتح السين ، وقال بعضهم : هو آمن فى سِربه بكسر السين .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ باللَّيْلِ وَسارِبٌ بالنَّهارِ) يقول : هو صاحب ريبة مستخف بالليل ، وإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه برىء من الإثم .

---

(١) البيت لقيس بن الخطيم (اللسان : سرب) قال : سربت الإبل سروبا : أى مضت فى الأرض ظاهرة حيث شاءت . والسارب الذاهب على وجهه فى الأرض . قال قيس بن الخطيم : أنى سربت . . . الخ . قال ابن برى : رواه ابن دريد : سربت بباء موحدة ، لقوله : وكنت غير سروب . ومن رواه « سريت » ، بالياء باثنتين ، فمعناه : كيف سريت ليلا ، وأنت لاتسربين نهارا ؟ وقال أبو عبيدة (مجاز القرآن ١ : ٣٢٣) فى قوله : وساربٌ بالنهار : مجازه : سالك فى سربه ، أى فى مذاهبه ، وأينما توجه . ومنه : انسرب فلان . وظاهر أن المؤلف وجه البيت على الرواية الثانية « سريت » بالياء ، ثم استدرك فوجهه على الأولى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) : ظاهر .

حدثنا ابن بشار ، قال: ثنا ابن أبي عدىّ ، عن عوف ، عن أبي رجاء ، فى قوله (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ،وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) قال: إن الله أعلم بهم ، سواء من أسرّ القول ، ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل ، وسارب بالنهار .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ بن عاصم ، عن عوف ، عن أبي رجاء (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) قال : من هو مستخف فى بيته ، وساربٌ بالنهار : ذاهب على وجهه علمُه فيهم واحد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ،عن مجاهد (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ) يقول : السرّ والجهر عنده سواء (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) أما المستخفى فى بيته ، وأما السارب : الخارج بالنهار حيثما كان المستخفى غيبه الذى يغيب فيه والخارج عنده سواء .

قال : ثنا الحِمّانىّ ، قال : ثنا شريك ،عن خَصيف ، فى قوله(مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) قال : راكب رأسه فى المعاصى (وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) قال : ظاهر بالنهار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ)كلّ ذلك عنده تبارك وتعالى سواء السرّ عنده علانية ، قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) : أى فى ظلمة الليل ، وسارب : أى ظاهر بالنهار .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا شريك، عن خَصيف ، عن مجاهد وعكرمة (وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) قال : ظاهر بالنهار ، ومَن فى قوله (مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) رفع الأولى منهنّ بقوله سواء ، والثانية معطوفة على الأولى والثالثة على الثانية.

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك،فقال بعضهم: معناه : لله تعالى ذكره مُعقّبات،قالوا الهاء فى قوله « له » من ذكر اسم الله ، والمعقّبات التى تتعقّب على العبد ، وذلك أن ملائكة الليل إذا صَعِدت بالنهار أعقبتها ملائكة النهار ، فإذا انقضى النهار صعدت ملائكة النهار ، ثم أعقبتها ملائكة الليل، وقالوا : قيل معقّبات، والملائكة : جمع مَلَك مذكر غير مؤنث ، وواحد الملائكة معقب، وجماعتها مُعقِّبة،ثم جمع

جمعه ، أعنى جمع معقب بعد ما جمع معقبة . وقيل : معقبات ، كما قيل : أبناوات سعد ، ورجالات بنى فلان جمع رجال .

وقوله (مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) يعنى بقوله (مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ) من قدّام هذا المستخفى بالليل ، والسارب بالنهار (وَمِنْ خَلْفِهِ) : من وراء ظهره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، يعنى ابن زاذان ، عن الحسن فى هذه الآية (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : الملائكة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القُشَيْرىّ ، قال : ثنا علىّ بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن كنانة العدوىّ ، قال : دخل عثمان بن عفّان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله ، أخبرنى عن العبد كم معه من ملك ؟ قال : مَلَكٌ على يَمينِكَ على حَسَناتِكَ ، وهُوَ أميرٌ على الّذِى على الشِّمالِ ، فإذَا عَمِلْتَ حَسَنَةً كُتِبَتْ عَشْرًا ، وَإذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً ، قالَ الّذِى على الشِّمالِ لِلّذِى على اليَمِينِ : اكْتُبْ ، قالَ : لا لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ اللهَ وَيَتُوبُ ، فإذَا قالَ ثَلاثًا ، قالَ : نَعَمْ اكْتُبْ أراحَنا اللهُ مِنْهُ ، فَبِئْسَ القَرِينُ ، ما أقَلَّ مُرَاقَبَتَهُ لِلّهِ ، وأقَلَّ اسْتِحْياءَهُ مِنّا ، يَقُولُ اللهُ (ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) وَمَلَكانِ مِنْ بينِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ ، يَقُولُ اللهُ (لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللهِ) وَمَلَكٌ قابِضٌ على ناصِيَتِكَ ، فإذَا تَوَاضَعْتَ لِلّهِ رَفَعَكَ ، وإذَا تَجَبَّرْتَ على اللهِ قَصَمَكَ ؛ ومَلَكانِ على شَفَتَيْكَ لَيْسَ يَحْفَظانِ عَلَيْكَ إلاَّ الصَّلاةَ على مُحَمَّدٍ ؛ وَمَلَكٌ قائمٌ على فِيكَ لايَدَعُ الحَيَّةَ تَدْخُلُ فِي فِيكَ ؛ وَمَلَكانِ على عَيْنَيْكَ ، فَهؤُلاءِ عَشَرَةُ أمْلاكٍ على كُلِّ آدَمِيّ ، يَنْزِلُونَ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ على مَلائِكَةِ النَّهارِ ، فَهؤُلاءِ عِشْرُونَ مَلَكا على كُلِّ آدَمِيّ ، وَإبْلِيسُ بالنَّهارِ وَوَلَدُهُ باللَّيْلِ » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) الملائكة (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللهِ)

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، فى قوله (لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ) قال : مع كلّ إنسان حفظة يحفظونه من أمر الله .

قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بينِ يديْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللهِ) فالمعقبات هنّ من أمر الله ، وهى الملائكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللهِ) قال : ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدره خلّوا عنه .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) فإذا جاء القدر خلَّوا عنه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم في هذه الآية ، قال : الحفظة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : ملائكة .

حدثنا أحمد بن حازم ، قال : ثنا يعلى ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ) قال : ملائكة الليل يعقبون ملائكة النهار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) هذه ملائكة الليل يتعاقبون فيكم بالليل والنهار ، وذُكر لنا أنهم يجتمعون عند صلاة العصر وصلاة الصبح . وفي قراءة أبيّ بن كعب : له معقِّبات من بين يديه ، ورقيب من خلفه يحفظونه من أمر الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) قال : ملائكة يتعاقبونه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : الملائكة . قال ابن جريج : معقِّبات : قال : الملائكة تعاقبُ الليل والنهار ، وبلغنا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال « يجتمعون فيكم عند صلاة العصر وصلاة الصبح » وقوله (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ) قال ابن جريج : مثل قوله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) قال : الحسنات من بين يديه ، والسيئات من خلفه ، الذي عن يمينه يكتب الحسنات والذي عن شماله يكتب السيئات .

حدثنا سوّار بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت ليثا يحدّث عن مجاهد أنه قال : ما من عبد إلا له ملَك موكَّل يحفظه في نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوامّ ، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال : وراءك إلا شيئا يأذن الله فيه فيصيبه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : يعني الملائكة .

وقال آخرون : بل عني بالمعقِّبات في هذا الموضع : الحرس الذي يتعاقب على الأمير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعيّ ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : ذلك ملِك من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) يعنى : ولىّ السلطان يكون عليه الحرس .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر، قال : ثنا شعبة ، عن شَرْقىّ أنه سمع عكرمة يقول فى هذه الآية (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : هؤلاء الأمراء .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمرو بن نافع ، قال : سمعت عكرمة يقول (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : المواكب من بين يديه ومن خلفه .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول، فى قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : هو السلطان المحروس من أمر الله ، وهم أهل الشرك .

⁂ وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب، قول من قال : الهاء فى قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ) من ذكر من الّتى فى قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) وأن المعقبات من بين يديه، ومن خلفه، هى حَرَسه وجَلاوِزته كما قال ذلك مَن ذكرنا قوله .

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلين بالصواب ، لأن قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ) أقرب إلى قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) منه إلى عالم الغيب ، فهى لقربها منه أولى بأن تكون من ذكره ، وأن يكون المعنىّ بذلك هذا ، مع دلالة قول الله (وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ) على أنهم المعنيُّون بذلك، وذلك أنه جلّ ثناؤه ذكر قوما أهل معصية له وأهل ريبة ، يستخفون بالليل ، ويظهرون بالنهار ، ويمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم، ومَنَعَة تمنعهم من أهل طاعته أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصية الله ، ثم أخبر أن الله تعالى ذكره إذا أراد بهم سوءا لم ينفعهم حرسهم ، ولا يدفع عنهم حفظهم .

وقوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) اختلف أهل التأويل فى تأويل هذا الحرف على نحو اختلافهم فى تأويل قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ) فمن قال : المعقبات هى الملائكة ، قال : الذين يحفظونه من أمر الله هم أيضا الملائكة ؛ ومن قال : المعقبات هى الحرس والجلاوزة من بنى آدم ، قال : الذين يحفظونه من أمر الله هم أولئك الحرس .

واختلفوا أيضا فى معنى قوله (مِنْ أَمْرِ اللهِ) فقال بعضهم : حِفْظهم إياه من أمره . وقال بعضهم : يحفظونه من أمر الله بأمر الله .

ذكر من قال : الذين يحفظونه هم الملائكة ، ووَجَّهَ قوله (بأمر الله) إلى
معنى : أن حفظها إياه من أمر الله

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس، قوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) يقول : بإذن الله ، فالمعقبات : هى من أمر الله ، وهى الملائكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : الملائكة : الحَفَظة ، وحِفْظهم إياه من أمر الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنى عبد الملك ، عن ابن عبيد الله ، عن مجاهد ، فى قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : الحَفَظَةَ هم من أمر الله .

قال : ثنا علىّ ، يعنى ابن عبد الله بن جعفر ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بينِ يَدَيْهِ) رُقباء (وَمِنْ خَلْفِهِ) من أمر الله (يَحْفَظُونَهُ) .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الجارود ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بينِ يَدَيْهِ) رقيب (وَمِنْ خَلْفِهِ) .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن خَصيف ، عن مجاهد (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : الملائكة من أمر الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : الملائكة من أمر الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : الحَفَظَة .

ذكر من قال : عنى بذلك : يحفظونه بأمر الله

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) : أى بأمر الله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) . وفى بعض القراءات : بأمر الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد فى قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : مع كلّ إنسان حفظة يحفظونه من أمر الله.

ذكر من قال : تحفظه الحرس من بنى آدم من أمر الله

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) يعنى : ولىّ السلطان يكون عليه الحرس ، يحفظونه من بين يديه ومن خلفه : يقول الله عزّ وجلّ : يحفظونه من أمرى ، فإنى إذا أردت بقوم سوءا فلا مردّ له وما لهم من دونه من والٍ .

حدثنى أبو هريرة الضبعىّ ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا سعيد ، عن شَرْقىّ ، عن عكرمة : (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : الجلاوزة .

وقال آخرون : معنى ذلك : يحفظونه من أمر الله ، وأمر الله الجنّ ، ومن يبغى أذاه ومكروهه قبل مجىء قضاء الله ، فإذا جاء قضاؤه خلّوا بينه وبينه .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو هريرة الضُّبَعىّ ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا ورقاء ، عن منصور ، عن طلحة ، عن إبراهيم (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : من الجنّ .

حدثنا سَوّار بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت ليثا يحدّث عن مجاهد أنه قال : مامن عبد إلا له ملَك موكل يحفظه فى نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوامّ ، فما منهم شيء يأتيه يريده إلا قال : وراءَك ، إلا شيئا يأذن الله فيصيبه .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد الألهانىّ ، عن يزيد بن شُرَيح عن كعب الأحبار ، قال : لو تجلّى لابن آدم كلُّ سهل وحَزْن ، لرأى على كلّ شيء من ذلك شياطين ، لولا أن الله وكّل بكم ملائكة يذُبُّون عنكم فى مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذنْ لتُخُطِّفتم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا عمارة بن أبي حفصة ، عن أبي مُجْلَز ، قال : جاء رجل من مُراد إلى علىّ رضى الله عنه ، وهو يصلّى ، فقال : احترس ، فإن ناسا من مُراد يريدون قتلك ، فقال : إن مع كل رجل ملَكين يحفظانه مما لم يقدّر ، فإذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه ، وإن الأجل جنة حصينة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن الحسن بن ذَكوان ، عن أبي غالب ، عن أبي أُمامة قال : ما من آدمىّ إلا ومعه ملَك موكّل يذود عنه حتى يُسْلِمه للذى قُدّر له .

وقال آخرون : معنى ذلك : يحفظون عليه من الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) قال : يحفظون عليه من الله .

قال أبو جعفر : يعنى ابن جريج بقوله : يحفظون عليه الملائكة الموكّلة بابن آدم ، بحفظ حسناته وسيئاته ، وهى المعقّبات عندنا ، تحفظ على ابن آدم حسناته وسيئاته من أمر الله ، وعلى هذا القول يجب أن يكون معنى قوله (مِنْ أَمْرِ اللهِ) أن الحفظة من أمر الله ، أو تحفظ بأمر الله ، ويجب أن تكون الهاء التى فى قوله (يَحْفَظُونَهُ) وحدت وذكرت ، وهى مراد بها الحسنات والسيئات ، لأنها كناية عن ذكر من الذى هو مستخف بالليل ، وسارب بالنهار ، وأن يكون المستخفى بالليل أقيم ذكره مقام الخبر عن سيئاته وحسناته ، كما قيل (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِى كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِى أَقْبَلْنَا فِيهَا) .

وكان عبد الرحمن بن زيد يقول فى ذلك خلاف هذه الأقوال كلها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) قال : أتى عامرُ بن الطفيل ، وأربد بن ربيعة[1] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عامر : ما تجعل لى إن أنا اتبعتك ؟ قال : أنتَ فارسٌ أُعْطيكَ أعنّةَ الخَيْلِ ، قال : لا ، قال : فَمَا تَبغِى ؟ قال : لى الشرقُ ولك الغرب ، قال : لا ، قال : فلى الوَبَر ولك المدَر ، قال : لا ، قال :

(١) أربد بن قيس : أخو لبيد بن ربيعة الشاعر المشهور لأمه ، هلك قبل أخيه لبيد ، فبكاه بكاء شديدا .

لأملأنها عليك إذا خيلا ورجالا ، قال : «يَمْنَعُكَ اللهُ ذَاكَ وَأَبْنَاءُ قَيْلَة» ، يريد الأوس والخزرج ، قال فخرجا ، فقال عامر لأربد: إن كان الرجل لنا لممكنا[1] : لوقتلناه ما انتطحت فيه عنزان ، ولرضوا بأن نعقله لهم ، وأحبوا السلم ، وكرهوا الحرب إذا رأوا أمرا قد وقع ، فقال الآخر: إن شئت فتشاورا ، وقال : ارجع وأنا أشغله عنك بالمجادلة ، وكن وراءه فاضربه بالسيف ضربة واحدة ، فكانا كذلك ، واحد وراء النبيّ صلى الله عليه وسلم ، والآخر قال : اقصص علينا قصصك ، قال : ما يقول قرآنك ، فجعل يجادله ويستبطئه حتى قال : مالك أحشمت ، قال : وضعت يدى على قائم سيفى فيبست ، فما قدرت على أن أحلى ولا أمرّ ولا أحرّكها ، قال : فخرجا ؛ فلما كانا بالحرّة سمع بذلك سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، فخرجا إليهما ، على كل واحد منهما لأمته ورمحه بيده وهو متقلد سيفه ، فقالا لعامر بن الطفيل : يا أعور يا خبيث يا أملخ ، أنت الذى تشترط على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لولا أنك فى أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم مارمت المنزل حتى ضربت عنقك ، ولكن لاتستبقينّ ، وكان أشدّ الرجلين عليه أسيد بن الحضير ، فقال : لو كان أبوه حيا لم يفعل بى هذا ، ثم قال لأربد : اخرج أنت يا أربد إلى ناحية عَدْنة ، وأخرج أنا إلى نجد ، فنجمع الرجال فنلتقى عليه ، فخرج أربد حتى إذا كان بالرقم بعث الله سحابة من الصيف فيها صاعقة فأحرقته . قال : وخرج عامر ، حتى إذا كان بواد يقال له الجرير ، أرسل الله عليه الطاعون ، فجعل يصيح : يا آل عامر ، أغدة كغدة البكر تقتلنى ، يا آل عامر أغدة كغدة البكر تقتلنى ، وموتٌ أيضا فى بيت سلولية ، وهى امرأة من قيس ، فذلك قول الله (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ) فقرأ حتى بلغ (يَحْفَظُونَهُ) تلك المعقبات من أمر الله ، هذا مقدَّم ومؤخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، تلك المعقبات من أمر الله وقال لهذين (إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) فقرأ حتى بلغ (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) . . . الآية ، فقرأ حتى بلغ (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) . قال وقال لبيد فى أخيه أربد ، وهو يبكيه :

أَخْشَى على أَرْبَدَ الحُتُوفَ وَلا   أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ وَالأَسَدِ
فَجَّعَنِى الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْـ   ـفارِسِ يومَ الكَرِيهَةِ النَّجُدِ[2]

قال أبو جعفر : وهذا القول الذى قاله ابن زيد فى تأويل هذه الآية قول بعيد من تأويل الآية مع خلافه أقوال من ذكرنا قوله من أهل التأويل ، وذلك أنه جعل الهاء فى قوله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ) من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يجر له فى الآية التى قبلها ، ولا فى التى قبل الأخرى ذكر ، إلا أن يكون أراد أن يردّها على قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ) فإن كان أراد ذلك ، فذلك

---

(١) إن (بسكون النون) مخففة من إن (بتشديدها) . وهى هنا غير عاملة ، يريد : إنه كان ممكنا لو أردنا قتله .

(٢) البيتان للبيد فى رثاء أخيه أربد (اللسان : صعق) . قال : يقال : أصعقته الصاعقة ، تصعقه : إذا أصابته ، وهى الصواعق والصواقع . ويقال للبرق إذا أحرق إنسانا أصابته صاعقة . وقال لبيد يذكر أخاه أربد : فجعنى . . . الخ . وقال أبو زيد : الصاعقة تسقط من السماء فى رعد شديد . وفى سيرة ابن هشام (٤ : ٢١٣ — ٢١٦) خبر هلاك أربد وعامر ، وما قاله زيد ابن أسلم فى تأويل الآية ، ورواه عنه بنوه .

بعيد لما بينهما من الآيات بغير ذكر الخبر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإذا كان كذلك ، فكونها عائدة على « مَن » التى فى قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) أقرب ، لأنه قبلها والخبر بعدها عنه . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : سواء منكم أيها الناس من أسرّ القول ومن جهر به عند ربكم ، ومن هو مستخف بفسقه وريبته فى ظلمة الليل ، وسارب : يذهب ويجىء فى ضوء النهار ممتنعا بجنده وحرسه الذين يتعقبونه من أهل طاعة الله أن يحولوا بينه وبين ما يأتى من ذلك ، وأن يقيموا حدّ الله عليه ، وذلك قوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) ، وقوله (إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) يقول تعالى ذكره : إن الله لا يغير ما بقوم من عافية ونعمة ، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك بظلم بعضهم بعضا ، واعتداء بعضهم على بعض ، فتحلّ بهم حينئذ عقوبته وتغييره . وقوله (وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ) يقول : وإذا أراد الله بهؤلاء الذين يستخفون بالليل ، ويسربون بالنهار ، لهم جند ومنعة من بين أيديهم ومن خلفهم ، يحفظونهم من أمر الله هلاكا وخزيا فى عاجل الدنيا ، فلا مردّ له : يقول : فلا يقدر على ردّ ذلك عنهم أحد غير الله . يقول تعالى ذكره (وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) يقول : وما لهؤلاء القوم ، والهاء والميم فى « لهم » من ذكر القوم الذين فى قوله (وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا) من دون الله من وال : يعنى : من وال يليهم ، ويلى أمرهم وعقوبتهم . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : السوء : الهلكة ، ويقول : كلّ جذام وبرص وعمى وبلاء عظيم فهو سُوء مضموم الأوّل ، وإذا فتح أوله فهو مصدر سؤت ، ومنه قولهم : رجل سوء .

واختلف أهل العربية فى معنى قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) فقال بعض نحويى أهل البصرة : معنى قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) : ومن هو ظاهر بالليل ، من قولهم : خَفَيْتُ الشىء : إذا أظهرته ، وكما قال امرؤ القيس :

فَإِنْ تَكْتُمُوا الدَّاءَ لَا نَخْفِهِ   وَإِنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لَا نَقْعُدِ (١)

وقال : وقد قرئ (أَكَادُ أُخْفِيهَا) بمعنى : أظهرها . وقال فى قوله (وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) السارب : هو المتوارى ، كأنه وجّهه إلى أنه صار فى السرَب بالنهار مستخفيا . وقال بعض نحويى البصرة والكوفة : إنما معنى ذلك : ومن هو مستخف : أى مستتر بالليل من الاستخفاء ، وسارب بالنهار : وذاهب بالنهار ،

(١) البيت لامرئ القيس فى شعره : مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده (ص ١٣٢) وفيه : فإن تدفنوا الداء . . . الخ . يقول : إن تتركوا مابيننا وبينكم من عداوة ، لانخفه أى لانظهره ، يقال : خفاه : إذا أظهره . وأخفاه إذا ستره . وإن تهيجوا الحرب من مرقدها ، فإنا لانقعد عن حربكم جبنا ولاخوفا . وفى (اللسان : خفا) . خفا البرق خفوا : لمع ، وخفى الشىء خفيا وخفيا (على فعول) : أظهره واستخرجه . يقال : خفى المطر الفأر : إذا أخرجهن من أنفاقهن ، قال امرؤ القيس يصف فرسا :

خفاهن من أنفاقهن كأنما   خفاهن ودق من سحاب مركب

ومن قولهم : سربت الإبل إلى المراعى ، وذلك ذهابها إلى المراعى ، وخروجها إليها . وقيل : إن السروب بالعشى ، والسروح بالغداة .

واختلفوا أيضا فى تأنيث معقبات ، وهى صفة لغير الإناث ، فقال بعض نحويى البصرة : إنما أنثت لكثرة ذلك منها ، نحو : نسابة وعلامة ، ثم ذكر لأن المعنى مذكر ، فقال : يحفظونه . وقال بعض نحويى الكوفة : إنما هى ملائكة معقبة ، ثم جمعت معقبات ، فهو جمع جمع ، ثم قيل : يحفظونه ، لأنه للملائكة ، وقد تقدم قولنا فى معنى المستخفى بالليل ، والسارب بالنهار . وأما الذى ذكرناه عن نحويى البصريين فى ذلك فقول وإن كان له فى كلام العرب وجه خلافٌ لقول أهل التأويل ، وحسبه من الدلالة على فساده خروجه عن قول جميعهم . وأما المعقبات ، فإن التعقيب فى كلام العرب العود بعد البدء والرجوع إلى الشىء بعد الانصراف عنه من قول الله تعالى (وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ) : أى لم يرجع ، وكما قال سلامة بن جندل

وكَرُّنا الخَيْلَ فى آثارِها رُجُعا كُسَّ السَّنابِكِ مِنْ بَدْءٍ وتَعْقِيبِ[1]

يعنى : فى غزو ثان عقبوا ، وكما قال طرفة :

وَلَقَدْ كُنْتُ عَلَيْكُمْ عاتِبا فَعَقَبْتُمْ بِذَنُوبٍ غَيْرِ مُرّ[2]

يعنى بقوله : عقبتم : رجعتم ، وأتاها التأنيث عندنا ، وهى من صفة الحرس الذى يحرسون المستخفى بالليل والسارب بالنهار ، لأنه عُنِى بها حرس معقبة ، ثم جمعت المعقبة ، فقيل : معقبات ، فذلك جمع جمع المعقب والمعقب : واحد المعقبة ، كما قال لبيد :

حتى تَهَجَّرَ فى الرَّواحِ وَهاجَها طَلَبَ المُعَقِّبِ حَقَّهُ المَظْلُومُ[3]

والمعقبات جمعها ، ثم قال : يحفظونه ، فردّ الخبر إلى تذكير الحرس والجند .

وأما قوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) فإن أهل العربية اختلفوا فى معناه ، فقال بعض نحويى الكوفة معناه : له معقبات من أمر الله يحفظونه ، وليس من أمره[4] ، إنما هو تقديم وتأخير ، قال : ويكون

(١) البيت فى ديوانه (طبع بيروت سنة ١٩١٠ ص ٨) ورواية الشطر الأول فيه : « وكرنا خيلنا أدراجها رجعا » . . . الخ وقوله أدراجها : أى رجوعها من حيث جاءت فى طريقها . وكس السنابك جمع أكس ، وهو الذى تحاتت سنابكه وذهبت فقصرت . والسنابك جمع سنبك بضم أوله : مقدم الحافر . والبدء : ابتداء الشىء . والتعقيب : الرجوع والعطف والبدء والتعقيب كالغدو والرواح .

(٢) البيت لطرفة بن العبد البكرى ، من رائيته المقيدة ، التى مطلعها : « أصحوت اليوم أم شاقتك هر » : (ديوانه طبع شالون بفرنسا سنة ١٩٠٠ ص ٦٨ ، وطبع روسيا سنة ١٩٠٩ ص ٧٥ ، ومختار الشعر الجاهلى طبعة الحلبى بالقاهرة ص ٣٣٤) . وقوله : عاتبا : أى واجدا . وعقبتم : عطفتم ورجعتم . والذنوب بفتح الذال : الدلو . ضربها مثلا للحظ الذى نال منهم . وغير مر : أى لم يمطلوا به ولا منوا ، فيكون مرا ، أى عقبتم عتبى عليكم بعطاء حلو .

(٣) هذا البيت من شواهد النحاة (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ١ : ٣٣٤) قال : التهجر : السير فى الهاجرة ، وهى نصف النهار ، وحتى : بمعنى إلى . والرواح : اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل ، وهو نقيض الغدو . وهاجها أزعجها . وطلب : مصدر تشبيهى ، أى هاج هذا المسحل أتناه لطلب الماء طلبا حثيثا ، كطلب المعقب ، وهو اسم فاعل من التعقيب ، وهو الذى يطلب حقه مرة بعد مرة ، أو هو الذى يطلب الدين من الغريم ، يقال : عقب فى الأمر : إذا تردد فى طلبه مجدا .

(٤) أى : وليس يحفظونه من أمره ، بتعليق الجار والمجرور بالفعل .

يحفظونه ذلك الحفظ من أمر الله وبإذنه ، كما تقول للرجل: أجبتك من دعائك إياى ، وبدعائك إياى.

وقال بعض نحويي البصريين : معنى ذلك : يحفظونه عن أمر الله ، كما قالوا: أطعمني من جوع وعن جوع ، وكساني عن عُرْى ومن عُرْى .

وقد دللنا فيما مضى على أن أولى القول بتأويل ذلك أن يكون قوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) من صفة حرس هذا المستخفى بالليل وهى تحرسه ظنا منها أنها تدفع عنه أمر الله، فأخبر تعالى ذكره أن حرسه ذلك لايغنى عنه شيئا إذا جاء أمره ، فقال (وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ) يعني أن الربّ هو الذى يرى عباده البرق . وقوله (هُوَ) كناية اسمه جلّ ثناؤه ، وقد بيّنا معنى البرق فيما مضى ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . وقوله (خَوْفا) يقول : خوفا للمسافر من أذاه .

وذلك أن البرق : الماء فى هذا الموضع ، كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال: ثنا حماد ، قال : أخبرنا موسى بن سالم أبوجهضم ، مولى ابن عباس ، قال : كتب ابن عباس إلى أبى الجلد يسأله عن البرق ، فقال : البرق : الماء .

وقوله (وَطَمَعا) يقول : وطمعا للمقيم أن يمطر فينتفع .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفا وَطَمَعا) يقول : خوفا للمسافر فى أسفاره ، يخاف أذاه ومشقته ، وطمعا للمقيم يرجو بركته ومنفعته ويطمع فى رزق الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خَوْفا وطَمَعا) خوفا للمسافر ، وطمعا للمقيم .

وقوله (وَيُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ) : ويثير السحاب الثقال بالمطر ، ويبدئه ، يقال منه : أنشأ الله السحاب : إذا أبدأه ، ونشأ السحاب : إذا بدأ ينشأ نشأ ، والسحاب فى هذا الموضع وإن كان فى لفظ واحد فإنها جمع ، واحدتها سحابة ، ولذلك قال : الثقال ، فنعتها بنعت الجمع ، ولو كان جاء : السحاب الثقيل كان جائزا ، وكان توحيداً للفظ السحاب ، كما قيل (جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأخْضَرِ نارًا) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَيُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ) قال : الذى فيه الماء .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال: ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَيُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ) قال : الذى فيه الماء .

وقوله (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ) قال أبوجعفر : وقد بيَّنا معنى الرعد فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد، قال كما حدثنا الحسن بن محمد، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال: ثنا جعفر ، قال : بلغنا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد الشديد ، قال « اللَّهُمَّ لاتَقْتُلْنا بِغَضَبِكَ ، وَلا تُهْلِكْنا بِعَذابِكَ ، وَعافِنا قَبْلَ ذلِكَ » .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال: ثنا إسرائيل ، عن أبيه ، عن رجل، عن أبي هريرة رفع الحديث « أنه كان إذا سمع الرعد قال : سُبْحانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا مسعدة بن اليسع الباهلى ، عن جعفر بن محمد، عن أبيه ، عن علىّ رضى الله عنه ، كان إذا سمع صوت الرعد ، قال : سبحان من سبحتَ له .

قال : ثنا إسماعيل بن علية ، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان إذا سمع الرعد ، قال : سبحان الذى سبحت له .

حدثنا أحمد بن إسحاق ،قال : ثنا أبوأحمد ، قال: ثنا يعلى بن الحارث ، قال : سمعت أبا صخرة يحدّث عن الأسود بن يزيد ، أنه كان إذا سمع الرعد، قال : سبحان من سبحت له، أو سبحان الذى يسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته .

قال : ثنا أبوأحمد ، قال: ثنا ابن علية ، عن ابن طاوس ، عن أبيه وعبد الكريم ، عن طاوس أنه كان إذا سمع الرعد ، قال : سبحان من سبحت له .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ميسرة ، عن الأوزاعى ، قال : كان ابن أبي زكريا يقول : من قال حين يسمع الرعد : سبحان الله وبحمده ، لم تصبه صاعقة .

ومعنى قوله (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ) ويعظم الله الرعدُ ويمجده ، فيثنى عليه بصفاته ، وينزّهه مما أضاف إليه أهل الشرك به ، ومما وصفوه به من اتخاذ الصاحبة والولد، تعالى ربنا وتقدّس .

وقوله (مِنْ خِيفَتِهِ) يقول : وتسبح الملائكة من خيفة الله ورهبته .

وأما قوله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ) فقد بيَّنا معنى الصاعقة فيما مضى بما أغنى عن إعادته بما فيه الكفاية من الشواهد ، وذكرنا ما فيها من الرواية .

وقد اختلف فيمن أنزلت هذه الآية، فقال بعضهم : نزلت فى كافر من الكفار ذَكَرَ الله تعالى وتقدس بغير ما ينبغى ذكره ، فأرسل عليه صاعقة أهلكته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفانُ ، قال : ثنا أبانُ بن يزيد ، قال : ثنا أبو عمران الجونىّ ، عن عبد الرحمن بن صُحار العبدىّ ، أنه بلغه أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى جبَّار يدعوه ، فقال : أرأيتم ربكم ، أذهبٌ هو أم فضة هو أم لؤلؤ هو؟ قال : فبينما هو يجادلهم ، إذ بعث الله سحابة فرعدت ، فأرسل الله عليه صاعقة فذهبت بقَحْف رأسه فأنزل الله هذه الآية (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ ، وَهُمْ يُجادِلُونَ فِي اللهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبى بكر بن عياش ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : « جاء يهودى إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : أخبرنى عن ربك من أىّ شىء هو ، من لؤلؤ أو من ياقوت ؟ فجاءت صاعقة فأخذته ، فأنزل الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ ، وَهُمْ يُجادِلُونَ فِي اللهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمَّانىّ ، قال : ثنا أبوبكر بن عياش ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : ثنا سيف ، عن أبى رَوق ، عن أبى أيوب ، عن علىّ ، قال : جاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد حدثنى مَنْ هذا الذى تدعو إليه ؟ أياقوت هو ، أذهب هو ، أم ماهو ؟ قال : فنزلت على السائل الصاعقة فأحرقته ، فأنزل الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : ثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، قال : ثنى علىّ بن أبى سارة الشيبانىّ ، قال : ثنا ثابت البُنانى ، عن أنس بن مالك ، قال « بَعَثَ النبيّ صلى الله عليه وسلم مرّة رجلا إلى رجل من فراعنة العرب ، أن ادعه لى ، فقال : يا رسول الله ، إنه أعتى من ذلك ، قال : اذهب إليه فادعه ، قال : فأتاه ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك ، فقال : من رسول الله ، وما الله ؟ أمن ذهب هو ، أم من فضة ، أم من نحاس ؟ قال : فأتى الرجل النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ارْجِعْ إلَيْهِ فادْعُهُ . قال : فأتاه فأعاد عليه وردّ عليه مثل الجواب الأوّل ، فأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ارْجِعْ إلَيْهِ فادْعُهُ ، قال : فرجع إليه ، فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما ، إذ بعث الله سحابة بحيال رأسه فرعدت ، فوقعت منها صاعقة ، فذهبت بقحْف رأسه ، فأنزل الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ ، وَهُمْ يُجادِلُونَ فِي اللهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) .

وقال آخرون : نزلت فى رجل من الكفار أنكر القرآن ، وكذّب النبيّ صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا أن رجلا أنكر القرآن وكذّب النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه (وَهُمْ يُجادِلُونَ فِي اللهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) .

وقال آخرون : نزلت فى أربَدَ أخى لَبيد بن ربيعة، وكان همّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعامر بن الطفيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ،قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : نزلت، يعنى قوله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ) فى أربدَ أخى لبيد بن ربيعة،لأنه قَدِم أربد وعامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر، على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال عامر : يا محمد أأُسلِم وأكون الخليفة من بعدك ؟ قال : لا. قال : فأكون على أهل الوبَر وأنت على أهل المدر؟ قال : لا، قال : فماذاك ؟ قال : أعطيك أعنّة الخيل تقاتل عليها ، فإنك رجل فارس، قال : أوليست أعنة الخَيلِ بيدى ، أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا من بنى عامر، وقال لأربد: إما أن تكفينيه وأضربه بالسيف ، وإما أن أكفيكه وتضربه بالسيف ، قال أربد : أكفيكه[١] واضربه ، فقال عامر بن الطفيل : يامحمد إن لى إليك حاجة ، قال ادن، فلم يزل يدنو ، ويقول النبى صلى الله عليه وسلم ، ادْنُ ، حتى وضع يديه على ركبتيه وحنى عليه ، واستلّ أربد السيف، فاستلّ منه قليلا ؛ فلما رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم بريقه ، تعوّذ بآية كان يتعوّذ بها، فيبست يد أربد على السيف ، فبعث الله عليه صاعقة فأحرقته، فذلك قول أخيه :

أخْشَى على أرْبَدَ الحُتُوفَ ولا أرْهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأسَــدِ
فَجَعَنِى البَرْقُ والصَّوَاعِقُ بالْـ فارِسِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ النَّجُــدِ[٢]

وقد ذكرت قبلُ خبر عبد الرحمن بن زيد بنحو هذه القصة .

وقوله (وَهُمْ يُجادِلُونَ فِي اللهِ) يقول : وهؤلاء الذين أصابهم الله بالصواعق ، أصابهم فى حال خصومتهم فى الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) يقول تعالى ذكره: والله شديدة مماحلته فى عقوبة من طغى عليه وعتا وتمادى فى كفره ، والمحال : مصدر من قول القائل: ماحَلتُ فلانا فأنا أماحله مماحلة ومحالا، وفعَلْتُ منه : مَحَلت أمْحَل مَحْلا : إذا عرّض رجل رجلا لما يهلكه؛ ومنه قوله: وماحِلٌ مُصَدّقٌ »[٣] ؛ ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

---

(١) لعله : اكفنيه ، كما تدل عليه بقية القصة .

(٢) البيتان للبيد ، وقد تقدم الاستشهاد بهما قريبا فى هذا الجزء من التفسير .

(٣) هذا جزء من حديث رواه ابن عباس : « إن هذا القرآن شافع مشفع ، وماحل مصدق » . قال أبوعبيدة : جعله يمحل بصاحبه إذا لم يتبع ما فيه ، أو إذا هو ضيعه . وقال ابن الأثير : أى خصم مجادل مصدق .

فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُنِ المَجْـــدِ غزيرُ النَّدَى شَدِيدُ المِحالِ ١

هكذا كان يُنشده معمر بن المثنى فيما حُدثت عن علىّ بن المغيرة عنه . وأما الرواة بعدُ فإنهم ينشدونه :

فَرْعُ فَرْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُنِ المَجْـــدِ كثيرُ النَّدَى عَظِيمُ المِحالِ

وفسّر ذلك معمر بن المثنى ، وزعم أنه عنى به العقوبة والمكر والنكال ؛ ومنه قول الآخر :

وَلَبَّسَ بينَ أَقْوَامٍ فُكُلٌّ أعدّ له الشَّغازِبَ والمِحالا ٢

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : ثنا سيف ، عن ابى رَوْق ، عن أبى أيوب ، عن علىّ رضى الله عنه (وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) قال : شديد الأخذ .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) قال : شديد القوّة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) أى القوّة والحيلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (شَدِيدُ المِحالِ) يعنى : الهلاك ، قال : إذا محل فهو شديد . وقال قتادة : شديد الحيلة ٣ .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا رجل ، عن عكرمة (وَهُمْ يُجادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) قال : المحال : جدال أربَدَ ، وهو شديد المحال ، قال : ما أصاب أربدَ من الصاعقة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) قال : قال ابن عباس : شديد الحَوْل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَهُوَ شَدِيدُ المِحالِ) قال : شديد القوّة . المحال : القوّة . والقول الذى ذكرناه عن قتادة فى تأويل المحال أنه الحيلة ، والقول الذى ذكره ابن جريج ، عن ابن عباس يدلان على أنهما كانا يقرآن (وَهُوَ شَدِيدُ المَحَالِ) . بفتح الميم ؛ لأن الحيلة لا يأتى مصدرها محالا بكسر الميم ، ولكن قد يأتى على تقدير المَفْعَلة منها ، فيكون محالة ،

---

(١) البيت لأعشى بنى ثعلبة ميمون بن قيس (ديوانه ص ٧ طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين) وهو من لاميته المطولة التى مطلعها : « ما بكاء الكبير بالأطلال » يمدح بها الأسود بن المنذر اللخمى . يقول : إنه فرع فى غصون المجد غزير الندى ، وهو مع ذلك شديد النكال بأعدائه . والنبع : شجر تتخذ منه القسى ، ومن أغصانه السهام ، ينبت فى قلل الجبال . والمحال : العقوبة والمكر ، والنكال . ومعمر بن المثنى : هو أبو عبيدة البصرى . وعلى بن المغيرة : هو الأثرم .

(٢) البيت لذى الرمة (اللسان : محل) . قال : والمحال : المكر بالحق ، وفلان يماحل عن الإسلام : أى يماكر ويدافع . والمماحلة : المماكرة والمكايدة ، ومنه قوله تعالى : « شديد المحال » . اهـ . وفى « اللسان : شغزب » : والشغزبية : ضرب من الحيلة فى الصراع ، وهى أن تلوى برجله رجلك ، تقول : شغزبته شغزبة ، وأخذته بالشغزبية ، قال ذو الرمة : « وليس بين أقوامى فكل » . . . . الخ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٦) والشغزبة : الالتواء . اهـ .

(٣) قال ابن قتيبة : وأصل المحال الحيلة . ورد عليه أبو منصور الأزهرى فقال : قول القتيبى غلط فاحش ، وكأنه توهم أن ميم المحال : ميم مفعل (بالكسر) ، وأنها زائدة ، وليس كما توهمه . (اللسان : محل) .

ومن ذلك قولهم : المرء يعجز لا محالة ، والمحالة فى هذا الموضع : المفعلة من الحيلة . فأما بكسر الميم ، فلا تكون إلا مصدرا ، من ماحلت فلانا أماحله محالا ، والمماحلة بعيدة المعنى من الحيلة ، ولا أعلم أحدا قرأه بفتح الميم ، فإذا كان ذلك كذلك ، فالذى هو أولى بتأويل ذلك ، ماقلنا من القول .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : لله من خلقه الدعوة الحق ، والدعوة هى الحق كما أضيفت الدار إلى الآخرة فى قوله (وَلَدَارُ الآخِرَةِ) وقد بيّنا ذلك فيما مضى ، وإنما عنى بالدعوة الحق : توحيد الله ، وشهادة أن لا إله إلا الله .

وبنحو الذى قلنا ، تأوّله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (دَعْوَةُ الحَقّ) قال : لا إله لا الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ) قال : شهادة أن لا إله إلا الله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : ثنا سيف ، عن أبى رَوْق ، عن أبى أيوب ، عن على رضى الله عنه (لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ) قال : التوحيد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ) قال : لا إله إلا الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، فى قوله (لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ) قال : لا إله إلا الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ) : لا إله إلا الله ليست تنبغى لأحد غيره ، لا ينبغى أن يقال : فلان إله بنى فلان .

وقوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) يقول تعالى ذكره : والآلهة التى يدعونها المشركون أربابا وآلهة . وقوله (مِنْ دُونِهِ) يقول : من دون الله ، وإنما عنى بقوله (مِنْ دُونِهِ) الآلهة أنها مقصرة عنه ، وأنها لا تكون إلها ، ولا يجوز أن يكون إلها إلا الله الواحد القهار ؛ ومنه قول الشاعر :

أتُوعِدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِيَاحٍ		كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ دُونِي[١]

يعني : لتقصرنّ يداك عني .

وقوله (لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ) يقول : لا تجيب هذه الآلهة التي يدعوها هؤلاء المشركون آلهة بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرّ (إلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إلى الماءِ) يقول : لا ينفع داعي الآلهة دعاؤه إياها إلا كما ينفع باسطَ كفيه إلى الماء، بسطُه إياهما إليه من غير أن يرفعه إليه في إناء، ولكن ليرتفع إليه بدعائه إياه ، وإشارته إليه، وقبضه عليه، والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلا بالقابض على الماء . قال بعضهم :

فإنِّي وإيَّاكُمْ وَشَوْقًا إلَيْكُمُ		كقابِضِ ماءٍ لَمْ تَسِقْهُ أنامِلُهْ[٢]

يعني بذلك : أنه ليس في يده من ذلك ، إلا كما في يد القابض على الماء ، لأن القابض على الماء لا شيء في يده . وقال آخر :

فأصْبَحْتُ مِمَّا كانَ بَيْنِي وبَيْنَها		مِنَ الوُدِّ مِثْلَ القابِضِ الماءَ باليَدِ[٣]

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا سيف ، عن أبي روق ، عن أبي أيوب ، عن عليّ رضي الله عنه ، في قوله (إلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إلى الماءِ لِيَبْلُغَ فاهُ وَما هُوَ بِبالِغِهِ) قال : كالرجل العطشان يمدّ يده إلى البئر ليرتفع الماء إليه وما هو ببالغه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كَباسِطِ كَفَّيْهِ إلى الماءِ) يدعو الماء بلسانه ، ويشير إليه بيده ، ولا يأتيه أبدا .

قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني الأعرج، عن مجاهد (لِيَبْلُغَ فاهُ) يدعوه ليأتيه وما هو بآتيه ، كذلك لا يستجيب من هو دونه .

---

(١) البيت لجرير (ديوانه طبعة الصاوى بالقاهرة ص ٥١٧) وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٢٦) قال في شرح قوله تعالى : « والذين يدعون من دونه » مجازه : والذين يدعون غيره من دونه ، أي يقصرون عنه . و « يدعون » من الدعاء . ومجاز « دونه » مجاز « عنه » . قال : أتوعدني وراء ... الخ البيت ، « دوني » : أي عني .

(٢) البيت لضابئ بن الحارث البرجمي ، قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٢٧) عند تفسير قوله تعالى : « إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه » : مجازه : إن الذي يبسط كفه ليقبض على الماء ، حتى يؤديه إلى فيه ، لا يتم له ذلك . ولم تسقه أنامله : أي تجمعه ..... الخ . قال : يقول : ليس من يدى في ذلك شيء ، كما أنه ليس في يد القابض على الماء شيء . ومعنى : لم تسقه : لم تحمله (اللسان : وسق) . وفي الخزانة (٤ : ٨٠) لم تطعه .

(٣) وهذا الشاهد أيضا من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٢٧) . وهو في معنى الشاهد الذي قبله . يقول : لم أظفر من حب هذه الحبيبة إلا بمثل ما يظفر به من يقبض على الماء بيده . أي أنه لم ينل من حبها شيئا ، كما أن القابض على الماء لا يجمع في يده منه شيئا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المَاءِ) يدعو الماء بلسانه ، ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبدا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث الحسن ، عن حجاج ، قال ابن جريج : وقال الأعرج عن مجاهد (لِيَبْلُغَ فاهُ) قال : يدعوه لأن يأتيه وما هو بآتيه ، فكذلك لايستجيب من هو دونه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لايَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ، إلا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَىالمَاءِ لِيَبْلُغَ فاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ) وليس ببالغه حتى يتمزّع عنقه ويهلك عطشا ، قال الله تعالى (وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ) هذا مَثَلٌ ضربه الله : أى هذا الذى يدعو من دون الله هذا الوثن وهذا الحجر لا يستجيب له بشىء أبدا ، ولا يسوق إليه خيرا ، ولايدفع عنه سوءا حتى يأتيه الموت ، كمثل هذا الذى بسط ذراعيه إلى الماء ليبلغ فاه ، ولا يبلغ فاه ، ولا يصل إليه ذلك حتى يموت عطشا .

وقال آخرون : معنى ذلك : والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليتناول خياله فيه ، وما هو ببالغ ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المَاءِ لِيَبْلُغَ فاهُ) فقال : هذا مثل المشرك مع الله غيره ، فمثله كمثل الرجل العطشان الذى ينظر إلى خياله فى الماء من بعيد ، فهو يريد أن يتناوله ، ولا يقدر عليه .

وقال آخرون فى ذلك ماحدثنى به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لايَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ) . . . إلى (وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ) يقول : مثل الأوثان الذين يُعبدون من دون الله كمثل رجل قد بلغه العطش حتى كربه الموت وكفاه فى الماء قد وضعهما لايبلغان فاه ، يقول الله : لاتستجيب الآلهة ، ولاتنفع الذين يعبدونها حتى يبلغ كفا هذا فاه ، وما هما ببالغتين فاه أبدا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لايَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المَاءِ لِيَبْلُغَ فاهُ وَمَاهُوَ بِبَالِغِهِ) قال : لاينفعونهم بشىء إلا كما ينفع هذا بكفّيه ، يعنى بسطهما إلى ما لاينال أبدا .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المَاءِ لِيَبْلُغَ فاهُ) وليس الماء ببالغ فاه ما قام باسطا كفيه لا يقبضهما

(وَمَا هُوَ بِبالِغِهِ وما دُعاءُ الكافِرِينَ إلاَّ فِي ضَلالٍ) قال : هذا مثل ضربه الله لمن اتخذ من دون الله إلها أنه غير نافعه ، ولا يدفع عنه سوءا حتى يموت على ذلك .

وقوله (وَما دُعاءُ الكافِرِينَ إلاَّ فِي ضَلالٍ) يقول: وما دعاء من كفر بالله ما يدعو من الأوثان والآلهة إلا فى ضلال : يقول : إلا فى غير استقامة ولا هُدًى ، لأنه يشرك بالله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩

يقول تعالى ذكره: فإن امتنع هؤلاء الذين يدعون من دون الله الأوثان والأصنام لله شركاء من إفراد الطاعة والإخلاص بالعبادة له ، فلله يسجد من فى السموات من الملائكة الكرام، ومن فى الأرض من المؤمنين به طوعا ، فأما الكافرون به، فإنهم يسجدون له كَرْها حين يكرهون على اسجود .

كما حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وِلله يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ طَوْعا وكَرْها) فأما المؤمن فيسجد طائعا ، وأما الكافر فيسجد كارها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان ، قال: كان ربيع بن خيثم إذا تلا هذه الآية (وِلله يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ طَوْعا وكَرْها) قال : بلى يا رباه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد، فى قوله (وِلله يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ طَوْعا وكَرْها)قال: من دخل طائعا هذا طوعا ، وكرها من لم ير يدخل إلا بالسيف.

وقوله (وَظِلالُهُمْ بالغُدُوِّ والآصَالِ) يقول: ويسجد أيضا ظلال كلّ من سجد لله طوعا وكرها بالغدوات والعشايا، وذلك أن ظل كلّ شخص فإنه يفىء بالعشىّ كما قال جلّ ثناؤه (أَوَلَمْ يَرَوْا إلى ما خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُ ظِلالُهُ عَنِ اليَمِينِ والشَّمائِلِ سُجَّدًا لِلهِ وَهُمْ داخِرُونَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى، قال : ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَظِلالُهُمْ بالغُدُوِّ والآصالِ) يعنى : حين يفىء ظلّ أحدهم عن يمينه أو شماله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان، قال فى تفسير مجاهد(وِللهِ يَسْجُدُ مَنْ فى السَّمَوَاتِ والأرْضِ طَوْعا وكَرْها وَظِلالُهُمْ بالغُدُوِّ والآصَالِ)قال: ظلّ المؤمن يسجد طوعا وهو طائع ، وظلّ الكافر يسجد طوعا ١ وهو كاره .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَظِلالُهُمْ بالغُدُوِّ والآصَالِ) قال : ذكر أن ظلال الأشياء كلها تسجد له ، وقرأ « سُجَّدًا لِلهِ وهم داخِرُونَ » قال : تلك الظلال

(١) كذا فى الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب المصرية . وفى الدر المنثور عن مجاهد : يسجد كرها وهو كاره .

تسجد لله، والآصال : جمع أُصُل، والأُصُل : جمع أصيل ، والأصيل : هو العشيّ ، وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس ؛ قال أبو ذؤيب :

لَعَمْرِى لأَنْتَ البَيْتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ وأقْعُدُ فى أفْيائِهِ بالأَصائِلِ (١)

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ (١٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله مَنْ ربّ السموات والأرض ومدبرها ، فإنهم سيقولون الله ، وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول الله ، فقال له : قل يا محمد : ربّها الذى خلقها وأنشأها، هو الذى لا تصلح العبادة إلا له ، وهو الله، ثم قال : فإذا أجابوك بذلك فقل لهم : أفاتخذتم من دون ربّ السموات والأرض أولياء لا تملك لأنفسها نفعا تجلبه إلى نفسها، ولا ضرّا تدفعه عنها ، وهى إذ لم تملك ذلك لأنفسها ، فمن ملكه لغيرها أبعد فعبدتموها ، وتركتم عبادة من بيده النفع والضرّ والحياة والموت ، وتدبير الأشياء كلها ، ثم ضرب لهم جلّ ثناؤه مثلا ، فقال (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأعْمَى والبَصِيرُ) .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأعْمَى والبَصِيرُ ، أمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُماتُ والنُّورُ ، أم جَعَلُوا لِلهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ، فَتَشابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ ، قُلِ اللهُ خالِقُ كُلِّ شَىْءٍ ، وَهُوَ الواحِدُ القَهَّارُ ﴾ :

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا من دون الله ، الذى بيده نفعهم وضرّهم ما لا ينفع ولا يضرّ ، هل يستوى الأعمى الذى لا يبصر شيئا ، ولا يهتدى لمحجّة يسلكها ، إلا بأن يهدى ، والبصير الذى يَهدِى الأعمى لمحجة الطريق الذى لا يبصر ، إنهما لا شكّ لغير مستويين ، يقول : فكذلك لا يستوى المؤمن الذى يبصر الحقّ فيتبعه ، ويعرف الهدى فيسلكه ؛ وأنتم أيها المشركون الذين لا تعرفون حقا ولا تبصرون رشدا .

(١) البيت لأبى ذؤيب الهذلى (اللسان : أصل) قال : الأصيل : العشى ، والجمع : أصل وأصلان ، مثل بعير وبعران ، وآصال وأصائل ، كأنه جمع أصيلة . وقال الزجاج : آصال : جمع أصل . فهو على هذا جمع الجمع ، ويجوز أن يكون أصل واحدا كطنب واستشهد به أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٨) عند قوله تعالى « بالعشى والآصال » قال : واحدها : أصل ، وواحد الأصل : أصيل ، وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس ؛ وقال أبو ذؤيب . . . البيت .

وقوله (أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُماتُ والنُّورُ) يقول تعالى ذكره: وهل تستوى الظلمات التى لا تُرَى فيها المَحجَّة فتُسلك، ولا يُرَى فيها السبيلُ فيركب، والنور الذى يُبصَر به الأشياء، ويجلو ضوءُه الظلام، يقول: إن هذين لاشكّ لغير مستويين، فكذلك الكفر بالله، إنما صاحبه منه فى حَيْرة يضرب أبدا فى غَمْرة لا يرجع منه إلى حقيقة، والإيمان بالله صاحبه منه فى ضياء يعمل على علم بربه، ومعرفة منه بأن له مثيبا يثيبه على إحسانه، ومعاقبا يعاقبه على إساءته، ورازقا يرزقه، ونافعا ينفعه.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى والبَصِيرُ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُماتُ والنُّورُ): أما الأعمى والبصير، فالكافر والمؤمن؛ وأما الظلمات والنور، فالهُدى والضلالة.

وقوله (أَمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ، فَتَشابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أخلق أوثانكم التى اتخذتموها أولياء من دون الله كخلق الله، فاشتبه عليكم أمرها فيما خلقت وخلق الله، فجعلتموها له شركاء من أجل ذلك، أم إنما بكم الجهل والذهاب عن الصواب، فإنه لا يشكل على ذى عقل أن عبادة ما لا يضرّ ولا ينفع من الفعل جهل، وأن العبادة إنما تصلح للذى يُرجَى نفعه، ويخشى ضُرّه، كما أن ذلك غير مُشكل خطؤه وجهل فاعله، كذلك لا يُشكل جهل من أشرك فى عبادة من يرزقه ويكفله ويَمونه، من لا يقدر له على ضرر ولا نفع.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال بعض أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (أَمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ) حملهم ذلك على أن شكوا فى الأوثان.

حدثنى المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (أَمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ، فَتَشابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ) خلقوا كخلقه، فحملهم ذلك على أن شكوا فى الأوثان.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، مثله.

قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن كثير: سمعت مجاهدا يقول (أَمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ، فَتَشابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ) ضربت مثلا.

وقوله (قُلِ اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء

المشركين إذا أقرّوا لك أن أوثانهم التى أشركوها فى عبادة الله لاتخلق شيئا ، فالله خالقكم وخالق أوثانكم، وخلق كلّ شىء ، فما وجه إشراككم ما لاتخلق ولا تضرّ .

وقوله (وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) يقول : وهو الفرد الذى لاثانى له،القهار الذى يستحقّ الألوهة والعبادة ، لاالأصنام والأوثان التى لاتضرّ ولا تنفع .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾

✲ قال أبو جعفر : وهذا مثل ضربه الله للحقّ والباطل، والإيمان به والكفر ، يقول تعالى ذكره : مثل الحقّ فى ثباته ، والباطل فى اضمحلاله ، مثل ماء أنزله الله من السماء إلى الأرض(فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) يقول : فاحتملته الأودية بملئها الكبير بكبره، والصغير بصغره(فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) يقول : فاحتمل السيل الذى حدث عن ذلك الماء الذى أنزله الله من السماء زَبدا عاليا فوق السيل، فهذا أحد مثَلى الحقّ والباطل،فالحقّ هو الماء الباقى الذى أنزله الله من السماء،والزَّبَد الذى لاينتفع به هو الباطل . والمثل الآخر (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ) يقول جلّ ثناؤه : ومثل آخر للحقّ والباطل، مثل فضة أو ذهب يُوقد عليها الناس فى النار ، طلب حلية يتخذونها ، أو متاع ، وذلك من النحاس والرصاص والحديد ، يوقَد عليه ليتخذ منه متاع ينتفع به (زَبَدٌ مِثْلُهُ) يقول تعالى ذكره : ومما يوقدون عليه من هذه الأشياء زَبَد مثله، بمعنى :مثل زَبَد السيل لاينتفع به ويذهب باطلا، كما لاينتفع بزبد السيل ويذهب باطلا . ورفع الزبد بقوله (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ) ومعنى الكلام : ومما يوقدون عليه فى النار زبد مثل زبد السيل فى بطول زبده ، وبقاء خالص الذهب والفضة . يقول الله تعالى (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ) يقول: كما مثل الله الإيمان والكفر فى بطول الكفر، وخيبة صاحبه عند مجازاة الله بالباقى النافع من ماء السيل وخالص الذهب والفضة ، كذلك يمثل الله الحقّ والباطل (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) يقول : فأما الزبد الذى علا السيل ، والذهب والفضة والنحاس والرصاص عند الوقود عليها ، فيذهب بدفع الرياح وقذف الماء به، وتعلقه بالأشجار وجوانب الوادى (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ) من الماء والذهب والفضة والرصاص والنحاس، فالماء يمكث فى الأرض فتشربه ، والذهب والفضة تمكث للناس (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) يقول: كما مثل هذا المثل للإيمان والكفر ، كذلك يمثل الأمثال .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) فهذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها ، فأما الشكّ فلا ينفع معه العمل ، وأما اليقين فينفع الله به أهله ، وهو قوله (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) وهو الشكّ (وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) وهو اليقين ، كما يجعل الحلىّ فى النار ، فيؤخذ خالصه ، ويترك خبثه فى النار ، فكذلك يقبل الله اليقين ، ويترك الشكّ .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ، فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) يقول : احتمل السيل ما فى الوادى من عود ودمنة (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ) فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد ، وللنحاس والحديد خبث ، فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء (فَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسُ) فالذهب والفضة ، وأما ماينفع الأرض فما شربت من الماء فأنبتت ، فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله ، والعمل السيئ يضمحلّ عن أهله ، كما يذهب هذا الزبد ، فكذلك الهدى والحقّ جاء من عند الله ، فمن عمل بالحقّ كان له ، وبقى كما يبقى ماينفع الناس فى الأرض ، وكذلك الحديد لا يستطاع أن يجعل منه سكين ولا سيف حتى يدخل فى النار فتأكل خبثه ، فيخرج جيده فينتفع به ، فكذلك يضمحلّ الباطل إذا كان يوم القيامة وأقيم الناس ، وعرضت الأعمال ، فيزيغ الباطل ويهلك ، وينتفع أهل الحقّ بالحقّ ، ثم قال (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ) . . . إلى (أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) فقال : ابتغاء حلية الذهب والفضة ، أو متاع الصفر والحديد ، قال : كما أوقد على الذهب والفضة والصفر والحديد فخلص خالصه ، قال (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) كذلك بقاء الحقّ لأهله فانتفعوا .

حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، قال : قال ابن جريج : أخبرنى عبد الله ابن كثير أنه سمع مجاهدا يقول (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) قال : ما أطاقت ملأها (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) قال : انقضى الكلام ، ثم استقبل فقال (وَمِمَّا تُوقِدُونَ[1] عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) قال : المتاع : الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه ، زبد مثله ، قال : خبث ذلك مثل زبد السيل . قال (وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ - فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) قال : فذلك مثل الحقّ والباطل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن

(١) قرأ « يوقدون » بالياء : حميد ، وابن محيصن ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائى ، وحفص ؛ وقرأ الباقون بالتاء المثناة الفوقية.

مجاهد، أنه سمعه يقول، فذكر نحوه. وزاد فيه: قال: قال ابن جريج: قال مجاهد: قوله (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) قال: جمودا فى الأرض (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) يعنى الماء وهما مثلان: مثل الحق والباطل.

حدثنا الحسن، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (زَبَدًا رَابِيًا) السيل مثل خبث الحديد والحلية (فَيَذْهَبُ جُفَاءً) جمودا فى الأرض (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه. وقوله (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) إنما هما مثلان للحق والباطل.

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد؛ قال: وثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، يزيد أحدهما على صاحبه فى قوله (فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) قال: بملئها، (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) قال: الزبد: السيل (ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) قال: خبث الحديد والحلية (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) قال: جمودا فى الأرض (وَأَمَّا ما ينفع الناس فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) قال: الماء وهما مثلان للحق والباطل

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) الصغير بصغره، والكبير بكبره (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رابيا)، أى عاليا (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) والجفاء: ما يتعلق بالشجر (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) هذه ثلاثة أمثال ضربها الله فى مثل واحد. يقول: كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به ولا ترجى بركته، كذلك يضمحل الباطل عن أهله، كما اضمحل هذا الزبد، وكما مكث هذا الماء فى الأرض، فأمرعت هذه الأرض، وأخرجت نباتها، كذلك يبقى الحق لأهله، كما بقى هذا الماء فى الأرض، فأخرج الله به ما أخرج من النبات. قوله (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ) ... الآية، كما يبقى خالص الذهب والفضة، حين أدخل النار وذهب خبثه، كذلك يبقى الحق لأهله. قوله (أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) يقول: هذا الحديد والصفر الذى ينتفع به، فيه منافع: يقول: كما يبقى خالص هذا الحديد وهذا الصفر حين أدخل النار وذهب خبثه، كذلك يبقى الحق لأهله كما بقى خالصهما.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) الكبير بقدره، والصغير بقدره (زَبَدًا رَابِيًا) قال: ربا فوق الماء الزبد (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ) قال: هو الذهب إذا أدخل النار بقى صفوه ونفى ما كان من كدره، وهذا مثل ضربه الله للحق والباطل (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) يتعلق بالشجر فلا يكون شيئا مثل الباطل (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) وهذا يخرج النبات، وهو مثل الحق (أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) قال: المتاع: الصفر والحديد.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا هَوْذة بن خليفة، قال: ثنا عوف، قال: بلغنى فى قوله (أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها) قال: إنما هو مثل ضربه الله للحقّ والباطل، (فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها) الصغير على قدره، والكبير على قدره، وما بينهما على قدره (فاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رابِيًا) يقول: عظيما، وحيث استقرّ الماء يذهب الزبد جُفاء فتطير به الريح، فلا يكون شيئا، ويبقى صريح الماء الذى ينفع الناس منه شرابهم ونباتهم ومنفعتهم (أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) ومثل الزبد كل شيء يوقد عليه فى النار الذهب والفضة والنحاس والحديد، فيذهب خبثه، ويبقى ماينفع فى أيديهم، والخبث والزَّبَد مثل الباطل، والذى ينفع الناس مما تحصّل فى أيديهم مما ينفعهم المال الذى فى أيديهم.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) قال: هذا مثل ضربه الله للحقّ والباطل، فقرأ (أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها، فاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رابِيًا) هذا الزبد لاينفع (أو متاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) هذا لاينفع أيضا، قال: وبقى الماء فى الأرض فنفع الناس، وبقى الحلىُ الذى صلح من هذا، فانتفع الناس به (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً، وأَمَّا ماينْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فى الأَرْضِ، كذلكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ) وقال: هذا مثل ضربه الله للحقّ والباطل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: (أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها) قال: الصغير بصغره، والكبير بكبره.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبوأحمد، قال: ثنا طلحة بن عمرو، عن عطاء: ضرب الله مثلا للحقّ والباطل، فضرب مثل الحقّ، كمثل السيل الذى يمكث فى الأرض، وضرب مثل الباطل، كمثل الزَّبَد الذى لاينفع الناس، وعنى بقوله (رَابِيًا): عاليا منتفخا، من قولهم: ربا الشيء يرْبُو رُبُوًّا فهو راب، ومنه قيل للنشَز من الأرض كهيئة الأكَمة: رابية؛ ومنه قول الله تعالى (اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ)، وقيل للنحاس والرصاص والحديد فى هذا الموضع: المتاع، لأنه يُستمتع به، وكلّ مايتمتع به الناس فهو متاع؛ كما قال الشاعر:

تَمَتَّعْ يا مُشَعَّثُ إنَّ شَيْئًا سَبَقْتَ بهِ المَماتَ هُوَ المَتاعُ[1]

وأما الجُفاء فإنى حُدثت عن أبى عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى، قال: قال أبوعمرو بن العلاء، يقال: قد أجفأتِ القِدرُ، وذلك إذا غلَتْ فانصبّ زَبَدُها، أوسكنت فلايبقى منه شيء[2]. وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة، أن معنى قوله (فَيَذْهَبُ جُفاءً) تَنْشَفُه الأرض، وقال: يقال: جفا الوادى وأجفى فى معنى نَشِف، وانجفى الوادى: إذا جاء بذلك الغثاء، وغثى الوادى فهو يَغْثى غَثْيًا وغَثَيانا، وذكر عن

(١) البيت للمشعث العامرى، ذكره المرزبانى فى معجم الشعراء، فى مقطوعة له يخاطب نفسه. وذكره أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٨) شاهدا على معنى المتاع فى قوله تعالى «أومتاع زبد» مثله. وأورده صاحب (اللسان: متع) شاهدا على معنى المتاع؛ قال: والمتاع: كل ما ينتفع به من عروض الدنيا قليلها وكثيرها. وكذلك أنشده صاحب تاج العروس: (متع).

(٢) نقله فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٩) والقرطبى (٩ : ٣٠٥).

العرب أنها تقول: جَفَأْتُ القِدْرَ أجفَؤها: إذا أخرجت جُفاءَها، وهو الزَّبَد الذي يعلوها، وأجْفَأْتُها إجْفاءً لغة. قال: وقالوا: جَفَأْتُ الرجلَ جَفْأً: صرعته.

وقيل: (فَيَذْهَبُ جُفاءً) بمعنى جَفْئاً، لأنه مصدر من قول القائل: جَفَأَ الوادي غُثاءه، فخرَج مخرَج الاسم وهو مصدر، كذلك تفعل العرب في مصدر كلّ ما كان من فعل شيء اجتمع بعضه إلى بعض كالقُماش والدُّقاق والحُطام والغُثاء، تخرجه على مذهب الاسم، كما فعلت ذلك في قولهم: أعطيته عطاء، بمعنى الإعْطاء، ولو أريد من القُماش المصدر على الصحة لقيل: قد قَمَشْته قَمْشاً [١].

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾

يقول تعالى ذكره: أما الذين استجابوا لله فآمنوا به حين دعاهم إلى الإيمان به وأطاعوه فاتبعوا رسوله وصدّقوه فيما جاءهم به من عند الله، فإن لهم الحسنى، وهي الجنة.

كذلك حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (لِلَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمُ الحُسْنَى) وهي الجنة.

وقوله (وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الأَرْضِ جَمِيعا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ) يقول تعالى ذكره: وأما الذين لم يستجيبوا له حين دعاهم إلى توحيده والإقرار بربوبيته، ولم يطيعوه فيما أمرهم به، ولم يتبعوا رسوله فيصدّقوه فيما جاءهم به من عند ربهم، فلو أنّ لهم ما في الأرض جميعا من شيء ومثله معه ملكا لهم، ثم مثل ذلك وقبِل ذلك منهم بدلا من العذاب الذي أعدّه الله لهم في نار جهنم، وعوضا لافتدوا به أنفسهم منه، يقول الله (أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الحِسابِ) يقول: هؤلاء الذين لم يستجيبوا لله لهم سوء الحساب: يقول: لهم عند الله أن يأخذهم بذنوبهم كلها، فلا يغفر لهم منها شيئا، ولكن يعذّبهم على جميعها.

كما حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا يونس بن محمد، قال: ثنا عون، عن فَرْقدٍ السَّبَخِيّ، قال: قال لنا شهر بن حَوْشب (سُوءُ الحِسابِ) أن لا يتجاوز لهم عن شيء.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثني الحجاج بن أبي عثمان، قال: ثني فَرْقَدٌ السَّبَخِيّ، قال: قال إبراهيم النخعيّ: يافرقد أتدري ما سوء الحساب؟ قلت: لا، قال: هو أن يحاسَب الرجل بذنبه كله لا يُغفر له منه شيء.

وقوله (وَمَأْواهُمْ جَهَنَّمُ) يقول: ومسكنهم الذي يسكنونه يوم القيامة جهنم (وَبِئْسَ المِهادُ) يقول: وبئس الفِراش والوِطاء جهنم، التي هي مأواهم يوم القيامة.

(١) هذا القول للفراء في معاني القرآن (الصفحة ١٥٩). وفي (اللسان: جفأ).

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ ﴾

* يقول تعالى ذكره : أهذا الذى يعلم أن الذى أنزله الله عليك يامحمد حقّ ، فيؤمن به ، ويصدّق ويعمل بما فيه ، كالذى هو أعمى ، فلا يعرف مَوْقع حجة الله عليه به ، ولا يعلم ما ألزمه الله من فرائضه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة فى قوله (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ) قال : هؤلاء قوم انتفعوا بما سمعوا من كتاب الله وعقلوه ووَعَوه ، قال الله (كَمَنْ هُوَ أَعْمَى) قال : عن الخير فلا يبصره . وقوله (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ) يقول : إنما يتعظ بآيات الله ، ويعتبر بها ذووالعقول ، وهى الألباب ، واحدها : لُبّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾

* يقول تعالى ذكره : إنما يتعظ ويعتبر بآيات الله أولوالألباب الذين يوفون بوصية الله التى أوصاهم ، (ولا ينقضُونَ الميثاقَ) ولا يخالفون العهد الذى عاهدوا الله عليه إلى خلافه ، فيعملوا بغير ما أمرهم به ، ويخالفوا إلى ما نُهِى عنه .

وقد بيّنّا معنى العهد والميثاق فيما مضى بشواهده ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، قال (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ) فبين من هم ، فقال (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنْقُضُونَ المِيثاقَ) فعليكم بوفاء العهد ، ولا تنقضوا هذا الميثاق ، فإن الله تعالى قد نَهى وقدّم فيه أشدّ التقدمة ، فذكره فى بضع وعشرين موضعا ، نصيحة لكم ، وتقدمة إليكم ، وحُجّة عليكم ، وإنما يعظم الأمر بما عظّمه الله به عند أهل الفهم والعقل ، فعظّموا ما عظم الله . قال قتادة : وذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى خطبته : « لاإيمَانَ لِمَنْ لاأمانَةَ لَهُ ، وَلا دِينَ لِمَنْ لاعَهْدَ لَهُ » .

وقوله (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) يقول تعالى ذكره : والذين يصلون الرحم التى أمرهم الله بوصلها ، فلا يقطعونها (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) يقول : ويخافون الله فى قطعها أن يقطعوها ، فيعاقبهم على قطعها ، وعلى خلافهم أمره فيها. وقوله (وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ) يقول : ويحذرون مناقشة الله إياهم فى الحساب ، ثم لا يصفح لهم عن ذنب ، فهم لرهبتهم ذلك جادّون فى طاعته ، محافظون على حدوده .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء[1] ، فى قوله (الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ) قال : المناقشة بالأعمال .

قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، عن فرقد ، عن إبراهيم ، قال : سوء الحساب أن يحاسب . من لا يغفر له

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ) قال : فقال : وما سوء الحساب ؟ قال : الذى لا جواز فيه .

حدثنى ابن سنان القزّاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن الحجاج ، عن فرقد ، قال : قال لى إبراهيم : تدرى ما سوء الحساب ؟ قلت : لا أدرى ، قال : يحاسب العبد بذنبه كله لا يغفر له منه شىء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ صَبَرُوا) على الوفاء بعهد الله ، وترك نقض الميثاق ، وصلة الرحم (ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ) ويعنى بقوله « ابتغاء وجه ربهم » طلب تعظيم الله ، وتنزيها له أن يخالف فى أمره ، أو يأتى أمرا كره إتيانه فيعصيه به (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) يقول : وأدّوا الصلاة المفروضة بحدودها فى أوقاتها (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) يقول : وأدّوا من أموالهم زكاتها المفروضة ، وأنفقوا منها فى السبل التى أمرهم الله بالنفقة فيها ، سرّا فى خفاء ، وعلانية فى الظاهر .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) يعنى الصلوات الخمس (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) يقول الزكاة.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد الصبر : الإقامة ، قال : وقال الصبر فى هاتين ، فصبر لله على ما أحبّ وإن ثقل على الأنفس والأبدان ، وصبر عما يكره وإن نازعت إليه الأهواء ، فمن كان هكذا فهو من الصابرين وقرأ (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ).

وقوله (وَيَدْرَءُونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) يقول : ويدفعون إساءة من أساء إليهم من الناس ، بالإحسان إليهم .

(١) فى الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير (ج ١٣ ص ١٥٤ ظ) أبي الحفنا ، وهو تحريف من الناسخ ، لأن عمرو بن مالك النكرى ، بضم النون أبو يحيى البصرى ، يروى عن أبي الجوزاء ، لا أبى الحفنا ، كما فى خلاصة الخزرجى .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) قال : يدفعون الشرّ بالخير ، لايكافئون الشرّ بالشرّ ، ولكن يدفعونه بالخير .

وقوله (أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا صفتهم هم الذين لهم عُقبى الدار ، يقول : هم الذين أعقبهم الله دار الجنان ، من دارهم التى لو لم يكونوا مؤمنين كانت لهم فى النار ، فأعقبهم الله من تلك هذه . وقد قيل : معنى ذلك : أولئك الذين لهم عَقيب طاعتهم ربهم فى الدنيا دار الجنان .

القول فى تأويل قوله تعالى :

جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى : (جَنَّاتُ عَدْنٍ) ترجمة عن عقبى الدار ، كما يقال : نعم الرجل عبد الله ، فعبد الله هو الرجل المقول له : نعم الرجل ، وتأويل الكلام : أولئك لهم عقيب طاعتهم ربهم الدار التى هى جنات عدن .

وقد بيّنا معنى قوله : عدن ، وأنه بمعنى الإقامة التى لاظَعْن معها .

وقوله (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) يقول تعالى ذكره : جنات عدن يدخلها هؤلاء الذين وَصَفْتُ صفتهم ، وهم الذين يوفون بعهد الله ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة ، وفعلوا الأفعال التى ذكرها جلّ ثناؤه فى هذه الآيات الثلاث (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ) وَهِيَ نِسَاؤُهُمْ وأهلوهم وذريّاتهم ، وصلاحهم إيمانهم بالله واتباعهم أمره ، وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ) قال : من آمن فى الدنيا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدالله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ) قال : من آمن من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم .

وقوله (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) يقول تعالى ذكره : وتدخل الملائكة على هؤلاء الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم فى هذه الآيات الثلاث فى جنات عَدْنٍ ، من كل باب منها ، يقولون لهم : (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) على طاعة ربكم فى الدنيا (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) وذكر أن لجنات عدن خمسة آلاف باب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا علىّ بن جرير ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن

عطاء ، عن نافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن فى الجنة قصرا يقال له عدن ، حوله البروج والمروج ، فيه خمسة آلاف باب ، على كلّ باب خمسة آلاف حبرة ، لايدخله إلا نبيّ أو صدّيق أوشهيد .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَغْراء، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (جَنَّاتُ عَدْنٍ) قال : مدينة الجنة ، فيها الرسل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعدد الجنات حولها . وحذف من قوله (وَالمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ) يقولون اكتفاء بدلالة الكلام عليه ، كما حذف ذلك من قوله (وَلَوْ تَرَى إذِ المُجْرِمُونَ ناكِسُورُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أبْصَرْنا) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك، عن بقية بن الوليد، قال : ثنى أرطاة ابن المنذر، قال : سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج ، يقول : جلست إلى أبي أُمامة فقال : « إن المؤمن ليكون متكئا على أريكته إذا دخل الجنة ، وعنده سماطان من خدم، وعند طرف السماطين سور ، فيُقبِل المَلَك يستأذن، فيقول للذى يليه : ملك يستأذن، ويقول الذى يليه : ملك يستأذن ، ويقول الذى يليه للذى يليه ملك يستأذن ، حتى يبلغ المؤمن فيقول : ائذنوا ، فيقول : أقربهم إلى المؤمن ائذنوا ، ويقول الذى يليه للذى يليه ائذنوا ، فكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذى عند الباب ، فيفتح له ، فيدخل فيسلم ثم ينصرف » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن إبراهيم بن محمد ، عن سهل بن أبي صالح ، عن محمد بن إبراهيم ، قال : «كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يأتى قبور الشهداء على رأس كلّ حول فيقول : السَّلامُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ، وأبو بكر وعمر وعثمان» .

وأما قوله (سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) فإن أهل التأويل قالوا فى ذلك ، نحو قولنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزّاق، عن جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجَوْنىّ أنه تلا هذه الآية (سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) قال : على دينكم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) قال : حين صبروا لله بما يحبه الله فقدّموه، وقرأ (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) حتى بلغ (وَكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) وصبروا عما كره الله وحرّم عليهم ، وصبروا على ماثقل عليهم وأحبه الله ، فسلم عليهم بذلك ، وقرأ (وَالمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ . سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) .

وأما قوله (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) فإن معناه : إن شاء الله كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال ثنا عبد الرزاق، عن جعفر ، عن أبي عمران الجوْنى فى قولهم(فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) قال : الجنة من[1] النار.

(١) من هنا : للبدل ، أى الجنة بدل النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : (وَ)أما (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ)، ونقضهم ذلك : خلافهم أمر الله، وعملهم بمعصيته (مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ) يقول: من بعد ما وثقوا على أنفسهم لله أن يعملوا بما عهد إليهم (وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) يقول: ويقطعون الرحم التى أمرهم الله بوصلها (وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ) فسادهم فيها : عملهم بمعاصى الله (أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ) يقول: فهؤلاء لهم اللعنة ، وهى البُعد من رحمته ، والإقصاء من جنانه (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) يقول : ولهم ما يسوءهم فى الدار الآخرة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال أكبر الكبائر : الإشراك بالله ، لأن الله يقول(وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ)، ونقض العهد، وقطيعة الرحم، لأن الله تعالى يقول(أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) يعنى : سوء العاقبة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال: قال ابن جريج ، فى قوله(وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) قال : بلغنا أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال: « إِذَا لَمْ تَمْشِ إِلى ذِى رَحِمِكَ بِرِجْلِكَ وَلَمْ تُعْطِهِ مِنْ مالِكَ فَقَدْ قَطَعْتَهُ » .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، عن مصعب ابن سعد ، قال : سألت أبى عن هذه الآية (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) أهم الحرورية؟ قال : لا ، ولكن الحرورية(الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ ما أمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ، أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ، وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) فكان سعد يسميهم الفاسقين .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، قال : سمعت مصعب بن سعد ، قال : كنت أمسك على سعد المصحف ، فأتى على هذه الآية ، ثم ذكر نحو حديث محمد بن جعفر .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : الله يوسع على من يشاء من خلقه فى رزقه ، فيبسط له منه ، لأن منهم من لا يصلحه

إلا ذلك (وَيَقْدِرُ) يقول : ويقتر على من يشاء منهم فى رزقه وعيشه ، فيضيقه عليه ، لأنه لايصلحه إلا الإقتار (وَفَرِحُوا بالحَيَاةِ الدُّنْيا) يقول تعالى ذكره: وفرح هؤلاء الذين بسط لهم فى الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ، ومعصيتهم إياه بما بسط لهم فيها ، وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته ، والإيمان به فى الآخرة من الكرامة والنعيم ، ثم أخبر جلّ ثناؤه عن قدر ذلك فى الدنيا فيما لأهل الإيمان به عنده فى الآخرة وأعلم عباده قلته ، فقال(وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيا فِى الآخِرَةِ إلاَّ مَتَاعٌ) يقول : وما جميع ما أعطى هؤلاء فى الدنيا من السعة ، وبسط لهم فيها من الرزق ورغد العيش فيما عند الله لأهل طاعته فى الآخرة إلا متاع قليل ، وشىء حقير ذاهب .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلاَّ مَتَاعٌ) قال : قليل ذاهب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد . قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيا فِى الآخِرَةِ إلاَّ مَتَاعٌ) قال : قليل ذاهب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأخنس ، عن عبد الرحمن بن سابط فى قوله (وَفَرِحُوا بالحَيَاةِ الدُّنْيا ، وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيا فِى الآخِرَةِ إلاَّ مَتَاعٌ) قال : كزاد الراعى يزوّده أهله الكفّ من التمر ، أو الشىء من الدقيق ، أو الشىء يشرب عليه اللبن .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾

۞ يقول تعالى ذكره : ويقول لك يامحمد مشركو قومك : هلا أنزل عليك آية من ربك ، إما ملَك يكون معك نذيرا ، أو يلقى إليك كنز ، فقل: إن الله يضلّ منكم من يشاء أيها القوم فيخذله عن تصديقى ، والإيمان بما جئته به من عند ربى ، ويهدى إليه من أناب ، فرجع إلى التوبة من كفره ، والإيمان به ، فيوفقه لاتباعى وتصديقى به على ماجئته به من عند ربه ، وليس ضلال من يضلّ منكم بأن لم ينزل على آية من ربى ولا هداية من يهتدى منكم بأنها أنزلت علىّ ، وإنما ذلك بيد الله ، يوفّق من يشاء منكم للإيمان ، ويخذل من يشاء منكم فلا يؤمن . وقد بيّنت معنى الإنابة فى غير موضع من كتابنا هذا بشواهده بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَهْدِى إلَيْهِ مَنْ أنابَ) : أى من تاب وأقبل .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : (وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ) بالتوبة الذين آمنوا ، والذين آمنوا فى موضع نصب ردّ على مَن ، لأن الذين آمنوا هم من أناب ، ترجم بها عنها .

وقوله (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ) يقول : وتسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ) يقول : سكنت إلى ذكر الله ، واستأنست به .

وقوله (أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ) يقول : ألا بذكر الله تسكن وتستأنس قلوب المؤمنين .

وقيل : إنه عنى بذلك قلوب المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ) لمحمد وأصحابه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنا المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ) قال : لمحمد وأصحابه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أحمد بن يونس قال : ثنا سفيان بن عيينة فى قوله (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ) قال : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) الصالحات من الأعمال ، وذلك العمل بما أمرهم ربهم ، (طُوبَى لَهُمْ) وطُوبَى فى موضع رفع بلهمْ . وكان بعض أهل البصرة والكوفة يقول ذلك رفع ، كما يقال فى الكلام : وَيْلٌ لعمرو ، وإنما أوثر الرفع فى طُوبَى لحسن الإضافة فيه بغير لام ، وذلك أنه يقال فيه طوباك ، كما يقال : ويلك وويبك ، ولولا حسن الإضافة فيه بغير لام لكان النصب فيه أحسن وأفصح ، كما النصب فى قولهم : تَعْسًا لزيد وبُعدا له وسحقا أحسن ، إذ كانت الإضافة فيها بغير لام لاتحسن .

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (طُوبَى لَهُمْ) فقال بعضهم : معناه : نِعْمَ ما لَهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني جعفر بن محمد البروريّ[1] من أهل الكوفة ، قال : ثنا أبو زكريا الكلبيّ ، عن عمرو بن نافع ، قال : سئل عكرمة ، عن طوبى لهم ، قال : نِعْمَ مالَهم .

---

(١) لم أعثر على هذا الراوى ولا نسبته فى تهذيب التهذيب ولا فى الأنساب للسمعانى ، ولعل فى لفظ النسبة تحريفا .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا عمرو بن نافع ، عن عكرمة، فى قوله (طُوبَى لَهُمْ) قال : نِعمْ ما لهم .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنى عمرو بن نافع ، قال : سمعت عكرمة ، فى قوله (طُوبَى لَهُمْ) قال : نِعمْ ما لهم .

وقال آخرون : معناه : غِبْطةٌ لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوهشام ، قال : ثنا أبوخالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك (طُوبَى لَهُمْ) قال : غِبْطة لهم.

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَغْراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، مثله .

وقال آخرون : معناه : فَرَح وقرّة عين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود المثنى بن إبراهيم ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس، قوله (طُوبَى لَهُمْ) يقول : فَرَح وقرّة عين .

وقال آخرون : معناه : حُسْنَى لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (طُوبَى لَهُمْ) يقول : حُسْنَى لهم ، وهى كلمة من كلام العرب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (طُوبَى لَهُمْ) هذه كلمة عربية ، يقول الرجل : طُوبَى لك : أى أصبتَ خيرا .

وقال آخرون : معناه : خير لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوهشام ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : خير لهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، فى قوله (طُوبَى لَهُمْ) قال : الخير والكرامة التى أعطاهم الله .

وقال آخرون (طُوبَى لَهُمْ) اسم من أسماء الجنة ، ومعنى الكلام : الجنة لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (طُوبَى لَهُمْ) قال : اسم الجنة بالحبشية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن مشجوع فى قوله (طُوبَى لَهُمْ) قال طوبى : اسم الجنة بالهندية .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا داود بن مهران ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبى المُغيرة ، عن سعيد بن مشجوع ، قال : اسم الجنة بالهندية : طُوبَى .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن عكرمة (طُوبَى لَهُمْ) قال : الجنة .

قال : ثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (طُوبَى لَهُمْ) قال : الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) قال : لما خلق الله الجنة ، وفرغ منها قال (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) وذلك حين أعجبته .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد (طُوبَى لَهُمْ) قال الجنة .

وقال آخرون : (طُوبَى لَهُمْ) : شجرة فى الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا قرة بن خالد ، عن موسى بن سالم ، قال : قال ابن عباس (طُوبَى لَهُمْ) : شجرة فى الجنة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأشعث بن عبد الله ، عن شَهْر بن حَوْشب ، عن أبى هريرة (طُوبَى لَهُمْ) : شجرة فى الجنة يقول لها : تفتقى لعبدى عما شاء ، فتتفتق له عن الخيل بسروجها ولُجُمها ، وعن الإبل بأزمّتها ، وعما شاء من الكسوة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن شهر بن حوشب ، قال : طوبى : شجرة فى الجنة ، كلّ شجر الجنة منها ، أغصانها من وراء سُور الجنة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الأشعث ، بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن أبى هريرة قال : فى الجنة شجرة يقال لها طُوبَى ، يقول الله لها : تفتقى ، فذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن ابن ثور .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الجبار ، قال : ثنا مروان ، قال : أخبرنا العلاء ، عن شمّر بن عطية ، فى قوله (طُوبَى لَهُمْ) قال : هى شجرة فى الجنة يقال لها طوبى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن منصور ، عن حسان أبى الأشرس ، عن مُغيث بن سُمَىّ ، قال : طُوبَى : شجرة فى الجنة ، ليس فى الجنة دار إلا فيها غصن

منها ، فيجيء الطائر فيقع فيدعوه ، فيأكل من أحد جنبيه قَدِيدا ، ومن الآخر شِواء ، ثم يقول : طِرْ فيطير .

قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن بعض أهل الشام ، قال : إن ربك أخذ لؤلؤة فوضعها على راحتيه ، ثم دَمْلجها بين كفَّيه ، ثم غرسها وسط أهل الجنة ، ثم قال لها : امتدّى حتى تبلغى مرضاتى ، ففعلت ، فلما استوت تفجَّرت من أصولها أنهار الجنة ، وهى طُوبَى .

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم الصنعانى ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهبا يقول : إن فى الجنة شجرة يقال لها : طُوبَى ، يسير الراكب فى ظلها مئة عام لا يقطعها ؛ زهرها رياط ، وورقها برود ، وقضبانها عنبر ، وبطحاؤها ياقوت ، وترابها كافور ، ووحلها مسك ، يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل ، وهى مجلس لأهل الجنة . فبينا هم فى مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم ، يقودون نُجُبا مزمومة بسلاسل من ذهب ، وجوهها كالمصابيح من حسنها ، وبرها كخزّ المرعزّى من لينه ، عليها رحال ألواحها من ياقوت ، ودفوفها من ذهب ، وثيابها من سندس وإستبرق ، فينيخونها ويقولون : إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلموا عليه ، قال : فيركبونها ، قال : فهى أسرع من الطائر ، وأوطأ من الفِراش نُجُبا من غير مَهْنة ، يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه ، لا تصيب أذن راحلة منها أذن صاحبتها ، ولا بَرْك راحلة بَرْك صاحبتها ، حتى أن الشجرة لتتنحَّى عن طرقهم لئلا تفرّق بين الرجل وأخيه ، قال : فيأتون إلى الرحمن الرحيم ، فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه ، فإذا رأوه قالوا : اللهمّ أنت السلام ومنك السلام ، وحقّ لك الجلال والإكرام ، قال : فيقول تبارك وتعالى عند ذلك : أنا السلام ، ومنى السلام ، وعليكم حقَّت رحمتى ومحبتى ، مرحبا بعبادى الذين خَشُونى بغيب وأطاعوا أمرى ، قال : فيقولون : ربنا إنا لم نعبدك حقّ عبادتك ، ولم نقدّرك حقّ قدرك ، فأذن لنا بالسجود قدامك ، قال : فيقول الله : إنها ليست بدار نصَب ولا عبادة ، ولكنها دار مُلْك ونعيم ، وإنى قد رفَعت عنكم نَصَب العبادة ، فسلونى ما شئتم ، فإن لكلّ رجل منكم أمنيته ، فيسألونه حتى إن أقصرهم أمنية ليقول : ربّ تنافس أهل الدنيا فى دنياهم فتضايقوا فيها ، ربّ فآتنى كلّ شىء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا ، فيقول الله : لقد قَصَّرت بك اليوم أمنيتك ، ولقد سألت دون منزلتك ، هذا لك منى ، وسأتحفك بمنزلتى ، لأنه ليس فى عطائى نَكَد ولا تَصْريد ، قال : ثم يقول : اعرضوا على عبادى ما لم تبلغ أمانيُّهم ، ولم يخطر لهم على بال ، قال : فيَعرضون عليهم حتى يقضوهم أمانيهم التى فى أنفسهم ، فيكون فيما يعرضون عليهم براذينُ مقرنة ، على كلّ أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة ، على كلّ سرير منها قُبة من ذهب ، مُفْرَغة ، فى كل قبة منها فرش من فُرُش الجنة مظاهرة ، فى كل قبة منها جاريتان من الحور العين ، على كلّ جارية منهنّ ثوبان من ثياب الجنة ، ليس فى الجنة لون إلا وهو فيهما ، ولا ريح طيبة إلا قد عَبِقتا به ، ينفُذ ضوء وجوههما غِلَظَ القبة ، حتى يظن من يراهما أنهما من دون القبة ، يرى مخهما من فوق سُوقهما كالسلك الأبيض من ياقوتة حمراء ، يريان له من الفضل على صحابته كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل ، ويرى هو لهما مثل ذلك ، ثم يدخل إليهما فيحييانه ويقبلانه ويعانقانه ، ويقولان له :

والله ماظننا أن الله يخلق مثلك، ثم يأمر الله الملائكة فيسيرون بهم صفا فى الجنة حتى ينتهى كلّ رجل منهم إلى منزلته التى أُعدّت له .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا على بن جرير ، عن حماد ، قال : شجرة فى الجنة فى دار كل مؤمن غصن منها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن حسّان بن أبى الأشرس ، عن مُغيث بن سُمَيّ : قال : طوبى : شجرة فى الجنة لو أن رجلا ركب قلوصا جذعا أو جذعة ، ثم دار بها لم يبلغ المكان الذى ارتحل منه حتى يموت هرما ، وما من أهل الجنة منزل إلا فيه غصن من أغصان تلك الشجرة متدلّ عليهم ، فإذا أرادوا أن يأكلوا من الثمرة تدلى إليهم فيأكلون منه ما شاءوا ، ويجىء الطير فيأكلون منه قديدا وشواء ماشاءوا ، ثم يطير .

وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بنحو ماقال ، من قال هى شجرة .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى سليمان بن داود القُومسى ، قال : ثنا أبوتوبة الربيع بن نافع ، قال : ثنا معاوية بن سلام ، عن زيد ، أنه سمع أبا سلام ، قال : ثنا عامر بن زيد البكالى ، أنه سمع عتبة بن عبد السلام يقول : « جاء أعرابىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إن فى الجنة فاكهة ؟ قال : نَعَمْ ، فِيها شَجَرَةٌ تُدْعَى طُوبَى ، هِيَ تُطابِقُ الفِرْدَوْسَ ، قال : أىّ شجر أرضنا تُشْبه ؟ قال : لَيْسَتْ تُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ ، وَلَكِنْ أَتَيْتَ الشَّامَ ؟ فقال : لا يا رسول الله ، فقال : فإنَّها تُشْبِهُ شَجَرَةً تُدْعَى الجَوْزَةَ ، تَنْبُتُ على ساقٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَنْتَشِرُ أعْلاها ، قال : ما عظم أصلها ؟ قال : لَوِ ارْتَحَلَتْ جَذَعَةٌ مِنْ إبِلِ أهْلِكَ ما أحاطَتْ بأصلها حتى تَنْكَسِرَ تَرْقُوَتاها هَرَمًا » .

حدثنا الحسن بن شبيب ، قال : ثنا محمد بن زياد الجريرى ، عن فرات بن أبى الفرات ، عن معاوية ابن قُرة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « (طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) : شَجَرَةٌ غَرَسَها اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيها مِنْ رُوحِهِ بالحُلِيِّ والحُلَلِ ، وَإنَّ أغْصانَها لَتُرَى مِنْ وَرَاءِ سُورِ الجَنَّةِ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، أن دراجا حدثه أن أبا الهيثم حدثه ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن رجلا قال له : يا رسول الله ما طوبى؟ قال : شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِئَةِ سَنَةٍ ، ثِيابُ أَهْلِ الجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمامِها »

❊ فعلى هذا التأويل الذى ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرواية به ، يجب أن يكون القول فى رفع قوله (طُوبَى لَهُمْ) خلاف القول الذى حكيناه عن أهل العربية فيه ، وذلك أن الخبر عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم، أن طُوبى اسم شجرة فى الجنة ، فإذا كان كذلك فهو اسم لمعرفة كزيد وعمرو. وإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن فى قوله (وَحُسْنُ مَآبٍ) إلا الرفع عطفا به على طوبى .

وأما قوله (وَحُسْنُ مَآبٍ) فإنه يقول : وحُسن منقلب .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك : (وَحُسْنُ مَآبٍ) قال : حسن منقلب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ ٣٠

يقول تعالى ذكره : هكذا أرسلناك يا محمد فى جماعة من الناس ، يعنى إلى جماعة قد خلت من قبلها جماعات على مثل الذى هم عليه ، فمضت (لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ) يقول : لتبلغهم ما أرسلتك به إليهم من وحيي الذى أوحيته إليك (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بالرَّحْمَنِ) يقول : وهم يجحدون وحدانية الله ، ويكذّبون بها (قُلْ هُوَ رَبّى) يقول : إن كفر هؤلاء الذين أرسلتك إليهم يا محمد بالرحمن ، فقل : أنت الله ربى (لاإِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتابِ) يقول : وإليه مرجعى وأوبتى ، وهو مصدر من قول القائل : تبت متابا وتوبة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بالرَّحْمَنِ) ذكر لنا « أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية حين صالح قريشا ، كتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، فقال مشركو قريش : لئن كنتَ رسول الله ثم قاتلناك لقد ظلمناك ، ولكن اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعنا يا رسول الله نقاتلهم ، فقال : لا ، ولكنْ اكْتُبُوا كما يُرِيدُونَ إنى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، فلما كتب الكاتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قالت قريش : أما الرحمن فلا نعرفه ، وكان أهل الجاهلية يكتبون : باسمك اللهمّ ، فقال أصحابه : يا رسول الله دعنا نقاتلهم ، قال : لا ولكنْ اكْتُبُوا كَما يُرِيدُونَ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قوله (كذلكَ أَرْسَلْناكَ فِى أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ) . . . الآية ، قال : هذا لما كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فى الحديبية كتبَ : بسم الله الرحمن الرحيم ، قالوا : لاتكتب الرحمن ، وما ندرى ما الرحمن ، ولا نكتب إلا : باسمك اللهم ، قال الله (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بالرَّحْمَنِ ، قُلْ هُوَ رَبّى لاإِلَهَ إِلاَّ هُوَ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾

اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وهم يكفرون بالرحمن (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجبالُ) : أى يكفرون بالله ، ولو سير لهم الجبال بهذا القرآن ، وقالوا : هو من المؤخر الذى معناه التقديم ، وجعلوا جواب لو مقدّماً قبلها ، وذلك أن الكلام على معنى قيلهم : ولو أن هذا القرآن سيرت به الجبال ، أو قُطِّعت به الأرض ، لكفروا بالرحمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنا سُيِّرَتْ بِهِ الجبالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى) قال : هم المشركون من قريش ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم « لو وسعت لنا أودية مكة ، وسيرت جبالها ، فاحترثناها ، وأحييت من مات منا ، أوقطِّع به الأرض ، أو كلم به الموتى ، فقال الله تعالى (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنا سُيِّرَتْ بِهِ الجبالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى ، بَلْ لِلهِ الأَمْرُ جَمِيعا) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى) قول كفار قريش لمحمد : سيرجبالنا تتسع لنا أرضنا فإنها ضيقة ، أو قرّب لنا الشأم فإنا نتجر إليها ، أوأخرج لنا آباءنا من القبور نكلمهم ، فقال الله تعالى (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

قال ابن جريج : وقال عبد الله بن كثير ، قالوا : لوفسحت عنا الجبال ، أو أجريت لنا الأنهار ، أو كلمت به الموتى ، فنزل ذلك . قال ابن جريج ، وقال ابن عباس : قالوا : سير بالقرآن الجبال ، قطع بالقرآن الأرض ، أخرج به موتانا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن كثير ، : قالوا : لو فسحت عنا الجبال أو أجريت لنا الأنهار ، أوكلمت به الموتى ، فنزل (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا) .

وقال آخرون : بل معناه (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ) كلام مبتدأ منقطع ، عن قوله

(وَهُمْ يَكْفُرُونَ بالرَّحْمَنِ) قال : وجواب لو محذوف استغنى بمعرفة السامعين المرادَ من الكلام عن ذكر جوابها ، قالوا : والعرب تفعل ذلك كثيرا ، ومنه قول امرئ القيس :

فَلَوْ أَنَّها نَفْسٌ تَمُوتُ سَرِيحَةً ولكِنَّها نَفْسٌ تَقَطَّعُ أَنْفُسَا[1]

وهو آخر بيت فى القصيدة[2] ، فترك الجواب اكتفاء بمعرفة سامعه مراده ، وكما قال الآخر :

فَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أتانا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعا[3]

ذكر من قال نحو معنى ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرآنا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى) ذكر لنا أن قريشا قالوا : إن سرّك يامحمد اتباعك ، أو أن نتبعك ، فسير لنا جبال تهامة ، أو زد لنا فى حرمنا ، حتى نتخذ قطائع نخترف فيها ، أو أحى لنا فلانا وفلانا، ناسا ماتوا فى الجاهلية ، فأنزل الله تعالى (وَلَوْ أَنَّ قُرآنا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى) يقول : لوفعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أن كفَّار قريش قالوا للنبىّ صلى الله عليه وسلم أذهب عنا جبال تهامة ، حتى نتخذها زرعا فتكون لنا أرضين ، أو أحى لنا فلانا وفلانا يخبروننا حقّ ما تقول، فقال الله (وَلَوْ أَنَّ قُرآنا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى بَلْ لِلهِ الأمْرُ جَميعا) يقول : لو كان فعل ذلك بشىء من الكتب فيما مضى كان ذلك .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرآنا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ) الآية . . . قال : قال كفار قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم : سير لنا الجبال كما سُخرت لداود ، أو قطِّع لنا الأرض كما قطِّعت لسليمان ، فاغتدى

(١) البيت لامرئ القيس فى ديوانه (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ٨٦) وفيه جميعة : فى موضع سريحة . والسريحة : السهلة كما فى اللسان والسريعة . وقال شارحه : جميعة : قال فى اللسان إنما أراد جميعا . فبالغ بإلحاق الهاء . وحذف الجواب للعلم به ، كأنه قال : لفنيت واسترحت . ويجوز أن تكون « لو » هنا للتمنى ، فلا تحتاج إلى جواب . ويروى : سوية ، بدل جميعة . يقول : لو أنى أموت بدفعة لاسترحت ،ولكن نفسى لما بها من المرض تقلع شيئا فشيئا . وفىالديوان أيضا : تساقط أى تتساقط ، فى موضع : تقطع .

(٢) ليس البيت آخر بيت فى القصيدة ، ولكن بعده ثلاثة أبيات . (انظر مختار الشعر) .

(٣) البيت لامرئ القيس (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٤ : ٢٢٧) شاهد على أن الجواب فيه محذوف ، وهو جواب القسم ، لاجواب لو ، عملا بمقتضى الضابط فى اجتماع قسم وشرط . وتقدير الجواب كما ذكره الفراء وغيره : لو أتانا رسول سواك لدفعناه ، بدليل قوله « مدفعا » . وفيه أن الجواب مذكور فى البيت الذى بعده ، وهو : « إذن لرددناه ولو طال مكثه » وعلى هذا يكون قوله : « ولكن لم نجد لك مدفعا » جملة اعتراضية . وعذرهم فى تقدير الجواب ، أن هذا البيت ساقط فى أكثر الروايات ، وقد ذكره الزجاجى فى أماليه الصغرى والكبرى ، فى جملة أبيات ثمانية رواها عن المبرد من قصيدة لامرئ القيس ، ورواية البيت الخامس فيها :

وَجَدِّكَ لَوْ شَيْءٌ أتانا رَسُولُهُ سِوَاكَ ولكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعا

بها شهرا وراح بها شهرا ، أو كلم لنا الموتى كما كان عيسى يكلمهم ، يقول : لم أُنزل بهذا كتابا ، ولكن كان شيئا أعطيته أنبيائى ورسلى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ) . . . الآية . قال : قالوا للنبىّ صلى الله عليه وسلم : إن كنت صادقا فسير عنا هذه الجبال ، واجعلها حروثا كهيئة أرض الشام ومصر والبُلْدان ، أو ابعث موتانا فأخبرهم ، فإنهم قد ماتوا على الذى نحن عليه ، فقال الله تعالى (وَلَوْ أَنَّ قُرآنا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى) : لم يصنع ذلك بقرآن قطّ ولا كتاب ، فيصنع ذلك بهذا القرآن .

● **القول فى تأويل قوله تعالى** : ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾ :

اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى قوله (أَفَلَمْ يَيْأَسِ) فكان بعض أهل البصرة يزعم أن معناه : ألم يعلم ويتبيّن ويستشهد لقيله ذلك ببيت سحيم بن وَثيل الرياحىّ :

أَقُولُ لَهُمْ بالشِّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِى　　　أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّى ابنُ فارِسِ زَهْدَمِ[1]

ويُروى : ييسروننى ، فمن رواه : ييسروننى فإنه أراد : يقسموننى من الميسر ، كما يقسم الجزور . ومن رواه : يأسروننى ، فإنه أراد : الأسر . وقال : عنى بقوله : ألم تيأسوا : ألم تعلموا . وأنشدوا أيضا فى ذلك :

أَلَمْ يَيْأَسِ الأَقْوامُ أَنِّى أنا ابْنُهُ　　　وإنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ العَشِيرَةِ نائِيا[2]

وفسروا قوله : ألم ييأس : ألم يعلم ويتبين . وذُكر عن ابن الكلبىّ أن ذلك لغة لحىّ من النخَع ، يقال لهم :

---

(١) البيت لسحيم بن وثيل الرياحى اليربوعى . وقيل إنه لولده جابر بن سحيم ، بدليل قوله فيه : « إنى ابن فارس زهدم » ، وزهدم : فرس سحيم . قال : يئس ييئس وييأس (بكسر العين فى الماضى ، وبكسرها أو فتحها فى المضارع) : يقول : ألم تعلموا ، وعلى هذا استشهد به المؤلف هنا . وقوله ييسروننى : من أيسار الجزور ، أى يجتزوننى ، ويقتسموننى . ويروى يأسروننى ، كرواية المؤلف ، من الأسر . وأما قوله بيسروننى ، فإنما ذكر ذلك ، لأنه كان قد وقع عليه سباء ، فضربوا عليه بالميسر ، يتحاسبون على قسمة فدائه . وزهدم : فرس . ويروى أنى ابن قاتل زهدم ، وهو رجل من عبس . فعلى هذا يصح أن يكون الشعر لسحيم . قال صاحب اللسان : وقال القاسم بن معن : يئست بمعنى علمت : لغة هوازن . وقال الكلبى : هى لغة وهبيل : حى من النخع ، وهم رهط شريك . وفى الصحاح فى لغة النخع ، وفى التنزيل . أفلم ييأس الذين آمنوا . . . . » أى أفلم يعلم . وقال أهل اللغة : أفلم يعلم الذين آمنوا علما يئسوا معه أن يكون غير ما علموه . وقيل معناه : أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لايؤمنون . قال أبوعبيد : كان ابن عباس يقرأ : أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا . قال ابن عباس : كتب الكاتب : « أفلم ييئس الذين آمنوا » وهو ناعس . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٥٩ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) : قال المفسرون : ييأس : يعلم ، وهو فى المعنى على تفسير هم ، لأن الله قد أوقع إلى المؤمنين أنه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ، فقال : أفلم ييئسوا علما . يقول : يؤيسهم العلم ، فكان فيهم العلم مضمرا ، كما تقول فى الكلام : قد يئست منك ألا تفلح علما ، كأنك قلت : علمته علما . وقال الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال ييئس فى معنى يعلم لغة للنخع . قال : ولم نجدها فى العربية إلا على ما فسرت اه . وقال أبوعبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٣٢) « أفلم ييأس الذين آمنوا » مجازه ألم يعلم ويتبين ؟

(٢) هذا الشاهد فى معنى الشاهد قبله ، على أن « ألم ييأس » : بمعنى ألم يعلم ويتبين . وفى الإتقان (١ : ١٢٢) أن البيت لمالك ابن عوف ، وصدره فيه : « لقد يئس الأقوام أنى أنا ابنه » .

وَهْبيل ، تقول : ألم تيأس ، كذا بمعنى : ألم تعلمه . وذُكر عن القاسم بن معن أنها لغة هوازن ، وأنهم يقولون : يَئِست كذا : علمت .

وأما بعض الكوفيين فكان ينكر ذلك ، ويزعم أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول : يئست بمعنى : علمت ، ويقول هو فى المعنى وإن لم يكن مسموعا : يئست بمعنى : علمت ، يتوجه إلى ذلك أن الله قد أوقع إلى المؤمنين ، أنه لوشاء لهدَى الناس جميعا ، فقال : أفلم ييأسوا علما ، يقول : يؤيسهم العلم ، فكان فيه العلم مضمرا ، كما يقال : قد يئست منك أن لاتفلح علما ، كأنه قيل : علمته علما ، قال : وقول الشاعر :

حتى إذَا يَئِسَ الرُّماةُ وأرْسَلُوا غُضُفا دَوَاجِنَ قافلاً أعْصَامها[1]

معناه : حتى إذا يئسوا من كلّ شيء مما يمكن ، إلا الذى ظهر لهم أرسلوا ، فهو فى معنى : حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذى رأوا وانتهى علمهم ، فكان ماسواه يأسا .

وأما أهل التأويل ، فإنهم تأوّلوا ذلك بمعنى : أفلم يعلم ويتبين .

ذكر من قال ذلك منهم

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى إسحاق الكوفى ، عن مولى يخبر أن عليا رضى الله عنه كان يقول : أفلم يتبين الذين آمنوا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون ، عن حنظلة ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس (أَفَلَمْ يَيْأَسِ) يقول : أفلم يتبين .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير ، بن حازم ، عن الزبير بن الحارث ، أو يعلى بن حكيم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤها (أَفَلَمْ يَتَبَيَّنِ الَّذِينَ آمَنُوا) قال : كتب الكاتب الأخرى وهو ناعس .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال فى القراءة الأولى : زعم ابن كثير وغيره : أفلم يتبين .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا) يقول : ألم يتبين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ ، عن ابن عباس قوله (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا) يقول : يعلم .

---

(١) البيت للبيد فى معلقته (شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ١٣٦) : قال : الغضف من الكلاب : المسترخية الآذان ، والغضف (بالتحريك) : استرخاء الأذن ، يقال : كلب أغضف ، وكلبة غضفاء ، وهو مستعمل فى غير الكلاب استعماله فيها ؛ والدواجن : المعلمات ، والقفول : اليبس . وأعصامها : بطونها ، وقيل بل سواجيرها ، وهى قلائدها من الحديد . يقول : حتى إذا يئس الرماة من البقرة ، وعلموا أن سهامهم لاتنالها ، وأرسلوا كلابا مسترخية الآذان معلمة ، ضوامر البطون ، أو يابسة السواجير اهـ . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٥٩) معناه : حتى إذا يئسوا من كل شى مما يمكن ، إلا الذى ظهر لهم . أرسلوا ، فهو معنى : حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذى رأوا ، أرسلوا . كان ما واه يأسا . اهـ .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا) قال : أفلم يتبين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا) قال : ألم يتبين الذين آمنوا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا) قال : ألم يعلم الذين آمنوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا) قال : ألم يعلم الذين آمنوا .

⁂ والصواب من القول فى ذلك ، ما قاله أهل التأويل : إن تأويل ذلك : أفلم يتبين ويعلم لإجماع أهل التأويل على ذلك ، والأبيات التى أنشدناها فيه .

فتأويل الكلام إذن : ولو أن قرآنا سوى هذا القرآن كان سيرت به الجبال ، لسير بهذا القرآن ، أو قطّعت به الأرض لقطّعت بهذا ، أو كلّم به الموتى لكلّم بهذا ، ولو يفعل بقرآن قبل هذا القرآن لفُعل بهذا (بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعا) يقول : ذلك كله إليه وبيده ، يهدى من يشاء إلى الإيمان فيوفقه له ، ويضلّ من يشاء فيخذله ، أفلم يتبين الذين آمنوا بالله ورسوله ، إذ طمعوا فى إجابتى من سأل نبيهم من تسيير الجبال عنهم ، وتقريب أرض الشام عليهم ، وإحياء موتاهم ، أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا إلى الإيمان به من غير إيجاد آية ، ولا إحداث شىء مما سألوا إحداثه ، يقول تعالى ذكره : فما معنى محبتهم ذلك مع علمهم بأن الهداية والإهلاك إلىّ وبيدى أنزلت آية أو لم أنزلها ؛ أهدى من أشاء بغير إنزال آية ، وأضلّ من أردت مع إنزالها .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ ، حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ المِيعَادَ﴾ :

يقول تعالى ذكره : ولا يزال يا محمد الذين كفروا من قومك تُصيبهم بما صنعوا من كفرهم بالله ، وتكذيبهم إياك ، وإخراجهم لك من بين أظهرهم قارعة ، وهى مايقرعهم من البلاء والعذاب والنقم ، بالقتل أحيانا ، وبالحروب أحيانا ، والقحط أحيانا ، أو تحلّ أنت يا محمد ، يقول : أو تنزل أنت قريبا من دارهم بجيشك وأصحابك حتى يأتى وعد الله الذى وعدك فيهم ، وذلك ظهورك عليهم ، وفتحك أرضهم ، وقهرك إياهم بالسيف (إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ المِيعَادَ) يقول : إن الله منجزك يا محمد ماوعدك من الظهور عليهم ، لأنه لايخلف وعده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو داود ، قال : ثنا المسعودى ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) قال : سرية (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ) قال محمد : حتى يأتى وعد الله ، قال : فتح مكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن المسعودى ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بنحوه ، غير أنه لم يذكر سرية .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا المسعودى ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه تلا هذه الآية (وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) قال : القارعة : السرية (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ) قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم (حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ) قال : فتح مكة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا زهير ، أن خصيفا حدثهم ، عن عكرمة ، فى قوله (وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ) قال : نزلت بالمدينة فى سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو تحلّ أنت يا محمد قريبا من دارهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن النضر بن عربى ، عن عكرمة (وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) قال : سرية (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ) قال : أنت يا محمد .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) يقول : عذاب من السماء ينزل عليهم (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ) يعنى : نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وقتاله إياهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) : تصاب منهم سرية ، أو تصاب منهم مصيبة ، أو يحلّ محمد قريبا من دارهم . وقوله (حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ) قال : الفتح .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عبد الله بن أبى نجيح (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ) يعنى النبىّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحو حديث الحسن ، عن شبابة .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قارعة ، قال : السرايا .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الغفار ، عن منصور ، عن مجاهد ، (قَارِعَةٌ) : مصيبة من

محمد (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبا مِنْ دَارِهِمْ) قال : أنت يا محمد (حتّى يأْتِىَ وَعْدُ اللهِ) قال : الفتح .

قال : ثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد (قارِعَةٌ) قال : كتيبة .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير (تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ) قال : سرية (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبا مِنْ دَارِهِمْ) قال : أنت يا محمد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَايَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ) : أى بأعمالهم أعمال السوء ، وقوله (أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) أنت يا محمد (حتّى يأْتِىَ وَعْدُ اللهِ) ووعد الله : فتح مكة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قارِعَةٌ) قال : وقيعة . (أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) قال : يعنى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، يقول : أو تحلّ أنت قريبا من دارهم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا محمد بن طلحة ، عن طلحة ، عن مجاهد (تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ) قال : سرية .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ) قال : السرايا : كان يبعثهم النبىّ صلى الله عليه وسلم(أَوْ تَحُلُّ قَرِيبا مِنْ دَارِهِمْ) أنت يا محمد (حتّى يأْتِىَ وَعْدُ اللهِ) قال : فتح مكة .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن بعض أصحابه ، عن مجاهد (تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ) قال : كتيبة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قارِعَةٌ) قال : قارعة من العذاب .

وقال آخرون : معنى قوله (أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) تحلّ القارعة قريبا من دارهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : (أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) قال : أو تحلّ القارعة قريبا من دارهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال (أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) قال : أو تحلّ القارعة .

وقال آخرون فى قوله (حتّى يأْتِىَ وَعْدُ اللهِ) هو يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : ثنا إسماعيل بن حكيم ، عن رجل قد سماه عن الحسن ، فى قوله (حتّى يأْتِىَ وَعْدُ اللهِ) قال : يوم القيامة

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يامحمد إن يستهزئ هؤلاء المشركون من قومك ، ويطلبوا منك الآيات تكذيبا منهم ما جئتهم به ، فاصبر على أذاهم لك ، وامض لأمر ربك فى إعذارهم ، والإعذار إليهم ، فلقد استهزأت أمم من قبلك ، قد خلت فمضت برسل ، فأطلت لهم فى المَهَل ، ومددت لهم فى الأجَل ، ثم أحللت بهم عذابى ونقمتى ،حين تمادوا فى غيهم وضلالهم ، فانظر كيف كان عقابى إياهم حين عاقبتهم ، ألم أذقهم أليم العذاب ، وأجعلهم عبرة لأولى الألباب . والإملاء فى كلام العرب : الإطالة ، يقال منه : أمليت لفلان : إذا أطلت له فى المهل ، ومنه المُلاوة من الدهر ، ومنه قولهم : تملَّيت حينا ، ولذلك قيل لليل والنهار : الملوان لطولهما ، كما قال ابن مقبل :

ألا يا دِيارَ الحَيِّ بالسَّبُعانِ ... أَلَحَّ عَلَيْها بالبِلَى المَلَوَانِ[١]

وقيل للخرق الواسع من الأرض : ملا ، كما قال الشاعر :

فاخْضَلَّ منها كُلُّ بالٍ وعَيِّنٍ ... وجَفَّ الرَّوَايا بالمَلا المُتَباطِنِ[٢]

لطول ما بين طرفيه وامتداده .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

❁ يقول تعالى ذكره : : أفالربّ الذى هو دائم لايبيد ولا يهلك قائم بحفظ أرزاق جميع الخلق ، متضمن لها ، عالم بهم وبما يكسبونه من الأعمال ، رقيب عليهم ، لايعزُب عنه شيء أينما كانوا ، كمن هو هالك بائد لايسمع ولا يبصر ولا يفهم شيئا ، ولا يدْفع عن نفسه ، ولا عمن يعبده ضرًا ، ولا يجلب إليهما نفعا ،

(١) البيت لتميم بن مقبل (اللسان : ملا) استشهد به على أن الملوان طرفا النهار . واحدهما : ملا ، مقصور ، يقال : لاأفعله ما اختلف الملوان واستشهد به المؤلف على أن الملوين : الليل والنهار . وفى مجاز القرآن لأبى عبيده (١ : ٣٣٣) ويقال لليل والنهار الملوان لطولهما ، وقال ابن مقبل . . . البيت . ويقال للخرق الواسع من الأرض : ملامقصور ، قال : « ملا لاتخطاه العيون رغيب » .

(٢) البيت للسطرماح بن حكيم (اللسان : عين) قال : وسقاء عين ، وعين (بفتح الياء المشددة وكسرها) والكسر أكثر ، كلاهما إذا سال ماؤه ، عن اللحيانى . وقيل : الجديد ، طائية ، قال الطرماح : فاخضل . . . البيت . واستشهد به المؤلف على أن الخرق الواسع من الأرض : يقال له ملا .

كلاهما سواء ، وحُذف الجواب فى ذلك فلم يقل ،وقد قيل (أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) ككذا وكذا ، اكتفاء بعلم السامع بما ذُكر عما تُرك ذكره ، وذلك أنه لمَّا قال جلّ ثناؤه : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ) عُلم أن معنى الكلام كشركائهم التى اتخذوها آلهة ، كما قال الشاعر :

تَخَيَّرِى خُيِّرْتِ أُمَّ عالِ بينَ قَصِيرٍ شَبْرُهُ تِنْبالِ
أَذاكِ أَمْ مُنْخَرِقُ السِّرْبالِ ولا يَزالُ آخِرَ اللَّيالى
مُتْلِفَ مالٍ ومُفِيدَ مالِ [1]

ولم يقل:وقد قال : «شَبْرُه تنبال» ، وبين كذا وكذا، اكتفاء منه بقول:أَذاكِ أَمْ مُنْخَرِق السِّرْبالِ ، ودلالة الخبر عن المنخرق السربال على مراده فى ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) ذلكم ربكم تبارك وتعالى ، قائم على بنى آدم بأرزاقهم وآجالهم ، وحفظ عليهم والله أعمالهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) [2] .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) يعنى بذلك نفسه ، يقول : هو معكم أينما كنتم ، فلا يعمل عامل إلا وهو حاضر ، ويقال : هم الملائكة الذين وكلوا ببنى آدم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) على رزقهم وعلى طعامهم ، فأنا على ذلك قائم وهم عبيدى ثم جعلوا لى شركاء .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) فهو الله قائم على كل نفس برّ وفاجر ، يرزقهم ويكلؤهم ، ثم يُشرك به منهم من أشرك .

وقوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِى الأَرْضِ ، أَمْ بِظاهِرٍ

---

(١) هذا الرجز : رواه الفراء فى معانى القرآن فى الورقتين (١٥٩ ، ١٦٠) شاهدا عند قوله تعالى : « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » قال : ترك جوابه ، ولم يقل ككذا وكذا ، لأن المعنى معلوم ، وقد بينه ما بعده إذ قال : وجعلوا لله شركاء » ، كأنه فى المعنى قال : شركاء هم الذين اتخذوهم ، ومثله قول الشاعر : تخيرى . . . الخ (الأبيات) كأنه قال : تخيرى بين كذا وبين منخرق السربال . فلما أن أتى به فى الذكر ، كفى من إعادة الإعراب عليه . ومعنى التنبال : القصير . والشبر بالفتح : قياس الشيء بالشبر . والسربال القميص . ومتلف مال : منفقه . ومفيد مال : كاسبه .

(٢) أى إلى آخر ما رواه عنه بشر بن معاذ ، فى الحديث الأول .

مِنَ الْقَوْلِ) يقول تعالى ذكره : أنا القائم بأرزاق هؤلاء المشركين ، والمدبر أمورهم ، والحافظ عليهم أعمالهم ، وجعلوا لى شركاء من خلقى ، يعبدونها دونى ، قل لهم يا محمد : سَمُّوا هؤلاء الذين أشركتموهم فى عبادة الله، فإنهم إن قالوا آلهة ، فقد كذبوا ، لأنه لا إله إلا الواحد القهّار لا شريك له (أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِى الأَرْضِ) يقول : أتخبرونه بأن فى الأرض إلها ، ولا إله غيره فى الأرض ولا فى السماء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَجَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ) ولو سموهم آلهة لكذبوا ، وقالوا فى ذلك غير الحقّ ، لأن الله واحد ليس له شريك ، قال الله (أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِى الأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ القَوْلِ) يقول : لا يعلم الله فى الأرض إلها غيره .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ) والله خلقهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَجَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ) ولو سَمَّوْهم كذبوا ، وقالوا فى ذلك ما لا يعلم الله من إله غير الله ، فذلك قوله (أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِى الأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ القَوْلِ) مسموع ، وهو فى الحقيقة باطل لا صحة له .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل ، غير أنهم قالوا : أم بظاهر ، معناه : أم بباطل ، فأتوا بالمعنى الذى تدلّ عليه الكلمة دون البيان عن حقيقة تأويلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِظَاهِرٍ مِنَ القَوْلِ) بظنّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن قتادة ، قوله (أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ القَوْلِ) والظاهر من القول : هو الباطل .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ القَوْلِ) يقول : أم بباطل من القول وكذب ، ولو قالوا ، قالوا الباطل والكذب .

وقوله (بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ) يقول تعالى ذكره : ما لله من شريك فى السموات ولا فى الأرض ، ولكن زُين للمشركين الذين يدعون من دونه إلها مكرُهم ، وذلك افتراؤهم وكذبهم على الله ، وكان مجاهد يقول : معنى المكر ههنا : القولُ ، كأنه قال : قولهم بالشرك بالله .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ) قال : قولهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

وأما قوله (وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) فإن القرّاء اختلفت فى قراءته ، فقرأته عامّة قرّاء الكوفيين : (وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) بضمّ الصاد ، بمعنى : وصدّهم الله عن سبيله لكفرهم به ، ثم جعلت الصاد مضمومة ، إذ لم يسمّ فاعله . وأما عامّة قرّاء الحجاز والبصرة ، فقرءوه بفتح الصاد ، على معنى أن المشركين هم الذين صدّوا الناس عن سبيل الله .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء ، متقاربتا المعنى ؛ وذلك أن المشركين بالله كانوا مصدودين عن الإيمان به ، وهم مع ذلك كانوا يَصُدّون غيرهم ، كما وصفهم الله به بقوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ)

وقوله (وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) يقول تعالى ذكره : ومن أضله الله عن إصابة الحقّ والهدى بخذلانه إياه ، فما له أحد يَهديه لإصابتهما ، لأن ذلك لاينال إلا بتوفيق الله ومعونته ، وذلك بيد الله وإليه دون كلّ أحد سواه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ ٣٤

يقول تعالى ذكره : لهؤلاء الكفّار الذين وصف صفتهم فى هذه السورة عذاب فى الحياة الدنيا بالقتل والإسار والآفات التى يصيبهم الله بها (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ) يقول : ولتعذيب الله إياهم فى الدار الآخرة أشدّ من تعذيبه إياهم فى الدنيا وأشقّ ، إنما هو أفعل من المشقة . وقوله (وَمَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ) يقول تعالى ذكره : وما لهؤلاء الكفّار من أحد يقيهم من عذاب الله إذا عذّبهم ، لاحميم ولا ولىّ ولا نصير ، لأنه جلّ جلاله لايعاده(١) أحد فيقهره فيخلصه من عذابه بالقهر ، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه وليس يأذن لأحد فى الشفاعة لمن كفر به فمات على كفره قبل التوبة منه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ ٣٥

اختلف أهل العلم بكلام العرب فى رافع المثل ، فقال بعض نحويّى الكوفيين الرافع للمثل قوله (تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) فى المعنى ، وقال : هو كما تقول حِلْية فلان أسْمَرُ كذا وكذا ، فليس الأسمر بمرفوع

(١) فى اللسان : العداد والبداد : المناهدة .

بالحلية ، إنما هو ابتداء : أى هو أسمر هو كذا ، قال : ولو دخل أنَّ فى مثل هذا كان صوابا ، قال : ومثله فى الكلام مثلُك أنك كذا وأنك كذا . وقوله (فَلْيَنْظُرِ الإنسانُ إلى طَعامِهِ أنَّا) من وجه . (مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا)ومن قال : (أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ)أظهر الاسم ، لأنه مردود على الطعام بالخفض ، ومستأنف : أى طعامه أنا صببنا ثم فعلنا . وقال : معنى قوله (مَثَلُ الجَنَّةِ) : صفات الجنة . وقال بعض نحويّي البصريين : معنى ذلك : صفة الجنة ، قال : ومنه قول الله تعالى (وَلَهُ المَثَلُ الأعْلَى) معناه : ولله الصفة العُليا . قال : فمعنى الكلام فى قوله (مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ) أو فيها أنهار ، كأنه قال : وَصْفُ الجنة صفة تجرى من تحتها الأنهار ، أو صفة فيها أنهار والله أعلم . قال : ووجه آخر كأنه إذا قيل : مثل الجنة ، قيل : الجنة التى وعد المتقون . قال : وكذلك قوله (وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) كأنه قال : بالله الرحمن الرحيم ، والله أعلم . قال : وقوله (على ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ) فى ذات الله ، كأنه عندنا قيل : فى الله ، قال وكذلك قوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) إنما المعنى : ليس كشىء ، وليس مثله شىء ، لأنه لا مثل له . قال : وليس هذا كقولك للرجل : ليس كمثلك أحد ، لأنه يجوز أن يكون له مِثْل ، والله لا يجوز ذلك عليه . قال : ومثله قول لبيد :

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُمَا[1]

قال : وفسَّر لنا أنه أراد : السلام عليكما ؛ قال أوس بن حَجَر :

وقَتْلَى كِرَامٍ كَمِثْلِ الجُذُوعِ تَغَشَّاهُمْ سَبَلٌ مُنْهَمِرْ[2]

قال : والمعنى عندنا : كالجذوع ، لأنه لم يرد أن يجعل للجذوع مثلا ثم يُشبه القتلى به . قال : ومثله قول أُميَّة :

زُحَلٌ وثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ والنَّسْرُ للأُخْرَى ولَيْثٌ مُرْصَدُ[3]

---

(١) هذا شطر بيت للبيد بن ربيعة العامرى فى ديوانه وفى خزانة الأدب للبغدادى (٢ : ٣١٧ وما بعدها) من كلمة له يخاطب بها ابنتيه حين حضرته الوفاة ، قال :

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما وما أنا إلا من ربيعة أو مضر
فقوما فقولا بالذى تعلمانه ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضاع ولا خان الخليل ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

ويستشهد النحويون بالبيت على أن لفظ اسم » مقحم عند بعض النحاة . قال ابن جنى فى الخصائص : هذا قول أبو عبيدة ؛ وكذلك قال فى باسم الله .

وقال السهيلى : لم يرد الشاعر إيقاع التسليم عليهما لحينه ، وإنما أراده بعد الحول ، فلو قال : ثم السلام عليكما ، لكان مسلما فى وقته ، الذى نطق به فى البيت ، فلذا ذكر الاسم ، وانظر تفصيل الكلام على البيت فى الخزانة . وقد استشهد به الطبرى على زيادة لفظ « اسم » كما قال أبو عبيدة .

(٢) تغشاهم : غطاهم ، والسبل : المطر . والمنهمر : الغزير . والبيت شاهد على أن لفظ « مثل » زائد . يريد : وقتلى كرام كالجذوع . ولم أجد البيت فى شعراء النصرانية .

(٣) البيت لأمية بن أبى الصلت الثقفى (ديوانه طبعة ليبسج ص ٢٩) وقد أشار فى هامشه إلى رواية الطبرى هذه وفى متنه : « رجل » فى موضع « زحل » .

قال : فقال تحت رجل يمينه ، كأنه قال : تحت رجله أو تحت رجله اليمنى ؛ قال : وقول لبيد :

أَضَلَّ صِوَارَهُ وَتَضَيَّفَتْهُ ... نَطُوفٌ أَمْرُها بِيَدِ الشَّمالِ [1]

كأنه قال : أمرها بالشمال وإلى الشمال ؛ وقول لبيد أيضا :

حَتّى إذا أَلْقَتْ يَدًا فى كافِرٍ [2]

فكأنه قال : حتى وقعت فى كافر . وقال آخر منهم : هوالمكفوف عن خبره ، قال : والعرب تفعل ذلك . قال : وله معنى آخر (لِلَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمُ الحُسْنَى) مَثَلُ الجنة موصول صفة لها على الكلام الأول .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال ذكر المثل ، فقال مَثَل الجنة ؛ والمراد الجنة ، ثم وصفت الجنة بصفتها ، وذلك أن مثلها إنما هو صفتها ، وليست صفتها شيئا غيرها . وإذا كان ذلك كذلك ، ثم ذكر المثل ، فقيل : مثل الجنة ، ومثلها صفتها وصفة الجنة ، فكان وصفها كوصف المثل ، وكان كأن الكلام جرى بذكر الجنة ، فقيل : الجنة تجرى من تحتها الأنهار ، كما قال الشاعر :

أَرَى مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّى ... كَما أَخَذَ السِّرارُ مِنَ الهِلالِ [3]

فذكر المرّ ، ورجع فى الخبر إلى السنين .

وقوله (أُكُلُها دائمٌ وظِلُّها) يعنى : مايؤكل فيها ؛ يقول : هو دائم لأهلها ، لاينقطع عنهم ، ولا يزول ، ولا يبيد ، ولكنه ثابت إلى غير نهاية . وظلها : يقول : وظلها أيضا دائم ، لأنه لاشمس فيها (تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا) يقول : هذه الجنة التى وصف جلّ ثناؤه عاقبة الذين اتقوا الله ، فاجتنبوا معاصيه ، وأدّوا فرائضه .

وقوله (وَعُقْبَى الكافِرِينَ النّارُ) يقول : وعاقبة الكافرين بالله النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾

(١) البيت للبيد فى ديوانه (رواية الطوسى طبعة فينا سنة ١٨٨٠) قال فى (١ : ١١٢) أضل هذا الناشط بقرة. وتضيفته نزلت به . ونطوف : سحابة تنطف بالماء ، أمرها بيد الشمال : أراد البرد والمطر . قال أبو عمرو : نطوف : سحابة تسيل قليلا قليلا . والصوار : قطيع بقر الوحش . يقول : أضله فلم يدر كيف أخذ وبقى فردا. وقوله تضيفته نطوف : هذا مثل، أى نزلت به منزل الضيف نطوف سائلة ، وهى سحابة تمطر ، أمرها بيد الشمال بإذن الله .

(٢) هذا صدر بيت للبيد بن ربيعة من معلقته المشهورة (جمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبى الخطاب القرشى ص ٧٢) وتمامه « وأجن عورات الثغور ظلامها » . وقال الزوزنى فى شرحه المعلقات السبع : الكافر : الليل، سمى به لكفره الأشياء، أى لستره ، والكفر : الستر . والإجنان الستر أيضا . والثغر : موضع المخافة ، والجمع : الثغور ، وعورته : أشد مخافة. يقول : حتى إذا ألقت الشمس يدها فى الليل أى ابتدأت فى الغروب ، وعبر عن هذا المعنى بإلقاء اليد، لأن من ابتدأ بالشىء قيل ألقى يده فيه وستر الظلام مواضع المخافة . والضمير الذى بعد ظلامها : للعورات . وتحرير المعنى : حتى إذا غربت الشمس ، وأظلم الليل .

(٣) البيت سبق الاستشهاد به وشرحه فى الجزء الثانى عشر من هذه الطبعة ، فراجعه ثمة (١٢ : ١٥٧) .

﴿ يقول تعالى ذكره : والذين أنزلنا إليهم الكتاب ممن آمن بك واتبعك يا محمد (يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) منه (وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) يقول : ومن أهل الملل المتحزّبين عليك ، وهم أهل أديان شتى ، من يُنكر بعض ما أنزل إليك ، فقل لهم (إِنَّمَا أُمِرْتُ) أيها القوم (أَنْ أَعْبُدَ اللهَ) وحده دون ماسواه (وَلا أُشْرِكَ بِهِ) فأجعل له شريكا فى عبادتى ، فأعبد معه الآلهة والأصنام ، بل أخلص له الدين حنيفا مسلما (إِلَيْهِ أَدْعُو) يقول: إلى طاعته ، وإخلاص العبادة له أدعو الناس (وَإِلَيْهِ مَآبِ) يقول : وإليه مصيرى ، وهو مفعل من قول القائل : آب يئوب وأبا ومآبا .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة، قوله (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فرحوا بكتاب الله وبرسوله وصدّقوا به. قوله (وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) يعنى اليهود والنصارى .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) قال : من أهل الكتاب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله.

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد، قوله (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ)من أهل الكتاب والأحزاب أهل الكُتب ، تفريقهم لحزبهم . قوله (وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ) قال : لتحزبهم على النبىّ صلى الله عليه وسلم .قال ابن جريج ، وقال عن مجاهد (يُنْكِرُ بَعْضَهُ) قال : بعض القرآن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِلَيْهِ مَآبِ) : وإليه مصير كلّ عبد .

حدثنى يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، فى قوله (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) قال: هذا مَن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فيفرحون بذلك ، وقرأ (وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ،وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ) ،وفى قوله (وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) قال: الأحزاب : الأمم اليهود والنصارى والمجوس،منهم من آمن به ، ومنهم من أنكره ؟

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾

* يقول تعالى ذكره : وكما أنزلنا عليك الكتاب يامحمد، فأنكره بعض الأحزاب، كذلك أيضا أنزلنا الحكم والدين حكما عربيا؛ وجعل ذلك عربيا، ووصفه به لأنه أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو عربىّ، فنسب الدين إليه إذ كان عليه أُنزل ، فكذّب به الأحزاب ، ثم نهاه جلّ ثناؤه عن ترك ما أنزل إليه واتباع الأحزاب ، وتهدّده على ذلك إن فعله، فقال: ولئن اتبعت يامحمد أهواءهم، أهواء هؤلاء الأحزاب ورضاهم ومحبتهم ، وانتقلت من دينك إلى دينهم، مالك من يقيك من عذاب الله إن عذّبك على اتباعك أهواءهم، ومالك من ناصر ينصرك، فيستنقذك من الله إن هو عاقبك، يقول : فاحذر أن تتبع أهواءهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ٣٨﴾

* يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ أَرْسَلْنا) يا محمد (رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ) إلى أمم قد خلت من قبل، أمتك فجعلناهم بشرا مثلك، لهم أزواج ينكحون، وذرّية أنسلوهم، ولم نجعلهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، فنجعل الرسول إلى قومك من الملائكة مثلهم، ولكن أرسلنا إليهم بشرا مثلهم، كما أرسلنا إلى من قبلهم من سائر الأمم بشرا مثلهم (وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ): يقول تعالى ذكره : وما يقدر رسول أرسله الله إلى خلقه أن يأتى أمته بآية وعلامة من تسيير الجبال، ونقل بلدة من مكان إلى مكان آخر وإحياء الموتى ونحوها من الآيات إلا بإذن الله، يقول: إلا بأمر الله الجبال بالسير ، والأرض بالانتقال، والميتَ بأن يحيا (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ) يقول: لكلّ أجل أمرٍ قضاه الله كتاب قد كتبه ، فهو عنده . وقد قيل : معناه : لكل كتاب أنزله الله من السماء أجل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال: ثنا إسحاق بن يوسف ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ) يقول: لكلّ كتاب ينزل من السماء أجل، فيمحو الله من ذلك مايشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب.

* قال أبو جعفر: وهذا على هذا القول نظير قول الله: (وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ) وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول : وجاءت سكرة الحقّ بالموت ؛ وذلك أن سكرة الموت تأتى بالحقّ ، والحقّ يأتى بها ، فكذلك الأجل له كتاب ، وللكتاب أجل .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك، فقال بعضهم : يمحو الله ما يشاء من أمور عباده، فيغيره، إلا الشقاء والسعادة فإنهما لا يغيران .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا بحر بن عيسى ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله(يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : يدبر الله أمر العباد فيمحو مايشاء ، إلا الشقاءَ والسعادة والموت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله(يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : كلّ شىء غير السعادة والشقاء ، فإنهما قد فُرِغ منهما .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا يزيد ، وحدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، عن سفيان ، عن ابن أبى ليلى عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس يقول (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : إلا الشقاء والسعادة ، والموت والحياة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم الفضل بن دكين وقبيصة قالا : ثنا سفيان ، عن ابن أبى ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا ابن أبى ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قوله (يَمْحُو اللهُ مايَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : قال ابن عباس : إلا الحياة والموت ، والشقاء والسعادة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن ابن أبى ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : يقدر الله أمر السنة فى ليلة القدر ، إلا الشقاء والسعادة والموت والحياة .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ) قال : إلا الحياة والموت ، والسعادة والشقاوة فإنهما لايتغيران .

حدثنا عمرو قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا معاذ بن عقبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، قال : قلت لمجاهد : إن كنتَ كتبتنى سعيدا فأثبتنى ، وإن كنتَ كتبتنى شقيا فامحنى ، قال : الشقاء والسعادة قد فُرغ منهما .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ؛ قال : ثنا سعيد بن سلمان ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد (يَمْحُو اللهُ مَا يَشاءُ ويُثْبِتُ) قال : ينزل الله كلّ شىء فى السنة فى ليلة القدر ، فيمحو ما يشاء من الآجال والأرزاق والمقادير ، إلا الشقاء والسعادة ، فإنهما ثابتان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : سألت مجاهدا فقلت : أرأيت دعاء أحدنا

يقول : اللهمّ إن كان اسمى فى السعداء فأثبته فيهم ، وإن كان فى الأشقياء فامحُه منهم ، واجعله فى السعداء ، فقال : حسن ، ثم أتيته بعد ذلك بحول أو أكثر من ذلك ، فسألته عن ذلك ، فقال (إنَّا أنزَلْناهُ فى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فيها يُفْرَقُ كُلُّ أمْرٍ حَكِيمٍ) قال : يُقْضَى فى ليلة القدر ما يكون فى السنة من رزق أو مصيبة ، ثم يقدّم ما يشاء ويؤخّر مايشاء . فأما كتاب الشقاء والسعادة فهو ثابت لا يغير .

وقال آخرون : معنى ذلك : أن الله يمحو ما يشاء ويُثبت من كتاب سوى أمّ الكتاب الذى لا يغير منه شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن سليمان التيمى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : كتابان : كتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت ، وعنده أمّ الكتاب .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، قال : ثنا سليمان التيمى ، عن عكرمة ، فى قوله (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : الكتاب كتابان ، كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت ، وعنده أمّ الكتاب .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن سليمان التيمىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس بمثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : الكتاب كتابان (يَمْحُو اللهُ مايَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنه يمحو كلّ ما يشاء ، ويثبت كلّ ما أراد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثّام ، عن الأعمش ، عن شقيق أنه كان يقول : اللهمّ إن كنت كتبتنا أشقياء ، فامحنا واكتبنا سعداء ، وإن كنتَ كتبتنا سعداء فأثبتنا ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أمّ الكتاب .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبى وائل ، قال : كان مما يكثر أن يدعو بهؤلاء الكلمات : اللهمّ إن كنت كتبتنا أشقياء فامحنا واكتبنا سعداء ، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أمّ الكتاب .

قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبى ، عن أبى حكيمة ، عن أبى عثمان النهدىّ أن عمر بن الخطاب قال وهو يطوف بالبيت ويبكى : اللهمّ إن كنتَ كتبتَ علىّ شقوة أو ذنبا فامحه ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أمّ الكتاب ، فاجعله سعادة ومغفرة .

قال : ثنا معتمر ، عن أبيه ، عن أبى حكيمة ، عن أبى عثمان ، قال : وأحسبنى قد سمعته من أبى عثمان ، مثله .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة بن خالد ، عن عِصْمة بن أبي حكيمة ، عن أبي عثمان النهدىّ ، عن عمر رضى الله عنه ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا أبو حكيمة ، قال : سمعت أبا عثمان النهدى ، قال : سمعت عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يقول وهو يطوف بالكعبة : اللهمّ إن كنتَ كتبتني فى أهل السعادة فأثبتني فيها ، وإن كنت كتبت علىّ الذنب والشقوة فامحُنى وأثبتني فى أهل السعادة ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أمّ الكتاب .

قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن خالد الحذّاء ، عن أبي قِلابة ، عن ابن مسعود ، أنه كان يقول : اللهمّ إن كنت كتبتني فى أهل الشقاء فامحُنى ، وأثبتني فى أهل السعادة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) يقول : وهو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ، ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله ، فهو الذى يمحو والذى يثبت : الرجل يعمل بمعصية الله . وقد كان سبق له خير حتى يموت ، وهو فى طاعة الله ، فهو الذى يثبت .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن هلال بن حميد ، عن عبد الله بن حكيم ، عن عبد الله ، أنه كان يقول : اللهمّ إن كنتَ كتبتني فى السعداء ، فأثبتني فى السعداء ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أُم الكِتابِ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن أبي حمزة ، عن إبراهيم ، أن كعبا قال لعمر رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين ، لولا آية فى كتاب الله ، لأنبأتك ما هو كائن إلى يوم القيامة ، قال : وما هى ؟ قال : قول الله (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) .

حُدثت من الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (لِكُلِّ أجَلٍ كِتابٌ) . . . الآية ، يقول (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ) يقول : أنسخ ما شئتُ ، وأصنع من الأفعال ما شئت ، إن شئت زدت فيها ، وإن شئتُ نقصتُ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا همام ، قال : ثنا الكلبي ، قال (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ) قال : يمحى من الرزق ويزيد فيه ، ويمحى من الأجل ويزيد فيه . قلت : من حدّثك ؟ قال : أبو صالح ، عن جابر بن عبد الله بن رئاب الأنصارى ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقدم الكلبيّ بعد ، فسُئل عن هذه الآية (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ) قال : يكتب القول كله ، حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كلّ شىء ليس فيه ثواب ، ولا عليه عقاب ، مثل قولك : أكلت ، شربت ، دخلت ، خرجت ، ونحو ذلك من الكلام ، وهو صادق ، ويُثبت ما كان فيه الثواب وعليه العقاب .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : سمعت الكلبي ، عن أبي صالح نحوه ، ولم يجاوز أبا صالح .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن الله ينسخ ما يشاء من أحكام كتابه ، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ) قال : من القرآن ، يقول : يبدّل الله ما يشاء فينسخه ، ويُثبت ما يشاء فلا يبدّله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) يقول : وجملة ذلك عنده فى أمّ الكتاب : الناسخ والمنسوخ ، وما يُبدل ، وما يثبت ، كل ذلك فى كتاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ) هى مثل قوله (ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها) ، وقوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) : أى جملة الكتاب وأصله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ) ما يشاء ، وهو الحكيم (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) وأصله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ) بما ينزل على الأنبياء ، (وَيُثْبِتُ) مايشاء مما ينزل على الأنبياء ، قال (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) لا يغير ولا يبدّل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ) قال : ينسخ ، قال (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : الذكر .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه يمحو من قد حان أجله ، ويثبت من لم يجئ أجله إلى أجله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عديّ ، عن عوف ، عن الحسن ، فى قوله (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) يقول : يمحو من جاء أجله فذهب ، والمثبت الذى هو حيّ يجرى إلى أجله .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا عوف ، قال : سمعت الحسن (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ) قال : من جاء أجله (وَيُثْبِتُ) قال : من لم يجئ أجله إلى أجله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، نحو حديث ابن بشّار ؛ قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، قال : أخبرنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، فى قوله (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ) قال : آجال بنى آدم فى كتاب (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ) من أجله (وَيُثْبِتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قول الله (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ) قالت قريش حين أُنزل (وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ) ما نراك يا محمد تملك من شيء ، ولقد فرغ من الأمر ، فأنزلت هذه الآية تخويفا ووعيدا لهم ، إنا إن شئنا أحدثنا له من

أمرنا ما شئنا ، ونحدث فى كلّ رمضان ، فنمحو ونُثبت ما نشاء من أرزاق الناس ومصائبهم ، وما نعطيهم ، وما نقسم لهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد، نحوه .

وقال آخرون : معنى ذلك : ويغفر ما يشاء من ذنوب عباده ، ويترك ما يشاء فلا يغفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد ، فى قوله (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ) قال : يثبت فى البطن الشقاء والسعادة وكلّ شيء ، فيغفر منه ما يشاء ، ويؤخر مايشاء .

❁ وأولى الأقوال التى ذكرت فى ذلك بتأويل الآية ، وأشبهها بالصواب ، القول الذى ذكرناه عن الحسن ومجاهد ، وذلك أن الله تعالى ذكره توعد المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات بالعقوبة ، وتهدّدهم بها ، وقال لهم : (وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ) يعلمهم بذلك أن لقضائه فيهم أجلا مثبتا فى كتاب هم مؤخرون إلى وقت مجىء ذلك الأجل ، ثم قال لهم : فإذا جاء ذلك الأجل يجيء الله بما شاء ممن قد دنا أجله ، وانقطع رزقه ، أو حان هلاكه أو اتضاعه ، من رفعة أو هلاك مال ، فيقضى ذلك فى خلقه ، فذلك محوه ، ويُثبت ماشاء ممن بقى أجله ورزقه وأكله ، فيتركه على ماهو عليه فلا يمحوه ، وبهذا المعنى جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك ما حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : ثنا الليث بن سعد ، عن زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبى الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ يَفْتَحُ الذِّكْرَ فِي ثَلاثِ ساعاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ ، فِي السَّاعَةِ الأُولى مِنْهُنَّ يَنْظُرُ فِي الكِتابِ الَّذِي لايَنْظُرُ فيهِ أحَدٌ غيرُهُ ، فَيَمْحُو ما يَشاءُ ويُثْبِتُ ، ثم ذكر ما فى الساعتين الآخرتين » .

حدثنا موسى بن سهل الرملى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا الليث ، قال : ثنا زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبى الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ يَنْزِلُ فِي ثَلاثِ ساعاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ ، يَفْتَحُ الذِّكْرَ فِي السَّاعَةِ الأُولى الَّذِي لَمْ يَرَهُ أحَدٌ غيرُهُ ، يَمْحُو ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ ما يَشاءُ » .

حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : إن لله لوحا محفوظا مسيرة خمس مئة عام ، من دُرّة بيضاء لها دفتان من ياقوت ، والدفتان لوحان لله ، كل يوم ثلاث مئة وستون لحظة ، يمحو ما يشاء ويثبت ، وعنده أمّ الكتاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : ثنى رجل ، عن أبيه ، عن قيس بن عباد ، أنه قال : العاشر من رجب هو يوم يمحو الله فيه مايشاء .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ ﴾ :

اختلف أهل التأويل ، فى تأويل قوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) فقال بعضهم : معناه : وعنده الحلال والحرام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا محمد بن عقبة ، قال : ثنا مالك بن دينار ، قال : سألت الحسن : قلت (أُمُّ الكِتابِ) قال : الحلال والحرام ، قال : قلت : فما الحمد لله ربّ العالمين ؟ قال : هذه أمّ القرآن .

وقال آخرون : معناه : وعنده جملة الكتاب وأصله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : جملة الكتاب وأصله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : كتاب عند ربّ العالمين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : جملة الكتاب وعلمه ، يعنى بذلك ما ينسخ منه وما يثبت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) يقول : وجملة ذلك عنده فى أمّ الكتاب : الناسخ والمنسوخ ، وما يبدل ، وما يثبت ، كلّ ذلك فى كتاب .

وقال آخرون فى ذلك : ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن شيبان ، عن ابن عباس ، أنه سأل كعبا عن أمّ الكتاب ، قال : علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون ، فقال لعلمه : كن كتابا ، فكان كتابا .

وقال آخرون : هو الذكر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج . قال أبو جعفر : لاأدرى فيه ابن جريج أم لا؟ قال : قال ابن عباس (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) قال : الذكر .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : وعنده أصل الكتاب وجملته ، وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه يمحو ما يشاء ويثبت مايشاء ، ثم عقب ذلك بقوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ) فكان بيّنا أن معناه : وعنده أصل المثبَت منه والممحو ، وجملته فى كتاب لديه .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَيُثْبِتُ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة (ويُثَبِّتُ) بتشديد الباء بمعنى : ويتركه ويقره على حاله ، فلا يمحوه . وقرأه بعض المكيين وبعض البصريين ، وبعض الكوفيين (ويثبت) بالتخفيف ، بمعنى : يكتب ، وقد بيّنا قبل أن معنى ذلك عندنا : إقراره مكتوبا ، وترك محوه . على ما قد بيّنا ، فإذا كان ذلك كذلك فالتثبيت به أولى ، والتشديد أصوب من التخفيف ، وإن كان التخفيف قد يحتمل توجيهه فى المعنى إلى التشديد ، والتشديد إلى التخفيف ، لتقارب معنييهما .

وأما المحْو ، فإن للعرب فيه لغتين : فأما مضر فإنها تقول : محوت الكتاب أمحوه محوا ، وبه التنزيل ، ومحوته أمحاه محوا . وذُكر عن بعض قبائل ربيعة : أنها تقول : محيت أمحى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإما نرينك يا محمد فى حياتك بعض الذى نعد هؤلاء المشركين بالله من العقاب على كفرهم ، أو نتوفيّنك قبل أن نريك ذلك ، فإنما عليك أن تنتهى إلى طاعة ربك فيما أمرك به من تبليغهم رسالته ، لا طلب صلاحهم ولا فسادهم ، وعلينا محاسبتهم ، فمجازاتهم بأعمالهم ، إن خيرا فخير ، وإن شرّا فشرّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾

❁ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أو لم ير هؤلاء المشركون من أهل مكة ، الذين يسألون محمدا الآيات ، أنا نأتى الأرض ، فنفتحها له أرضا بعد أرض ، حوالى أرضهم ، أفلا يخافون أن نفتح له أرضهم كما فتحنا له غيرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (أَنَّا نَأْتِى الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِها) قال : أو لم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض بعد الأرض .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِها) يعنى بذلك : ما فتح الله على محمد ، يقول : فذلك نقصانها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ، قال : ما تغلبت عليه من أرض العدوّ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : كان الحسن يقول فى قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِها) فهو ظهور المسلمين على المشركين .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِها) يعنى أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان ينتقص له ماحوله من الأرضين ، ينظرون إلى ذلك ، فلا يعتبرون ، قال الله فى سورة الأنبياء : (نَأْتِى الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِها أَفَهُمُ الغالِبُونَ) بل نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم الغالبون .

وقال آخرون : بل معناه : أو لم يروا أنا نأتى الأرض فنخرّبها ، أو لايخافون أن نفعل بهم وبأرضهم مثل ذلك ، فنهلكهم ، ونخرب أرضهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ بن عاصم ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (أَنَّا نَأْتِى الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِها) قال : أَوَلَمْ يَرَوْا إلى القرية تخرب حتى يكون العمران فى ناحية .

قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، عن الأعرج ، أنه سمع مجاهدا يقول (نَأْتِى الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِها) قال : خرابها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن الأعرج ، عن مجاهد ، مثله . قال : وقال ابن جريج : خرابها وهلاك الناس .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى جعفر الفراء ، عن عكرمة ، قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِها) قال : تخرّب من أطرافها .

وقال آخرون : بل معناه : ننقص من بركتها وثمرتها وأهلها بالموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِها) يقول : نقصان أهلها وبركتها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِها) قال : فى الأنفس وفى الثمرات ، وفى خراب الأرض .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن طلحة القناد ، عمن سمع الشعبى ، قال : لو كانت الأرض تنقص لضاق عليك حشك ، ولكن تنقص الأنفس والثمرات .

وقال آخرون : معناه : أنا نأتى الأرض ننقصها من أهلها ، فنتطرّفهم بأخذهم بالموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها) قال : موت أهلها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِها) قال : الموت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا هارون النحوى ، قال : ثنا الزبير بن الحرث عن عكرمة ، فى قوله (نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِها) قال : هو الموت ، ثم قال : لو كانت الأرض تنقص لم نجد مكانا نجلس فيه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال: ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (نَأْتِى الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِها) قال : كان عكرمة يقول : هو قبض الناس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : سئل عكرمة ، عن نقص الأرض قال : قبض الناس .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جرير بن حازم ، عن يعلى بن حكيم ، عن عكرمة ، فى قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِها) قال : لو كان كما يقولون لما وجد أحدكم جبا يخرأ فيه .

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا إسماعيل بن علية ، عن أبى رجاء ، قال : سئل عكرمة وأنا أسمع عن هذه الآية (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِها) قال : الموت .

وقال آخرون : ننقصها من أطرافها : بذهاب فقهائها وخيارها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : ذهاب علمائها وفقهائها وخيار أهلها .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن مجاهد ، قال : موت العلماء .

⁂ وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ، قول من قال(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِها) بظهور المسلمين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عليها ، وقهرهم أهلها ، أفلا يعتبرون بذلك فيخافون ظهورهم على أرضهم ، وقهرهم إياهم ، وذلك أن الله توعد الذين سألوا رسوله الآيات من مُشركى قومه بقوله (وإمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاغُ وَعَلَيْنا الحسابُ) ، ثم وبخهم تعالى ذكره بسوء اعتبارهم بما يعاينون من فعل الله بضربائهم من الكفار ، وهم مع

ذلك يسألون الآيات ، فقال (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بقهر أهلها ، والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها ، وهم لايعتبرون بما يرون من ذلك .

وأما قوله (وَاللهُ يَحْكُمُ لامُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ) يقول : والله هو الذى يحكم فينفذ حكمه ، ويقضى فيمضى قضاؤه ، وإذا جاء هؤلاء المشركين بالله من أهل مكة حكم الله وقضاؤه لم يستطيعوا ردّه . ويعنى بقوله (لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ) : لارادّ لحكمه ، والمعقِّب فى كلام العرب : هو الذى يكرّ على الشىء ، وقوله (وَهُوَ سَرِيعُ الحِسابِ) يقول : والله سريع الحساب يحصى أعمال هؤلاء المشركين لايخفى عليه شىء وهو من وراء جزائهم عليها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره : قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم التى سلفت بأنبياء الله ورسله فلله المكر جميعا : يقول : فلله أسباب المكر جميعا ، وبيده وإليه ، لايضرّ مكر من مكرمنهم أحدا إلا من أراد ضرّه به ، يقول : فلم يضرّ الماكرون بمكرهم إلا من شاء الله أن يضرّه ذلك ، وإنما ضرّوا به أنفسهم لأنهم أسخطوا ربهم بذلك على أنفسهم حتى أهلكهم ، ونجى رسله : يقول : فكذلك هؤلاء المشركون من قريش يمكرون بك يا محمد ، والله منجيك من مكرهم ، ومُلحق ضرّ مكرهم بهم دونك . . وقوله (يَعْلَمُ ماتَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ) يقول : يعلم ربك يا محمد ما يعمل هؤلاء المشركون من قومك . وما يسعون فيه من المكر بك ، ويعلم جميع أعمال الخلق كلهم ، لايخفى عليه شىء منها (وَسَيَعْلَمُ الكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ) يقول : وسيعلمون إذا قدموا على ربهم يوم القيامة لمن عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار ، ويدخل المؤمنون بالله ورسوله الجنة .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته قرّاء المدينة ، وبعض أهل البصرة (وَسَيَعْلَمُ الكافِرُ) على التوحيد . وأما قرّاء الكوفة فإنهم قرءوه (وَسَيَعْلَمُ الكُفَّارُ) على الجمع .

والصواب من القراءة فى ذلك القراءة على الجمع ، وسيعلم الكفار ، لأن الخبر جرى قبل ذلك عن جماعتهم ، وأتبع بعده الخبر عنهم ، وذلك قوله (وإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) وبعده قوله (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً) وقد ذكر أنها فى قراءة ابن مسعود (وَسَيَعْلَمُ الكافِرُونَ) ، وفى قراءة أبىّ (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) وذلك كله دليل على صحة ما اخترنا من القراءة فى ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ٤٣

يقول تعالى ذكره (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله من قومك يا محمد (لَسْتَ مُرْسَلًا) تكذيبا منهم لك، وجحودا لنبوّتك، (فَقُلْ) لهم إذا قالوا ذلك، (كَفَى بِاللهِ) يقول : قل حسبي الله (شَهِيدًا)، يعني شاهدا (بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) عليّ وعليكم بصدقي وكذبكم (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ) فمن إذا قرئ به كذلك في موضع خفض عطفا به على اسم الله، وكذلك قرأة قرأة الأمصار بمعنى : والذين عندهم علم الكتاب الكتب التي نزلت قبل القرآن كالتوراة والإنجيل، وعلى هذه القراءة، فسّر ذلك المفسرون .

ذكر الرواية بذلك

حدثني علي بن سعيد الكندي ، قال : ثنا أبومحياة يحيي بن يعلى ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ابن أخي عبد الله بن سلام ، قال : قال عبد الله بن سلام : نزلت فيّ (كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ) .

حدثنا الحسين بن عليّ الصدائي ، قال : ثنا أبوداود الطيالسي ، قال : ثنا شعيب بن صفوان ، قال : ثنا عبد الملك بن عمير ، أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، قال : قال عبد الله بن سلام : أنزل فيّ (قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ) فالذين عندهم علم الكتاب : هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن ليث، عن مجاهد (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ) قال : هو عبد الله بن سلام .

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال : حدثنا هشيم، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح، في قوله (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ) قال : رجل من الإنس ، ولم يسمه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال: ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ) عبد الله بن سلام .

قال : ثنا يحيى بن عباد، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ)[1] .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا) قال : قول مشركي قريش (قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ

(١) كذا في الأصل رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية ، ولم يذكر لفظ الحديث .

الكِتابِ) أناس من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحقّ ويقرّون به، ويعلمون أن محمدا رسول الله، كما يحدَّث أن منهم عبد الله بن سلام .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن قتادة (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ) قال : كان منهم عبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسىّ ، وتميم الدارىّ .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ) قال هو عبد الله بن سلام .

وقد ذُكر عن جماعة من المتقدمين أنهم كانوا يقرءونه (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) بمعنى : من عند الله علم الكتاب .

ذكر من ذُكر ذلك عنه

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن هارون ، عن جعفر بن أبى وحشية ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) يقول : من عند الله عُلِم الكتاب .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) قال : من عند الله .

قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) قال : من عند الله علم الكتاب .

وقد حدثنا هذا الحديث الحسن بن محمد، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) قال : هو الله ، هكذا قرأ الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) .

قال : ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن ، مثله .

قال : ثنا علىّ ، يعنى ابن الجعد ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) قال : الله ، قال شعبة : فذكرت ذلك للحكم ، فقال : قال مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت منصور بن زاذان يحدّث عن الحسن ، أنه قال فى هذه الآية (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) قال : من عند الله .

قال : ثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) قال : من عند الله علم الكتاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) قال : من عند الله علم الكتاب ، هكذا قال ابن عبد الأعلى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقرؤها (قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) يقول : من عند الله علم الكتاب، وجملته

هكذا ، حدثنا به بشر : علم الكتاب ، وأنا أحسبه وَهَمَ فيه ، وأنه (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) لأن قوله وجملته اسم لايعطف باسم على فعل ماض .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارُون (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) يقول : من عند الله علم الكتاب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن أبى بشر ، قال : قلت لسعيد ابن جبير (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) أهو عبد الله بن سلام ، قال : هذه السورة مكية ، فكيف يكون عبدَ الله بن سلام ؟ قال : وكان يقرؤها (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) يقول : من عند الله .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن أبى بشر ، قال : سألت سعيد ابن جبير ، عن قول الله (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) أهو عبد الله بن سلام ، قال : فكيف وهذه السورة مكية ، وكان سعيد يقرؤها (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عباد ، عن عوف ، عن الحسن وجويبر ، عن الضحاك ابن مزاحم ، قالا (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) قال : من عند الله .

⁂ وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بتصحيح هذه القراءة وهذا التأويل ، غير أن فى إسناده نظرا . وذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عباد بن العوّام ، عن هارون الأعور ، عن الزهرىّ ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قرأ (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتابُ) عند الله علم الكتاب ، وهذا خبر ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهرىّ ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكانت قرّاء الأمصار من أهل الحجاز والشام والعراق على القراءة الأخرى ، وهى (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ) كان التأويل الذى على المعنى الذى عليه قرّاء الأمصار أولى بالصواب ممن خالفه ، إذ كانت القراءة بما هم عليه مجمعون أحقّ بالصواب .

آخر تفسير سورة الرعد ، والحمد لله صادق الوعد .

---

(١٤) سورة إبراهيم مكية
وآياتها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾

قال أبو جعفر الطبرى : قد تقدم منا البيان عن معنى قوله (الر) فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وأما قوله (كِتابٌ أنزَلْناهُ إليْكَ) فإن معناه : هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد : يعنى القرآن ، (لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ) يقول : لتهديهم به من ظلمات الضلالة والكفر إلى نور الإيمان وضيائه ، وتبصِّر به أهل الجهل والعمى سبل الرشاد والهُدى . وقوله (بإذْنِ رَبِّهِمْ) يعنى : بتوفيق ربهم لهم بذلك ، ولطفه بهم (إلى صراطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ) يعنى : إلى طريق الله المستقيم ، وهو دينه الذى ارتضاه ، وشرعه لخلقه ، والحميد : فعيل ، صرف من مفعول إلى فعيل ، ومعناه : المحمود بآلائه ، وأضاف تعالى ذكره : إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم لهم بذلك إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهو الهادى خلقه ، والموفِّق من أحبَّ منهم للإيمان ، إذ كان منه دعاؤهم إليه ، وتعريفهم مالهم فيه وعليهم ، فبين بذلك صحة قول أهل الإثبات الذين أضافوا أفعال العباد إليهم كسبا ، وإلى الله جلّ ثناؤه إنشاء وتدبيرا ، وفساد قول أهل القدر، الذين أنكروا أن يكون لله فى ذلك صنع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ) : أى من الضلالة إلى الهُدى .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والشام (اللهُ الَّذِى لَهُ ما فى السَّمَوَاتِ) برفع اسم الله على الابتداء، وتصيير قوله (الَّذِى لَهُ ما فى السَّمَوَاتِ) خبره ، وقرأته عامّة قرّاء أهل العراق والكوفة والبصرة(اللهِ الَّذِى) بخفض اسم الله على إتباع ذلك(العَزِيزِ الحَمِيدِ) وهما خفض . وقد اختلف أهل العربية فى تأويله إذا قرئ كذلك ، فذكر عن أبى عمرو بن العلاء ، أنه كان يقرؤه

بالخفض ويقول : معناه : بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، الذى له ما فى السموات ، ويقول : هو من المؤخر الذى معناه التقديم ، ويمثله بقول القائل : مررت بالظريف عبد الله ، والكلام الذى يوضع مكان الاسم : النعت ، ثم يجعل الاسم مكان النعت ، فيتبع إعرابه إعراب النعت الذى وضع موضع الاسم كما قال بعض الشعراء :

لَوْ كُنْتَ ذَا نَبْلٍ وذَا شَزِيبِ ما خِفْتَ شَدَّاتِ الخَبِيثِ الذِّيبِ (١)

وأما الكسائىّ فإنه كان يقول فيما ذكر عنه مَن خفض أراد أن يجعله كلاما واحدا ، وأتبع الخفض الخفْضَ ، وبالخفض كان يقرأ .

والصواب من القول فى ذلك عندى ، أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء معناهما واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وقد يجوز أن يكون الذى قرأه بالرفع ، أراد معنى من خفض فى إتباع الكلام بعضه بعضا ، ولكنه رفع لانفصاله من الآية التى قبله ، كما قال جلّ ثناؤه (إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأمْوَالَهُمْ)... إلى آخر الآية، ثم قال (التَّائِبُونَ العابِدُونَ) . ومعنى قوله (اللهُ الَّذِى لَهُ ما فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ) الله الذى يملك جميع ما فى السموات وما فى الأرض يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أنزلنا إليك هذا الكتاب لتدعو عبادى إلى عبادة من هذه صفته : ويدعوا عبادة من لا يملك لهم ولا لنفسه ضرّا ولا نفعا من الآلهة والأوثان ، ثم توعد جلّ ثناؤه من كفر به ، ولم يستجب لدعاء رسوله إلى ما دعاه إليه من إخلاص التوحيد له ، فقال (وَوَيْلٌ للكافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) يقول : الوادى الذى يسيل من صديد أهل جهنم ، لمن جحد وحدانيته ، وعبد معه غيره من عذاب الله الشديد .

القول في تأويل قوله تعالى :

ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الحَيَاةَ الدُّنْيا على الآخِرَةِ) الذين يختارون الحياة الدنيا ومتاعها ، ومعاصىَ الله فيها على طاعة الله ، وما يقربهم إلى رضاه من الأعمال النافعة فى الآخرة ، (وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) يقول : ويمنعون من أراد الإيمان بالله ، واتباع رسوله على ماجاء به من عند الله من الإيمان به واتباعه (وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا) يقول : ويلتمسون سبيل الله ، وهى دينه الذى ابتعث به رسوله . عوجا : تحريفا وتبديلا بالكذب ، والزور والعِوج بكسر العين وفتح الواو فى الدين والأرض

(١) الشزيب : القضيب من الشجر قبل أن يصلح ، وجمعه : شزوب ، حكاه أبو حنيفة (اللسان : شزب) . والبيت شاهد للنعت الذى يتقدم على المنعوت فيعرب الاسم الذى بعده حينئذ بدلا . وقد مثل النحاة لذلك بهذه الآية : (إلى صراط العزيز الحميد الله) بخفض لفظ الله على البدل . قالوا والأصل صراط الله العزيز الحميد . والله أعلم .

وكلّ ما لم يكن قائما ، فأما فى كل ما كان قائما كالحائط والرمح والسنّ فإنه يقال : بفتح العين والواو جميعا عَوَج: يقول الله عزّ ذكره (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) يعنى : هؤلاء الكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ، يقول : هم فى ذهاب عن الحقّ بعيد ، وأخذ على غير هدى ، وجَوْر عن قصد السبيل .

وقد اختلف أهل العربية فى وجه دخول على فى قوله (على الآخرة) فكان بعض نحوىّ البصرة يقول أوصل الفعل بعلى ، كما قيل فى ضربوه فى السيف، يريد بالسيف ، وذلك أن هذه الحروف يوصل بها كلها ، وتحذف نحو قول العرب : نزلت زيدا ، ومررت زيدا ، يريدون : مررت به ، ونزلت عليه . وقال بعضهم : إنما أدخل ذلك ، لأن الفعل يؤدّى عن معناه[1] من الأفعال ، فى قوله (يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ) ولذلك أدخلت على . وقد بيَّنت هذا ونظائره فى غير موضع من الكتاب بما أغنى عن الإعادة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : وما أرسلنا إلى أمة من الأمم يا محمد من قبلك ، ومن قبل قومك رسولا إلا بلسان الأمة التى أرسلناه إليها ولغتهم، ليبين لهم : يقول : ليفهمهم ما أرسله الله به إليهم من أمره ونهيه ، ليثبت حجة الله عليهم ، ثم التوفيق والخذلان بيد الله ، فيخذل عن قبول ما أتاه به رسوله من عنده من شاء منهم ، ويوفّق لقبوله من شاء ، ولذلك رفع فيُضِلُّ ،لأنه أريد به الابتداء لاالعطف على ماقبله ، كما قيل : لنبين لكم ، ونقرّ فى الأرحام ما نشاء ، وهو العزيز الذى لايمتنع مما أراده من ضلال أو هداية من أراد ذلك به ، والحكيم فى توفيقه للإيمان من وفقه له ، وهدايته له من هداه إليه ، وفى إضلاله من أضلّ عنه ، وفى غير ذلك من تدبيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ) : أى بلغة قومه ما كانت ، قال الله عزّ وجلّ (لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) الذى أرسل إليهم ليتخذ بذلك الحجة ، قال الله عزّ وجلّ (فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .

(١) يريد أن الفعل يتضمن معنى فعل آخر بمعناه ، فيكون مثله تعديا ولزوما ، والفعل « يستحبون » هنا : مضمن معنى « يختارون » كما قال أبوعبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٣٥) أو معنى « يؤثرون » الحياة الدنيا على الآخرة . ولذلك عدى بعلى .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا وحججنا من قبلك يا محمد ، كما أرسلناك إلى قومك بمثلها من الأدلة والحجج .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح « ح »[1] ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن الأشيب ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد « ح » ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بآياتِنا) قال : بالبينات .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسَى بآياتِنا) قال : التسع الآيات : الطوفان وما معه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أَرْسَلْنا مُوسَى بآياتِنا) قال : التسع البينات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ) كما أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب ، لتخرج الناس من الظلمات إلى النور (بإذْنِ رَبِّهِمْ) ، ويعني بقوله (أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ) : أي ادعهم من الضلالة إلى الهُدى ، ومن الكفر إلى الإيمان .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسَى بآياتِنا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ) يقول : من الضلالة إلى الهُدى .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .

وقوله (وَذَكِّرْهُمْ بأيَّامِ اللهِ) يقول عزّ وجلّ : وعظهم بما سلف من نعمي عليهم في الأيام التي خلت ، فاجتزئ بذكر الأيام من ذكر النعم التي عناها ، لأنها أيام كانت معلومة عندهم ، أنعم الله عليهم فيها نعما جليلة ، أنقذهم فيها من آل فرعون بعد ما كانوا فيما كانوا من العذاب المهين ، وغرق عدوّهم فرعون وقومه ، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم . وكان بعض أهل العربية يقول : معناه : خوّفهم بما نزل بعاد وثمود وأشباههم من العذاب ، وبالعفو عن الآخرين ، قال : وهو في المعنى كقولك : خذهم بالشدّة واللين . وقال آخرون منهم : قد وجدنا لتسمية النعم بالأيام شاهدا في كلامهم ، ثم استشهد لذلك بقول عمرو بن كلثوم .

(١) « ح » : رمز عند المحدثين إلى تحويل الإسناد من راو إلى آخر ، لجمع الروايات المختلفة على أصل واحد .

وأيَّامٍ لَنا غُرٍّ طِوَالٍ عَصَيْنا المَلْكَ فيها أنْ نَدِينا[1]

وقال : فقد يكون إنما جعلها غرّا طوالا لإنعامهم على الناس فيها . وقال : فهذا شاهد لمن قال (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ) بنعم الله . ثم قال : وقد يكون تسميتها غرّا ، لعلوّهم على الملك وامتناعهم منه ، فأيامهم غرّ لهم ، وطوال على أعدائهم .

قال أبو جعفر : وليس للذى قال هذا القول ، من أن فى هذا البيت دليلا على أن الأيام معناها : النعم وجه ، لأن عمرو بن كلثوم إنما وصف ما وصف من الأيام بأنها غرّ ، لعزّ عشيرته فيها ، وامتناعهم على الملك ، من الإذعان له بالطاعة ، وذلك كقول الناس : ماكان لفلان قطّ يوم أبيض ، يعنون بذلك : أنه لم يكن له يوم مذكور بخير . وأما وصفه إياها بالطول ، فإنها لاتوصف بالطول إلا فى حال شدّة ، كما قال النابغة :

كِلِينِى لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ وليْلٍ أُقاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ[2]

فإنما وصفها عمرو بالطول لشدّة مكروهها على أعداء قومه ، ولا وجه لذلك غير ما قلت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن ليث ، عن مجاهد (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ) قال : بأنعم الله .

حدثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن عبيد المكتّب عن مجاهد (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ) قال : بنعم الله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عبيد المكتب ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبثر ، عن حصين ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بِأَيَّامِ اللهِ) قال : بنعم الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) البيت لعمرو بن كلثوم التغلبى من معلقته (انظر شرح المعلقات السبع للزوزنى) قال : يقول : نخبرك بوقائع لنا مشاهير . كالغر من الخيل . عصينا الملك فيها كراهية أن نطيعه ونتذلل له . والأيام الوقائع هنا ، والغر : بمعنى المشاهير ، كالخيل الغر ، لاشتهارها فيما بين الخيل ، وقوله أن ندين : كراهية أن ندين ، فحذف المضاف . هذا على قول البصريين . وقال الكوفيون : تقديره أن لا ندين ، فحذف لا . والبيت شاهد على أن الأيام المراد بها النعم لا الشدائد . وقال التبريزى : إنما سمى الأيام غرا طوالا ، لعلوهم على الملك ، وامتناعهم منه لعزهم ، فأيامهم غرلهم ، طوال على أعدائهم .

(٢) البيت للنابغة الذبيانى فى ديوانه (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ١٥٩) . وكلينى : دعينى وأميمة بالفتح ، والأحسن بالضم . قال الخليل : من عادة العرب أن تنادى المؤنث بالترخيم ، فلما لم يرخم هنا (بسبب الوزن) أجراها على لفظها مرخمة ، وأتى بها بالفتح . وناصب : متعب . وبطىء الكواكب : لاتغور كواكبه . وإنما كان الليل طويلا بطىء الكواكب ، لأن الشاعر كان فى حال كرب وشدة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبوحذيفة، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ) قال : بالنعم التي أنعم بها عليهم : أنجاهم من آل فرعون ، وفلق لهم البحر ، وظلّل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المنّ والسلوى .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حبيب بن حسان ، عن سعيد بن جبير (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ) قال : بنعم الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ) يقول : ذكرهم بنعم الله عليهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَذَكِّرْهُمْ بأيامِ اللهِ) قال : بنعم الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ) قال : أيامه التي انتقم فيها من أهل معاصيه من الأمم خوّفهم بها ، وحذّرهم إياها ، وذكّرهم أن يصيبهم ما أصاب الذين من قبلهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحِمَّانيّ ، قال : ثنا محمد بن أبان، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أُبَيٍّ ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ) قال : نعم الله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن عبيد الله أو غيره ، عن مجاهد (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ) قال : بنعم الله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) يقول : إن في الأيام التي سلفت بنعمي عليهم ، يعني على قوم موسى لآيات ، يعني : لعبرا ومواعظَ لكل صبار شكور : يقول : لكلّ ذي صبر على طاعة الله ، وشكر له على ما أنعم عليه من نعمه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قول الله عزّ وجلّ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) قال : نِعْم العبد عبد إذا ابتلى صبر ، وإذا أُعطى شكر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لقومه من

بنى إسرائيل (اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ) التى أنعم بها عليكم (إِذْ أَنجاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) يقول : حين أنجاكم من أهل دين فرعون وطاعته (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ) : أى يذيقونكم شديد العذاب (ويُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ) وأدخلت الواو فى هذا الموضع لأنه أريد بقوله (وَيُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ) الخبر عن أنّ آل فرعون كانوا يعذّبون بنى إسرائيل بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح. وأما فى موضع آخر من القرآن ، فإنه جاء بغير الواو (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ ، يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ) فى موضع ؛ وفى موضع (يُقَتِّلُونَ أَبْناءَكُمْ) ، ولم تدخل الواو فى المواضع التى لم تدخل فيها لأنه أريد بقوله (يُذَبِّحُونَ) وبقوله (يُقَتِّلُونَ) تبيينه صفات العذاب الذى كانوا يسومونهم ، وكذلك العمل فى كل جملة أريد تفصيلها ، فبغير الواو تفصيلها . وإذا أريد العطف عليها بغيرها وغير تفصيلها فالواو .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، فى قوله (وَإِذْ قالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ) : أيادى الله عندكم وأيامه .

وقوله (وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ) يقول : ويبقون نساءكم فيتركون قتلهنّ ، وذلك استحياؤهم كان إياهنّ . وقد بيّنّا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، ومعناه : يتركونهم ، والحياة : هى الترك . ومنه الخبر الذى رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اقْتُلُوا شُيُوخَ المُشْرِكِينَ وَاسْتَحْيُوا شَرْخَهُمْ » بمعنى : استبقوهم فلا تقتلوهم (وفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) يقول تعالى : وفيما يصنع بكم آل فرعون من أنواع العذاب بلاء لكم من ربكم عظيم : أى ابتلاء واختبار لكم من ربكم عظيم . وقد يكون البلاء فى هذا الموضع نعماء ، وقد يكون معناه : من البلاء الذى قد يصيب الناس فى الشدائد وغيرها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾

يقول جلّ ثناؤه : واذكروا أيضا حين آذنكم ربكم . وتأذّن : تفعّل من أذن ، والعرب ربما وضعت تفعّل موضع أفعل ، كما قالوا : أوعدته وتوعدته بمعنى واحد ، وآذن : أعلم ، كما قال الحارث بن حلّزة :

آذَنَتْنا بِبَيْنِها أَسْماءُ　　رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ [1]

يعنى بقوله : آذنتنا : أعلمتنا .

وذُكر عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان يقرأ (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ) « وإذ قال ربكم » .

---

(١) البيت مطلع معلقة الحارث بن حلزة اليشكرى : انظر شرح الزوزنى المعلقات السبع ، قال : الإيذان الإعلام (وهو محل الشاهد فى البيت) والبين : الفراق . والثواء والثوى : الإقامة ، والفعل : ثوى يثوى (كضرب يضرب) . يقول : أعلمتنا أسماء بمفارقتها إيانا ، أى بعزمها على فراقنا ، ثم قال : رب مقيم يمل إقامته ، ولم تكن أسماء منهم . يريد أنها وإن طالت إقامتها لم أملها .

حدثني بذلك الحارث ،قال : ثني عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش عنه ؛ حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ) : وإذ قال ربكم ذلك التأذّن .

وقوله (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) يقول : لئن شكرتم ربكم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم لأزيدنكم في أياديه عندكم ونعمه عليكم على ما قد أعطاكم من النجاة من آل فرعون ، والخلاص من عذابهم .

وقيل في ذلك قول غيره ، وهو ما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا الحسين بن الحسن ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : سمعت عليّ بن صالح ، يقول في قول الله عزّوجلّ (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكم) قال : أي من طاعتي .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا ابن المبارك قال : سمعت عليّ بن صالح ، فذكر نحوه .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) قال : من طاعتي .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مالك بن مغول ، عن أبان بن أبي عياش ، عن الحسن ، في قوله (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) قال : من طاعتي ، ولا وجه لهذا القول يفهم ، لأنه لم يجر للطاعة في هذا الموضع ذكر ، فيقال : إن شكرتموني عليها زدتكم منها ، وإنما جرى ذكر الخبر عن إنعام الله على قوم موسى بقوله (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ) ثم أخبرهم أن الله أعلمهم إن شكروه على هذه النعمة زادهم ، فالواجب في المفهوم أن يكون معنى الكلام : زادهم من نعمه ، لا مما لم يجر له ذكر من الطاعة ، إلا أن يكون أريد به : لئن شكرتم فأطعتموني بالشكر لأزيدنكم من أسباب الشكر ما يعينكم عليه ، فيكون ذلك وجها .

وقوله (وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) يقول : ولئن كفرتم أيها القوم نعمة الله ، فجحدتموها ، بترك شكره عليها ، وخلافه في أمره ونهيه ، وركوبكم معاصيه (إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) : أعذّبكم كما أعذّب من كفر بي من خلقي . وكان بعض البصريين يقول في معنى قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ) وتأذّن ربكم . ويقول : إذ من حروف الزوائد ، وقد دللنا على فساد ذلك فيما مضى قبل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

يقول تعالى ذكره (وَقَالَ مُوسَى) لقومه (إِنْ تَكْفُرُوا) أيها القوم ، فتجحدوا نعمة الله التي أنعمها عليكم أنتم ، ويفعل في ذلك مثل فعلكم (مَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعا ، فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيّ) عنكم وعنهم

من جميع خلقه ، لاحاجة به إلى شكركم إياه على نعمه عند جميعكم (حَمِيدٌ) ذو حمد إلى خلقه بما أنعم به عليهم .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : أخبرنا سيف ، عن أبي رَوق عن أبي أيوب ، عن عليّ (فإنّ اللهَ لَغَنِيّ) قال : غنيّ عن خلقه (حَمِيدٌ) قال : مستحمِد إليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى لقومه : يا قوم (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) يقول : خبر الذين من قبلكم من الأمم التي مضت قبلكم (قَوْمِ نُوحٍ وعادٍ وثَمُودَ) وقوم عاد[1] ، فبين بهم عن الذين ، وعاد معطوف بها على قوم نوح (والَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) يعني : من بعد قوم نوح وعاد وثمود (لايَعْلَمُهُمْ إلاّ اللهُ) يقول : لايحصى عددهم ، ولا يعلم مبلغهم إلا الله .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ابن ميمون (وعادٍ وثَمُودَ والَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لايَعْلَمُهُمْ إلاّ اللهُ) قال : كذب النسابون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود بمثل ذلك .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : ثنا ابن مسعود ، أنه كان يقرؤها (وعاداً وثَمُودَ والَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لايَعْلَمُهُمْ إلاّ اللهُ) ثم يقول : كذب النسابون .

حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عيسى بن جعفر ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، مثله .

وقوله (جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّناتِ) يقول : جاءت هؤلاء الأمم رسلهم الذين أرسلهم الله إليهم بدعائهم إلى إخلاص العبادة له بالبينات ، يعني بالحجج الواضحات ، والدلالات البينات الظاهرات على حقيقة ما دعوهم إليه من معجزات .

وقوله (فَرَدُّوا أيْدِيَهُمْ في أفْوَاهِهِمْ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : فعضوا على أصابعهم تغيظا عليهم في دعائهم إياهم إلى ما دعوهم إليه .

---

(١) (قوله قوم عاد) لعله زائد من قلم الناسخ ؛ لأن عادا مذكورة في الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ،قالا : ثنا عبد الرحمن، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عضوا عليها تغيظا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوريّ ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص، عن عبد الله ، في قوله(فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال: غيظا هكذا، وعض يده .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عضوها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء البصري ، قال : ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله في قول الله عزّ وجلّ (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال: عضوا على أصابعهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عضوا على أطراف أصابعهم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة عن عبد الله أنه قال في هذه الآية (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : أن يجعل إصبعه في فيه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا شعبة، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة ، عن عبد الله في قول الله عزّ وجلّ (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) ووضع شعبة أطراف أنامله اليسرى على فيه.

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يحيى بن عبّاد ، قال : ثنا شعبة، قال : أخبرنا أبو إسحاق، عن هبيرة ، قال : قال عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : هكذا ، وأدخل أصابعه في فيه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا شعبة ، قال أبو إسحاق: أنبأنا عن هبيرة،عن عبد الله أنه قال في هذه الآية (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال أبو عليّ : وأرانا عفان، وأدخل أطراف أصابع كفه مبسوطة في فيه ، وذكر أن شعبة أراه كذلك .

حدثنا أحمد، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان وإسرائيل، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال: عضوا على أناملهم. وقال سفيان: عضوا غيظا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) فقرأ (عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ) قال: ومعنى (رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : أدخلوا أصابعهم في أفواههم ، وقال : إذا اغتاظ الإنسان عضّ يده .

وقال آخرون : بل معنى ذلك: أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا منه ، ووضعوا أيديهم على أفواههم.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس

(فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم كذّبوهم بأفواههم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد « ح » وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : ردّوا عليهم قولهم وكذبوهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) يقول : قومهم كذّبوا رسلهم ، وردّوا عليهم ماجاءوا به من البيّنات وردّوا عليهم بأفواههم ، وقالوا (إِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : ردّوا على الرسل ماجاءت به ، وكأن مجاهدا وجّه قوله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) إلى معنى : ردّوا أياديّ الله التى لو قبلوها كانت أيادى ونعما عندهم فلم يقبلوها . ووجه قوله (فِي أَفْوَاهِهِمْ) إلى معنى : بأفواههم ، يعنى : بألسنتهم التى فى أفواههم . وقد ذُكر عن بعض العرب سماعا : أدخلك الله بالجنة ، يعنون فى الجنة ، وينشد هذا البيت :

وأَرْغَبُ فِيها عَنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ ولكِنَّنِي عَنْ سِنْبِسٍ لستُ أَرْغَبُ[1]

يريد : وأرغب فيها : يعنى أرغب بها عن لقيط ، ولا أرغب بها عن قبيلتى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرسل ردًّا عليهم قولهم ، وتكذيبا لهم . وقال آخرون : هذا مثل ، وإنما أريد أنهم كفوا عما أمروا بقبوله من الحقّ ، ولم يؤمنوا به ولم يسلموا ، وقال : يقال للرجل إذا أمسك عن الجواب ، فلم يجب : ردّ يده فى فمه . وذكر بعضهم أن العرب تقول : كلمت فلانا فى حاجة فردّ يده فى فيه : إذا سكت عنه فلم يجب ، وهذا أيضا قول لاوجه له لأن الله عزّوجلّ ذكره ، قد أخبر عنهم أنهم قالوا : إنا كفرنا بما أرسلتم به ، فقد أجابوا بالتكذيب .

⁂ وأشبه هذه الأقوال عندى بالصواب فى تأويل هذه الآية القول الذى ذكرناه عن عبدالله بن مسعود أنهم ردّوا أيديهم فى أفواههم ، فعضوا عليها غيظا على الرسل ، كما وصف الله عزّ وجلّ به إخوانهم من

---

(١) هذا البيت من شواهد الفراء أنشده إياه بعضهم (معانى القرآن مصورة جامعة القاهرة الورقة ١٦١) قال فى قوله تعالى : « فردوا أيديهم فى أفواههم » حاكيا قول بعض المفسرين : يقول : ردوا ما لو قبلوه لكان نعما وأيادى من الله . فى أفواههم : يقول : بأفواههم أى بألسنتهم . وقد وجدنا من العرب من يجعل « فى » فى موضع « الباء » ، فيقول : أدخلك الله بالجنة ، يريد : فى الجنة . قال : وأنشدنى بعضهم : وأرغب فيها . . . البيت . فقال : أرغب فيها ، يعنى بنتا له ، أى إنى أرغب بها عن لقيط .

المنافقين، فقال (وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنامِلَ مِنَ الغَيْظِ) فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم من ردّ اليد إلى الفم.

وقوله (وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) يقول عزّ وجلّ: وقالوا لرسلهم: إنا كفرنا بما أرسلكم به من أرسلكم من الدعاء إلى ترك عبادة الأوثان والأصنام وإنا لفى شكّ من حقيقة ما تدعوننا إليه من توحيد الله. مريب: يقول: يريبنا ذلك الشكّ: أي يوجب لنا الريبة والتهمة فيه، يقال منه: أراب الرجل: إذا أتى بريبة، يريب إرابة.

القول في تأويل قوله تعالى:

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

❁ يقول تعالى ذكره: قالت رسل الأمم التى أتتها رسلها: أفى الله أنه المستحقّ عليكم أيها الناس الألوهة والعبادة دون جميع خلقه، شكّ؟. وقوله (فاطِرِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) يقول: خالق السموات والأرض (يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) يقول: يدعوكم إلى توحيده وطاعته، (لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) يقول: فيستر عليكم بعض ذنوبكم بالعفو عنها، فلا يعاقبكم عليها (وَيُؤَخِّرَكُمْ) يقول: وينسىء فى آجالكم، فلا يعاقبكم فى العاجل فيهلككم، ولكن يؤخركم إلى الوقت الذى كتب فى أمّ الكتاب أنه يقبضكم فيه، وهو الأجل الذى سمى لكم، فقالت الأمم لهم (إِنْ أَنْتُمْ) أيها القوم (إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا) فى الصورة والهيئة، ولستم ملائكة، وإنما تريدون بقولكم هذا الذى تقولون لنا (أَنْ تَصُدُّونا عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا) يقول: إنما تريدون أن تصرفونا بقولكم، عن عبادة ما كان يعبده من الأوثان آباؤنا (فَأْتُونا بِسُلْطانٍ مُبِينٍ) يقول: فأتونا بحجة على ما تقولون، تبين لنا حقيقته وصحته، فنعلم أنكم فيما تقولون محقّون.

القول في تأويل قوله تعالى:

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

❁ يقول تعالى ذكره: قال[١]: الأمم التى أتتهم الرسل لرسلهم[١] (إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) صدقتم فى قولكم (إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا) فما نحن إلا بشر من بنى آدم إنس مثلكم (وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى

(١ - ١) كذا فى النسخ، ولعل الأصل: قالت الرسل لأممهم التى أرسلوا إليها: إن نحن... الخ.

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يقول : ولكن الله يتفضّل على من يشاء من خلقه ، فيهديه ويوفّقه للحقّ ، ويفضله على كثير من خلقه (وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ) يقول : وما كان لنا أن نأتيكم بحجة وبرهان على ما ندعوكم إليه (إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ) يقول : إلا بأمر الله لنا بذلك (وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) يقول : وبالله فليثق به من آمن به وأطاعه فإنا به نثق وعليه نتوكل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) قال : السلطان المبين : البرهان والبينة . وقوله (مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا) قال : بينة وبرهانا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

* يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الرسل لأممها (وَمَا لَنَا أَنْ لَا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ) فنثق به وبكفايته ودفاعه إياكم عنا ، (وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا) يقول : وقد بصرنا طريق النجاة من عذابه ، فبين لنا ، (وَلَنَصْبِرَنَّ على ما آذَيْتُمُونَا) فى الله ، وعلى ما نلقى منكم من المكروه فيه بسبب دعائنا إليكم إلى ما ندعوكم إليه من البراءة من الأوثان والأصنام ، وإخلاص العبادة له (وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) يقول : وعلى الله فليتوكل من كان به واثقا من خلقه ، فأما من كان به كافرا ، فإن وليه الشيطان .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾

* يقول عزّ ذكره : وقال الذين كفروا بالله لرسلهم الذين أرسلوا إليهم حين دعوهم إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، وفراق عبادة الآلهة والأوثان (لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا) يعنون : من بلادنا ، فنطردكم عنها (أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا) يعنون : إلا أن تعودوا فى ديننا الذى نحن عليه من عبادة الأصنام وأدخلت فى قوله (لَتَعُودُنَّ) لام ، وهو فى معنى شرط ، كأنه جواب لليمين .

وإنما معنى الكلام : لنخرجنّكم من أرضنا ، أو تعودنّ فى ملتنا ، ومعنى « أو » ههنا معنى « إلا » أو معنى « حتى » كما يقال فى الكلام : لأضربنك أو تقرّ لى ، فمن العرب من يجعل ما بعد « أو » فى مثل هذا الموضع عطفا على ماقبله ، إن كان ماقبله جزما جزموه ، وإن كان نصبا نصبوه ، وإن كان فيه لام جعلوا فيه

لاما ، إذ كانت « أو » حرف نَسَق . ومنهم من ينصب « ما» بعد « أو » بكل حال، ليعلم بنصبه أنه عن الأوّل منقطع عما قبله ، كما قال امرؤ القيس :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رأى الدَّرْبَ دُونَهُ وأيْقَنَ أنَّا لاحِقان بقَيْصَرَا
فَقُلْتُ لَهُ : لاتَبْكِ عَيْنُكَ إنَّمَا نحاولُ مُلْكا أو نَمُوتَ فَنُعْذَرَا[١]

فنصب نموتَ فنعذرا ، وقد رفع نحاولُ ، لأنه أراد معنى : إلا أن نموت ، أوحتى نموت ، ومنه قول الآخر :

لا أستَطِيعُ نُزُوعا عَنْ مَوَدَّتِها أويَصْنَعَ الحُبُّ بي غيرَ الَّذِي صَنَعا[٢]

وقوله (فَأَوْحَى إلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ) الذين ظلموا أنفسهم ، فأوجبوا لها عقاب الله بكفرهم ، وقد يجوز أن يكون قيل لهم : الظالمون لعبادتهم ، مَنْ لاتجوز عبادته من الأوثان والآلهة ، فيكون بوضعهم العبادة فى غير موضعها ، إذ كان ظلما سُموا بذلك ظالمين .

وقوله (وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ) هذا وعد من الله مَن وَعَد من أنبيائه النصرعلى الكفرة به من قومه ، يقول : لما تمادت أمم الرسل فى الكفر ، وتوعَّدوا رسلهم بالوقوع بهم ، أوحى الله إليهم بإهلاك من كفر بهم من أممهم ووعدهم النصر ، وكلّ ذلك كان من الله وعيدا وتهديدا لمشركى قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، على كفرهم به وجراءتهم على نبيه ، وتثبيتا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأمرا له بالصبر على ما لقى من المكروه فيه من مشركى قومه ، كما صبر من كان قبله من أولى العزم من رسله ، ومعرِّفَهُ أن عاقبة أمر من كفر به الهلاك ، وعاقبته النصرعليهم (سُنَّةَ اللهِ فى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ) قال : وعدهم النصر فى الدنيا ، والجنة فى الآخرة .

وقوله (ذَلِكَ لِمَنْ خافَ مَقَامِى وَخافَ وَعِيدِ) يقول جلّ ثناؤه : هكذا فِعلى لمن خاف مقامه بين يدىّ ، وخاف وعيدى فاتقانى بطاعته ، وتجنب سخطى ، أنصره على من أراد به سوءا ، وبغاه مكروها من أعدائى ، أُهلك عدوّه ، وأخزيه وأورثه أرضه ودياره ، وقال (لِمَنْ خافَ مَقَامِى) ومعناه : ماقلت من أنه لمن خاف مقامه بين يدىّ بحيث أقيمه هنالك للحساب ، كما قال (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ

---

(١) البيتان لامرئ القيس يخاطب بهما صاحبه عمرو بن قميئة الشاعر ، وكان رحل معه إلى قيصر يستعين به على حرب بنى أسد الذين قتلوا أباه . (انظر مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ٥٨) والدرب المدخل بين جبلين ، والمراد الطريق بين بلاد العرب وبلاد الروم . يقول : لما رأى صاحبى أننا نسير فى الدرب الموصل إلى بلاد الروم ، (وكان امرؤ القيس طوى عنه خبر رحلته إلى قيصر) حن إلى بلاده ، وبكى إشفاقا من طول الرحلة .

والشاهد هنا فى البيت الثانى أن الفعل نموت منصوب بأن بعد أو لأنها هنا بمعنى إلا . وهو مما قرره النحاة ، واستشهدوا عليه بهذا البيت وغيره . قال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٦١ — ١٦٢) بعد أن أنشد البيتين ونسبهما إلى امرئ القيس ، فنصب آخره : نموت ورفع نحاول ؛ على معنى « إلا » . وفى إحدى القراءتين : « تقاتلونهم أو يسلموا » . والمعنى والله أعلم — تقاتلونهم حتى يسلموا .

(٢) وهذا البيت من شواهد الفراء (معانى القرآن للفراء مصورة الجامعة الورقة ١٦٢) قال : وقال الشاعر : لا أستطيع . . . الخ ثم قال بعده : وأنت قائل فى الكلام : لست لأبى إن لم أقتلك أو تسبقنى فى الأرض ، فتنصب « تسبقنى » وتجزمها .

أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) معناه : وتجعلون رزق إياكم أنكم تكذبون، وذلك أن العرب تضيف أفعالها إلى أنفسها ، وإلى ما أوقعت عليه ، فتقول : قد سررت برؤيتك وبرؤيتى إياك، فكذلك ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : واستفتحت الرسل على قومها : أى استنصرت الله عليها (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) يقول : هلك كل متكبر جائر حائد عن الإقرار بتوحيد الله، وإخلاص العبادة له . والعنيد والعاند والعنود بمعنى واحد ، ومن الجبار تقول : هو جبار بيِّن الجَبرية والجَبروتية والجُبُرُوَّة والجَبَرُوت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (وَاسْتَفْتَحُوا) قال : الرسل كلها ، يقول : استنصروا على أعدائهم ومعانديهم : أى على من عاند عن اتباع الحقّ وتجنبه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، « ح » ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَاسْتَفْتَحُوا) قال : الرسل كلها استنصروا (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال: معاند للحقّ مجانبه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ؛

وقال ابن جريج : استفتحوا على قومهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى، حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس(وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : كانت الرسل والمؤمنون يستضعفهم قومهم ، ويقهرونهم ، ويكذّبونهم ، ويدعونهم إلى أن يعودوا فى ملّتهم ، فأبى الله عزّ وجلّ لرسله وللمؤمنين أن يعودوا فى ملّة الكفر ، وأمرهم أن يتوكّلوا على الله ، وأمرهم أن يستفتحوا على الجبابرة ، ووعدهم أن يسكنهم الأرض من بعدهم، فأنجز الله لهم ما وعدهم ، واستفتحوا كما أمرهم أن يستفتحوا (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم، فى قوله (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : هو الناكب عن الحقّ : أى الحائد عن اتباع طريق الحقّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا مطرف ، عن بشر ، عن هشيم ، عن مغيرة ، عن سماك ، عن إبراهيم (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : الناكب عن الحقّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاسْتَفْتَحُوا) يقول : استنصرت الرسل على قومها . قوله (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) والجبار العنيد : الذى أبى أن يقول : لا إله إلا الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاسْتَفْتَحُوا) قال : استنصرت الرسل على قومها (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) يقول : بعيد عن الحقّ مُعرض عنه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله ، وزاد فيه : معرض عنه أبى أن يقول : لا إله إلا الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : العنيد عن الحقّ الذى يعند عن الطريق ، قال : والعرب تقول : شرّ الإبل العنيد الذى يخرج عن الطريق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : الجبار : هو المتجبر .

وكان ابن زيد يقول فى معنى قوله ، (وَاسْتَفْتَحُوا) خلاف قول هؤلاء ، ويقول : إنما استفتحت الأمم ، فأجيبت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاسْتَفْتَحُوا) قال : استفتاحهم بالبلاء ، قالوا : اللهمّ إن كان هذا الذى أتى به محمد هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط ، أو ائتنا بعذاب أليم ، قال : كان استفتاحهم بالبلاء ، كما استفتح قوم هود (ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) قال : فالاستفتاح : العذاب . قال : قيل لهم : إن لهذا أجلا ، حين سألوا الله أن ينزل عليهم ، فقال : بل نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، فقالوا : لا نريد أن نؤخر إلى يوم القيامة (رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا) عذابنا قبل يوم الحساب . وقرأ (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ) حتى بلغ (وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ : ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾

يقول عزّ ذكره (مِنْ وَرَائِهِ) من أمام كلّ جبار (جَهَنَّمُ) يردونها . ووراء فى هذا الموضع : يعنى أمام ، كما يقال : إن الموت من ورائك : أى قدامك ، وكما قال الشاعر :

أَتُوعِدُنِى وَرَاءَ بَنِى رِيَاحٍ كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ دُونِى[1]

(١) البيت لجرير فى ديوانه ، وفى (مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٣٧) وقد استشهد به المؤلف فى هذا الجزء ص ١٢٩ على أن « دونى » بمعنى « عنى » والشاهد هنا أن قوله « وراء بنى رياح » بمعنى أمامهم ، وذلك عند تفسير قوله تعالى : « من ورائه جهنم » قال : مجازه : قدامه وأمامه ؛ يقال : إن الموت من ورائك ، أى قدامك . وقال : أتوعدنى . . . . البيت

يعنى : وراء بنى رياح : قدّام بنى رياح وأمامهم .

وكان بعض نحويّ أهل البصرة يقول : إنما يعنى بقوله (مِنْ وَرَائِهِ) : أى من أمامه ، لأنه وراء ماهو فيه ، كما يقول لك : وكلّ هذا من ورائك : أى سيأتى عليك ، وهو من وراء ما أنت فيه ، لأن ما أنت فيه قد كان قبل ذلك ، وهو من ورائه . وقال (وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً) من هذا المعنى : أى كان وراءَ ماهم فيه أمامَهم. وكان بعض نحويّى أهل الكوفة يقول : أكثر ما يجوز هذا فى الأوقات ، لأن الوقت يمرّ عليك ، فيصير خلفك إذا جُزْته ، وكذلك كان وراءهم ملك ، لأنهم يجوزونه فيصير وراءهم . وكان بعضهم يقول : هو من حروف الأضداد، يعنى وراء: يكون قداما وخلفا .

وقوله (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) يقول : ويُسقى من ماء ، ثم بين ذلك الماء جلّ ثناؤه، وماهو ، فقال : هو صديد ، ولذلك ردّ الصديد فى إعرابه على الماء ، لأنه بيان عنه ، والصديد: هو القيح والدم. وكذلك تأوّله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال: ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن؛ قال : ثنا ورقاء « ح » ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) قال : قيح ودم .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، قوله (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) والصديد : ما يسيل من دمه ولحمه وجلده .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) قال : ما يسيل من بين لحمه وجلده .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عمن ذكره، عن الضحاك (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) قال : يعنى بالصديد : ما يخرج من جوف الكافر قد خالط القيْحَ والدم .

وقوله (يَتَجَرَّعُهُ) يتحسّاه (وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ) يقول : ولايكاد يزدرده من شدّة كراهته، وهو يسيغه من شدّة العطش ، والعرب تجعل « لايكاد » فيما قد فُعِل، وفيما لم يفعل . فأما ماقد فعل فمنه هذا ، لأن الله جلّ ثناؤه جعل لهم ذلك شرابا ؛ وأما ما لم يُفْعل، وقد دخلت فيه « كاد » ، فقوله (حَتَّى إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) فهو لايراها .

وبنحو ما قلنا من أن معنى قوله (وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ) وهو يسيغه، جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الرواية بذلك .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا إبراهيم أبوإسحاق الطالَقانىّ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن صفوان

ابن عمرو ، عن عبيد الله بن بسر ، عن أبي أمامة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم « فى قوله (وَيُسْقَى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ) فإذا شَرِبَهُ قَطَّعَ أمْعاءَهُ حتى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ » يقول الله عزّ وجلّ (وَسُقُوا ماءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أمْعاءَهُمْ) ، ويقول (وَإنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كالمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرابُ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا معمر ، عن ابن المبارك ، قال : ثنا صفوان بن عمرو ، عن عبيد الله بن بُسْر ، عن أبي أمامة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فى قوله(وَيُسْقَى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ) فذكر مثله ، إلا أنه قال (سُقُوا ماءً حَمِيمًا) » .

حدثني محمد بن خلف العَسْقلانى ، قال : ثنا حَيْوة بن شُرَيْح الحِمْصِيّ ، قال : ثنا بقية ، عن صفوان ابن عمرو ، قال : ثني عبيد الله بن بسر ، عن أبي أمامة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم مثله سواء .

وقوله (وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلّ مَكانٍ وَما هُوَ بِمَيِّتٍ) فإنه يقول : ويأتيه الموت من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وشماله ، ومن كلّ موضع من أعضاء جسده (وَما هُوَ بِمَيِّتٍ) لأنه لاتخرج نَفْسه فيموت فيستريح ، ولا يحيا لتعلق نفسه بالحناجر ، فلا ترجع إلى مكانها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، فى قوله (يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ ، وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلّ مَكانٍ وَما هُوَ بِمَيِّتٍ) قال : تعلق نفسه عند حنجرته ، فلا تخرج من فيه فيموت ، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فيجد لذلك راحة فتنفعه الحياة.

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : ثنا العوّام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمىّ قوله (وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلّ مَكانٍ) قال : من تحت كلّ شعرة فى جسده . وقوله (وَمِنْ وَرائِهِ عَذابٌ غَلِيظٌ) يقول : ومن وراء ما هو فيه من العذاب ، يعنى أمامه وقدامه عذاب غليظ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾

اختلف أهل العربية فى رافع مَثَلُ ، فقال بعض نحويّي البصرة : إنما هو كأنه قال : ومما نقصّ عليك (مَثَلُ الّذِينَ كَفَرُوا) ، ثم أقبل يفسر كما قال (مَثَلُ الجَنَّةِ) ، وهذا كثير . وقال بعض نحويّي الكوفيين : إنما المَثَل للأعمال ، ولكن العرب تُقَدّم الأسماء ، لأنها أعرف ، ثم تأتي بالخبر الذى تخبر عنه مع صاحبه . ومعنى الكلام : مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرَماد ، كما قيل : (وَيَوْمَ القِيامَةِ تَرَى الّذِينَ كَذَبُوا على اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدّةٌ) ومعنى الكلام : ترى ويوم القيامة وجوه الذين كذبوا على الله مسودّة ، قال : ولو خفض الأعمال جاز ، كما قال (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ

قِتالٍ فِيهِ) . . . الآية . وقوله (مَثَلُ الجَنَّةِ التى وُعِدَ المُتَّقُونَ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنهارُ) قال : فتجرى هو فى موضع الخبر ، كأنه قال : أن تجرىَ ، وأن يكون كذا وكذا ، فلو أدخل « أن » جاز ، قال : ومنه قول الشاعر :

ذَرِينى إنَّ أمْرَكِ لَنْ يُطاعا   وَما ألْفَيْتِنِى حِلْمِى مُضاعا[1]

قال : فالحلم منصوب بألفيت على التكرير ، قال : ولو رفعه كان صوابا ، قال : وهذا مثَل ضربه الله لأعمال الكفَّار ، فقال : مثل أعمال الذين كفروا يوم القيامة التى كانوا يعملونها فى الدنيا يزعمون أنهم يريدون الله بها ، مثل رماد عصفت الريح عليه فى يوم ريح عاصف ، فنسفته ، وذهبت به ، فكذلك أعمال أهل الكفر به يوم القيامة ، لا يجدون منها شيئا ينفعهم عند الله ، فينجيهم من عذابه ، لأنهم لم يكونوا يعملونها لله خالصا ، بل كانوا يشركون فيها الأوثان والأصنام ، يقول الله عزّ وجلّ (ذلكَ هُوَ الضَّلالُ البَعِيدُ) يعنى أعمالهم التى كانوا يعملونها فى الدنيا التى يشركون فيها مع الله شركاء ، هى أعمال عُملت على غير هدى واستقامة ، بل على جَوْر عن الهدى بعيد ، وأخذ على غير استقامة شديد . وقيل (فى يَوْمٍ عاصِفٍ) فوُصف بالعُصوف ، وهو من صفة الريح ، لأن الريح تكون فيه كما يقال : يوم بارد ، ويوم حارّ ، لأن البرد والحرارة يكونان فيه ؛ وكما قال الشاعر :

يَوْمَيْنِ غَيْمَيْنِ وَيَوْما شَمْسا[2]

فوصف اليومين بالغيمين ، وإنما يكون الغيم فيهما ، وقد يجوز أن يكون أريد به فى يوم عاصف الريح ، فحُذفت الريح ، لأنها قد ذُكرت قبل ذلك ، فيكون ذلك نظير قول الشاعر :

إذَا جاءَ يَوْمٌ مُظْلِمُ الشَّمْسِ كاسِفُ[3]

يريد : كاسف الشمس ، وقيل : هو من نعت الريح خاصة ، غير أنه لما جاء بعد اليوم أتبع إعرابه ، وذلك أن العرب تتبع الخفضَ الخفضَ فى النعوت ، كما قال الشاعر :

---

(١) البيت لعدى بن زيد العبادي على الصحيح ، كما قاله الفراء والزجاج وصاحب الحماسية البصرية . ونسبه سيبويه لرجل من خثعم أو بجيلة ، وهو شاهد عند النحاة على أن قوله « حلمى » بدل اشتمال من الياء فى « ألفيتنى » . قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : إنما يجوز البدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب إذا كان بدل البعض أو بدل الاشتمال . نحو قولك : عجبت منك عقلك ، وضربتك رأسك . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٦٣) فالحلم منصوب بالإلقاء على التكرير (البدل) ولو رفعته كان صوابا . قلت : وإنما يكون ذلك إذا رفع لفظ « مضاع » على أن الجملة من المبتدإ والخبر فى محل نصب مفعول ثان لألفيتنى . ولكن قوافى القصيدة مرفوعة ، فلا يجوز إذن غير القول الأول فى البيت .

(٢) البيت من الرجز أنشده الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة الورقة ١٦٣) عند قوله تعالى : « فى يوم عاصف » ، قال : فجعل العصوف تابعا لليوم فى إعرابه ، وإنما العصوف للريح ، وذلك جائز على جهتين : إحداهما : أن العصوف وإن كان للريح ، فإن اليوم يوصف به ، لأن الريح فيه تكون ، فجاز أن تقول : يوم بارد ويوم حار . وقد أنشدنى بعضهم : « يومين غيمين ويوما شمسا » فوصف اليومين بالغيمين ، وإنما يكون الغيم فيهما . والوجه الآخر : أن يريد فى يوم عاصف الريح ، فتحذف الريح لأنها قد ذكرت فى أول الكلمة ، كما قال الشاعر :

وَيُضْحِكُ عِرْفانُ الدُّرُوعِ جُلُودَنا   إذا جاءَ يَوْمٌ مُظْلِمُ الشمسِ كاسِفُ

يريد : كاسف الشمس .

(٣) هذا عجز بيت استشهد به الفراء على أن معناه : كاسف الشمس ، وذكرنا البيت كله فى الكلام على الشاهد الذى قبله .

تُرِيكَ سُنَّةَ وَجْهٍ غيرِ مُقْرِفَةٍ مَلْساءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ[١]

فخفض غير إتباعا لإعراب الوجه، وإنما هى من نعت السنة، والمعنى : سُنَّةَ وجه غَيرَ مقرفة ، وكما قالوا : هذا جُحرُ ضبٍّ خربٍ[٢] .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله (كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ) قال : حملته الريح (فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِى يَوْمٍ عاصِفٍ) يقول : الذين كفروا بربهم وعبدوا غيره ، فأعمالهم يوم القيامة كرماد اشتدّت به الريح فى يوم عاصف، لايقدرون على شىء من أعمالهم ينفعهم ، كما لايقدر على الرماد إذا أرسل عليه الريح فى يوم عاصف .

وقوله (ذلكَ هُوَ الضَّلالُ البَعيدُ) : أى الخطأ البين البعيد عن طريق الحقّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾

يقول عزّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يامحمد بعين قلبك ، فتعلم أن الله أنشأ السموات والأرض بالحقّ منفردا بانشائها بغير ظهير ولا معين (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) يقول : إن الذى تفرّد بخلق ذلك وإنشائه من غير معين ولا شريك، إن هو شاء أن يُذْهِبَكم فيفنيَكم أذهبكم وأفناكم ، ويأت بخلق آخر سواكم مكانكم ، فيجدّد خلقهم (وَما ذلكَ على اللهِ بِعَزِيزٍ) يقول : وما إذهابكم وإفناؤكم وإنشاء خلق آخر سواكم مكانكم على الله بممتنع ولامتعذّر ، لأنه القادرعلى ما يشاء .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ) فقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : خَلَقَ على فعَل . وقرأته عامّة قرّاء أهل الكوفة خالق على فاعل ، وهما قراءتان مستفيضتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القرّاء متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

---

(١) البيت من شواهد الفراء . فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ص ١٦٣) على الخفض على المجاورة . قال فى الآية « ريح عاصف » . وإن نويت أن تجعل « عاصف » من نعت الريح خاصة، فلما جاء بعد اليوم أتبعته بإعراب اليوم ، وذلك من كلام العرب : أن يتبعوا الخفض الخفض إذا أشبهه ، قال الشاعر : تريك سنة وجه ... البيت اهـ . وقال بعضهم : سمعت الفراء قال: قلت لأبى ثروان وقد أنشدنى هذا البيت بخفض : كيف تقول : تريك سنة وجه غير مقرفة ؟ قال : تريك سنة وجه غير مقرفة (بجر غير) قلت : فأنشد ، فخفض غير ، فأعدت القول عليه فقال : الذى تقول أنت أجود مما أقول أنا . وكان إنشاده على الخفض .

(٢) يذهب ابن جنى فى تخريج هذا المثال مذهبا لعله استمده من كلام الفراء ، فيجعل خرب نعتا سببيا لضب المجرور ، وفاعله محذوف ، والتقدير : خرب جحره ؛ وعليه فلا شذوذ فيه ، كما قال فى الخصائص (طبعة جديدة بدار الكتب ١ : ١٩١ – ١٩٢) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ (٢١)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعا) وظهر هؤلاء الذين كفروا به يوم القيامة من قبورهم فصاروا بالبراز من الأرض جميعا ، يعنى كلهم (فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) يقول : فقال التباع منهم للمتبوعين ، وهم الذين كانوا يستكبرون فى الدنيا عن إخلاص العبادة لله ، واتباع الرسل الذين أرسلوا إليهم (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعا) فى الدنيا ، والتَّبَع : جمع تابع ، كما الغَيَبُ جمع غائب ، وإنما عَنَوا بقولهم : إنا كنا لكم تبعا ، أنهم كانوا أتباعهم فى الدنيا يأتمرون لما يأمرونهم به من عبادة الأوثان والكفر بالله ، وينتهون عما نهوهم عنه من اتباع رسل الله (فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ) يعنون : فهل أنتم دافعون عنا اليوم من عذاب الله من شىء . وكان ابن جريج يقول نحو ذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَقَالَ الضُّعَفَاءُ) قال : الأتباع (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) قال : للقادة .

وقوله (لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ) يقول عزّ ذكره : قالت القادة على الكفر بالله لتباعها (لَوْ هَدَانَا اللهُ) يعنون : لو بين لنا شيئا ندفع به عذابه عنا اليوم (لَهَدَيْنَاكُمْ) لبيّنا ذلك لكم حتى تدفعوا العذاب عن أنفسكم ، ولكنا قد جزعنا من العذاب ، فلم ينفعنا جزعنا منه وصبرنا عليه (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ) يعنون : ما لهم من مزاغ يزوغون عنه ، يقال منه : حاص عن كذا إذا زاغ عنه يحيص حَيْصا وحُيُوصا وحَيَصانا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن الحكم ، عن عمرو بن أبى ليلى أحد بنى عامر ، قال : سمعت محمد بن كعب القُرَظِيّ يقول : بلغنى أو ذُكر لى أن أهل النار قال بعضهم لبعض : ياهؤلاء ، إنه قد نزل بكم من العذاب والبلاء ما قد ترون ، فهلمّ فلنصبر ، فلعلّ الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله ، فنفعهم الصبر إذ صبروا ، قال : فيجمعون رأيهم على الصبر ، قال : فصبروا فطال صبرهم ، ثم جزعوا فنادوا (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ) أى منجى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ) قال : إن أهل النار قال بعضهم لبعض : تعالَوا ، فإنما أدرك أهل الجنة الجنةَ ببكائهم وتضرّعهم إلى الله ، فتعالَوا نبكى ونتضرّع إلى الله ، قال : فبكَوا ، فلما رأوا ذلك لاينفعهم

قالوا : تعالوا ، فما أدرك أهل الجنة الجنةَ إلا بالصبر ، تعالَوا نصبر فصبَروا صبرا لم يُرمثله ، فلم ينفعهم ذلك فعند ذلك قالوا (سَوَاءٌ عَلَيْنا أجزِعْنا أمْ صَبَرْنا مالَنا مِنْ مَحِيصٍ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : وقال إبليس لما قُضِيَ الأمر ، يعنى لما أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ، واستقرّ بكلّ فريق منهم قَرارهم : إن الله وعدكم أيها الأتباع النار ، ووعدتكم النُّصْرة فأخلفتكم وعدى ، ووفى الله لكم بوعده (وَمَا كانَ لى عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ) يقول : وما كان لى عليكم فيما وعدتكم من النصرة من حجة تثبت لى عليكم بصدق قولى (إلاّ أنْ دَعَوْتُكُمْ) وهذا من الاستثناء المنقطع عن الأول كما تقول : ما ضربته إلا أنه أحمق ، ومعناه : ولكن دعوتكم (فاسْتَجَبْتُمْ لى) يقول : إلا أن دعوتكم إلى طاعتى ومعصية الله ، فاستجبتم لدعائى (فَلا تَلُومُونى) على إجابتكم إياى (وَلُومُوا أنْفُسَكُمْ) عليها (ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ) يقول : ما أنا بمغيثكم (وَما أنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) ولا أنتم بمغيثيّ من عذاب الله فمنجيّ منه (إنّى كَفَرْتُ بِمَا أشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) يقول : إنى جحدت أن أكون شريكا لله فيما أشركتمونى فيه من عبادتكم من قبلُ فى الدنيا (إنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ ألِيمٌ) يقول : إنَّ الكافرين بالله لهم عذاب أليم من الله مُوجع ، يقال : أصرخت الرجل : إذا أغثته إصراخا ، وقد صرخ الصارخ يصرخ ، ويصرخ قليلة[1] وهو الصريخ والصراخ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر فى هذه الآية (ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ وَما أنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ، إنّى كَفَرْتُ بِمَا أشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) قال : خطيبان يقومان يوم القيامة : إبليس ، وعيسى بن مريم ؛ فأما إبليس فيقوم فى حزبه فيقول : هذا القول ؛ وأما عيسى عليه السلام فيقول (ما قُلْتُ لَهُمْ إلاّ ما أمَرْتَنِى بِهِ أنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبّى وَرَبَّكُمْ ، وكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنْتَ أنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وأنْتَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) .

(١) لعله يريد أن الفعل يصرخ بضم الراء ، وأن فيه لغة قليلة بفتحها . ولم أجدها فى المعاجم التى بين أيدينا ، ولا فى معانى القرآن ولا فى مجاز القرآن لأبى عبيدة .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبى ، قال : يقوم خطيبان يوم القيامة : أحدهما عيسى ، والآخر إبليس ؛ فأما إبليس فيقوم فى حزبه فيقول : (إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ) فتلا داود حتى بلغ (بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) فلا أدرى أتم الآية أم لا ؟ وأما عيسى عليه السلام فيقال له : (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ) ، فتلا حتى بلغ (إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا على بن عاصم ، عن داود بن أبى هند ، عن عامر ، قال : يقوم خطيبان يوم القيامة على رءوس الناس ، يقول الله عز وجل : ياعيسى بن مريم (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ) . . . إلى قوله (هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) قال : ويقوم إبليس فيقول : (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ، فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ، مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) ما أنا بمغيثكم ، وما أنتم بمغيثى .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنى خالد ، عن داود ، عن الشعبى ، فى قوله (مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) قال : خطيبان يقومان يوم القيامة ؛ فأما إبليس فيقول هذا ؛ وأما عيسى فيقول (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ) .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن رشدين بن سعد ، قال : أخبرنى عبد الرحمن بن زياد ، عن دُخَين الحجْرى ، عن عقبة بن عامر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر الحديث قال « يقول عيسَى ذلِكُمُ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ فَيَأْتُونَنِي ، فَيَأْذَنُ اللهُ لي أنْ أقُومَ فَيَثُورُ مِنْ مَجْلِسِي مِنْ أطْيَبِ رِيحٍ شَمَّها أحَدٌ حتى آتِيَ رَبِّي ، فَيُشَفِّعُنِي ، وَيَجْعَلَ لي نُوراً إلى نُورٍ مِنْ شَعْرِ رأسِي إلى ظُفُرِ قَدَمِي ، ثُمَّ يَقُولُ الكافِرُونَ : قَدْ وَجَدَ المُؤْمِنُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ فَقُمْ أنْتَ فاشْفَعْ لَنا ، فإنَّكَ أنْتَ أضْلَلْتَنا ، فَيَقُومُ فَيَثُورُ مِنْ مَجْلِسِهِ أنْتَنُ رِيحٍ شَمَّها أحَدٌ ، ثُمَّ يَعْظُمُ نَحِيبُهُمْ ، وَيَقُولُ عِنْدَ ذلكَ : إنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فأخْلَفْتُكُمْ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن ، فى قوله (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) قال : إذا كان يوم القيامة ، قام إبليس خطيبا على منبر من نار ، فقال (إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ) . . . إلى قوله (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) قال : بناصرىَّ (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) قال : بطاعتكم إياى فى الدنيا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك عمن ذكره ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظى ، قال : فى قوله (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ) قال : قام إبليس يخطبهم فقال (إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ) . . . إلى قوله (مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ) يقول : بمغن عنكم شيئا (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) قال :

فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم ، قال: فنودوا (لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) ... الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) ما أنا بمغيثكم ، وما أنتم بمغيثيّ .

وقوله (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) يقول : عصيت الله قبلكم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) قال : هذا قول إبليس يوم القيامة ، يقول : ما أنتم بنافعيّ ، وما أنا بنافعكم ، إني كفرت بما أشركتمون من قبل ، قال : شركته : عبادته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسين قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (بِمُصْرِخِيَّ) قال : بمغيثيّ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، قال : ما أنا بمنجيكم وما أنتم بمنجيّ .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : خطيب السوء إبليس الصادق أفرأيتم صادقا لم ينفعه صدقه (إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ، وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) أقهركم به (إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي) قال : أطعتموني (فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ) حين أطعتموني (ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ) ما أنا بناصركم ولا مغيثكم (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) : وما أنتم بناصريّ ولا مغيثيّ لما بي (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن الحكم ، عن عمرو بن أبي ليلى ، أحد بني عامر ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظيّ يقول (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ) قال : قام إبليس عند ذلك ، يعني حين قال أهل جهنم (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ) ، فخطبهم فقال (إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ) . . . إلى قوله (ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ) يقول : بمغن عنكم شيئا (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) قال : فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم ، قال: فنودوا (لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾

❊ يقول عزّ ذكره : وأدخل الذين صدقوا الله ورسوله ، فأقرّوا بوحدانية الله وبرسالة رسله ، وأن ما جاءت به من عند الله حقّ (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : وعملوا بطاعة الله ، فانتهوا إلى أمر الله ونهيه (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ) بساتين تجرى من تحتها الأنهار (خالِدِينَ فِيها بإذْنِ رَبِّهِمْ) يقول : أدخلوها بأمر الله لهم بالدخول (تَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ) وذلك إن شاء الله كما حدثنا القاسم ، قال ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قوله (تَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ) قال : الملائكة يسلمون عليهم فى الجنة .

وقوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يا محمد بعين قلبك ، فتعلم كيف مثّل الله مثلاً ، وشبّه شبها كلمة طيبة ، ويعنى بالطيبة : الإيمان به جلّ ثناؤه ، كشجرة طيبة الثمرة ، وترك ذكر الثمرة استغناء بمعرفة السامعين عن ذكرها بذكر الشجرة . وقوله (أَصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها فِي السَّماءِ) يقول عزّ ذكره : أصل هذه الشجرة ثابت فى الأرض ، وفرعها ، وهو أعلاها فى السماء : يقول : مرتفع علوا نحو السماء . وقوله(تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) يقول : تطعم مايؤكل منها من ثمرها (كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ لِلنَّاسِ) يقول : ويمثّل الله الأمثال للناس ، ويشبه لهم الأشياء (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يقول : ليتذكروا حجة الله عليهم ، فيعتبروا بها ويتعظوا ، فينزجروا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان .

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالكلمة الطيبة ، فقال بعضهم : عنى بها : إيمان المؤمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَلِمَةً طَيِّبَةً) شهادة أن لاإله إلا الله (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) وهو المؤمن (أَصْلُها ثابِتٌ) يقول : لاإله إلا الله ثابت فى قلب المؤمن (وَفَرْعُها فِي السَّماءِ) يقول : يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس

(كَلِمَةً طَيِّبَةً) قال : هذا مثل الإيمان ، فالإيمان : الشجرة الطيبة ، وأصله الثابت الذى لايزول : الإخلاص لله ، وفرعه فى السماء ، فرعه : خشية الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : كنخلة .

قال ابن جريج : وقال آخرون : الكلمة الطيبة أصلها ثابت فى ذات أصل فى القلب (وَفَرْعُهَا فِي السَّماءِ) تعرج فلا تحجب حتى تنتهى إلى الله .

وقال آخرون : بل عنى بها المؤمن نفسه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّماءِ ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) ، يعنى بالشجرة الطيبة : المؤمن ، ويعنى بالأصل الثابت : فى الأرض ، وبالفرع فى السماء : يكون المؤمن يعمل فى الأرض ، ويتكلم فيبلغ عمله وقوله السماء ، وهو فى الأرض .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفىّ فى قوله (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : ذلك مثل المؤمن ، لايزال يخرج منه كلام طيب ، وعمل صالح يصعد إليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : (أَصْلُهَا ثابِتٌ فِي الأَرْضِ) وكذلك كان يقرؤها ، قال : ذلك المؤمن ضرب مثله ، قال : الإخلاص لله وحده وعبادته ، لاشريك له ، قال : (أَصْلُهَا ثابِتٌ) قال : أصل عمله ثابت فى الأرض (وَفَرْعُهَا فِي السَّماءِ) قال : ذكره فى السماء .

واختلفوا فى هذه الشجرة التى جعلت للكلمة الطيبة مثلا ، فقال بعضهم : هى النخلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة قال : سمعت أنس ابن مالك فى هذا الحرف (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : هى النخلة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أنس ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول (كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : النخل .

حدثنى يعقوب والحسن بن محمد ، قالا : ثنا ابن علية ، قال : ثنا شعيب ، قال : قال : خرجت مع أبى العالية نريد أنس بن مالك ، قال : فأتيناه ، فدعا لنا بقنو عليه رطب ، فقال : كلوا من هذه الشجرة

التى قال الله عزّ وجلّ (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ) وقال الحسن فى حديثه بقناع .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا شعيب ابن الحبحاب ، عن أنس : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتى بقناع بسر ، فقال : مثل كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ » قال : هى النخلة .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقناع فيه بسر ، فقال : (مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : هى النخلة » قال شعيب ، فأخبرت بذلك أبا العالية ، فقال : كذلك كانوا يقولون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن شعيب بن الحبحاب ، قال : كنا عند أنس ، فأتينا بطبق أو قنع عليه رطب ، فقال : كل يا أبا العالية ، فإن هذا من الشجرة التى ذكر الله عزّ وجلّ فى كتابه (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا مهدى بن ميمون ، عن شعيب بن الحبحاب ، قال : كان أبو العالية يأتينى ، فأتانى يوما فى منزلى بعد ما صليت الفجر ، فانطلقت معه إلى أنس بن مالك ، فدخلنا معه إلى أنس بن مالك ، فجىء بطبق عليه رطب ، فقال أنس لأبى العالية : كل يا أبا العالية . فإن هذه من الشجرة التى قال الله فى كتابه (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ) قال : هكذا قرأها يومئذ أنس .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق ، قال : ثنا شريك ، عن السدىّ ، عن مرة ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الغفار بن القاسم ، عن جامع بن أبى راشد ، عن مرّة بن شراحيل الهمدانى ، عن مسروق (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : النخلة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء « ح » ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدىّ ، عن مرّة ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : ثنا خالد ، قال : أخبرنا حُصَين ، عن عكرمة ، فى قوله (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : هى النخلة لاتزال فيها منفعة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : ضرب الله مثل المؤمن كمثل النخلة تؤتى أكلها كلّ حين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) كنا نحدّث أنها النخلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : يزعمون أنها النخلة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) قال : هى النخلة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَفَرْعُهَا فِى السَّماءِ) قال : النخلة .

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خالد ، عن الشيبانى ، عن عكرمة (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) قال : هى النخلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال شعيب بن الحبحاب ، عن أنس بن مالك : الشجرة الطيبة : النخلة .

وقال آخرون : بل هى شجرة فى الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبو كدينة ، قال : ثنا قابوس بن أبى ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قول الله عزّ وجلّ (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّماءِ تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّهَا) قال : هى شجرة فى الجنة .

وأولى القولين بالصواب فى ذلك ، قول من قال : هى النخلة لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثنا به الحسن بن محمد ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : صحبت ابن عمر إلى المدينة ، فلم أسمعه يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثا واحدا ، قال : كنا عند النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأتى بجمار ، فقال : « مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ مَثَلُهَا مَثَلُ الرَّجُلِ المُسْلِمِ » فأردت أن أقول : هى النخلة ، فإذا أنا أصغر القوم ، فسكتُّ .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا سليمان ، عن يوسف بن سرح ، عن رجل ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هَلْ تَدْرُونَ ما الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ ؟ قال ابن عمر : فأردت أن أقول هى النخلة ، فمنعنى مكان عمر ، فقالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هِىَ النَّخْلَةُ » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه : « إنَّ شَجَرَةً مِنَ الشَّجَرِ لا يُطْرَحُ وَرَقُهَا مَثَلُ المُؤْمِنِ ، قال : فوقع الناس فى شجر البدو ، ووقع فى قلبى أنها النخلة ، فاستحييت حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هِىَ النَّخْلَةُ » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عاصم بن علىّ ، قال : ثنا عبد العزيز بن مسلم القسملى[1] ، قال : ثنا عبد الله

(١) بتقديم الميم على اللام ، كما فى تاج العروس (قسمل : كزبرج) ، وفى الخلاصة ، بتقديم اللام على الميم ، ولعله خطأ مطبعى .

ابن دينار ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لايَسْقُطُ وَرَقُها وَهِيَ مَثَلُ المُؤْمِنِ ، فَتُحَدِّثُونِي ما هِيَ » فذكر نحوه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا علىّ ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : ثنى نافع ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أخْبِرُونِي بشَجَرَةٍ كَمَثَلِ الرَّجُلِ المُسْلِمِ تُؤْتِى أُكُلَها كُلَّ حِينٍ لايَتَحاتُّ وَرَقُها » ، قال: فوقع فى نفسى أنها النخلة ، فكرهت أن أتكلم ، وثَمَّ أبو بكر وعمر ، فلما لم يتكلموا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هِيَ النَّخْلَةُ » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا إسماعيل، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

واختلف أهل التأويل فى معنى الحين الذى ذكر الله عزّ وجلّ فى هذا الموضع ، فقال (تُؤْتِى أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) فقال بعضهم : معناه : تؤتى أكلها كلّ غداة وعشية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : الحين : قد يكون غدوة وعشية .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس فى قوله (تُؤْتِى أُكُلَها كُلَّ حِينٍ باذْنِ رَبِّها) قال : غُدوة وعشية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس ، بمثله .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا طلق ، عن زائدة ، عن الأعمش، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا علىّ بن الجعد ، قال : ثنا شعبة ، عن الأعمش عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس ، فى قوله (تُؤْتِى أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) قال : بكرة وعشيا .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن الأعمش، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس (تُؤْتِى أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) قال : بكرة وعشية .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (تُؤْتِى أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) قال : يُذكر الله كلّ ساعة من الليل والنهار .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبوكدينة ، قال : ثنا قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (تُؤْتِى أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها) قال : غدوة وعشية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَغْراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : المؤمن يطيع الله بالليل والنهار ، وفي كلّ حين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) يصعد عمله أوّل النهار وآخره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : يَصْعَد عمله غدوة وعشية .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : تُخْرِج ثمرتها كلّ حين ، وهذا مثل المؤمن يعمل كلّ حين كل ساعة من النهار ، وكلّ ساعة من الليل وبالشتاء والصيف بطاعة الله .

وقال آخرون : معنى ذلك : تؤتي أكلها كلّ ستة أشهر من بين صِرامها إلى حملها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الحين : ستة أشهر .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أيوب ، قال : قال عكرمة : سئلت عن رجل حالف أن لا يصنع كذا وكذا إلى حين ، فقلت : إن من الحين حينا يدرك ، ومن الحين حينا لا يدرك ، فالحين الذي لا يدرك قوله (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) والحين الذي يدرك (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : وذلك من حين تُصْرَمُ النخلة إلى حين تطلع ، وذلك ستة أشهر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن الأصبهاني ، عن عكرمة ، قال : الحين : ستة أشهر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خالد ، عن الشيباني ، عن عكرمة ، في قوله (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : هي النخلة ، والحين : ستة أشهر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا جعفر ، قال : ثنا عكرمة (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : هو ما بين حمل النخلة إلى أن تُحزر[1] .

حدثني المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، قال : قال عكرمة : الحين : ستة أشهر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه سئل عن رجل حلف أن لا يكلم أخاه حينا ، قال : الحين : ستة أشهر ، ثم ذكر النخلة ما بين حملها إلى صِرامها ستة أشهر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن طارق ، عن سعيد بن جبير (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) قال : ستة أشهر .

---

(١) تحزر ، بتقديم الزاي على الراء : أي يقدر ما عليها من التمر بالنظر إليها والحدس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) والحين : ما بين السبعة والستة ، وهى تؤكل شتاء وصيفا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : : ما بين الستة الأشهر والسبعة : يعنى الحين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبدالرحمن بن الأصبهانى ، عن عكرمة . قال : الحين : ستة أشهر .

وقال آخرون : بل الحين ههنا سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى مكين ، عن عكرمة ، إن نذر أن يقطع يد غلامه أو يحبسه حينا ، قال : فسألنى عمر بن عبد العزيز ، فقلت : لاتقطع يده ، يحبسه سنة ، والحين : سنة ، ثم قرأ (لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ) ، وقرأ (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، قال : وزاد أبو بكر الهذلىّ ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : الحين حينان : حين يعرف ، وحين لايعرف ؛ فأما الحين الذى لايعرف (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) . وأما الحين الذى يعرف ، فقوله (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سألت حمادا والحكم ، عن رجل حلف ألاّ يكلم رجلا إلى حين ، قالا : الحين : سنة .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء « ح » ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنى ورقاء « ح » ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كُلَّ حِينٍ) قال : كلّ سنة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) قال : كلّ سنة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سلام ، عن عطاء بن السائب ، عن رجل منهم ، أنه سأل ابن عباس ، فقال : حلفت ألاّ أكلم رجلا حينا ، فقرأ ابن عباس (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) ، فالحين : سنة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن عسيل ، عن عكرمة ، قال : أرسل إلىّ عمر بن عبد العزيز فقال : يا مولى ابن عباس ، إنى حلفت أن لاأفعل كذا وكذا حينا ، فما الحين الذى يعرف به ؟ قلت : إن من الحين حينا لايدرك ، ومن الحين حين يدرك ؛ فأما الحين الذى لايدرك ، فقول الله : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) : والله ما يدرى كم أتى له إلى أن خلق . وأما الذى

يدرك فقوله (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) ، فهو ما بين العام إلى العام المقبل، فقال : أصبت يا مولى ابن عباس : ما أحسن ما قلت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، قال : أتى رجل ابن عباس ، فقال : إنى نذرت أن لاأكلم رجلا حينا ، فقال ابن عباس (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) فالحين : سنة .

وقال آخرون : بل الحين فى هذا الموضع : شهران .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا محمد بن مسلم الطائفى ، عن إبراهيم بن ميسرة ، قال : جاء رجل إلى سعيد بن المسيب ، فقال : إنى حلفت أن لاأكلم فلانا حينا ، فقال : قال الله تعالى (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : هى النخلة لايكون منها أكلها إلا شهرين: فالحين شهران .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال: عنى بالحين فى هذا الموضع : غدوة وعشية ، وكل ساعة ، لأن الله تعالى ذكره ضرب ما تؤتى هذه الشجرة كل حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامه مثلا ، ولا شك أن المؤمن يرفع له إلى الله فى كل يوم صالح من العمل والقول ، لا فى كل سنة ، أو فى كل ستة أشهر ، أو فى كل شهرين . فإذا كان ذلك كذلك، فلا شك أن المثل لايكون خلافا للمُمَثَّل به فى المعنى . وإذا كان ذلك كذلك كان بيِّنا صحة ماقلنا .

⁂ فإن قال قائل : فأىّ نخلة تؤتى فى كل وقت أكلا صيفا وشتاء ؟ قيل : أما فى الشتاء فإن الطلع من أكلها . وأما فى الصيف فالبلح والبسر والرطب والتمر ، وذلك كله من أكلها .

وقوله (تُؤْتِى أُكُلَهَا) فإنه كما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قتادة (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : يؤكل ثمرها فى الشتاء والصيف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) قال : هى تؤكل شتاء وصيفا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) يصعد عمله ، يعنى عمل المؤمن من أول النهار وآخره .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : ومثل الشرك بالله ، وهى الكلمة الخبيثة ، كشجرة خبيثة .

اختلف أهل التأويل فيها أىّ شجرة هى ؟ فقال أكثرهم : هى الحنظل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، قال :

سمعت أنس بن مالك، قال فى هذا الحرف (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال: الشريان فقلت: ما الشريان؟ قال رجل عنده: الحنظل، فأقرّ به معاوية.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شبابة، قال: أخبرنا شعبة، عن معاوية بن قرة، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال: الحنظل.

حدثنا الحسن، قال: ثنا عمرو بن الهيثم، قال: ثنا شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أنس بن مالك، قال: الشريان: يعنى الحنظل.

حدثنا أحمد بن منصور، قال: ثنا نعيم بن حماد، قال: ثنا محمد بن ثور، عن ابن جريج، عن الأعمش، عن حبان بن شعبة، عن أنس بن مالك، فى قوله (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال: الشريان، قلت لأنس: ما الشريان؟ قال: الحنظل.

حدثنى يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا شعيب، قال: خرجت مع أبى العالية، نريد أنس ابن مالك، فأتيناه، فقال (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) تلكم الحنظل.

حدثنا الحسن، قال: ثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن شعيب بن الحبحاب، عن أنس، مثله.

حدثنا المثنى قال: ثنا آدم العسقلانىّ، قال: ثناشعبة، قال: ثنا أبو إياس، عن أنس بن مالك، قال: الشجرة الخبيثة: الشريان، فقلت: وما الشريان؟ قال: الحنظل.

حدثنى المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا حماد، عن شعيب، عن أنس، قال: تلكم الحنظل.

حدثنى المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال. ثنا مهدى بن ميمون، عن شعيب، قال: قال أنس (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ)... الآية، قال: تلكم الحنظل، ألم تروا إلى الرياح كيف تصفّقها يمينًا وشمالا؟

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ): الحنظلة.

وقال آخرون: هذه الشجرة لم تخلق على الأرض.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى، قال: ثنا عفان، قال: ثنا أبو كدينة، قال: ثنا قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قال: هذا مثل ضربه الله، ولم تُخلق هذه الشجرة على وجه الأرض.

وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح قول من قال: هى الحنظلة خبرٌ، فإن صحّ فلا قول يجوز أن يقال غيره، وإلا فإنها شجرة بالصفة التى وصفها الله بها.

ذكر الخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا سوار بن عبد الله، قال: ثنا أبى، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن شعيب بن الحبحاب، عن

أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «(وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قال : هى الحنظلة » قال شعيب : وأخبرت بذلك أبا العالية ، فقال : كذلك كانوا يقولون . وقوله (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ) يقول: استؤصلت ، يقال منه : اجتثثت الشىء أجتثه اجتثاثا : إذا استأصلته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ) قال : استؤصلت من فوق الأرض (ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) يقول : ما لهذه الشجرة من قرار ولا أصل فى الأرض تنبت عليه وتقوم ، وإنما ضربت هذه الشجرة التى وصفها الله بهذه الصفة لكفر الكافر وشركه به مثلا ، يقول : ليس لكفر الكافر وعمله الذى هو معصية الله فى الأرض ثبات ، ولا له فى السماء مصعد ، لأنه لا يصعد إلى الله منه شىء .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) ضرب الله مثل الشجرة الخبيثة كمثل الكافر ، يقول : إن الشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار : يقول : الكافر لا يقبل عمله ، ولا يصعد إلى الله ، فليس له أصل ثابت فى الأرض ، ولا فرع فى السماء ، يقول : ليس له عمل صالح فى الدنيا ولا فى الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قال قتادة : إن رجلا لقى رجلا من أهل العلم ، فقال : ما تقول فى الكلمة الخبيثة ، فقال : ما أعلم لها فى الأرض مستقرا ، ولا فى السماء مصعدا إلا أن تلزم عنق صاحبها ، حتى يوافى بها يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى العالية ، أن رجلا خالجت الريح رداءه فلعنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَلْعَنْهَا فإِنَّها مَأْمُورَةٌ ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ على صَاحِبِها » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال : هذا الكافر ليس له عمل فى الأرض ، وذكر فى السماء . (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قال : لا يصعد عمله إلى السماء ، ولا يقوم على الأرض فقيل : فأين تكون أعمالهم ، قال : يحملون أوزارهم على ظهورهم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفى (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ) قال : مثل الكافر لا يصعد له قول طيب ، ولا عمل صالح .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ) وهى الشرك (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) يعنى الكافر ، قال (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) يقول : الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ، ولا برهان ، ولا يقبل الله مع الشرك عملا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال : مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر ، ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع ، ولا قوله ولا عمله يستقرّ على الأرض ، ولا يصعد إلى السماء .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : ضرب الله مثل الكافر كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار : يقول : ليس لها أصل ولا فرع ، وليست لها ثمرة ، وليست فيها منفعة ، كذلك الكافر ليس يعمل خيرا ولا يقوله ، ولم يجعل الله فيه بركة ولا منفعة .

القول في تأويل قوله تعالى :

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾

❁ يعنى تعالى ذكره بقوله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا) يحقق الله أعمالهم وإيمانهم (بالقَوْلِ الثَّابِتِ) يقول : بالقول الحقّ ، وهو فيما قيل : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .

وأما قوله (فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) فإن أهل التأويل اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : : عنى بذلك أن الله يثبّتهم فى قبورهم قبل قيام الساعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب سلم بن جنادة ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء بن عازب ، فى قوله (يُثَبِّتُ اللهُ الذينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : التثبيت فى الحياة الدنيا إذا أتاه الملكان فى القبر ، فقالا له : من ربك ؟ فقال : ربى الله ، فقالا له : ما دينك ؟ قال : دينى الإسلام ، فقالا له : من نبيك ؟ قال : نبيى محمد صلى الله عليه وسلم ، فذلك التثبيت فى الحياة الدنيا.

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء بن عازب ، بنحو منه فى المعنى .

حدثني عبد الله بن إسحاق الناقد الواسطي ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن علقمة ابن مرثد ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء ، قال : « ذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم المؤمن والكافر ، فقال : إنَّ المُؤْمِنَ إذا سُئِلَ فِي قَبْرِهِ قال : رَبِّيَ اللهُ ، فذلك قوله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا هشام بن عبد الملك ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني علقمة بن مرثد قال : سمعت سعد بن عبيدة ، عن البراء بن عازب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ المُسْلِمَ إذَا سُئِلَ فِي القَبْرِ يَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ ، وأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، قال : فذلك قوله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) » .

حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كبشة ، ومحمد بن معمر البحراني ، واللفظ لحديث بن أبي كبشة ، قالا : ثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة ، فقال : « يا أيُّها النَّاسُ إنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا ، فإذَا الإنْسانُ دُفِنَ وتَفَرَّقَ عَنْهُ أصحابُهُ ، جاءَهُ مَلَكٌ بِيَدِهِ مِطْرَاقٌ فأقْعَدَهُ ، فَقالَ : ما تَقُولُ فِي هذَا الرَّجُلِ ؟ فإنْ كانَ مُؤْمِنا قالَ : أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، فَيَقُولُ لَهُ : صَدَقْتَ ، فَيُفْتَحُ لَهُ بابٌ إلى النَّارِ ، فَيُقالُ : هذَا مَنْزِلُكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ ؛ فأمَّا إذْ آمَنْتَ بِهِ ، فإنَّ اللهَ أبْدَلَكَ بِهِ هذَا ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بابٌ إلى الجَنَّةِ ، فَيُرِيدُ أنْ يَنْهَضَ لَهُ ، فَيُقالُ لَهُ : اسْكُنْ ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ ، وأمَّا الكافِرُ أوِ المُنافِقُ ، فَيُقالُ لَهُ ما تَقُولُ فِي هذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ : ما أدْرِي ، فَيُقالُ لَهُ : لا دَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ وَلا اهْتَدَيْتَ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بابٌ إلى الجَنَّةِ ، فَيُقالُ لَهُ : هذَا كانَ مَنْزِلَكَ لَوْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ ؛ فأمَّا إذْ كَفَرْتَ فإنَّ اللهَ أبْدَلَكَ هذَا ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بابٌ إلى النَّارِ ، ثُمَّ يَقْمَعُهُ المَلَكُ بالمِطْرَاقِ قَمْعَةً يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللهِ كُلُّهُمْ إلاَّ الثَّقَلَيْنِ ، قال بعض أصحابه : يا رسول الله ما منا أحد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق إلا هيل عند ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ ، وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ ، وَيَفْعَلُ اللهُ ما يَشاءُ) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ، « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وذكر قبض روح المؤمن : فَتُعادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ويَأْتِيهِ مَلَكانِ فَيُجْلِسانِهِ فِي قَبْرِهِ ، فَيَقُولانِ مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللهُ ، فَيَقُولانِ : ما دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ دِينِيَ الإسْلامُ ، فَيَقُولانِ لَهُ : ما هذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللهِ ، فَيَقُولانِ : ما يُدْرِيكَ ، فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ ،

وَصَدَّقْتُ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ صَدَقَ عَبْدِي ، قَالَ : فذلكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وفي الآخِرَةِ) » .

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، قال : ثنا الأعمش ، قال : ثنا المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن يونس بن خبّاب ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا مهدى بن ميمون جميعا ، عن يونس بن خباب ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وذكر قبض روح المؤمن قال : فَيَأْتِيهِ آتٍ فِي قَبْرِهِ فَيَقُولُ : مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللهُ وَدِينِي الإِسْلامُ ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فَيَنْتَهِرُهُ ، فَيَقُولُ : مَنْ رَبُّكَ ، وَمَا دِينُكَ ، فَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ على المُؤْمِنِ ، فذلكَ حِينَ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفي الآخِرَةِ) ، فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللهُ ، وَدِينِي الإِسْلامُ ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فَيُقَالُ لَهُ : صَدَقْتَ » ، واللفظ لحديث ابن عبد الأعلى .

حدثنا محمد بن خلف العسقلانى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : «تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم(يُثَبِّتُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفي الآخِرَةِ) قالَ : ذَاكَ إِذَا قِيلَ فِي القَبْرِ : مَنْ رَبُّكَ ، وَمَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللهُ ، وَدِينِي الإِسْلامُ ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ جاءَ بِالبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ ، فَيُقَالُ لَهُ صَدَقْتَ على هَذَا عِشْتَ ، وَعَلَيْهِ مِتَّ ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، والحسن بن محمد ، قالا : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : « إِنَّ المَيِّتَ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ مُدْبِرِينَ فإِذَا كانَ مُؤْمِنًا ، كانَتِ الصَّلاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، والزَّكَاةُ عَنْ يَمِينِهِ ، وكانَ الصِّيَامُ عَنْ يَسَارِهِ ، وكانَ فِعْلُ الخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ والصِّلَةِ والمَعْرُوفِ والإِحْسَانِ إِلى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ،

فيُؤْتَى مِنْ عِنْدِ رأسِهِ ، فتقولُ الصَّلاةُ : ما قِبَلِي مَدْخَلٌ ، فيُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ ، فتقولُ الزَّكاةُ : ما قِبَلِي مَدْخَلٌ ، فيُؤْتَى عَنْ يَسارِهِ ؛ فيقولُ الصِّيامُ ما قِبَلِي مَدْخَلٌ ، فيُؤْتَى مِنْ عِنْدِ رِجْلَيْهِ ، فيقولُ فِعْلُ الخَيْراتِ مِنَ الصَّدَقَةِ والصِّلَةِ والمَعْرُوفِ والإحْسانِ إلى النَّاسِ : ما قِبَلِي مَدْخَلٌ ، فيُقالُ لَهُ : اجْلِسْ ، فيَجْلِسُ ، قَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ دَنَتْ للغروبِ ، فيُقالُ لَهُ أخْبِرْنا عَمَّا نَسْأَلُكَ ، فيقولُ : دَعُونِي حتى أُصَلِّيَ ، فيقولُ : إنَّكَ سَتَفْعَلُ فأخْبِرْنا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ ، فيقولُ : وعَمَّ تَسْأَلُونَ ؟ فيُقالُ : أرأيْتَ هذا الرَّجُلَ الَّذِي كانَ فِيكُمْ ، ماذا تَقُولُ فيهِ ، وماذا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ ؟ فيقولُ : أمُحَمَّدٌ ؟ فيُقالُ لَهُ : نَعَمْ ، فيقولُ : أشْهَدُ أنَّهُ رَسُولُ اللهِ ، وأنَّهُ جاءَ بالبَيِّناتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فَصَدَّقْناهُ ، فيُقالُ لَهُ : على ذلكَ حَيِيتَ وعلى ذلكَ مِتَّ وعلى ذلكَ تُبْعَثُ إنْ شاءَ اللهُ ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ في قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِراعًا ، ويُنَوَّرُ لَهُ فيهِ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بابٌ إلى الجَنَّةِ ، فيُقالُ لَهُ : انْظُرْ إلى ما أعَدَّ اللهُ لَكَ فيها ، فيَزْدادُ غِبْطَةً وسُرُورًا ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بابٌ إلى النَّارِ ، فيُقالُ لَهُ : انْظُرْ ما صَرَفَ اللهُ عَنْكَ لَوْ عَصَيْتَهُ ، فيَزْدادُ غِبْطَةً وسُرُورًا ، ثُمَّ يُجْعَلُ نَسَمُهُ في النَّسَمِ الطَّيِّبِ ، وهِيَ طَيْرٌ خُضْرٌ تَعْلَقُ بِشَجَرِ الجَنَّةِ ويُعادُ جَسَدُهُ إلى ما بُدِئَ مِنْهُ مِنَ التُّرابِ ، وذلكَ قَوْلُ اللهِ تعالى (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثابِتِ في الحَياةِ الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ) » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا المسعودى ، عن عبد الله بن مخارق ، عن أبيه عن عبد الله ، قال : إن المؤمن إذا مات أجلس فى قبره ، فيقال له : من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟ فيثبته الله ، فيقول : ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبيى محمد ؛ قال : فقرأ عبد الله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فى الحَياةِ الدُّنْيا وفى الآخِرَةِ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا أبوخالد القرشي ، عن سفيان ، عن أبيه ؛ وحدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن خيثمة ، عن البراء ، فى قوله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَياةِ الدُّنْيا) قال : عذاب القبر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا شعبة ، عن علقمة بن مرثد ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فى قول الله تعالى (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثابتِ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) قال شعبة : شيئا لم أحفظه ، قال : فى القبر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ) . . . إلى قوله (وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ) قال : إن المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة فسلموا عليه ، وبشّروه بالجنة ، فإذا مات مشوا فى جنازته ، ثم

صَلَّوا عليه مع الناس ، فإذا دفن أجلس فى قبره ، فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، ويقال له : من رسولك ؟ فيقول محمد ، فيقال له : ما شهادتك ؟ فيقول : أشهد أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فيوسع له فى قبره مدّ بصره .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : سمعت ابن طاوس يخبر عن أبيه ، قال : لاأعلمه إلا قال : هى فى فتنة القبر فى قوله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه ، أنه كان يقول فى هذه الآية : (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) : هى فى صاحب القبر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن العوّام ، عن المسيب بن رافع : (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) قال : نزلت فى صاحب القبر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عباد بن العوّام ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه المسيب ابن رافع نحوه .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع ، فى قول الله تعالى (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) قال : بلغنا أن هذه الأمة تُسْأل فى قبورها ، فيثبِّت الله المؤمن فى قبره حين يُسْأل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو ربيعة فهد ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وذكر قبض روح المؤمن . قالَ فَتَرْجِعُ رُوحُهُ فِى جَسَدِهِ ، وَيَبْعَثُ اللهُ إليْهِ مَلَكَيْنِ شَدِيدَىِ الانْتِهارِ ، فَيُجْلِسانِهِ وَيَنْتَهِرَانِهِ ، يَقُولانِ : مَنْ رَبُّكَ ؟ قال : فَيَقُولُ : اللهُ ، وَما دِينُكَ ؟ قال : الإسْلامُ ، قال : فَيَقُولانِ لَهُ : ماهذَا الرَّجُلُ أوِ النَّبِىُّ الَّذِى بُعِثَ فيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، قالَ : فَيَقُولانِ لَهُ : وَما يُدْرِيكَ ؟ قال : فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتابَ اللهِ فآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ ، فَذلكَ قَوْلُ اللهِ (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) قال : نزلت فى الميت الذى يُسْئل فى قبره عن النبىّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قول الله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) قال : بلغنا أن هذه الأمة تُسْئل فى قبورها ، فيثبت الله المؤمن حيث يُسْئل .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : هذا فى القبر مخاطبته (وفِى الآخِرَةِ) مثل ذلك .

وقال آخرون : معنى ذلك : يثبت الله الذين آمنوا بالإيمان فى الحياة الدنيا ، وهو القول الثابت ، وفى الآخرة : المسألة فى القبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : لا إله إلا الله (وفِي الآخِرَةِ) المسألة فى القبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) أما الحياة الدنيا ، فيثبتهم بالخير والعمل الصالح ، وقوله (فِي الآخِرَةِ) أى فى القبر .

❊ والصواب من القول فى ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، وهو أن معناه : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا ، وذلك تثبيته إياهم فى الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى الآخرة بمثل الذى ثبتهم به فى الحياة الدنيا ، وذلك فى قبورهم حين يُسألون عن الذى هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله (وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ) فإنه يعنى أن الله لا يوفق المنافق والكافر فى الحياة الدنيا وفى الآخرة عند المسألة فى القبر لما هدى له من الإيمان المؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : أما الكافر فتنزل الملائكة إذا حضره الموت ، فيبسطون أيديهم ، والبسط : هو الضرب ، يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت ، فإذا أدخل قبره أقعد ، فقيل له : من ربك ، فلم يرجع إليهم شيئا ، وأنساه الله ذكر ذلك ، وإذا قيل له : من الرسول الذى بعث إليك لم يهتد له ولم يرجع إليه شيئا ، يقول : (وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا فهد بن عوف أبو ربيعة ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن المنهال ابن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وذكر الكافر حين تُقبض روحه قال : فَتُعادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، قالَ : فَيَأْتِيهِ مَلَكانِ شَدِيدَا الانْتِهارِ ، فَيُجْلِسانِهِ فَيَنْتَهِرانِهِ ، فَيَقُولانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : لا أَدْرِى ، قالَ : فَيَقُولانِ لَهُ : ما دينك ؟ فيقول : لا أدرى . قال : فيقال له : ما هذا النَّبِيُّ الَّذِى بُعِثَ فِيكُمْ ؟ قال : فَيَقُولُ : سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ ذلكَ ، لا أَدْرِى . قال : فَيَقُولانِ لا دَرَيْتَ ، قالَ : وذلكَ قولُ اللهِ (وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ ، وَيَفْعَلُ اللهُ ما يَشاءُ) » .

وقوله (وَيَفْعَلُ اللهُ ما يَشاءُ) يعني تعالى ذكره بذلك: وبيد الله الهداية والإضلال ، فلا تنكروا أيها الناس قدرته ، ولا اهتداء من كان منكم ضالا ، ولا ضلال من كان منكم مهتديا ، فإن بيده تصريف خلقه ، وتقليب قلوبهم ، يفعل فيهم ما يشاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى ذكره: ألم تنظر يا محمد (إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا) يقول: غيروا ما أنعم الله به عليهم من نعمه ، فجعلوها كفرا به، وكان تبديلهم نعمة الله كفرا فى نبيّ الله محمد صلى الله عليه وسلم ، أنعم الله به على قريش ، فأخرجه منهم ، وابتعثه فيهم رسولا رحمة لهم، ونعمة منه عليهم ، فكفروا به ، وكذّبوه ، فبدّلوا نعمة الله عليهم به كفرا . وقوله (وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) يقول: وأنزلوا قومهم من مشركى قريش دار البوار ، وهى دار الهلاك ، يقال منه : بار الشيء يبور بورا : إذا هلك وبطل ؛ ومنه قول ابن الزِّبعرى ، وقد قيل إنه لأبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب :

يا رَسُولَ المَلِيكِ إنَّ لِسانِي ... راتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ[1]

ثم ترجم عن دار البوار، وما هى ؟ فقيل (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَبِئْسَ القَرارِ) يقول: وبئس المستقرّ هى جهنم لمن صلاها . وقيل : إن الذين بدّلوا نعمة الله كفرا : بنوأمية ، وبنومخزوم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار وأحمد بن إسحاق ، قالا : ثنا أبو أحمد، قال : ثنا سفيان ، عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن سعد، عن عمر بن الخطاب، فى قوله (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ جَهَنَّمَ) قال : هما الأفجران من قريش: بنو المغيرة، وبنو أمية ، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر ؛ وأما بنوأمية فمتّعوا إلى حين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم الفضل بن دكين، قال : أخبرنا حمزة الزيات، عن عمرو بن مرّة ، قال: قال ابن عباس لعمر رضى الله عنهما : يا أمير المؤمنين، هذه الآية (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هم الأفجران من قريش أخوالى وأعمامك، فأما أخوالى فاستأصلهم الله يوم بدر ، وأما أعمامك ، فأملى الله لهم إلى حين .

(١) البيت (فى اللسان : بور) منسوب إلى عبد الله بن الزبعرى السهمى . قال : رجل بور ، وكذلك الاثنان والجمع والمؤنث ، وأنشد البيت شاهدا عليه . وفى سيرة ابن هشام : أنشد البيت ونسبه إلى ابن الزبعرى ،قاله من أبيات حين قدم على النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان هاربا منه فى نجران . والراتق : الذى يصلح ما بلى أو تمزق من الثوب . وفتقت : يعنى: ما أحدث فى الدين من مقاومة النبى وهجائه بشعره ، وهو إثم يشبه الفتق فى الثوب ، والتوبة رتق له . وبور : هالك، يقال رجل بور وبائر . وهو محل الشاهد=

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان، عن أبي إسحاق[١] ، عن عمرو ذى مرّ ، عن عليّ (وأحلّوا قومهم دار البوار) قال : الأفجران من قريش .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذى مرّ ، عن عليّ ، مثله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان وشريك ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذى مرّ ، عن عليّ ، قوله (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : بنو المغيرة وبنو أمية ؛ فأما بنو المغيرة ، فقطع الله دابرهم يوم بدر ؛ وأما بنو أمية ، فمُتّعوا إلى حين .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت عمرا ذا مرّ ، قال : سمعت عليا يقول فى هذه الآية (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : الأفجران من بنى أسد وبنى مخزوم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن أبي الطفيل، عن عليّ ، قال : هم كفار قريش ، يعنى فى قوله (وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ . جَهَنَّمَ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن أبي الطفيل أنه سمع عليّ بن أبي طالب، وسأله ابن الكوّاء عن هذه الآية (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هم كفار قريش يوم بدر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو النضر هاشم بن القاسم ، عن شعبة ، عن القاسم بن أبي بزّة، قال : سمعت أبا الطفيل ، قال : سمعت عليا ، فذكر نحوه .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن مسلم البطين ، عن أبي أرطاة، عن عليّ فى قوله (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا) قال : هم كفّار قريش ، هكذا قال أبو السائب مسلم البطين ، عن أبي أرطاة .

حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير، قال : ثنا إسماعيل بن سميع ، عن مسلم بن أرطاة ، عن عليّ ، فى قوله تعالى (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا) قال : كفار قريش .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق ، قال : ثنا شعبة، عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي الطفيل ، عن عليّ ، قال فى قول الله (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هم كفار قريش .

=عند المؤلف . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن : « دار البوار » : أى الهلاك والفناء ، ويقال منه : بار يبور ، ومنه قول عبد الله ابن الزبعرى . . . البيت .

(١) لعله هو عمرو بن مرة ، كما فى ابن كثير فى هذا الأثر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، قال : سمعت أبا الطفيل يحدّث ، قال : سمعت عليا يقول فى هذه الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : كفار قريش يوم بدر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا بسام الصّيرفىّ ، قال : ثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة ، ذكر أن عليا قام على المنبر فقال : سلونى قبل أن لا تسألونى ، ولن تسألوا بعدى مثلى ، فقام ابن الكوّاء فقال : من (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : منافقو قريش .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا بسام ، عن رجل قد سماه الطنافسىّ ، قال : جاء رجل إلى علىّ ، فقال : يا أمير المؤمنين : من (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) ؟ قال : فى قريش .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا بسام الصيرفىّ ، عن أبى الطفيل ، عن علىّ أنه سئل عن هذه الآية (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا) قال : منافقو قريش .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا عمرو بن دينار ، أن ابن عباس قال فى قوله (وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هم المشركون من أهل بدر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الجبار ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، قال : سمعت عطاء يقول : سمعت ابن عباس يقول : هم والله أهل مكة (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا صالح بن عمر ، عن مطرف بن طريف ، عن أبى إسحاق قال : سمعت عمرا ذا مر يقول : سمعت عليا يقول على المنبر : وتلا هذه الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هما الأفجران من قريش ؛ فأما أحدهما : فقطع الله دابرهم يوم بدر ؛ وأما الآخر : فمُتّعوا إلى حين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا) قال : كفار قريش .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن مجاهد ، قال : كفار قريش .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا) كفار قريش .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، قال : سمعت ابن عباس يقول : هم والله (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قريش ، أو قال : أهل مكة .

حدثنا ابن وكيع وابن بشار ، قالا : ثنا غُنْدر ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : قتلى يوم بدر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثني عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هم كفار قريش .

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن حُصَين ، عن أبي مالك وسعيد بن جبير ، قالا : هم قتلى بدر من المشركين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس في (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هم والله أهل مكة ، قال أبو كريب : قال سفيان : يعني كفارهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، في قوله (وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هم المشركون من أهل بدر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي إسحاق ، عن بعض أصحاب عليّ ، عن عليّ ، في قوله (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا) قال : هم الأفجران من قريش من بني مخزوم وبني أمية ، أما بنو مخزوم ، فإن الله قطع دابرهم يوم بدر ؛ وأما بنو أمية فَمُتِّعوا إلى حين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : أخبرنا خالد ، عن حصين ، عن أبي مالك ، في قول الله (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا) قال : هم القادة من المشركين يوم بدر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك وسعيد ابن جبير ، قالا : هم كفار قريش من قُتل ببدر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : هم كفار قريش ، من قُتل ببدر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، يقول في قوله (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا) . . . الآية ، قال : هم مشركو أهل مكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : أخبرني محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن

عطاء بن يسار ، قال : نزلت هذه الآية فى الذين قُتلوا من قريش (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) . . . الآية .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) كنا نحدّث أنهم أهل مكة : أبوجهل وأصحابه الذين قتلهم الله يوم بدر ، قال الله (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ القَرَارُ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هم قادة المشركين يوم بدر ، أحلوا قومهم دار البوار (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا) .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : هؤلاء المشركون من أهل بدر .

وقال آخرون فى ذلك ، بما حدثنى به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ، وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا) فهو جبلة بن الأيهم ، والذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك (وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : أحلوا من أطاعهم من قومهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس (دَارَ البَوَارِ) قال : الهلاك ، قال ابن جريج ، قال مجاهد (وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ) قال : أصحاب بدر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (دَارَ البَوَارِ) النار ، قال : وقد بيّن الله ذلك وأخبرك به ، فقال (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ القَرَارُ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (دَارَ البَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا) هى دارهم فى الآخرة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾

يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء الذين بدّلوا نعمة الله كفرا لربهم أندادا ، وهى جماع نِدّ ، وقد بيّنت معنى النِّدّ ، فيما مضى بشواهده بما أغنى عن إعادته ، وإنما أراد أنهم جعلوا لله شركاء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا) والأنداد : الشركاء . وقوله (لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء

الكوفيين (لِيُضِلُّوا) بمعنى : كى يضلوا الناس عن سبيل الله بما فعلوا من ذلك . وقرأته عامة قرّاء أهل البصرة (لِيَضِلُّوا) بمعنى : كى يضلّ جاعلو الأنداد لله عن سبيل الله . وقوله (قُلْ تَمَتَّعُوا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهم : تمتعوا فى الحياة الدنيا وعيدا من الله لهم، لاإباحةَ لهم التمتع بها ، ولا أمرا على وجه العبادة،ولكن توبيخا وتهددا ووعيدا ، وقد بَيَّن ذلك بقوله (فإنَّ مَصِيرَكُمْ إلى النَّارِ) يقول : استمتعوا فى الحياة الدنيا ، فإنها سريعة الزوال عنكم، وإلى النار تصيرون عن قريب ، فتعلمون هنالك غبّ تمتعكم فى الدنيا بمعاصى الله وكفركم فيها به .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾

☼ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد (لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا) بك، وصدّقوا أن ما جئتهم به من عندى (يُقِيمُوا الصَّلاةَ) يقول : قل لهم : فليقيموا الصلوات الخمس المفروضة عليهم بحدودها ، ولينفقوا مما رزقناهم ، فخوّلناهم من فضلنا سرّا وعلانية،فليؤدّوا ماأوجبت عليهم من الحقوق فيها سرّا وإعلانا (مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لابَيْعٌ فِيهِ) يقول : لايقبل فيه فدية وعوض من نفس وجب عليها عقاب الله بما كان منها من معصية ربها فى الدنيا، فيقبل منها الفدية ، وتترك فلا تعاقب، فسمى الله جلّ ثناؤه الفدية عوضا ،إذ كان أخذ عوض من معتاض منه . وقوله (وَلا خِلالٌ) يقول : وليس هناك مخالة خليل ، فيصفح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالته، بل هنالك العدل والقسط ، فالخلال مصدر من قول القائل : خاللت فلانا فأنا أخاله مخالة وخلالا ؛ ومنه قول امرئ القيس :

صرفْتُ الهَوَى عَنْهُنَّ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى وَلَسْتُ بِمَقْلِيِّ الخِلالِ ولا قالى[1]

وجزم قوله (يُقِيمُوا الصَّلاةَ) بتأويل الجزاء ، ومعناه : الأمر يراد قل لهم ليقيموا الصلاة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (قُلْ لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ) يعنى الصلوات الخمس(وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً): يقول : زكاة أموالهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لابَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ) قال قتادة : إن الله تبارك وتعالى قد علم أن فى الدنيا

(١) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ٤٠) قال : الردى هنا : الفضيحة ، أى لم أنصرف عنهن لأنى قليتهن ، ولا لأنهن قلينني ، ولكن خشية الفضيحة والعار اهـ . والخلال هنا : مصدر خاله يخاله خلالا ومخالة ، بمعنى المصادقة ، وبه استشهد المؤلف على هذا المعنى . وفى (اللسان : خلل) وقوله تعالى : « لابيع فيه ولا خلال » : قيل : هو مصدر خاللت ، وقيل : هو جمع خلة (بضم الخاء) كجلة وجلال . وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة : مجازه : مبايعة فدية ، ولامخالة خليل . وله موضع آخر أيضا ، تجعله جمع خلة بمنزلة جلة ، والجمع : جلال ؛ وقلة ، والجمع : قلال .

بيوعه وخلالا يتخالُّون بها فى الدنيا ، فينظر رجل من يخالل ، وعلام يصاحب ، فإن كان لله فليداوم ، وإن كان لغير الله فإنها ستنقطع .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى ذكره : الله الذى أنشأ السموات والأرض من غير شيء أيها الناس ، وأنزل من السماء غيثا أحيا به الشجر والزرع ، فأثمرت رزقا لكم تأكلونه (وسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ) وهى السفن (لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ) لكم تركبونها ، وتحملون فيها أمتعتكم من بلد إلى بلد (وسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهارَ) ماؤها شراب لكم ، يقول تعالى ذكره : الذى يستحقّ عليكم العبادة وإخلاص الطاعة له ، من هذه صفته ، لا من لايقدر على ضرّ ولا نفع لنفسه ولا لغيره من أوثانكم أيها المشركون وآلهتكم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، يعنى الزعفرانىّ ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهارَ) قال : بكلّ بلدة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى ذكره (اللهُ الذى خلقَ السمواتِ والأرضَ) وفعل الأفعال التى وصف . (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ والقَمَرَ) يتعاقبان عليكم أيها الناس بالليل والنهار ، لصلاح أنفسكم ومعاشكم (دَائِبَيْنِ) فى اختلافهما عليكم . وقيل : معناه : أنهما دائبان فى طاعة الله .

حدثنا خلف بن واصل ، عن رجل ، عن مقاتل بن حيان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ والقَمَرَ دَائِبَيْنِ) قال : دءوبهما فى طاعة الله .

وقوله (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهارَ) يختلفان عليكم باعتقاب ، إذا ذهب هذا جاء هذا بمنافعكم وصلاح أسبابكم ، فهذا لكم لتصرّفكم فيه لمعاشكم ، وهذا لكم للسكن ، تسكنون فيه ، ورحمة منه بكم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

* يقول تعالى ذكره: وأعطاكم مع إنعامه عليكم بما أنعم به عليكم من تسخير هذه الأشياء التي سخرها لكم والرزق الذي رزقكم من نبات الأرض وغروسها من كلّ شيء سألتموه، ورغبتم إليه شيئا، وحذف الشيء الثاني اكتفاء بما التي أضيفت إليها كلّ، وإنما جاز حذفه، لأن مِن تُبعِّض مابعدها، فكفت بدلالتها على التبعيض من المفعول، فلذلك جاز حذفه، ومثله قوله تعالى: (وأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يعني به: وأوتيت من كلّ شيء في زمانها شيئا، وقد قيل: إن ذلك إنما قيل على التكثير، نحو قول القائل: فلان يعلم كلّ شيء، وأتاه كل الناس، وهو يعني بعضهم، وكذلك قوله (فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ) وقيل أيضا: إنه ليس شيء إلا وقد سأله بعض الناس، فقيل (وآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سأَلْتُمُوهُ) أي قد آتى بعضكم منه شيئا، وآتى آخر شيئا مما قد سأله. وهذا قول بعض نحويّي أهل البصرة.

وكان بعض نحويّي أهل الكوفة يقول: معناه: وآتاكم من كلّ ماسألتموه لو سألتموه، كأنه قيل: وآتاكم من كلّ سؤلكم، وقال: ألا ترى أنك تقول للرجل: لم يسألك شيئا، والله لأعطينك سُؤْلك مابلغت مسألتك، وإن لم يسأل.

فأما أهل التأويل، فإنهم اختلفوا في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: وآتاكم من كلّ مارغبتم إليه فيه.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبوعاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء؛ وحدثني الحسن بن محمد، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (مِنْ كُلِّ ما سأَلْتُمُوهُ) ورغبتم إليه فيه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبوحذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد؛ وحدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد؛ وحدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن (وآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سأَلْتُمُوهُ) قال: من كلّ الذي سألتموه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وآتاكم من كل الذي سألتموه والذي لم تسألوه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا خلف، يعني ابن هشام، قال: ثنا محبوب، عن داود بن أبي هند، عن رُكانة بن هاشم (مِنْ كُلِّ ما سأَلْتُمُوهُ) وقال: ما سألتموه وما لم تسألوه.

وقرأ ذلك آخرون (وآتاكُمْ مِنْ كُلٍّ ما سأَلْتُمُوهُ) بتنوين كلّ وترك إضافتها إلى «ما» بمعنى: وآتاكم من كلّ شيء لم تسألوه ولم تطلبوه منه، وذلك أن العباد لم يسألوه الشمس والقمر والليل والنهار، وخلق ذلك لهم من غير أن يسألوه.

ذكر من قال ذلك

حدثني أبوحُصَين، عبد الله بن أحمد بن يونُس، قال: ثنا بَزِيع، عن الضحاك بن مُزاحِم فى هذه الآية: (وآتاكُمْ مِنْ كُلٍّ ما سألْتُمُوهُ) قال: ما لم تسألوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد، عن الضحاك أنه كان يقرأ (مِنْ كُلٍّ ما سألْتُمُوهُ) ويفسره: أعطاكم أشياء ما سألتموها ولم تلتمسوها، ولكن أعطيتكُم برحمتى وسعتى. قال الضحاك: فكم من شىء أعطانا الله ما سألناه ولا طلبناه.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (وآتاكُمْ مِنْ كُلٍّ ما سألْتُمُوهُ) يقول: أعطاكم أشياء ما طلبتموها، ولا سألتموها، صدق الله كم من شىء أعطاناه الله ما سألناه إياه ولا خطر لنا على بال.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وآتاكُمْ مِنْ كُلٍّ ما سألْتُمُوهُ) قال: لم تسألوه من كلّ الذى آتاكم.

والصواب من القول فى ذلك عندنا، القراءة التى عليها قرّاء الأمصار، وذلك إضافة «كل» إلى «ما» بمعنى: وآتاكم من سؤلكم شيئا، على ما قد بيّنا قبل، لإجماع الحجة من القرّاء عليها ورفضهم القراءة الأخرى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها، إنَّ الإنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾:

يقول تعالى ذكره: وإن تعدّوا أيها الناس نعمة الله التى أنعمها عليكم لاتطيقوا إحصاء عددها والقيام بشكرها إلا بعون الله لكم عليها (إنَّ الإنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) يقول: إن الإنسان الذى بدّل نعمة الله كفرا لظلوم: يقول: لشاكر غير من أنعم عليه، فهو بذلك من فعله واضع الشكر فى غير موضعه، وذلك أن الله هو الذى أنعم عليه بما أنعم، واستحقّ عليه إخلاص العبادة له فعبد غيره، وجعل له أندادا ليضلّ عن سبيله، وذلك هو ظلمه. وقوله (كَفَّارٌ) يقول: هو جحود نعمة الله التى أنعم بها عليه لصرفه العبادة إلى غير من أنعم عليه، وتركه طاعة من أنعم عليه.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: ثنا مِسْعَر، عن سعد بن إبراهيم، عن طلق بن حبيب، قال: إن حقّ الله أثقل من أن تقوم به العباد، وإن نعم الله أكثر من أن تحصيها العباد، ولكن أصبحوا توّابين وأمسوا توّابين.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ۖ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾

* يقول تعالى ذكره: (و)اذكر يامحمد(إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا)يعني الحَرَمَ، بلدا آمنا أهله وسكانه (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)يقال منه : جَنَبْته الشرَّ فأنا أَجْنُبُه جَنْبا وجَنَّبْته الشرَّ ، فأنا أُجَنِّبُهُ تجنيبا ،وأجنبته ذلك فأنا أُجْنِبه إجنابا ، ومِن جَنَبْتُ قول الشاعر :

وتَنْفُضُ مَهْدَهُ شَفَقا عَلَيْهِ وتَجْنُبُهُ قَلائِصَنا الصِّعابَا[١]

ومعنى ذلك : أبعدْني وبنيَّ من عبادة الأصنام ، والأصنام : جمع صنم ، والصنم : هوالتمثال المصوَّر ، كما قال رُؤبة بن العجَّاج في صفة امرأة :

وَهْنانَةٌ كالزُّونِ يُجْلَى صَنَمُهْ تَضْحَكُ عن أشْنَبَ عَذْبٍ مَلْثَمُهْ[٢]

وكذلك كان مجاهد يقول : حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحُذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ، وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) قالَ : فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده ، قال : فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته . والصنم : التمثال المصوَّر ، ما لم يكن صنما فهو وثَن ، قال : واستجاب الله له ، وجعل هذا البلد آمنا ، ورزق أهله من الثمرات ، وجعله إماما ، وجعل من ذرّيته من يقيم الصلاةَ ، وتقبَّل دعاءه ، فأراه مناسِكَه ، وتاب عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، قال: كان إبراهيم التيميّ يقصُّ ويقول في قَصَصه : من يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم ، حين يقول : ربِّ (اجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) .

وقوله (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ) يقول : يا ربِّ إن الأصنام أضللن : يقول : أزلن كثيرا من الناس عن طريق الهُدى وسبيل الحقِّ حتى عبدوهنَّ ، وكفروا بك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادةَ ، قوله (إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ) يعني الأوثان .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة (إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ) قال : الأصنام .

وقوله (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي) يقول : فمن تبعني على ما أنا عليه من الإيمان بك وإخلاص العبادة لك ، وفراق عبادة الأوثان ، فإنه مني : يقول: فإنه مستنّ بسنَّتي ، وعامل بمثل عملي (وَمَنْ عَصَانِي

(١) البيت في (مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٤٢) قال : جنبت الرجل الأمر ، وهو يجنب أخاه الشر ، وجنبته (بتشديد النون) واحد . وأنشد البيت . وشدده ذو الرمة فقال :

وشعر قد أرقت له بليل أجنبه المساند والمحالا

يريد أن المرأة تشفق على طفلها ، فتنفض فراشه خوفا عليه مما يؤذيه ، ولا تركب به النوق الفتية ، وهي القلائص ، لأن نشاطها في السير يؤذيه . وقال الفراء في معاني القرآن : (الورقة ١٦٤) أهل الحجاز يقولون : جنبني ، خفيفة ، وأهل نجد يقولون : أجنبني شره ، وجنبني شره .

(٢) البيت لرؤبة من أرجوزة له مطلعها : « قلت لزير لم تصله مريمه » . وقوله « وهنانة » : صفة لأروى في البيت قبله وهو : « إذ حب أروى همه وسدمه » . والزون : الصنم . وملثمه : مقبله . وقد شبه أروى بالصنم المجلو في البهاء والحسن . والوهنانة كما في اللسان : الكسلى عن العمل تنعما . قال أبو عبيدة : الوهنانة التي فيها فترة .

فإنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : ومن خالف أمرى فلم يقبل منى ما دعوته إليه ، وأشرك بك ، فإنه غفور لذنوب المذنبين الخطائين بفضلك ، رحيم بعبادك تعفو عمن تشاء منهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة قوله (فَمَنْ تَبِعَنِي فإنَّهُ مِني ، وَمَنْ عَصَانِي فإنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) اسمعوا إلى قول خليل الله إبراهيم، لاوالله ما كانوا طعَّانين ولا لعَّانين ، وكان يقال : إنَّ من أشرّ عباد الله كلّ طعان لعان ، قال نبيّ الله ابن مريم عليه السلام (إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عِبادُكَ ، وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أصبغ بن الفرج ، قال : أخبرنى ابن وهب ، قال : ثنا عمرو بن الحارث أن بكر بن سَوادة ، حدّثه عن عبد الرحمن بن جُبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم (رَبِّ إنَّهُنَّ أضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فإنَّهُ مِنِّي ، وَمَنْ عَصَانِي فإنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ، وقال عيسى (إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عِبادُكَ ، وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) فرفع يديه ثم قال : اللَّهُمَّ أُمَّتِي ، اللَّهُمَّ أُمَّتِي ، وبكى ، فقال الله تعالى : يا جبرئيل اذهب إلى محمد ، وربك أعلم ، فاسأله ما يُبكيه ؟ فأتاه جبرئيل فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، قال : فقال الله : يا جبرئيل اذهب إلى محمد وقل له : إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءُك .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧

وقال إبراهيم خليل الرحمن هذا القول حين أسكن إسماعيل وأمه هاجرَ ـ فيما ذُكِر ـ مكة .

كما حدثني يعقوب بن إبراهيم والحسن بن محمد قالا : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، قال : نبئت عن سعيد بن جبير ، أنه حدث عن ابن عباس ، قال : إنَّ أوّل من سَعى بين الصَّفا والمروة لأمُّ إسماعيل ؛ وإن أوّل ما أحدث نساء العرب جرّ الذيول لمن أمّ إسماعيل ، قال : لما فرّت من سارة ، أرخت من ذيلها لتعفى أثرها ، فجاء بها إبراهيم ومعها إسماعيل حتى انتهى بهما إلى موضع البيت ، فوضعهما ثم رجع ، فاتبعته ، فقالت : إلى أىّ شيء تكلنا ؟ إلى طعام تكلنا ؟ إلى شراب تكلنا ؟ فجعل لا يردّ عليها شيئا ، فقالت : آلله أمرك بهذا ؟ قال نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا . قال : فرجعت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كَدَاء ، أقبل على الوادى فدعا ، فقال (رَبِّ إنى أسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ ، رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ ، وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) قال : ومع الإنسانة شَنَّة فيها ماء ، فنفد الماء فعطشت

وانقطع لبنها ، فعطش الصبيّ ، فنظرت أيّ الجبال أدنى من الأرض، فصعِدَت بالصفا ، فتسمعت هل تسمع صوتا ، أو ترى أنيسا ؟ فلم تسمع ، فانحدرت ، فلما أتت على الوادى سعت وما تريد السعى ، كالإنسان المجهود الذى يسعى وما يريد السعى ، فنظرت أيّ الجبال أدنى من الأرض ، فصَعِدت المروة فتسمعت هل تسمع صوتا ، أو ترى أنيسا، فسمعت صوتا، فقالت: كالإنسان الذى يكذّب سمعه: صه، حتى استيقنت ، فقالت : قد أسمعتنى صوتك فأغثنى ، فقد هلكتُ وهلك من معى ، فجاء المَلك فجاء بها حتى انتهى بها إلى موضع زمزم ، فضرب بقدمه ففارت عينا ، فعجلت الإنسانة فجعلت فى شنّها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللهُ أُمَّ إسْماعيلَ لَوْلا أنّها عَجِلَتْ لَكانَتْ زَمْزَمُ عَيْنا مَعِينا[١] » . وقال لها الملك : لاتخافى الظمأ على أهل هذا البلد ، فإنما هى عين لشرب ضيفان الله، وقال: إن أبا هذا الغلام سيجىء ، فيبنيان لله بيتا هذا موضعه ، قال : ومرّت رفقة من جُرهم تريد الشام، فرأوا الطير على الجبل ، فقالوا : إن هذا الطير لعائف على ماء ، فهل علمتم بهذا الوادى من ماء ؟ فقالوا : لا، فأشرفوا فإذا هم بالإنسانة ، فأتوها فطلبوا إليها أن ينزلوا معها، فأذنت لهم ؛ قال : وأتى عليها ما يأتى على هؤلاء الناس من الموت ، فماتت، وتزوّج إسماعيل امرأة منهم ، فجاء إبراهيم ، فسأل عن منزل إسماعيل حتى دُلّ عليه ، فلم يجده ، ووجد امرأة له فظة غليظة ، فقال لها : إذا جاء زوجك فقولى له : جاء ههنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وإنه يقول لك : إنى لاأرضى لك عَتَبَة بابك فحوّلها ، وانطلق؛ فلما جاء إسماعيل أخبرته ، فقال : ذاك أبى وأنت عتبة بابى، فطلقها وتزوّج امرأة أخرى منهم، وجاء إبراهيم حتى انتهى إلى منزل إسماعيل ، فلم يجده ، ووجد امرأة له سهلة طليقة ، فقال لها : أين انطلق زوجك ؟ فقالت: انطلق إلى الصيد ، قال : فما طعامكم ؟ قالت : اللحم والماء ، قال : اللهمّ بارك لهم فى لحمهم ومائهم، اللهمّ بارك لهم فى لحمهم ومائهم ثلاثا ، وقال لها : إذا جاء زوجك فأخبريه ، قولى : جاء ههنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وإنه يقول لك : قد رضيت لك عتبة بابك ، فأثبتها ؛ فلما جاء إسماعيل أخبرته . قال: ثم جاء الثالثة ، فرفعا القواعد من البيت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنى يحيى بن عباد ، قال : ثنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : جاء نبيّ الله إبراهيم بإسماعيل وهاجر ، فوضعهما بمكة فى موضع زمزم ؛ فلما مضى نادته هاجر: يا إبراهيم إنما أسألك ثلاث مرات: من أمرك أن تضعنى بأرض ليس فيها ضَرْع ولا زرع ، ولا أنيس، ولا زاد ولا ماء ؟ قال : ربى أمرنى ، قالت : فإنه لن يضيّعنا قال : فلما قفا إبراهيم قال (رَبَّنا إنَّكَ تَعْلَمُ ما نُخْفِى وَما نُعْلِنُ) يعنى من الحزن (وَما يَخْفَى على اللهِ مِنْ شَىْءٍ فِى الأرْضِ وَلا فِى السَّماءِ) فلماظمئ إسماعيل جعل يَدْحَض الأرض بعقبه، فذهبت هاجر حتى علت الصفا ، والوادى يومئذ لاخ ، ، يعنى عميق ، فصعدت الصفا، فأشرفت لتنظر هل ترى شيئا ؟ فلم تر شيئا ، فانحدرت فبلغت الوادى ، فسعت فيه حتى خرجت منه ، فأتت المروة، فصعدت فاستشرفت هل تر شيئا ، فلم تر شيئا ، ففعلت ذلك سبع مرّات، ثم جاءت من المروة إلى إسماعيل، وهو يَدْحَض

(١) معينا : جارية سائحة على وجه الأرض .

الأرض بقعبه ، وقد نبعت العين وهى زمزم ، فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء، فكلما اجتمع ماء أخذته بقدحها، وأفرغته فى سقائها ، قال : فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « يَرْحَمُها اللهُ لَوْ تَرَكَتْها لَكانَتْ عَيْنًا سائِحَةً تَجْرِى إلى يَوْمِ القيامَةِ » . قال: وكانت جُرهُمُ يومئذ بواد قريب من مكة؛ قال: ولزمت الطير الوادى حين رأت الماء ؛ فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادى، قالوا : ما لزمته إلا وفيه ماء ، فجاءوا إلى هاجَر ، فقالوا : إن شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك ، قالت: نعم، فكانوا معها حتى شبّ إسماعيل ، وماتت هاجر فتزوّج إسماعيل امرأة منهم ؛ قال : فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتى هاجر ، فأذنت له وشرطت عليه أن لاينزل ، فقدم إبراهيم وقد ماتت هاجر ، فذهب إلى بيت إسماعيل، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ليس ههنا ذهب يتصيد، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيتصيد ثم يرجع ، فقال إبراهيم : هل عندك ضيافة ، هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : ليس عندى، وما عندى أحد، فقال إبراهيم : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولى له : فليغير عتبة بابه ؛ وذهب إبراهيم، وجاء إسماعيل، فوجد ريح أبيه ، فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ فقالت : جاءنى شيخ كذا وكذا، كالمستخفة بشأنه، قال : فما قال لكِ ؟ قالت : قال لى : أقرئى زوجك السلام وقولى له : فليغير عتبة بابه ، فطلقها وتزوّج أخرى، فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل ، فأذنت له ، وشرطت عليه أن لاينزل ، فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ذهب يصيد ، وهو يجىء الآن إن شاء الله ، فانزل يرحمك الله ، قال لها : هل عندك ضيافة ؟ قالت : نعم ، قال : هل عندك خبز أو برّ أو تمر أو شعير؟ قالت : لا ، فجاءت باللبن واللحم ، فدعا لهما بالبركة ، فلو جاءت يومئذ بخبز أو برّ أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض الله برّا وشعيرا وتمرا، فقالت له: انزل حتى أغسل رأسك، فلم ينزل ، فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الأيمن ، فوضع قدمه عليه ، فبقى أثر قدمه عليه ، فغسلت شقّ رأسه الأيمن ، ثم حوّلت المقام إلى شقه الأيسر فغسلت شقه الأيسر ، فقال لها : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام ، وقولى له : قد استقامت عتبة بابك ؛ فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه ، فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ فقالت : نعم ، شيخ أحسن الناس وجها وأطيبه ريحا ، فقال لى : كذا وكذا ، وقلت له : كذا وكذا ، وغسلتُ رأسه ، وهذا موضع قدمه على المقام ؛ قال : وما قال لك ؟ قالت : قال لى : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولى له : قد استقامت عتبة بابك، قال : ذاك إبراهيم . فلبث ما شاء الله أن يلبث ، وأمره الله ببناء البيت ، فبناه هو وإسماعيل ؛ فلما بنياه قيل : أذّن فى الناس بالحجّ ، فجعل لايمرّ بقوم إلا قال : أيها الناس إنه قد بنى لكم بيت فحجوه ، فجعل لايسمعه أحد ، صخرة ولا شجرة ولا شىء ، إلا قال : لبيك اللهمّ لبيك . قال : وكان بين قوله ﴿ رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ وبين قوله ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ كذا وكذا عاما ، لم يحفظ عطاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى

بوَادٍ غيرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) وإنه بيت طهَّره الله من السُّوء ، وجعله قبلة ، وجعله حرَمه ، اختاره نبيّ الله إبراهيم لولده .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (غيرِ ذِى زَرْعٍ) قال : مكة لم يكن بها زرع يومئذ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى ابن كثير ، قال القاسم فى حديثه : قال : أخبرنى عمرو بن كثير « قال أبوجعفر » : فغيرته أنا فجعلته : قال أخبرنى ابن كثير ، وأسقطت عمرا ، لأنى لاأعرف إنساناً يقال له عمرو بن كثير حدّث عنه ابن جريج ، وقد حدّث به معمر عن كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة ، وأخشى أن يكون حديث ابن جريج أيضا عن كثير ابن كثير ، قال : كنت أنا وعثمان بن أبي سليمان فى أناس مع سعيد بن جبير ليلا ، فقال سعيد بن جبير للقوم : سلونى قبل ألاّ تسألونى ، فسأله القوم فأكثروا ، وكان فيما سُئل عنه أن قيل له : أحقّ ماسمعنا فى المقام ، فقال سعيد : ماذا سمعتم ؟ قالوا : سمعنا أن إبراهيم رسول الله حين جاء من الشام ، كان حلف لامرأته أن لاينزل مكة حتى يرجع ، فقرب له المقام ، فنزل عليه ، فقال سعيد : ليس كذاك ، حدثنا ابن عباس ، ولكنه حدثنا حين كان بين أمّ إسماعيل وسارة ما كان أقبل بإسماعيل ، ثم ذكر مثل حديث أيوب غير أنه زاد فى حديثه ، قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « وَلِذلكَ طافَ النَّاسُ بينَ الصَّفا والمَرْوَةِ ، ثم حدث وقال : قال أبوالقاسم صلى الله عليه وسلم : « طَلَبُوا النُّزُولَ مَعَهَا وَقَدْ أحبَّتْ أُمُّ إسْماعيلَ الأُنْسَ ، فَنَزَلُوا وَبَعَثُوا إلى أهْلِيهِمْ فَقَدِمُوا ؛ وَطَعَامُهُمُ الصَّيْدُ ، يَخْرُجُونَ منَ الحَرَمِ وَيَخْرُجُ إسْماعيلُ مَعَهُمْ يَتَصَيَّدُ ؛ فَلَمَّا بَلَغَ أنْكَحُوهُ ، وَقَدْ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ قَبْلَ ذلكَ ، قالَ : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا دَعا لَهُما أنْ يُبارِكَ لَهُمْ فِى اللَّحْمِ والماء ، قال لَها هَلْ مِنْ حَبٍّ أوْ غيرِهِ مِنَ الطَّعامِ ؟ قالَتْ : لا ، وَلَوْ وَجَدَ يَوْمَئِذٍ لَها حَبًّا لَدَعا لَهَا بالبَرَكَةِ فيهِ » . قال ابن عباس : ثم لبث ما شاء الله أن يلبث ، ثم جاء فوجد إسماعيل قاعدا تحت دَوْحة إلى ناحية البئر يبرى نبلا له ، فسلم عليه ونزل إليه ، فقعد معه وقال : يا إسماعيل ، إن الله قد أمرنى بأمر ، قال إسماعيل : فأطع ربك فيما أمرك ، قال إبراهيم : أمرنى أن أبنى له بيتا ، قال إسماعيل ابن ، قال ابن عباس : فأشار له إبراهيم إلى أكمة بين يديه مرتفعة على ماحولها يأتيها السيل من نواحيها ، ولا يركبها . قال : فقاما يحفران عن القواعد يرفعانها ويقولان (رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إنَّكَ أنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) ربنا تقبل منا إنك سميع الدعاء ، وإسماعيل يحمل الحجارة على رقبته ، والشيخ إبراهيم يبنى ، فلما ارتفع البنيان وشقّ على الشيخ تناوله ، قرّب إليه إسماعيل هذا الحجَر ، فجعل يقوم عليه ويبنى ، ويحوله فى نواحى البيت حتى انتهى ، يقول ابن عباس : فذلك مقام إبراهيم وقيامه عليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (رَبَّنا إنِّى أسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوادٍ غيرِ ذِى زَرْعٍ) قال : أسكن إسماعيل وأمه مكة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غيرِ ذِى زَرْعٍ) قال : حين وضع إسماعيل .

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذن : ربنا إنى أسكنت بعض ولدى بواد غير ذى زرع ، وفى قوله صلى الله عليه وسلم دليل على أنه لم يكن هنالك يومئذ ماء ، لأنه لو كان هنالك ماء لم يصفه بأنه غير ذى زرع عند بيتك الذى حرّمته على جميع خلقك أن يستحلوه .

وكان تحريمه إياه فيما ذُكر كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا أن عمر بن الخطاب قال فى خطبته : إن هذا البيت أوّل من وليه أناس مِن طسْم، فعصوا ربهم واستحلوا حرمته، واستخفوا بحقه ، فأهلكهم الله ؛ ثم وليهم أناس من جُرهم فعصوا ربهم واستحلوا حرمته واستخفوا بحقه ، فأهلكهم الله ، ثم وليتموه معاشر قريش ، فلا تعصوا ربه ، ولا تستحلوا حرمته ، ولا تستخفوا بحقه ، فوالله لصلاة فيه أحبّ إلىّ من مئة صلاة بغيره ، واعلموا أن المعاصى فيه على نحو من ذلك .

وقال (إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غيرِ ذِى زَرْعٍ) ولم يأت بما وقع عليه الفعل ، وذلك أن حظّ الكلام أن يقال : إنى أسكنت من ذريتى جماعة ، أو رجلا ، أو قوما ، وذلك غير[1] جائز مع « من » لدلالتها على المراد من الكلام ، والعرب تفعل ذلك معها كثيرا ، فتقول : قتلنا من بنى فلان ، وطعمنا من الكلإ ، وشربنا من الماء ؛ ومنه قول الله تعالى (أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الماءِ أَوْ مما رَزَقَكُمُ اللهُ) .

فإن قال قائل : وكيف قال إبراهيم حين أسكن ابنه مكة (إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غيرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ) وقد رويتَ فى الأخبار التى ذكرتها أن إبراهيم بنى البيت بعد ذلك بمدة . قيل : قد قيل فى ذلك أقوال قد ذكرتها فى سورة البقرة ؛ منها أن معناه : عند بيتك المحرّم الذى كان قبل أن ترفعه من الأرض حين رفعته أيام الطوفان . ومنها عند بيتك المحرّم الذى قد مضى فى سابق علمك أنه يحدث فى هذا البلد . وقوله (المُحَرَّمِ) على ماقاله قتادة معناه : المحرّم من استحلال حرمات الله فيه ، والاستخفاف بحقه . وقوله (رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصلاةَ) يقول : فعلت ذلك يا ربنا كى تودّى فرائضك من الصلاة التى أوجبتها عليهم فى بيتك المحرّم . وقوله (فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ) يخبر بذلك تعالى ذكره عن خليله إبراهيم أنه سأله فى دعائه أن يجعل قلوب بعض خلقه تنزع إلى مساكن ذريته الذين أسكنهم بواد غير ذى زرع عند بيته المحرَّم ، وذلك منه دعاء لهم بأن يرزقهم حجّ بيته الحرام .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ) ولو قال : أفئدة الناس تهوى إليهم لحجت اليهود والنصارى والمجوس ، ولكنه قال : أفئدة من الناس تهوى إليهم ، فهم المسلمون .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فاجْعَلْ

(١) يريد أن من إذا كان معناها التبعيض ، كما فى الآية ، لم يجز ذكر المفعول بعدها ، لأنها حينئذ بمعنى المفعول ، أى أسكنت بعض ذريتى بواد غير ذى زرع .

أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قال : لو كانت أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم ، ولكنه أفئدة من الناس .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قال : لو قال أفئدة الناس تهوى إليهم ، لازدحمت عليهم فارس والروم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عليّ ، يعني ابن الجعد ، قال : أخبرنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سألت عكرمة عن هذه الآية (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) فقال : قلوبهم تهوى إلى البيت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن عكرمة وعطاء وطاوس (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) البيت تهوى إليه قلوبهم يأتونه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا سعيد ، عن الحكم ، قال : سألت عطاء وطاوسا وعكرمة ، عن قوله (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قالوا : الحجّ .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة وعليّ بن الجعد ، قالا : أخبرنا سعيد ، عن الحكم ، عن عطاء وطاوس وعكرمة في قوله (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قال : هواهم إلى مكة أن يحجوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سألت طاوسا وعكرمة وعطاء ابن أبي رباح ، عن قوله (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) فقالوا : اجعل هواهم الحجّ .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لو كان إبراهيم قال : فاجعل أفئدة الناس تهوى إليهم لحجه اليهود والنصارى والناس كلهم ، ولكنه قال (أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قال : تنزع إليهم .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : إنما دعا لهم أن يهووا السكنى بمكة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قال : إن إبراهيم خليل الرحمن ، سأل الله أن يجعل أناسا من الناس يهوون سكنى أو سكن مكة .

وقوله (وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ) يقول تعالى ذكره : وارزقهم من ثمرات النبات والأشجار

مارزقت سكان الأرياف والقرى التى هى ذوات المياه والأنهار ، وإن كنت أسكنتهم واديا غير ذى زرع ولا ماء ، فرزقهم جلّ ثناؤه ذلك .

كما حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : قرأت على محمد بن مسلم الطائفى أن إبراهيم لما دعا للحرم (وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثمرات) نقل الله الطائف من فلسطين .

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) يقول : ليشكروك على مارزقتهم وتنعم به عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استشهاد خليله إبراهيم إياه على مانوى وقصد بدعائه وقيله (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِنا وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنامُ)... الآية ، وأنه إنما قصد بذلك رضا الله عنه فى محبته أن يكون ولده من أهل الطاعة لله ، وإخلاص العبادة له على مثل الذى هو له ، فقال : ربنا إنك تعلم ما تخفى قلوبنا عند مسألتنا ما نسألك ، وفى غير ذلك من أحوالنا ، وما نعلن من دعائنا ، فنجهر به وغير ذلك من أعمالنا ، وما يخفى عليك يا ربنا من شىء يكون فى الأرض ولا فى السماء ، لأن ذلك كله ظاهر لك متجلّ باد ، لأنك مدبره وخالقه ، فكيف يخفى عليك .

القول في تأويل قوله تعالى :

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾

يقول : الحمد لله الذى رزقنى على كبر من السنّ ولدا إسماعيل وإسحاق (إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعاءِ) يقول : إن ربى لسميع دعائى الذى أدعوه به ، وقولى (اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِنا وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنامَ) وغير ذلك من دعائى ودعاء غيرى ، وجميع مانطق به ناطق لايخفى عليه منه شىء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار بن مرّة ، قال : سمعت شيخا يحدّث سعيد بن جبير ، قال : بُشر إبراهيم بعد سبع عشرة ومئة سنة .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾

يقول : ربّ اجعلنى مؤدّيا ما ألزمتنى من فريضتك التى فرضتها علىّ من الصلاة (وَمِنْ ذُرِّيَّتِى) يقول : واجعل أيضا من ذرّيتى مقيمى الصلاة لك (رَبَّنا وَتَقَبَّلْ دُعاءِ) يقول : ربنا وتقبل عملى الذى أعمله لك ، وعبادتى إياك ، وهذا نظير الخبر الذى رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنّ

الدُّعاءَ هُوَ العبادَةُ ، ثم قرأ (وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أسْتَجِبْ لَكُمْ ، إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) » .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾

وهذا دعاء من إبراهيم صلوات الله عليه لوالديه بالمغفرة ، واستغفار منه لهما ، وقد أخبر الله عزّ ذكره أنه لم يكن (اسْتِغْفارُ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيَّاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أنَّهُ عَدُوٌّ لله تَبَرَّأَ مِنْهُ ، إنَّ إبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) .

وقد بيَّنا وقت تبرّئه منه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

وقوله (ولِلْمُؤْمِنِينَ) يقول : وللمؤمنين بك ممن تبعني على الدين الذى أنا عليه ، فأطاعك فى أمرك ونهيك . وقوله (يَوْمَ يَقُومُ الحِسابُ) يعنى : يقوم الناس للحساب ، فاكتفى بذكر الحساب من ذكر الناس ، إذ كان مفهوما معناه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ) يا محمد (غافِلاً) ساهيا (عَمَّا يَعْمَلُ) هؤلاء المشركون من قومك ، بل هو عالم بهم وبأعمالهم محصيها عليهم ، ليجزيهم جزاءهم فى الحين الذى قد سبق فى علمه أنه يجزيهم فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علىّ بن ثابت ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران فى قوله (وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) قال : هى وعيد للظالم وتعزية للمظلوم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ إنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأبصار . مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ، لايَرْتَدُّ إلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : إنما يؤخر ربك يا محمد هؤلاء الظالمين الذين يكذّبونك ، ويجحدون نبوّتك ، ليوم تشخص فيه الأبصار . يقول : إنما يؤخّر عقابهم ، وإنزال العذاب بهم ، إلى يوم تشخص فيه أبصار الخلق ، وذلك يوم القيامة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأبْصارُ) شخصت فيه والله أبصارهم ، فلا ترتدّ إليهم .

وأما قوله (مُهْطِعِينَ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى معناه ؛ فقال بعضهم : معناه : مسرعين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي سعيد المؤدّب ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير (مُهْطِعِينَ) قال : النَّسَلان ، وهو الخبب ، أو ما دون الخبب ، شكّ أبوسعيد ، يخبون وهم ينظرون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُهْطِعِينَ) قال : مسرعين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مُهْطِعِينَ) يقول : منطلقين عامدين إلى الداعى .

وقال آخرون : معنى ذلك : مديمى النظر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مُهْطِعِينَ) يعنى بالإهطاع : النظر من غير أن يطرف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن سعيد بن مسروق ، عن أبى الضحى (مُهْطِعِينَ) قال : الإهطاع : التحميج الدائم الذى لايَطْرِف .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن أبى الخير بن تميم بن حذلم ، عن أبيه ، فى قوله (مُهْطِعِينَ) قال : الإهطاع : التحميج .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك (مُهْطِعِينَ) قال : شدّة النظر الذى لايطرف .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا عمرو ، قال : أخبرنا هُشَيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله : (مُهْطِعِينَ) قال : شدة النظر فى غير طَرْف .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مُهْطِعِينَ) الإهطاع : شدة النظر فى غير طَرْف .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحُذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مُهْطِعِينَ) قال : مُديمى النظر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : لايرفع رأسه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مُهْطِعِينَ) قال : المهطع الذى لايرفع رأسه . والإهطاع فى كلام العرب بمعنى الإسراع أشهر منه : بمعنى إدامة النظر . ومن الإهطاع بمعنى الإسراع ، قول الشاعر :

وبِمُهْطِعٍ سُرُحٍ كأنَّ زِمامَهُ ... في رأسِ جِذْعٍ مِنْ أُوالَ مُشَذَّبِ ١

وقول الآخر :

بمُسْتَهْطِعٍ رَسْلٍ كأنَّ جَدِيلَهُ ... بقَيْدُومِ رَعْنٍ مِنْ صَوامٍ مُمَنَّعُ ٢

وقوله (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) يعني رافعي رءوسهم وإقناع الرأس : رفعه ؛ ومنه قول الشماخ :

يُباكِرْنَ العِضَاهَ بمُقْنَعاتٍ ... نَوَاجِذُهُنَّ كالحَدَإِ الوَقِيعِ ٣

يعني : أنهن يباكرن العضاه برءوسهن مرفوعات إليها لتتناول منها ، ومنه أيضا قول الراجز :

أنْغَضَ نَحْوِي رأسَهُ وأقْنَعا ... كأنَّما أبْصَرَ شَيْئًا أطْمَعا ٤

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : الإقناع : رفع رءوسهم .

---

(١) البيت أنشده ابن بري في (اللسان : أول) ونسبه لأنيف بن جبلة . وروايته فيه :

أمَّا إذا اسْتَقْبَلْتَهُ فكأنَّهُ ... للعَيْنِ جِذْعٌ مِنْ أُوالَ مُشَذَّبُ

وفي معجم ما استعجم للبكري : أول قرية بالبحرين ، وقيل جزيرة ، فإن كانت قرية فهي من قرى السيف (بكسر السين) يشهد لذلك قول ابن مقبل . وكأنها سفن بسيف أوال . والمهطع : (كما في اللسان) الذي يديم النظر مع فتح العينين . وقيل : الذي يقبل على الشيء ببصره ، فلا يرفعه عنه . والمهطع أيضا : المسرع الخائف ، لا يكون إلا مع خوف . وقد فسر بالوجهين جميعا قوله تعالى : (مهطعين إلى الداع) اهـ . وقال في سرح : خيل سرح ، وناقة سرح في سيرها : أي سريعة . وأورده المؤلف وأبو عبيدة في مجاز القرآن (١ - ٣٤٢) شاهدا على أن المهطع : المسرع .

(٢) أورده صاحب أساس البلاغة (هطع) قال : وهو في صفة ثور ، وممتع : بالتاء : أي طويل ، من المماتع . وفيه « رضام » في محل : صوام . وفي (اللسان : قدم) قال : وقيدوم الجبل : أنف يتقدم منه ، وأنشد البيت وقال : صوام (كسحاب) اسم جبل . وقيدوم كل شيء : مقدمه وصدره . والمستهطع : كالمهطع ، وهو المسرع . ورسل : سهل فيه لين . والجديل : حبل مفتول من أدم أو شعر ، يكون في عنق البعير أو الناقة ، والجمع : جدل . والجديل أيضا : الزمام المجدول من أدم . والرعن : أنف الجبل . وصوام (كسحاب) : جبل قاله البكري وصاحب اللسان . والممنع بالنون : المرتفع الذي لا يرتقى . وفي مجاز القرآن : الرسل : الذي لا يكلفك شيئا . بقيدوم : قدام . ورعن الجبل : أنفه ، وصؤام (بضم الصاد وهمز الواو) لم أجده كذلك ، وإنما هو صوام ، بفتح الصاد وبالواو ، بوزن سحاب .

(٣) البيت للشماخ بن ضرار (ديوانه ص ٥٦) والرواية فيه : يبادرن في موضع يباكرن ، وهما بمعنى . قال شارحه : يبادرن من المبادرة ، والعضاه : جمع عضاهة . وهي أعظم الشجر . والمقنعات : جمع مقنع : يريد أفواه الإبل . والنواجذ : أقصى الأضراس . والحدأ : جمع حدأة ، وهي فأس ذات رأسين . والوقيع : المحدد بالميقعة ، وهي المطرقة التي يحدد بها . شبه أسنانها بفئوس قد حددت . والبيت في وصف إبل حداد الأسنان . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١-٣٤٣) في تفسير « مقنعي رءوسهم » مجازه : رافعي رءوسهم . وأنشد بيت الشماخ ثم قال : أي برءوس مرفوعة إلى العضاه ، ليتناولن منه . والعضاه : كل شجرة ذات شوك . ونواجذهن : أضراسهن . والحدأ : الفأس ، وأراه الذي ليس له خلف ، وجمعها : حدأ . والوقيع : المرققة المحددة ، يقال : وقع حديدتك . والمطرقة يقال لها ميقعة . وفي (اللسان : حدأ) : الحدأ : شبه فأس تنقر به الحجارة ، وهو محدد الطرف . والحدأة : الفأس ذات الرأسين ، والجمع حدأ ، كقصبة وقصب . وقال : شبه أسنانها بفئوس قد حددت .

(٤) أنغض رأسه : حركه كالمتعجب . وأقنعه : رفعه . يقول : هز رأسه نحوي ، ورفعه يتأملني كما يتأمل شيئا فيه مطمع له . وهو كالذي قبله شاهد على أن الإقناع : هو الرفع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، وقال الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحُذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعيها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا أبوبكر ، عن أبي سعد ، قال : قال الحسن : وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء لاينظر أحد إلى أحد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن عثمان بن الأسود ، لأنه سمع مجاهدا يقول فى قوله (مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ)قال: رافع رأسه هكذا ، (لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعي رءوسهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : الإقناع : رفع رءوسهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : المقنع الذى يرفع رأسه شاخصا بصره لايطرف .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعيها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : المقنع الذى يرفع رأسه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعي رءوسهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي سعيد ، عن سالم ، عن سعيد (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعي رءوسهم .

وقوله (لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) يقول : لاترجع إليهم لشدّة النظر أبصارهم .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) قال : شاخصة أبصارهم .

وقوله (وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : متخرّقة لاتعى من الخير شيئا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن مرّة ، في قوله (وأفئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) قال : متخرقة لاتعي شيئا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا مالك بن مغول ، عن أبي إسحاق ، عن مرّة ، بمثل ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مرّة ، مثله .

حدثنا محمد بن عمارة ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا مالك وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مرّة ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن مرّة (وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) قال : متخرقة لاتعي شيئا من الخير .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا مالك ، يعني ابن مغول ، قال : سمعت أبا إسحاق ، عن مرّة إلا أنه قال : لاتعي شيئا ، ولم يقل من الخير .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مرّة ، مثله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا مالك بن مغول ، وإسرائيل عن أبي إسحاق ، عن مرّة (وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) قال : أحدهما خربة ، وقال الآخر : متخرقة لاتعي شيئا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) قال : ليس فيها شيء من الخير فهي كالخربة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : ليس من الخير شيء في أفئدتهم ، كقولك للبيت الذي ليس فيه شيء إنما هو هواء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ابن زيد في قوله (وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) قال : الأفئدة : القلوب هواء كما قال الله ، ليس فيها عقل ولا منفعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي بكرة ، عن أبي صالح (وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) قال : ليس فيها شيء من الخير .

وقال آخرون : إنها لاتستقرّ في مكان تردّد في أجوافهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وأحمد بن إسحاق ، قالا : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد (وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) قال : تمور في أجوافهم ، ليس لها مكان تستقرّ فيه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي سعيد ، عن سالم ، عن سعيد بنحوه .

وقال آخرون : معنى ذلك : أنها خرجت من أماكنها فنشبت بالحلوق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وأحمد بن إسحاق ، قالا : ثنا أبوأحمد الزبيرى ، عن إسرائيل ، عن سعيد ، عن مسروق عن أبي الضحى (وأفئدتهم هواء) قال : قد بلغت حناجرهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وأفئدتهم هواء) قال : هواء ليس فيها شيء ، خرجت من صدورهم ، فنشبت فى حلوقهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأفئدتهم هواء) انتزعت حتى صارت فى حناجرهم لاتخرج من أفواههم ، ولا تعود إلى أمكنتها .

⁂ وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب فى تأويل ذلك قول من قال : معناه : أنها خالية ليس فيها شيء من الخير ، ولا تعقل شيئا ، وذلك أن العرب تسمى كلّ أجوف خاو : هواء ؛ ومنه قول حسّان بن ثابت :

ألا أبْلِغْ أبا سُفْيانَ عَنّى فأنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَواءُ[1]

ومنه قول الآخر :

ولا تَكُ مِنْ أخْدانِ كُلّ يَراعةٍ هَواءٍ كَسَقْبِ البانِ جُوفٍ مَكاسِرُهْ[2]

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : وأنذر يامحمد الناس الذين أرسلتك إليهم داعيا إلى الإسلام ما هو نازل بهم ، يوم يأتيهم عذاب الله فى القيامة (فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : فيقول الذين كفروا بربهم ، فظلموا بذلك أنفسهم (رَبَّنَا أخِّرْنا) : أى أخّر عنا عذابك ، وأمهلنا (إلى أجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ) الحقّ ، فنؤمن بك ، ولا نشرك بك شيئا (وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ) يقولون : ونصدّق رسلك فنتبعهم على ما دعوتنا إليه من طاعتك واتباع أمرك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) البيت لحسان ، كما فى الديوان ص ٧ . وأبوسفيان : هوالمغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم وكان يهجو النبى قبل أن يسلم . والمجوف : الخالى الجوف ، يريد به الجبان ، وكذلك النخب والهواء . وقال فى اللسان : النخب ، الجبان ، كأنه منتزع الفؤاد ، أى لافؤاد له . وقال فى هوى : والهواء والخواء واحد . وأورد البيت كرواية المؤلف .

(٢) البيت فى (اللسان : يرع) كرواية المؤلف . ونسبه ابن برى لكعب الأمثال (؟) وقال قبله : اليراعة واليراع : الجبان الذى لاعقل له ولا رأى ، مشتق من القصب اه : أى على التشبيه بالقصب الأجوف . والهواء: الجبان المنتزع الفؤاد . والبان :شجر يسمو ويطول فى استواء وليس لخشبه صلابة ، والسقب: عمود الخباء ، وإذا اتخذ من شجر البان فإنه لايحتمل لقلة صلابته . وجوف جمع أجوف ؛ والمكاسر : مواضع الكسر ، أى إذا كسر بان أنه أجوف ضعيف الاحتمال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذَابُ) قال : يوم القيامة (فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنا إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ) قال : مدّة يعملون فيها من الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذَابُ) يقول : أنذرهم فى الدنيا قبل أن يأتيهم العذاب .

وقوله (فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) رفع عطفا على قوله (يَأْتِيهِمُ) فى قوله (فَأْتِيهِمُ العَذَابُ) : وليس بجواب للأمر ، ولو كان جوابا لقوله (وأَنْذِرِ النَّاسَ) جاز فيه الرفع والنصب . أما النصب فكما قال الشاعر :

يا نَاقَ سِيرِي عَنَقًا فَسِيحا إلى سُلَيْمانَ فَنَسْتَرِيحا [1]

والرفع على الاستئناف . وذُكر عن العلاء بن سيابة أنه كان ينكر النصب فى جواب الأمر بالفاء ؛ قال الفراء : وكان العلاء هو الذى علّم معاذا وأصحابه .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ :

وهذا تقريع من الله تعالى ذكره للمشركين من قريش، بعد أن دخلوا النار بإنكارهم فى الدنيا البعث بعد الموت ، يقول لهم : إذ سألوه رفع العذاب عنهم ، وتأخيرهم لينيبوا ويتوبوا (أَوَلَمْ تَكُونُوا) فى الدنيا (أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ) يقول : مالكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة ، وإنكم إنما تموتون ، ثم لاتبعثون .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال (أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ) كقوله (وأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لايَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بلى) ثم قال (ما لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ) قال : الانتقال من الدنيا إلى الآخرة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال: ثنا شبابة ، قال: ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا

(١) هذا البيت من شواهد النحويين وهو لأبى النجم العجلى يخاطب ناقته فى سيره إلى سليمان بن عبد الملك . وناق : منادى مرخم ، أى يا ناقة ، وعنقا : منصوب على أنه نائب عن المصدر ، أى صفة مصدر محذوف ، أى سيرا عنقا ، وهو ضرب من سير الدابة والإبل ، وهو سير مسبطر . قال أبوالنجم . . . وأنشد البيت . والفسيح : الواسع . نعت . والشاهد فى « فنستريحا » حيث نصب ، لأنه جواب الأمر بالفاء ، وهذا بلا خلاف إلا ما نقل عن العلاء بن سيابة ، أنه كان لا يجيز ذلك ، وهو محجوج به . (انظر فرائد القلائد للعينى : باب إعراب الفعل) . وقال الفراء فى معانى القرآن : (الورقة ١٦٤) ، وقوله « يأتيهم العذاب فيقول » : رفع ، تابع ليأتيهم ، وليس بجواب الأمر ، ولو كان جوابا لجاز نصبه ورفعه ، كما قال الشاعر : يا ناق . . . البيت . والرفع عن الاستئناف بالائتناف بالفاء فى جواب الأمر حسن . وكان شيخ لنا يقال له العلاء بن سيابة ، وهو الذى علم معاذا الهراء وأصحابه ، يقول : لا أنصب بالأمر .

أبو حذيفة ، قال : ثنا سلمة ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ) قال : لاتموتون لقريش .

حدثني القاسم ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن الحكم ، عن عمرو بن أبي ليلى أحد بني عامر ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : بلغني ، أو ذُكر لي أن أهل النار ينادون (رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ ، وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ) فردّ عليهم (أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ . وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) . . . إلى قوله (لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره : وسكنتم فى الدنيا فى مساكن الذين كفروا بالله ، فظلموا بذلك أنفسهم من الأمم التى كانت قبلكم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم : يقول : وعلمتم كيف أهلكناهم حين عتوا على ربهم ، وتمادوا فى طغيانهم وكفرهم (وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ) يقول : ومثّلنا لكم فيما كنتم عليه من الشرك بالله مقيمين الأشباه ، فلم تنيبوا ولم تتوبوا من كفركم ، فالآن تسألون التأخير للتوبة حين نزل بكم ما قد نزل بكم من العذاب ، إن ذلك لغير كائن .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) يقول : سكن الناس فى مساكن قوم نوح وعاد وثمود ، وقرون بين ذلك كثيرة ممن هلك من الأمم (وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ) قد والله بعث رسله ، وأنزل كتبه ، ضرب لكم الأمثال ، فلا يصم فيها إلا أصمّ ، ولا يخيب فيها إلا الخائب ، فاعقلوا عن الله أمره .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ) قال : سكنوا فى قراهم مدين والحجر والقرى التى عذّب الله أهلها ، وتبين لكم كيف فعل الله بهم ، وضرب لهم الأمثال .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الْأَمْثَالَ) قال : الأشباه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ ٤٦

يقول تعالى ذكره : قد مكر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم ، فسكنتم من بعدهم فى مساكنهم ، مكرهم .

وكان مكرهم الذى مكروا ما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبان[1] قال : سمعت عليا يقرأ (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ) قال : كان ملك فره[2] أخذ فروخ النسور، فعلفها اللحم حتى شبَّت واستعلجت واستغلظت ، فقعد هو وصاحبه فى التابوت وربطوا التابوت بأرجل النسور ، وعلقوا اللحم فوق التابوت ، فكانت ، كلما نظرت إلى اللحم صعدت وصعدت ، فقال لصاحبه ما ترى ؟ قال : أرى الجبال مثل الدخان ، قال : ما ترى؟ قال : ما أرى شيئا ، قال : ويحك صوّب صوّب ، قال : فذلك قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن ابن واصل[1] ، عن علىّ بن أبى طالب ، مثل حديث يحيى بن سعيد ، وزاد فيه : وكان عبد الله بن مسعود يقرؤها (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن واصل[1] أن عليا قال فى هذه الآية (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ) قال : أخذ ذلك الذى حاجّ إبراهيم فى ربه نسرين صغيرين فرباهما ، ثم استغلظا واستعلجا وشبّا ؛ قال : فأوثق رجل كلّ واحد منهما بوتد إلى تابوت ، وجوّعهما ، وقعد هو ورجل آخر فى التابوت ، قال : ورفع فى التابوت عصا على رأسه اللحم ، قال : فطارا ، وجعل يقول لصاحبه : انظر ماذا ترى ؟ قال : أرى كذا وكذا ، حتى قال : أرى الدنيا كأنها ذباب ، فقال : صوّب العصا ، فصوّبها فهبطا ، قال : فهو قول الله تعالى (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ) قال أبو إسحاق : وكذلك فى قراءة عبد الله (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ) مكر فارس . وزعم أن بختنصر خرج بنسور ، وجعل له تابوتا يدخله ، وجعل رماحا فى أطرافها واللحم فوقها . أراه قال : فعلت تذهب نحو اللحم حتى انقطع بصره من الأرض وأهلها ، فنودى : أيها الطاغية أين تريد ؟ ففرق ، ثم سمع الصوت فوقه ، فصوّب الرماح ، فتصوّبت النسور ، ففزعت الجبال من هدّتها ، وكادت الجبال أن تزول منه من حسّ ذلك ، فذلك قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ) .

---

(١) سيأتى (ص ٢٤٥) أن اسمه عبد الرحمن بن دانيل ، وقد نقل هذا الاسم القرطبى فى تفسيره (٩ : ٣٨٠) ولم أجده فى أسماء الرواة ، ولعل لفظى « أبان ، وواصل » هنا تحريف عن « دانيل » .

(٢) الفره : البطر الأشر المتمادى فى غيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ) كذا قرأها مجاهد (كادَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجبالُ) وقال : إن بعض من مضى جوّع نسورا ، ثم جعل عليها تابوتا فدخله ، ثم جعل رماحا فى أطرافها لحم ، فجعلت ترى اللحم ، فتذهب ، حتى انتهى بصره ، فنودى : أيها الطاغية : أين تريد ، فصوّب الرّماح ، فتصوّبت النسور ، ففزعت الجبال ، وظنّت أن الساعة قد قامت ، فكادت أن تزول ، فذلك قوله تعالى (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ) .

قال ابن جريج : أخبرنى عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن عمر بن الخطاب ، أنه كان يقرأ (وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) .

حدثنى هذا الحديث أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أنه كان يقرأ على نحو (لَتَزُولُ) بفتح اللام الأولى ورفع الثانية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن بن دانيل[1] قال : سمعت عليا يقول (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن بن دانيل[1] ، قال : سمعت عليا يقول (وإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ) قال : ثم أنشأ علىّ يحدّث فقال : نزلت فى جبّار من الجبابرة ، قال : لاأنتهى حتى أعلم ما فى السماء ، ثم اتخذ نسورا فجعل يطعمها اللحم حتى غلظت واستعلجت واشتدّت ، وذكر مثل حديث شعبة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود الحضرمى ، عن يعقوب ، عن حفص بن حميد أو جعفر ، عن سعيد بن جبير (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) قال : نمرود صاحب النسور ، أمر بتابوت فجعل وجعل معه رجلا ، ثم أمر بالنسور فاحتمل ، فلما صعد قال لصاحبه : أىّ شىء ترى ؟ قال : أرى الماء وجزيرة ، يعنى الدنيا ، ثم صعد فقال لصاحبه : أىّ شىء ترى ؟ قال : مانزداد من السماء إلا بُعدا ، قال : اهبط ، وقال غيره : نودى أيها الطاغية أين تريد ؟ قال : فسمعت الجبال حفيف النسور ، فكانت ترى أنها أمر من السماء ، فكادت تزول ، فهو قوله (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، أن أنسا كان يقرأ (وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) .

وقال آخرون : كان مكرهم : شركهم بالله ، وافتراءهم عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ) يقول : شركهم كقوله (تَكادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ) .

---

(١) تقدمت الإشارة إليه فى (ص ٢٤٤) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) قال : هو كقوله (وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا . تَكادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجبالُ هَدًّا) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ) ثم ذكر مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن الحسن كان يقول : كان أهون على الله وأصغر من أن تزول منه الجبال ، يصفهم بذلك . قال قتادة : وفى مصحف عبد الله بن مسعود (وإنْ كادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) ، وكان قتادة يقول عند ذلك : (تَكادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وتَنْشَقُّ الأَرْضُ ، وتَخِرُّ الجبالُ هَدًّا) : أى لكلامهم ذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) قال ذلك حين دعوا لله ولدا . وقال فى آية أخرى (تَكادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وتَنْشَقُّ الأَرْضُ ، وتَخِرُّ الجبالُ هَدًّا ، أَنْ دَعَوْا للرَّحْمَنِ وَلَدًا) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجبالُ) فى حرف ابن مسعود (وإنْ كادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) هو مثل قوله (تَكادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وتَنْشَقُّ الأَرْضُ ، وتَخِرُّ الجبالُ هَدًّا) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لِتَزُولَ مِنْهُ الجبالُ) فقرأ ذلك عامّة قرّاء الحجاز والمدينة والعراق ما خلا الكسائى (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجبالُ) بكسر اللام الأولى وفتح الثانية ، بمعنى : وما كان مكرهم لتزول منه الجبال . وقرأه الكسائىّ (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) بفتح اللام الأولى ورفع الثانية على تأويل قراءة من قرأ ذلك (وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) من المتقدمين الذين ذكرت أقوالهم ، بمعنى : اشتدّ مكرهم حتى زالت منه الجبال ، أو كادت تزول منه . وكان الكسائىّ يحدّث عن حمزة ، عن شبل عن مجاهد ، أنه كان يقرأ ذلك على مثل قراءته (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجبالُ) برفع تزول .

حدثنى بذلك الحرث عن القاسم عنه .

⁂ والصواب من القراءة عندنا ، قراءة من قرأه (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجبالُ) بكسر اللام الأولى وفتح الثانية ، بمعنى : وما كان مكرهم لتزول منه الجبال .

وإنما قلنا : ذلك هو الصواب ، لأن اللام الأولى إذا فُتحت ، فمعنى الكلام : وقد كان مكرهم تزول منه الجبال ، ولو كانت زالت لم تكن ثابتة ، وفى ثبوتها على حالتها مايبين عن أنها لم تزل ، وأخرى إجماع الحجة من القرّاء على ذلك ، وفى ذلك كفاية عن الاستشهاد على صحتها ، وفساد غيرها بغيره .

فإن ظن ظان أن ذلك ليس بإجماع من الحجة ، إذ كان من الصحابة والتابعين من قرأ ذلك كذلك ، فإن الأمر بخلاف ما ظن فى ذلك ، وذلك أن الذين قرءوا ذلك بفتح اللام الأولى ورفع الثانية قرءوا (وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ) بالدال ، وهى إذا قرئت كذلك ، فالصحيح من القراءة مع (وَإِنْ كادَ) فتح اللام الأولى ورفع الثانية على ماقرءوا ، وغير جائز عندنا القراءة كذلك ، لأن مصاحفنا بخلاف ذلك ، وإنما خط مصاحفنا وإن كان بالنون لابالدال ، وإذ كانت كذلك ، فغير جائز لأحد تغيير رسم مصاحف المسلمين ، وإذا لم يجز ذلك لم يكن الصحاح من القراءة إلا ماعليه قرّاء الأمصار دون من شذ بقراءته عنهم .

وبنحو ما قلنا فى معنى (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ) قال : جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ) يقول : ما كان مكرهم لتزول منه الجبال .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، فى قوله (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ) ما كان مكرهم لتزول منه الجبال .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : ما كان مكرهم لتزول منه الجبال .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن يونس وعمرو ، عن الحسن (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ) قالا : وكان الحسن يقول : وإن كان مكرهم لأوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال .

قال : قال هارون : وأخبرنى يونس ، عن الحسن قال : أربع فى القرآن (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ) : ما كان مكرهم لتزول منه الجبال ، وقوله (لاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنّا إِنْ كُنّا فاعِلِينَ) : ماكنا فاعلين ، وقوله (إِنْ كانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنا أَوَّلُ العابِدِينَ) : ماكان للرحمن ولد ، وقوله (وَلَقَدْ مَكَّنّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنّاكُمْ) : ما مكناكم فيه .

قال هارون : وحدثنى بهن عمرو بن أسباط ، عن الحسن ، وزاد فيهن واحدة (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ) : ما كنت فى شك (مِمّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ) .

فالأولى من القول بالصواب فى تأويل الآية ، إذ كانت القراءة التى ذكرت هى الصواب لما بيّنا من الدلالة فى قوله (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ، وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ) وقد أشرك الذين ظلموا أنفسهم بربهم ، وافتروا عليه فريتهم عليه ، وعند الله علم شركهم به وافترائهم عليه ، وهو معاقبهم على ذلك عقوبتهم التى هم أهلها ، وما كان شركهم وفريتهم على الله ، لتزول منه الجبال ، بل ماضرّوا بذلك إلا أنفسهم ، ولا عادت بغية مكروه إلا عليهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا وكيع بن الجرّاح ، قال : ثنا الأعمش ، عن شمر ، عن عليّ ، قال : الغدر : مكر ، والمكر : كفر .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ) الذى وعدهم من كذّبهم ، وجحد ما أتوْهم به من عنده ، وإنما قاله تعالى ذكره لنبيه تثبيتا وتشديدا لعزيمته ، ومعرّفه أنه منزل من سخطه بمن كذّبه وجحد نبوّته ، وردّ عليه ما أتاه به من عند الله ، مثال ما أنزل بمن سلكوا سبيلهم من الأمم الذين كانوا قبلهم على مثل منهاجهم من تكذيب رسلهم ، وجحود نبوّتهم ، وردّ ماجاءوهم به من عند الله عليهم .

وقوله (إنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ) يعنى بقوله (إنَّ اللهَ عَزِيزٌ) : لايمانع منه شيء أراد عقوبته ، قادر على كل من طلبه ، لايفوته بالهرَب منه . (ذُو انْتِقامٍ) ممن كفر برسله وكذّبهم ، وجحد نبوّتهم ، وأشرك به واتخذ معه إلها غيره ، وأضيف قوله (مُخْلِفَ) إلى الوعد ، وهو مصدر ، لأنه وقع موقع الاسم ، ونصب قوله (رُسُلَهُ) بالمعنى ، وذلك أن المعنى : فلا تحسبنّ الله مخلف رسله وعده ، فالوعد وإن كان مخفوضا بإضافة مخلف إليه ، ففى معنى النصب ، وذلك أن الإخلاف يقع على منصوبين مختلفين ، كقول القائل : كسوت عبدَ الله ثوبا ، وأدخلته دارا ، وإذا كان الفعل كذلك يقع على منصوبين مختلفين ، جاز تقديم أيّهما قُدّم ، وخفضُ ما وَلِيَ الفعل الذى هو فى صورة الأسماء ، ونصب الثانى ، فيقال : أنا مدخلُ عبدِ الله الدار ، وأنا مدخلُ الدارِ عبدَ الله ، إن قدّمت الدار إلى المُدْخل وأخرت عبدَ الله خفضت الدار ، إذ أضيف مُدْخل إليها ، ونُصِب عبد الله ؛ وإن قدّم عبدُ الله إليه ، وأخّرت الدار ، خفض عبد الله بإضافة مُدْخلٍ إليه ، ونصب الدار ؛ وإنما فعل ذلك كذلك ، لأن الفعل ، أعنى مدخل ، يعمل فى كلّ واحد منهما نصبا نحو عمله فى الآخر ؛ ومنه قول الشاعر :

تَرَى الثَّوْرَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِّ رأسَهُ وسائرُهُ بادٍ إلى الشَّمْسِ أجْمَعُ[١]

أضاف مُدْخل إلى الظلّ ، ونصب الرأس ؛ وإنما معنى الكلام : مدخل رأسَه الظلّ . ومنه قول الآخر :

فَرِشْنى بِخَيْرٍ لا أكُونَ وَمِدْحَتِى كناحِتِ يَوْمٍ صَخْرَةً بعَسِيلِ[٢]

(١) هذا البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٦٥) كما استشهد به المؤلف ، ولم ينسبه . قال : وقوله « فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله » أضفت مخلف إلى الوعد ، ونصبت الرسل على التأويل . وإذا كان الفعل يقع على شيئين مختلفين مثل : كسوتك الثوب ، وأدخلتك الدار ، فابدأ بإضافة الفعل إلى الرجل ، فتقول : هو كاسى عبد الله ثوبا ، ومدخله الدار ؛ ويجوز هو كاسى الثوب عبد الله ، ومدخل الدار زيدا . . . ومثله قول الشاعر : ترى الثور . . . البيت ، فأضاف مدخل إلى الظل ، وكان الوجه أن يضيف مدخل إلى الرأس .

(٢) وهذا البيت أيضا من شواهد الفراء (الورقة ١٦٥) عطفه على آخر قبله وعطفهما على الأول . ومحل الشاهد فيه : أن الشاعر أضاف ناحت وهو وصف مشبه للفعل إلى يوم ، ونصب الصخرة ، والأولى إضافة الوصف إلى الصخرة ، ونصب يوما على ماقاله القراء .

والعسيل : الريشة تُجمع بها الطيب ، وإنما معنى الكلام : كما حيت صخرة يوما بعسيل ، وكذلك قول الآخر :

رُبَّ ابْنِ عَمٍّ لِسُلَيْمَى مُشْمَعِلْ ... طَبَّاخِ ساعاتِ الكَرَى زَادَ الكَسِلْ[1]

وإنما معنى الكلام : طباخ زادِ الكَسل ساعاتِ الكَرَى .

فأما من قرأ ذلك (فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلِهُ) فقد بيَّنا وجه بُعْده من الصحة في كلام العرب في سورة الأنعام، عند قوله (وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شركاؤهم) ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾

يقول تعالى ذكره : إن الله ذو انتقام (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) من مشركي قومك يامحمد من قريش ، وسائر من كفر بالله وجحد نبوّتك ونبوّة رسله من قبلك، فيوم من صلة الانتقام .

واختلف في معنى قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) فقال بعضهم : معنى ذلك : يوم تبدّل الأرض التي عليها الناس اليوم في دار الدنيا غير هذه الأرض ، فتصير أرضا بيضاء كالفضة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت عمرو بن ميمون يحدّث ، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) قال : أرض كالفضة نقية لم يَسِل فيها دم، ولم يُعْمَل فيها خطيئة، يسمعهم الداعي، وينفُذُهم البصر ، حُفاة عُراة قياما ، أحسب قال : كما خُلِقوا ، حتى يلجمهم العرق قياما وَحْدَه .

قال شعبة : ثم سمعته يقول : سمعت عمرو بن ميمون ، ولم يذكر عبد الله ثم عاودته فيه ، قال : حدثنيه هبيرة ، عن عبد الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : أخبرنا شعبة ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، قال : سمعت عمرو بن ميمون وربما قال : قال عبد الله : وربما لم يقل، فقلت له : عن عبد الله ، قال : سمعت عمرو بن ميمون يقول (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : أرض كالفضة بيضاء نقية ، لم يسل فيها دم ، ولم يعمل فيها خطيئة ، فينفُذُهم البصر ، ويسمعهم الداعي ، حفاة عُراة كما خُلِقوا ، قال : أراه قال : قياما حتى يُلجمهم العرق .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ١٦٥) على أن طباخ كان حقه أن يضاف إلى « زاد الكسل » ، فأضافه الشاعر إلى الساعات . والمشمعل : الخفيف الماضي في الأمر المسرع . والكرى : النوم .

مسعود ، فى قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ) قال : تبدّل أرضا بيضاء نقية كأنها فضة ، لم يسفك فيها دم حرام ، ولم يُعمَل فيها خطيئة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : أخبرنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون عن عبد الله ، فى قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : أرض الجنة بيضاء نقية ، لم يُعمل فيها خطيئة ، يسمعهم الداعى ، وينفذهم البصر ، حفاة عراة قياما يلجمهم العرق .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم حرام ، ولم يُعمل فيها خطيئة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : أخبرنا عاصم بن بهدلة ، عن زرّ بن حُبيش ، عن عبد الله بن مسعود ، أنه تلا هذه الآية (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ ، وَبَرَزُوا لِلهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ) قال : يجاء بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يُسفك فيها دم ، ولم يُعمل عليها خطيئة ، قال : فأوّل ما يحكم بين الناس فيه فى الدماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سنان ، عن جابر الجُعفىّ ، عن أبى جبيرة ، عن زيدَ ، قال : « أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود ، فقال : هَلْ تَدْرُونَ لِمَ أَرْسَلْتُ إِلَيْهِمْ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنّى أَرْسَلْتُ إِلَيْهِمْ أَسأَلُهُمْ عَنْ قَوْلِ اللهِ (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) إِنَّها تَكُونُ يَوْمَئِذٍ بَيْضَاءَ مِثْلَ الفِضَّةِ ، فلما جاءوا سألهم ، فقالوا : تكون بيضاء مثل النقىّ [١] » .

حدثنا أبو إسماعيل الترمذى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك ، أنه تلا هذه الآية (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : يبدّلها الله يوم القيامة بأرض من فضة لم يُعمل عليها الخطايا ، ينزلها الجبّار تبارك وتعالى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : أرض كأنها الفضة ، زاد الحسن فى حديثه عن شبابة ، والسموات كذلك أيضا كأنها الفضة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : أرض كأنها الفضة ، والسموات كذلك أيضا .

حدثنا ابن البرقى ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا محمد بن جعفر ، قال : ثنى أبو حازم ، قال : سمعت سهل بن سعد يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ

(١) فى اللسان : وفى الحديث : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء ، كقرصة النقى » قال أبو عبيد : النقى الخبز الحوارى .

على أرضٍ بيضاءَ عفراءَ كقُرْصةِ النَّقِيّ » . قال سهل أو غيره : ليس فيها معلم لغيره .

وقال آخرون : تبدّل نارا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن السَّكَن ، قال : قال عبد الله : الأرض كلها نار يوم القيامة ، والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها . والذى نفس عبد الله بيده ، إن الرجل ليفيض عرقا ، حتى يرشح فى الأرض قدمه ، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وما مسه الحساب ، فقالوا : مم ذاك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : مما يرى الناس ويلقون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، قال : قال عبد الله : الأرض كلها يوم القيامة نار ، والجنة من ورائها ترى كواعبها وأكوابها ، ويلجم الناس العرق ، أو يبلغ منهم العرق ، ولم يبلغوا الحساب .

وقال آخرون : بل تبدّل الأرض أرضا من فضة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت المغيرة بن مالك يحدّث عن المجاشع أو المجاشعى ، شكّ أبو موسى ، عمن سمع عليا يقول فى هذه الآية (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : الأرض من فضة ، والجنة من ذهب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال ، ثنى حجاج ، عن شعبة ، عن المغيرة بن مالك ، قال : ثنى رجل من بنى مجاشع ، يقال له عبد الكريم ، أو ابن عبد الكريم ، قال : ثنى هذا الرجل أراه بسمرقند ، أنه سمع علىّ بن أبى طالب قرأ هذه الآية (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : الأرض من فضة ، والجنة من ذهب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن مغيرة بن مالك ، عن رجل من بنى مجاشع ، يقال له عبد الكريم ، أو يكنى أبا عبد الكريم ، قال : أقامنى على رجل بخراسان ، فقال : حدثنى هذا أنه سمع علىّ بن أبى طالب ، فذكر نحوه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) ... الآية ، فزعم أنها تكون فضة .

حدثنا محمد بن إسماعيل ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك قال : يبدّلها الله يوم القيامة بأرض من فضة .

وقال آخرون : يبدّلها خبزة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو سعد سعيد بن دلّ من صغانيان ، قال : ثنا الجارود بن معاذ الترمذىّ .

قال : ثنا وكيع بن الجرّاح ، عن عمر بن بشر الهمدانى ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : تبدّل خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب القرظى ، أو عن محمد بن قيس (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : خبزة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم .

وقال آخرون : تبدّل الأرض غير الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن كعب فى قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ) قال : تصير السموات جنانا ويصير مكان البحر النار ، قال : وتبدّل الأرض غيرها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربىّ ، عن إسماعيل بن رافع المدنىّ ، عن يزيد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن رجل من الأنصار ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُبَدَّلُ اللهُ الأَرْضَ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتِ ، فَيَبْسُطُها ويَسْطَحُها ويَمُدُّها مَدَّ الأَدِيمِ العُكَاظِىِّ ، لاتَرَى فيها عِوَجا وَلا أَمْتا ، ثُمَّ يَزْجُرُ اللهُ الخَلْقَ زَجْرَةً ، فإذَا هُمْ فِى هذهِ المُبَدَّلَةِ فِى مِثْلِ مَوَاضِعِهِمْ مِنَ الأُولى ما كانَ فِى بَطْنِها فَفِى بَطْنِها ، وَما كانَ على ظَهْرِها كانَ على ظَهْرِها ، وَذلكَ حِينَ يَطْوِى السمواتِ كَطَىِّ السِّجلِّ لِلْكِتابِ ، ثُمَّ يَدْحُو بِهِما ، ثُمَّ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون الأودى ، قال : يجمع الناس يوم القيامة فى أرض بيضاء ، لم يُعمل فيها خطيئة مقدار أربعين سنة يلجمهم العرق .

وقالت عائشة فى ذلك : ما حدثنا ابن أبى الشوارب وحميد بن مسعدة وابن بزيع ، قالوا : ثنا يزيد بن زريع ، عن داود ، عن عامر ، عن عائشة ، قالت : « قلت : يا رسول الله ، إذا بدّلت الأرض غير الأرض ، وبرزوا لله الواحد القهّار ، أين الناس يومئذ ؟ قال : عَلَى الصِّرَاطِ » .

حدثنا حميد بن مسعدة وابن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن عائشة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم نحوه .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، عن مسروق ، قال : قلت لعائشة : « يا أمّ المؤمنين أرأيتِ قول الله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ ، وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ) أين الناس يومئذ ؟ فقالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال : عَلَى الصِّرَاطِ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا الحسن بن عنبسة الورّاق ، قال : ثنا عبد الرحيم ، يعني ابن سليمان الرازى عن داود بن أبي هند، عن عامر، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قول الله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قلت : يا رسول الله ، إذا بُدّلت الأرض غير الأرض ، أين يكون الناس ؟ قال : عَلَى الصِّرَاطِ » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عاصم بن عليّ ، قال : ثنا إسماعيل بن زكريا ، عن داود ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن عائشة أمّ المؤمنين قالت : « أنا أوّل الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية » ثم ذكر نحوه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا ربعيّ بن إبراهيم الأسدى أخو إسماعيل بن إبراهيم ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، قال : قالت عائشة : «يا رسول الله ، أرأيت إذا بُدّلت الأرض غير الأرض ، أين الناس يومئذ ؟ قال : عَلَى الصِّراط » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عليّ بن الجَعْد ، قال : أخبرنى القاسم ، قال : سمعت الحسن ، قال : قالت عائشة : « يا رسول الله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) فأين الناس يومئذ ؟ قال : إنَّ هذَا الشَّيْءَ ما سألَنِي عَنْهُ أحَدٌ ، قال : عَلَى الصِّرَاطِ يا عائِشَةُ » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، قال : ثني الوليد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن حسان بن بلال المزنيّ ، عن عائشة« أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن قول الله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ) قال : قالت: يا رسول الله، فأين الناس يومئذ ؟ قال : لَقَدْ سألْتِنِي عَنْ شَيْءٍ ما سألَنِي عَنْهُ أحَدٌ مِنْ أُمَّتِي ، ذَاكَ إذَا النَّاسُ على جِسْرِ(١) جَهَنَّمَ »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ) ذُكر لنا أن عائشة قالت : « يا رسول الله، فأين الناس يومئذ ؟ فقال : لَقَدْ سألْتِ عَنْ شَيْءٍ ما سألَنِي عَنْه أحَدٌ مِنْ أُمَّتِي قَبْلَكِ ، قال : هُمْ يَوْمَئِذٍ على جِسْرِ جَهَنَّمَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال : عَلَى الصِّرَاطِ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أسماء ، عن ثوبان ، قال : «سأل حبر من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أين الناس يوم تبدّل الأرض غير الأرض ؟ قال : هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُون الجِسْرِ » .

حدثنى محمد بن عون ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا سعيد بن ثوبان الكلاعى، عن أبي أيوب الأنصاريّ ، قال : « أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم حبرٌ من اليهود ، وقال : أرأيت

(١) فى تاج العروس : الجسر ، بالفتح : الذى يعبر عليه كالقنطرة ونحوها ، ويكسر لغتان .

إذ يقول الله فى كتابه (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ) فأين الخلق عند ذلك ؟ قال : أضيافُ اللهِ فلَنْ يُعْجِزَهُمْ ما لَدَيْهِ » .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : يوم تبدّل الأرض التى نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرَها ، وكذلك السموات اليوم تبدّل غيرها ، كما قال جلّ ثناؤه ؛ وجائز أن تكون المبدلة أرضا أخرى من فضة ، وجائز أن تكون نارا ، ، وجائز أن تكون خبزا ، وجائز أن تكون غير ذلك ، ولا خبر فى ذلك عندنا من الوجه الذى يجب التسليم له أىّ ذلك يكون، فلا قول فى ذلك يصحّ إلا ما دلّ عليه ظاهر التنزيل .

وبنحو ما قلنا فى معنى قوله (والسَّمَوَاتُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ) قال : أرضا كأنها الفضة (والسَّمَوَاتُ) كذلك أيضا .

وقوله (وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ) يقول : وظهروا لله المنفرد بالربوبية ، الذى يقهر كلّ شىء فيغلبه ويصرفه لما يشاء كيف يشاء ، فيحيى خلقه إذا شاء ، ويميتهم إذا شاء ، لايغلبه شىء ، ولا يقهره من قبورهم أحياء لموقف القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ۝ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : وتعاين الذين كفروا بالله ، فاجترموا فى الدنيا الشرك يومئذ ، يعنى : يوم تُبدّل الأرض غير الأرض والسموات (مُقَرَّنِينَ فِى الأَصْفَادِ) يقول : مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد ، وهى الوثاق من غلّ وسلسلة ، واحدها : صَفَد ، يقال منه : صفدته فى الصَّفَد صَفْدا وصِفادا ، والصفاد : القيد ، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

فَآبُوا بالنِّهابِ وبالسَّبايا وأُبْنا بالمُلُوكِ مُصَفَّدِينا[1]

ومن جعل الواحد من ذلك صِفادا جمعه : صُفُدا لا أصفادا . وأما من العطاء ، فإنه يقال منه : أصفدتُه إصفادا ، كما قال الأعشى :

(١) البيت لعمرو بن كلثوم فى معلقته . وآبوا : رجعوا . والنهاب : جمع نهب . والمصفدون : المغللون بالأصفاد ، الواحد : صفد ، وهو الغل . يقول : ظفرنا بهم ، فلم نلتفت إلى أسلابهم ، ولا أموالهم ، وعمدنا إلى ملوكهم ، فصفدناهم فى الحديد . وفى (اللسان : صفد) : الصفاد : حبل يوثق به أو غل . وهو الصفد ، والصفد (بتسكين الفاء وتحريكها) . والجمع : الأصفاد . قال ابن سيده : لانعلمه كسر على غير ذلك . وفى التنزيل « مقرنين فى الأصفاد » . قيل : هى الأغلال . وقيل : القيود . واحدها صفد . وانظر شرح المعلقات السبع للزوزنى ، وشرح القصائد العشر للتبريزى .

تَضَيَّفْتُهُ يَوْمًا فَأَكْرَمَ مَجْلِسِي وَأَصْفَدَنِي عِنْدَ الزَّمَانَةِ قَائِدًا[1]

وقد قيل فى العطاء أيضا : صَفَدَنِي صَفْدًا ، كما قال النابغة الذبيانيّ :

هَذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسْمَعْ لِقَائِلِهِ فَمَا عَرَضْتُ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بِالصَّفَدِ[2]

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (مُقَرَّنِينَ فِى الأَصْفَادِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنى عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مُقَرَّنِينَ فِى الأَصْفَادِ) يقول : فى وثاق .

حدثنى محمد بن عيسى الدامغانى ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : الأصفاد : السلاسل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُقَرَّنِينَ فِى الأَصْفَادِ) قال : مقرّنين فى القيود والأغلال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علىّ بن هاشم بن البريد ، قال : سمعت الأعمش ، يقول : الصفد : القيد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مُقَرَّنِينَ فِى الأَصْفَادِ) قال : صفدت فيها أيديهم وأرجلهم ورقابهم ، والأصفاد : الأغلال .

وقوله (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ) يقول : قمصهم التى يلبسونها ، واحدها : سربال ، كما قال امرؤ القيس : لَعُوبٌ تُنَسِّينِى إِذَا قُمْتُ سِرْبَالِى[3]

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ) قال : السرابيل : القُمُص . وقوله (مِنْ قَطِرَانٍ) : يقول : من القطران الذى يهنأ به الإبل ، وفيه لغات

---

(١) البيت للأعشى (اللسان : صفد ، وديوان الأعشى طبع القاهرة ص ٦٥) من قصيدة يمدح بها هوذة بن على الحنفى ، ويذم الحارث بن وعلة بن مجالد الرقاشى . وتضيفته : نزلت عنده ضيفا . وأصفدنى : أعطانى ، من الصفد بمعنى العطية هنا . يقول : لما زرت هوذة فى « جو » أكرم وفادتى عليه ، وقربنى من مجلسه ، وأعطانى قائدا يقودنى لما رأى من آثار الضعف والكلال وسوء البصر . ورواية الديوان : « على » فى موضع « عند » .

(٢) هذا البيت للنابغة الذبيانى (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ١٥٥) . والصفد هنا : بمعنى العطاء كالذى قبله . وفى الشطر الثانى منه : فلم أعرض ، فى مكان : فما عرضت .

(٣) هذا عجز بيت لامرئ القيس بن حجر من لاميته المطولة (٥٤ بيتا) ، وصدره « ومثلك بيضاء العوارض طفلة » . (انظر مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ٣٧) . وهذا البيت ساقط من نسخة الديوان بشرح الوزير أبى بكر عاصم ابن أيوب البطليوسى ، وثابت فى نسخة الأعلم الشنتمرى ، وفيما نقله البغدادى فى خزانة الأدب الكبرى من أبيات القصيدة (ج ١ : ١٩٧) أورده بعد قول امرئ القيس : « وأمنع عرسى أن يزن بها الخالى » . والواو فى البيت : واو رب . والخطاب لبسباسة . والعارض والعارضة صفحة الخد وصفحة العنق ، وجانب الوجه ، وما يستقبلك من الشىء ، ومن الوجه ما يبدو عند الضحك . والطفلة (بالفتح) : الناعمة البدن . واللعوب : الحسنة الدل . والسربال : القميص . يريد : تذهب بفؤادى ، حتى أنسى قميصى . والشاهد فيه عند الطبرى ، أن السربال : هو القميص عند العرب .

ثلاث : يقال : قِطران وقَطْران بفتح القاف وتسكين الطاء منه . وقيل : إن عيسى بن عمر كان يقرأ (مِنْ قِطْرَانٍ) بكسر القاف وتسكين الطاء ؛ ومنه قول أبي النجم :

جَوْنٌ كأنَّ العَرَقَ المَنْتُوحا   لَبَّسَهُ القِطْرَانَ والمُسُوحا[1]

بكسر القاف ؛ وقال أيضا :

كأنَّ قِطْـرَانا إذَا تَلاهَا   تَرْمِى بِهِ الرِّيحُ إلى مَجْـرَاها[2]

بالكسر .

وبنحو ما قلناه فى ذلك يقول من قرأ ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (مِنْ قَطِرانٍ) يعنى : الخَضْخَاض هِناء الإبل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (مِنْ قَطِرَانٍ) قال : قطران الإبل .

وقال بعضهم : القطران : النحاس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قَطِران : نحاس ، قال ابن جريج : قال ابن عباس (مِنْ قَطِرَانٍ) : نحاس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (مِن قَطِران) قال : هى نحاس ، وبهذه القراءة : أعنى بفتح القاف وكسر الطاء ، وتصيير ذلك كله كلمة واحدة ، قرأ ذلك جميع قرّاء الأمصار ، وبها نقرأ لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقد رُوى عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ ذلك (مِنْ قَطْرِ آنٍ) بفتح القاف وتسكين الطاء وتنوين الراء وتصيير آن من نعته ، وتوجيه معنى القَطر إلى أنه النحاس ، ومعنى الآن ، إلى أنه الذى قد انتهى حرّه فى الشدّة .

وممن كان يقرأ ذلك كذلك فيما ذُكر لنا عكرمة مولى ابن عباس ، حدثنى بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حُصَين عنه .

(١) البيت فى (لسان العرب : نتح) قال : النتح : خروج العرق من الجلد ، والدسم من النحى ، والندى من الثرى . نتح ينتح نتحا ونتوحا . وقال الجوهرى : النتح : الرشح . ومناتح العرق : مخارجه من الجلد . وأنشد : جون . . . الخ . والقطران (بالفتح وبالكسر وكظربان) : عصارة الأرز ، وهو الصنوبر ، يطبخ ثم تهنأ به الإبل ، وإنما جعلت سرابيلهم منه ، لأنه يبالغ فى اشتعال النار فى الجلود (عن تاج العروس) . والمسوح : جمع مسح ، بكسر الميم ، وهو الكساء من الشعر : جمعه أمساح ومسوح

(٢) هذا الشاهد كالذى قبله ، على أن القطران ، بكسر القاف .

ذكر من تأوّل ذلك على هذه القراءة التأويل الذى ذكرت فيه

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرٍ آنٍ) قال : قطر ، والآن : الذى قد انتهى حرّه .

حدثنا الحسن بن محمد، قال : ثنا داود بن مِهران ، عن يعقوب ، عن جعفر، عن سعيد بن جبير نحوه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن سعيد ، بنحوه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرٍ آنٍ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا المبارك بن فضالة ، قال : سمعت الحسن يقول : كانت العرب تقول للشىء إذا انتهى حرّه : قد أنى حرّ هذا : قد أوقدت عليه جهنم منذ خلقت فأنى حرّها.

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعيد ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس فى قوله (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرٍ آنٍ) قال : القطر : النحاس ، والآن : يقول : قد أنى حرّه : وذلك أنه يقول : حميمٌ آن .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا ثابت بن يزيد ، قال : ثنا هلال بن خباب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى هذه الآية (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرٍ آنٍ) قال : من نحاس ، قال : آنٍ أنى لهم أن يعذّبوا به .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن عكرمة ، فى قوله (مِنْ قَطْرٍ آنٍ) قال : الآنى : الذى قد انتهى حرّه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مِنْ قَطْرٍ آنٍ) قال : هو النحاس المذاب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبدالوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن قتادة (مِنْ قَطْرٍ آنٍ) يعنى : الصُّفر المذاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن قتادة (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرٍ آنٍ) قال : من نحاس .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا أبوحفص ، عن هارون ، عن قتادة أنه كان يقرأ (مِنْ قَطْرٍ آنٍ) قال : من صفر قد انتهى حرّه .

وكان الحسن يقرؤها (مِنْ قَطْرٍ آنٍ) .

وقوله (وتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ) يقول : وتلفحُ وجوههم النار فتحرقها (لِيَجْزِىَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ) يقول : فعل الله ذلك بهم جزاء لهم بما كسبوا من الآثام فى الدنيا ، كما يثيب

كلّ نفس بما كسبت من خير وشرّ ، فيَجزِى المحسن بإحسانه ، والمسىء بإساءته (إنّ اللهَ سَرِيعُ الحسابِ) يقول : إن الله عالم بعمل كلّ عامل ، فلا يحتاج فى إحصاء أعمالهم إلى عقد كفّ ولا معاناة ، وهو سريع حسابه لأعمالهم ، قد أحاط بها علما ، لايعزب عنه منها شىء ، وهو مجازيهم على جميع ذلك صغيره وكبيره .

القول في تأويل قوله تعالى :

هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

❁ يقول تعالى ذكره : هذا القرآن بلاغ للناس ، أبلغ الله به إليهم فى الحجة عليهم ، وأعذر إليهم بما أنزل فيه من مواعظه وعبره (وَلِيُنْذَرُوا بِهِ) يقول : ولينذروا عقاب الله ، ويحذروا به نقماته ، أنزله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم (وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إلهٌ وَاحِدٌ) يقول : وليعلموا بما احتجّ به عليهم من الحجج فيه أنما هو إله واحد ، لا آلهة شتى ، كما يقوله المشركون بالله ، وأن لاإله إلا هو الذى له ما فى السموات ومافى الأرض ، الذى سخر لهم الشمس والقمر ، والليل والنهار ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لهم ، وسخر لهم الفُلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لهم الأنهار (وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الألْبابِ) يقول : وليتذكر فيتعظ بما احتجّ الله به عليه من حججه التى فى هذا القرآن ، فينزجر عن أن يجعل معه إلها غيره ، ويُشْرِك فى عبادته شيئا سواه أهلُ الحجى والعقول ، فإنهم أهل الاعتبار والادّكار ، دون الذين لاعقول لهم ولا أفهام ، فإنهم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ) قال : القرآن . (وَلِيُنْذَرُوا بِهِ) : قال : بالقرآن . (وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إلهٌ واحدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الألْبابِ) .

آخر تفسير سورة إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم ، والحمد لله ربّ العالمين .

تمّ الجزء الثالث عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرىّ

ويليه الجزءُ الرابعَ عشَر

وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى (الر تلكَ آياتُ الكتابِ وَقُرآنٍ مُبِينٍ)

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الرابع عشر

دار الفكر

كل نفس بما كسبت [illegible]
للحساب ، يقول : إن الله عالم بعمل كل [illegible]
وهو سريع حسابه لأعمالهم ، قد أحصاها [illegible]
صغيره وكبيره .

[illegible]

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ [illegible] ﴾

يقول تعالى ذكره : هذا القرآن بلاغ للناس ، أبلغ [illegible]
به من مواعظه وعبره (وَلِيُنذَرُوا بِهِ) يقول : [illegible]
نبيه صلى الله عليه وسلم (وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ [illegible]
الحجج فيه أنما هو إله واحد ، لا آلهة شتى [illegible]
سموات وما في الأرض ، الذي سخر لهم الشمس والقمر [illegible]
[illegible] ، سخر لهم الفلك لتجري في البحر [illegible]
الألباب) يقول : ليتذكر فيتعظ بما احتج الله [illegible]
يعبدوا معه إلها غيره ، ويشرك في عبادته [illegible] أولو الحجى
دون الذين لا عقول لهم ولا أفهام ، فإنهم كالأنعام بل هم أضل [illegible]
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل [illegible]

[illegible]

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب [illegible]
قال : القرآن . (وَلِيُنذَرُوا بِهِ) [illegible]
أُولُوا الْأَلْبَابِ) .

آخر تفسير سورة إبراهيم صلى الله عليه [illegible]

جَامِعُ البَيَانِ

عَن

تَأويلِ آيِ القُرآنِ

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الرابع عشر

دار الفكر

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م



بيروت
لبنان

المكاتب : البناية المركزية - هاتف : ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب : ٧٠٦١ / ١١
المطابع والمعمل : حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف : ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
برقياً : فكسي - تلكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

فهارس الجزء الرابع عشر
من
جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

١ — فهرس الآيات

٢ — فهرس الموضوعات

٣ – فهرس القوافى

٤ ـ فهرس الأحاديث

القافية	الصفحة	القافية
	٨١	
	١١٣	
	١٣٤	

(١٥) سورة الحجر مكية
وآياتها تسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴿١﴾

أما قوله جلّ ثناؤه ،وتقدّست أسماؤه (الرٓ) ، فقد تقدم بيانها فيما مضى قبل . وأما قوله (تِلْكَ آياتُ الكِتابِ) فإنه يعني : هذه الآيات ، آيات الكتب التي كانت قبل القرآن كالتوراة والإنجيل (وقُرآنٍ) يقول : وآيات قرآن (مُبِينٍ) يقول : يُبين من تأمله وتدبّره رشدَه وهداه .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وقُرآنٍ مُبِينٍ) قال : تبين والله هداه ورشده وخيره .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (الرٓ) فواتح يفتتح بها كلامه (تِلْكَ آياتُ الكِتابِ) قال : التوراة والإنجيل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قوله (الرٓ تلكَ آياتُ الكِتابِ) قال : الكتُب التي كانت قبل القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى :

رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (رُبَما) فقرأت ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض الكوفيين (رُبَمَا) بتخفيف الباء ، وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة بتشديدها .

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان بمعنى واحد ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب .

واختلف أهل العربية فى معنى « ما » التى مع « ربّ »، فقال بعض نحويى البصرة: أدخل مع ربّ « ما » ليتكلم بالفعل بعدها ، وإن شئت جعلت « ما » بمنزلة شىء ، فكأنك قلت : ربّ شىء، يودّ : أى ربّ ودّ يودّه الذين كفروا . وقد أنكر ذلك من قوله بعض نحويّى الكوفة. وقال : المصدر لايحتاج إلى عائد ، والودّ قد وقع على « لو » ، ربما يودون لو كانوا : أن يكونوا، قال: وإذا أضمر الهاء فى« لو » فليس بمفعول ، وهو موضع المفعول ، ولاينبغى أن يترجم المصدر بشىء، وقد ترجمه بشىء ، ثم جعله ودّا ، ثم أعاد عليه عائدا ، فكان الكسائى والفرّاء يقولان : لاتكاد العرب توقع « ربّ » على مستقبل ، وإنما يوقعونها على الماضى من الفعل كقولهم : ربما فعلت كذا، وربما جاءنى أخوك ، قالا : وجاء فى القرآن مع المستقبل : ربما يودّ، وإنما جاز ذلك لأن ما كان فى القرآن من وعد ووعيد وما فيه ، فهو حقّ ، كأنه عيان فجرى الكلام فيما لم يكن بعدُ منه مجراه فيما كان ، كما قيل (وَلَوْ تَرَى إذِ المُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) وقوله (وَلَوْ تَرَى إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ) كأنه ماض وهو منتظر لصدقه فى المعنى ، وأنه لامكذّب له ، وأن القائل لايقول إذا نهى أو أمر فعصاه المأمور يقول : أما والله لربّ ندامة لك تذكر قولى فيها لعلمه بأنه سيندم ، والله ووعده أصدق من قول المخلوقين . وقد يجوز أن يصحب ربما الدائم وإن كان فى لفظ يفعل ، يقال : ربما يموت الرجل فلا يوجد له كفن، وإن أُوليت الأسماء كان معها ضمير كان ، كما قال أبو دواد :

رُبَّمَا الجامِلُ المُؤَبَّلُ فِيهِمْ وعَنَاجِيجُ بَيْنَهُنَّ المِهَارُ (١)

فتأويل الكلام : ربما يودّ الذين كفروا بالله فجحدوا وحدانيته لو كانوا فى دار الدنيا مسلمين .

كما حدثنا علىّ بن سعيد بن مسروق الكندى ، قال : ثنا خالد بن نافع الأشعرى، عن سعيد بن أبى بردة ، عن أبى بردة ، عن أبى موسى ، قال : بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة ، واجتمع أهل النار فى النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة ، قال الكفار : لمن فى النار من أهل القبلة : ألستم مسلمين ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فما أغنى عنكم إسلامكم ، وقد صرتم معنا فى النار ؟ قالوا : كانت لنا ذنوب ، فأخذنا بها ، فسمع الله ماقالوا، فأمر بكلّ من كان من أهل القبلة فى النار فأخرجوا ، فقال من فى النار من الكفار : يا ليتنا كنا مسلمين ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (الر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وقُرْآنٍ مُبِينٍ ، رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) .

(١) البيت لأبى دواد الإيادى (خزانة الأدب ٤ : ١٨٨) وهو شاهد على أن رب المكفوفة بما لاتدخل إلا على الفعل عند سيبويه، وهذا البيت شاذ عنده ، لدخول رب المكفوفة فيه على الجملة الاسمية ، فإن الجامل مبتدأ والمؤبل صفة وفيهم هو الخبر . وتكون رب كما قال أبوحيان من حروف الابتداء ، تدخل على الجمل فعلية أو اسمية للقصد إلى تقليل النسبة المفهومة من الجملة؛ فإذا قلت: ربما قام زيد فكأنك قللت النسبة المفهومة من قيام زيد . وكذلك إذا قلت ربما زيد شاعر ،قللت نسبة شعر زيد . وعن بعضهم أن رب المكفوفة نقلت من معنى التقليل إلى معنى التحقيق ، كما نقلت قد الداخلة على المضارع فى نحو قوله تعالى «قد يعلم ما أنتم عليه » من معنى التقليل إلى معنى التحقيق . ودخولها على الجملة الاسمية مذهب المبرد والزمخشرى وابن مالك . والجامل : الجماعة من الإبل ، لاواحد لها من لفظها . ويقال إبل مؤبلة : إذا كانت للقنية . والعناجيج : الخيل الطوال الأعناق . واحدها : عنجوج . والمهار : جمع مهر ، وهو ولد الفرس ، والأنثى مهرة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن الهيثم أبو قَطَن القُطَعىّ ، ورَوح القيسى ، وعفان بن مسلم واللفظ لأبى قَطَن ، قالوا : ثنا القاسم بن الفضل بن عبد الله بن أبى جَرْوة ، قال : كان ابن عباس وأنس ابن مالك يتأوّلان هذه الآية (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قالا : ذلك يوم يجمع الله أهل الخطايا من المسلمين والمشركين فى النار . وقال عفان : حين يحبس أهل الخطايا من المسلمين والمشركين ، فيقول المشركون : ما أغنى عنكم ماكنتم تعبدون ، زاد أبوقطن : قد جُمِعنا وإياكم ؛ وقال أبوقَطَن وعفان : فيغضب الله لهم بفضل رحمته ، ولم يقله روح بن عبادة ، وقالوا جميعا : فيخرجهم الله ، وذلك حين يقول الله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبوعوانة ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : يدخل الجنة ويرحم حتى يقول فى آخر : ذلك من كان مسلما فليدخل الجنة ، قال : فذلك قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) ذلك يوم القيامة يتمنى الذين كفروا لو كانوا موحدين .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل ، عن أبى الزعراء ، عن عبد الله ، فى قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : هذا فى الجهنميين إذ رأوهم يخرجون من النار .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا ابن أبى فروة العبدى أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأوّلان هذه الآية (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) يتأوّلانها يوم يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين فى النار ، قال : فيقول لهم المشركون : ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون فى الدنيا ، قال : فيغضب الله لهم بفضل رحمته ، فيخرجهم ، فذلك حين يقول (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : ما يزال الله يُدخل الجنة ، ويرحم ويشفع حتى يقولَ : من كان من المسلمين ، فليدخل الجنة ، فذلك قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا بن علية ، عن هشام الدّستوائى ، قال : ثنا حماد ، قال : سألت إبراهيم عن هذه الآية (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : حدثت أن المشركين قالوا لمن دخل النار من المسلمين : ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون ، قال : : فيغضب الله لهم ، فيقول للملائكة والنبيين اشفعوا ، فيشفعون ، فيخرجون من النار ، حتى إن إبليس ليتطاول رجاء أن يخرج معهم ، قال : فعند ذلك يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن إبراهيم ، أنه قال فى قول الله عزّ وجلّ : (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : يقول من فى النار من المشركين للمسلمين : ما أغنت عنكم « لاإله إلا الله » قال : فيغضب الله لهم ، فيقول : من كان مسلما فليخرج من النار ؛ قال : فعند ذلك (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن حماد ، عن إبراهيم فى قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : إن أهل النار يقولون : كنا أهل شرك وكفر ، فما شأن هؤلاء الموحدين ما أغنى عنهم عبادتهم إياه ، قال : فيخرج من النار من كان فيها من المسلمين ، قال : فعند ذلك (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن حماد ، عن إبراهيم ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : يقول أهل النار للموحدين : ما أغنى عنكم إيمانكم ، قال : فإذا قالوا ذلك ، قال : أخرجوا من كان فى قلبه مثقال ذرّة ، فعند ذلك (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مسلمينَ)

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا هشام ، عن حماد ، قال : سألت إبراهيم ، عن قول الله عزّ وجلّ (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : الكفار يعيرون أهل التوحيد : ما أغنى عنكم لاإله إلا الله ، فيغضب الله لهم ، فيأمر النبيين والملائكة فيشفعون ، فيخرج أهل التوحيد ، حتى إن إبليس ليتطاول ، رجاء أن يخرج ، فذلك قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد السلام ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : هذا فى الجهنميين إذا رأوهم يخرجون من النار (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، قال : إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه ، قال : من كان مسلما فليدخل الجنة ، فعند ذلك (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : يوم القيامة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : فيها وجهان اثنان ، يقولون : إذا حضر الكافر الموت ودّ لو كان مسلما . ويقول آخرون : بل يعذّب الله ناسا من أهل التوحيد فى النار بذنوبهم ، فيعرفهم

المشركون فيقولون : ما أغنت عنكم عبادة ربكم ، وقد ألقاكم فى النار ، فيغضب لهم فيخرجهم ، فيقول (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، فى قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : نزلت فى الذين يخرجون من النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) وذلك والله يوم القيامة ، ودّوا لو كانوا فى الدنيا مسلمين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) [1] .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : ما يزال الله يدخل الجنة ويشفع حتى يقول : من كان من المسلمين فليدخل الجنة ، فذلك حين يقول (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ذر يا محمد هؤلاء المشركين يأكلوا فى هذه الدنيا ما هم آكلوه ، ويتمتعوا من لذاتها وشهواتهم فيها إلى أجالهم الذى أجلت لهم ، ويلههم الأمل عن الأخذ بحظهم من طاعة الله فيها ، وتزوّدهم لمعادهم منها بما يقربهم من ربهم ، فسوف يعلمون غدا إذا وردوا عليه ، وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم حين يعاينون عذاب الله أنهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذّات والشهوات كانوا فى خسار وتباب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾

يقول تعالى ذكره (وَمَا أَهْلَكْنَا) يامحمد (مِنْ) أهل (قَرْيَةٍ) من أهل القرى التى أهلكنا أهلها فيما مضى (إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ) يقول : إلا ولها أجل مؤقّت ومدة معروفة ، لانهلكهم حتى يبلغوها ، فإذا بلغوها أهلكناهم عند ذلك ، فيقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فكذلك أهل قريتك التى أنت منها وهى مكة ، لا نهلك مشركى أهلها إلا بعد بلوغ كتابهم أجله ، لأن مِنْ قضائى أن لا أهلك أهل قرية إلا بعد بلوغ كتابهم أجله .

(١) أى بمثل حديث بشر قبله ، لأن كلا الإسنادين ينتهى إلى قتادة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥ ﴾

يقول تعالى ذكره : ما يتقدّم هلاك أمة قبل أجلها الذى جعله الله أجلاً لهلاكها ، ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذى جعل لها أجلا .

كما حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، فى قوله (ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أجَلَها وَما يَسْتأْخِرُونَ) قال : نرى أنه إذا حضر أجله ، فإنه لايؤخر ساعة ولا يقدّم . وأما ما لم يحضر أجله ، فإن الله يؤخر ماشاء ويقدّم ماشاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧ ﴾

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون لك من قومك يا محمد (يا أيُّها الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) وهو القرآن الذى ذكر الله فيه مواعظ خلقه (إنَّكَ لَمَجْنُونٌ) فى دعائك إيانا إلى أن نتّبعك ، ونذر آلهتنا (لَوْما تَأْتِينا بالمَلائِكَةِ) قالوا : هلا تأتينا بالملائكة شاهدة لك على صدق ماتقول؟ (إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) يعنى : إن كنت صادقا فى أن الله تعالى بعثك إلينا رسولا ، وأنزل عليك كتابا ، فإن الربّ الذى فعل ما تقول بك ، لايتعذّر عليه إرسال ملك من ملائكته معك حجة لك علينا ، وآية لك على نبوّتك ، وصدق مقالتك ؛ والعرب تضع موضع لوما : لولا ، وموضع لولا : لوما ، من ذلك قول ابن مقبل :

لَوْما الحَياءُ وَلَوْما الدِّينُ عِبْتُكُما ببَعْضِ ما فِيكُما إذْ عِبْتُما عَوَرِى [1]

يريد : لولا الحياء .

وبنحو الذى قلنا فى معنى الذكر ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك (نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) قال : القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨ ﴾

(١) البيت لابن مقبل من كلمة له ، من أولها أبيات فى الحماسة (٤ : ١١٣) وهو شاهد على أن (لوما) تستعمل بمعنى لولا : فى امتناع الشىء لوجود غيره ، وهى فى الآية : بمعنى التحضيض . قال أبو عبيدة فى معانى القرآن : « لوما » مجازها ومجاز « لولا » واحد . واستشهد ببيت ابن مقبل . وعنه أخذه المؤلف .

اختلفت القرّاء في قراءة قوله (ما نُنَزِّلُ المَلائِكَةَ) فقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والبصرة (ما تَنَزَّلُ المَلائِكَةُ) بالتاء من تَنَزَّلُ وفتحها ورفع الملائكة، بمعنى: ما تنزل الملائكة، على أن الفعل للملائكة. وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة (ما نُنَزِّلُ المَلائِكَةَ) بالنون في ننزل وتشديد الزاى ونصب الملائكة، بمعنى: ما ننزلها نحن، والملائكة حينئذ منصوب بوقوع ننزل عليها. وقرأه بعض قرّاء أهل الكوفة (ما تُنَزَّلُ المَلائِكَةُ) برفع الملائكة والتاء في تنزل وضمها، على وجه ما لم يسمّ فاعله.

قال أبوجعفر: وكلّ هذه القراءات الثلاث متقاربات المعاني، وذلك أن الملائكة إذا نزلها الله على رسول من رسله، تنزلت إليه، وإذا تنزلت إليه، فإنما تنزل بإنزال الله إياها إليه، فبأىّ هذه القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ فمصيب الصواب في ذلك، وإن كنت أحبّ لقارئه أن لا يعدو في قراءته إحدى القراءتين اللتين ذكرت من قراءة أهل المدينة، والأخرى التي عليها جمهور قرّاء الكوفيين، لأن ذلك هو القراءة المعروفة في العامّة، والأخرى: أعنى قراءة من قرأ ذلك (ما تُنَزَّلُ) بضمّ التاء من تنزل ورفع الملائكة شاذّة قليل من قرأ بها.

فتأويل الكلام: ماننزل ملائكتنا إلا بالحقّ، يعنى بالرسالة إلى رسلنا، أو بالعذاب لمن أردنا تعذيبه، ولو أرسلنا إلى هؤلاء المشركين على مايسألون إرسالهم معك آية فكفروا لم يُنظروا فيؤخروا بالعذاب، بل عوجلوا به كما فعلنا ذلك بمن قبلهم من الأمم حين سألوا الآيات فكفروا حين أتتهم الآيات، فعاجلناهم بالعقوبة وبنحو الذى قلنا في تأويل قوله (ما نُنَزِّلُ المَلائِكَةَ إلاّ بالحَقّ) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبوعاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء؛ وحدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا ورقاء؛ وحدثني المثنى، قال: ثنا أبوحذيفة، قال: ثنا شبل جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (ما نُنَزِّلُ المَلائِكَةَ إلاّ بالحَقّ) قال: بالرسالة والعذاب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾

يقول تعالى ذكره (إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذّكْرَ) وهو القرآن (وَإنَّا لَهُ لَحافِظُونَ) قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل مّا ليس منه، أو ينقص منه ماهو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه، والهاء في قوله (لَهُ) من ذكر الذكر.

وبنحو الذى قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني الحسن، قال : ثنا شبابة، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى، قال : ثنا أبو حذيفة قال : ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) قال : عندنا.

حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) قال في آية أخرى (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ) والباطل : إبليس (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) فأنزله الله ثم حفظه، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلا ولا ينتقص منه حقا، حفظه الله من ذلك.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال : ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) قال : حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلا، أو ينقص منه حقا، وقيل : الهاء في قوله (وَإِنَّا له لَحَافِظُونَ) من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بمعنى : وإنا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه.

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝١١ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك في الأمم الأولين رسلا، وترك ذكر الرسل اكتفاء بدلالة قوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ) عليه، وعنى بشيع الأولين : أمم الأولين : واحدتها شيعة، ويقال أيضا لأولياء الرجل : شيعته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى، قال : ثنا عبد الله، قال : ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ) يقول : أمم الأولين.

حدثني المثنى، قال : أخبرنا إسحاق، قال : ثنا هشام، عن عمرو، عن سعيد، عن قتادة، في قوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ) قال : في الأمم.

وقوله (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : وما يأتي شيع الأولين من رسول من الله يرسله إليهم بالدعاء إلى توحيده، والإذعان بطاعته، إلا كانوا به يستهزءون : يقول : إلا كانوا يسخرون بالرسول الذي يرسله الله إليهم عتوا منهم، وتمردا على ربهم.

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾

يقول تعالى ذكره : كما سلكنا الكفر فى قلوب شيع الأولين بالاستهزاء بالرسل ، كذلك نفعل ذلك فى قلوب مشركى قومك الذين أجرموا بالكفر بالله (لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ) يقول : لا يصدّقون بالذكر الذى أنزل إليك ، والهاء فى قوله (نَسْلُكُهُ) من ذكر الاستهزاء بالرسل والتكذيب بهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال : التكذيب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) لايؤمنون به ، قال : إذا كذبوا سلك الله فى قلوبهم أن لايؤمنوا به .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن حميد ، عن الحسن ، فى قوله (كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال : الشرك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن حميد ، قال : قرأت القرآن كله على الحسن فى بيت أبى خليفة ، ففسره أجمع على الإثبات ، فسألته عن قوله (كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال : أعمال سيعملونها لم يعملونها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك عن حماد بن سلمة ، عن حميد الطويل ، قال : قرأت القرآن كله على الحسن ، فما كان يفسره إلا على الإثبات ، قال : وقفته على نسلكه ، قال : الشرك . قال ابن المبارك : سمعت سفيان يقول فى قوله (نَسْلُكُهُ) قال : نجعله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ) قال : هم كما قال الله ، هو أضلهم ومنعهم الإيمان ، يقال منه : سلكه يسلكه سلكا وسلوكا ، وأسلكه يُسلكه إسلاكا ؛ ومن السلوك قول عدىّ بن زيد :

وكُنْتَ لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرِّدْ ... وَقَدْ سَلَكُوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبِ[1]

ومن الإسلاك قول الآخر :

حَتَّى إذَا أسْلَكُوهُمْ فِى قُتَائِدَةٍ ... شَلاًّ كَمَا تَطْرُدُ الجَمَّالَةُ الشُّرُدَا[2]

(١) البيت لعدى بن زيد العبادى ، وقد تقدم استشهاد المؤلف به عند قوله تعالى فى سورة هود « وقال هذا يوم عصيب » فراجعه فى الجزء الثانى عشر صفحة ٨٢ . والشاهد فيه هنا : أنه اشتق سلكوك من المصدر الثلاثى (السلك) .

(٢) البيت لعبد مناف بن ربعى الهذلى (اللسان : جمل) . استشهد به المؤلف على أن « أسلكوهم » بالهمزة فى أوله لغة مثل سلكوهم، التى وردت فى البيت السابق من شعر عدى بن زيد . والبيت أيضا فى (خزانة الأدب للبغدادى ٣ : ١٧٠) شاهد على أن جواب إذا عند الرضى شارح كافية ابن الحاجب محذوف لتفخيم الأمر ، والتقدير : بلغوا أملهم ، أو أدركوا ما أحبوا ونحو ذلك . وقيل فيه وجهان آخران . قال البغدادى وأسلك : لغة فى سلك ، يقال أسلكت الشىء فى الشىء . مثل سلكته فيه ، بمعنى أدخلته فيه . وقتائدة : ثنية ، وقال البكرى : جبل بين المنصرف والروحاء . والشل : الطرد . والجمالة : فاعل تطرد ، وهم أصحاب الجمال ، كما يقال الحمارة لأصحاب الحمير . والشرد : جمع شرود ، أى من الجمال .

وقوله (وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) يقول تعالى ذكره : لايؤمن بهذا القرآن قومك الذين سلكت في قلوبهم التكذيب (حتى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ) أخذا منهم سنة أسلافهم من المشركين قبلهم من قوم عاد وثمود وضربائهم من الأمم التي كذّبت رسلها ، فلم تؤمن بما جاءها من عند الله حتى حلّ بها سخط الله فهلكت .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ لايُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) وقائع الله فيمن خلا قبلكم من الأمم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله (فَظَلُّوا فيه يَعْرُجُونَ) فقال بعضهم : معنى الكلام : ولو فتحنا على هؤلاء القائلين لك يامحمد (لَوْما تَأْتِينا بالمَلائِكَةِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) بابا من السماء فظلت الملائكة تعرج فيه ، وهم يرونهم عيانا (لقالُوا إنَّما سُكِّرَتْ أبصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فيهِ يَعْرُجُونَ) يقول : لو فتحنا عليهم بابا من السماء ، فظلت الملائكة تعرج فيه ، لقال أهل الشرك : إنما أخذ أبصارنا ، وشبّه علينا ، وإنما سحرنا ، فذلك قولهم (لَوْما تَأْتِينا بالمَلائِكَةِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس (فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) فظلت الملائكة يعرجون فيه يراهم بنو آدم عيانا (لَقالُوا إنَّما سُكِّرَتْ أبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (يا أيُّها الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إنَّكَ لَمَجْنُونٌ . لَوْما تَأْتِينا بالمَلائِكَةِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) . قال : ما بين ذلك إلى قوله (وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) قال : رجع إلى قوله (لَوْما تَأْتِينا بالمَلائِكَةِ) ما بين ذلك ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : فظلت الملائكة تعرج ، فنظروا إليهم (لَقالُوا إنَّما سُكِّرَتْ أبْصارُنا) قال : قريش تقوله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ

بابا مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فيهِ يَعْرُجُونَ) قال : قال ابن عباس : لو فتح الله عليهم من السماء بابا فظلت الملائكة تعرج فيه ، يقول : يختلفون فيه جائين وذاهبين (لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سلمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فيهِ يَعْرُجُونَ) يعنى : الملائكة : يقول : لوفتحتُ على المشركين بابا من السماء ، فنظروا إلى الملائكة تعرج بين السماء والأرض ، لقال المشركون (نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) سحرنا وليس هذا بالحقّ ، ألا ترى أنهم قالوا قبل هذه الآية : (لَوْما تَأْتِينا بِالمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمر ، عن نصر ، عن الضحاك ، فى قوله (وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فيهِ يَعْرُجُونَ) قال : لو أنى فتحت بابا من السماء تعرج فيه الملائكة بين السماء والأرض ، لقال المشركون (بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) ألا ترى أنهم قالوا (لَوْما تَأْتِينا بِالمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ) .

وقال آخرون : إنما عُنِى بذلك : بنو آدم .

ومعنى الكلام عندهم : ولوفتحنا على هؤلاء المشركين من قومك يامحمد بابا من السماء فظلوا هم فيه يعرجون (لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فيهِ يَعْرُجُونَ) قال قتادة ، كان الحسن يقول : لو فعل هذا ببنى آدم فظلوا فيه يعرجون أى يختلفون (لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) .

وأما قوله (يَعْرُجُونَ) فإن معناه : يرقَوْن فيه ويَصْعَدون ، يقال منه : عرج يعرُج عُروجا إذا رَقِى وصَعِد . وواحدة المعارج : معرج ومعراج ؛ ومنه قول كثير :

إلى حَسَبٍ عَوْدٍ بَنا المرءُ قَبْلَهُ أَبُوهُ لَهُ فيه مَعارِجَ سُلَّمِ [١]

وقد حُكى عرِج يعرِج بكسر الراء فى الاستقبال . وقوله (لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا) يقول : لقال هؤلاء المشركون الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم : ما هذا بحقّ إنما سكِّرت أبصارنا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (سُكِّرَتْ) فقرأ أهل المدينة والعراق (سُكِّرَتْ) بتشديد الكاف ، بمعنى : غُشيت وغطيت ، هكذا كان يقول أبو عمرو بن العلاء فيما ذُكر لى عنه . وذُكر عن مجاهد أنه كان يقرأ (لَقالُوا إِنَّما سُكِرَتْ) .

حدثنى بذلك الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : سمعت الكسائى يحدّث عن حمزة ، عن شبل ، عن

(١) لم أجد البيت فى ديوان كثير طبع الجزائر . والحسب : الشرف الثابت فى الآباء . والعود : القديم . وبنا (بالألف) ، يبنو لأنه من بناء الشرف والمجد . والمعارج : جمع معرج (بكسر الميم وفتحها) وهو ما يعرج فيه ، أى يصعد .

مجاهد أنه قرأها (سُكِرَتْ أَبْصَارُنا) خفيفة ، وذهب مجاهد فى قراءته ذلك كذلك إلى : حُبِست أبصارنا عن الرؤية والنظر من سكور الريح ، وذلك سكونها وركودها ، يقال منه : سكرت الريح : إذا سكنت وركدت . وقد حُكى عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول : هو مأخوذ من سكر الشراب ، وأن معناه : قد غشّى أبصارنا السكر .

وأما أهل التأويل ، فإنهم اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى (سُكِّرَتْ) : سدّت .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ؛ قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنا) قال : سدّت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، يعنى ابن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى ابن كثير قال : سدّت .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنا) يعنى : سدّت . فكأن مجاهدا ذهب فى قوله ، وتأويله ذلك بمعنى : سدّت إلى أنه بمعنى : منعت النظر ، كما يُسكر الماء فيمنع من الجرى بحبسه فى مكان بالسكر الذى يسكّر به .

وقال آخرون : معنى سكرت : أخذت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن ابن عباس : (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنا) يقول : أخذت أبصارنا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، إنما أخذ أبصارنا ، وشبّه علينا ، وإنما سحرنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنا) يقول : سُحرت أبصارنا : يقول : أخذت أبصارنا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا شيبان ، عن قتادة ، قال : من قرأ (سُكِّرَتْ) مشددة : يعنى سدّت . ومن قرأ (سُكِرَتْ) مخففة ، فإنه يعنى سحرت ، وكأن هؤلاء وجّهوا معنى قوله (سُكِّرَتْ) إلى أن أبصارهم سُحرت ، فشبه عليهم مايبصرون ، فلا يميزون بين الصحيح مما يرون وغيره من قول العرب : سُكِّر على فلان رأيه : إذا اختلط عليه رأيه فيما يريد ، فلم يدر الصواب فيه من غيره فإذا عزم على الرأى قالوا : ذهب عنه التسكير .

وقال آخرون : هو مأخوذ من السكر ، ومعناه : غشي على أبصارنا فلا نبصر ، كما يفعل السكر بصاحبه ، فذلك إذا دير به وغشي بصره كالسمادير فلم يبصر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّمَا سُكِّرَتْ أبصارُنا) قال : سكرت ، السكران الذى لا يعقل .

وقال آخرون : معنى ذلك : عميت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن الكلبى (سُكِّرَتْ) قال : عميت .

❊ وأولى هذه الأقوال بالصواب عندى قول من قال : معنى ذلك : أخذت أبصارنا وسحرت ، فلا تبصر الشيء على ما هو به ، وذهب حدّ إبصارها ، وانطفأ نوره ، كما يقال للشيء الحارْ إذا ذهبت فورته ، وسكن حدّ حرّه ، قد سكر يسكر . قال المثنى بن جندل الطُّهوى :

جاءَ الشِّتاءُ واجْثَأَلَّ القُبَّرُ … واستَخْفَتِ الأفْعَى وكانت تَظْهَرُ

وجَعَلَتْ عينُ الحَرُورِ تَسْكُرُ[1]

أى تسكُن وتذهب وتنطفئ ؛ وقال ذو الرُّمَّة :

قَبْلَ انْصِداعِ الفَجْرِ والتَّهَجُّرِ … وخَوْضُهُنَّ اللَّيلَ حينَ يَسْكُرُ[2]

يعنى : حين تسكن فورته . وذُكر عن قيس أنها تقول : سكرت الريح تسكر سكورا ، بمعنى : سكنت ، وإن كان ذلك عنها صحيحا ، فإن معنى سُكِرَت وسُكِّرَتْ بالتخفيف والتشديد متقاربان ، غير أن القراءة التى لا أستجيز غيرها فى القرآن (سُكِّرَتْ) بالتشديد لإجماع الحجة من القراء عليها ، وغير جائز خلافها فيما جاءت به مجمعة عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾

---

(١) هذه ثلاثة أبيات لجندل بن المثنى الطهوى . واجثأل : اجتمع وتقبض ، والقبر كالقنبر : ضرب من الطير كالعصافير ، واحده قبرة وقنبرة . والحرور : الحر . ويقال سكرت عينه تسكر : إذا تحيرت وسكنت عن النظر وسكر الحر يسكر : سكن وخبأ . وقد استشهد بها أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٣٧ ، ٣٣٨) عند قوله تعالى « سكرت أبصارنا » : قال : أى غشيت سمادير ، فذهبت وخبا نظرها . قال : جاء الشتاء . . . الخ وزاد فيها بيتا قبل الآخر ، وهو : « وطلعت شمس عليها مغفر » . وفسر البيت الأخير وهو الشاهد بقوله : أى يذهب حرها ويخبو . وقال أبو عمرو بن العلاء : « سكرت أبصارنا » : مأخوذ من سكر الشراب ، كأن العين لحقها ما يلحق شارب المسكر إذا سكر . وقال الفراء : معناه : حبست ومنعت عن النظر .

(٢) البيت فى ديوان ذى الرمة (طبعة كيمبردج سنة ١٩١٩) ص ٢٠٢ وقبله :

أَنَتْكَ بالقَوْمِ مَهارٍ ضُمَّرُ … خُوصٌ بَرَى أَشْرافَها التَّبَكُّرُ

خوص : غائرات العيون . وأشرافها : أسنمتها . والتبكر : سير البكرة . والتهجر : سير الهاجرة ، ويسكر : يتسكر الأبصار بظلامه . وقوله : والتهجر ، بالرفع : معطوف على قوله التبكر ، فى البيت السابق عليه .

☼ يقول تعالى ذكره : ولقد جعلنا فى السماء الدنيا منازل للشمس والقمر ، وهى كواكب ينزلها الشمس والقمر (وَزَيَّنَّاها لِلنَّاظِرِينَ) يقول : وزينا السماء بالكواكب لمن نظر إليها وأبصرها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَقَدْ جَعَلْنا فِى السَّماءِ بُرُوجا) قال : كواكب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ جَعَلْنا فِى السَّماءِ بُرُوجا) وبروجها : نجومها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بُرُوجا) قال : الكواكب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾

☼ يقول تعالى ذكره : وحفظنا السماء الدنيا من كل شيطان لعين قد رجمه الله ولعنه (إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) يقول : لكن قد يسترق من الشياطين السمع مما يحدث فى السماء بعضها ، فيتبعه شهاب من النار مبين ، يبين أثره فيه ، إما بإخباله وإفساده ، أو بإحراقه .

وكان بعض نحويى أهل البصرة يقول فى قوله (إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) هو استثناء خارج ، كما قال : ما أشتكى إلا خيرا ، يريد : لكن[1] أذكر خيرا ، وكان ينكر ذلك من قيله بعضهم ، ويقول : إذا كانت إلا بمعنى لكن عملت عمل لكن ، ولا يحتاج إلى إضمار أذكر ، ويقول : لو احتاج الأمر كذلك إلى إضمار أذكر احتاج قول القائل : قام زيد لا عمرو إلى إضمار أذكر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا الأعمش عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : تصعد الشياطين أفواجا تسترق السمع ، قال : فينفرد المارد منها فيعلو ، فيرمى بالشهاب ، فيصيب جبهته أو جنبه ، أو حيث شاء الله منه ، فيلتهب فيأتى أصحابه وهو يلتهب ، فيقول : إنه كان من الأمر كذا وكذا ، قال : فيذهب أولئك إلى إخوانهم من الكهنة ، فيزيدون عليه أضعافه من الكذب ، فيخبرونهم به ، فاذا رأوا شيئا مما قالوا قد كان صدقوهم بما جاءوهم به من الكذب .

(١) لكن : ساقطة من الأصل ، ولكن السياق بعدها يقتضيها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ، إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) قال : أراد أن يخطف السمع ، وهو كقوله (إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) وهو نحو قوله (إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) قال : خطف الخطفة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) هو كقوله (إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) كان ابن عباس يقول : إن الشهب لا تقتل ولكن تحرق وتخبل [1] وتجرح من غير أن تقتل .

حدثني الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ) قال : الرجيم : الملعون ، قال : وقال القاسم عن الكسائيّ : إنه قال : الرجم في جميع القرآن : الشتم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾

يعني تعالى ذكره بقوله (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا) : والأرض دحوناها فبسطناها(وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) يقول : وألقينا في ظهورها رواسيَ ، يعني جبالا ثابتة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ،قوله (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا) .وقال في آية أخرى (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) . وذُكر لنا أن أمّ القرى مكة ، منها دُحيت الأرض . قوله (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) رواسيها : جبالها . وقد بيَّنا معنى الرسوّ فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادته . وقوله (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) يقول : وأنبتنا في الأرض من كلّ شيء : يقول : من كلّ شيء مقدّر ، وبحدّ معلوم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) يقول : معلوم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) يقول : معلوم .

(١) الخبل والتخبيل : إفساد الأعضاء ، حتى لا يدرى كيف يمشى ، فهو متخبل خبل . (اللسان) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، أو عن أبي مالك ، في قوله (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : بقدر .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح أو عن أبي مالك ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن خصيف ، عن عكرمة (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : بقدْر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عليّ ، يعني ابن الجعد ، قال : أخبرنا شريك ، عن خصيف ، عن عكرمة (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : بقدْر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، قال بقدْر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : معلوم .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا عبد الله بن يونس ، قال : سمعت الحكم بن عتيبة وسأله أبومخزوم ، عن قوله (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : من كلّ شيء مقدور .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا عبد الله بن يونس ، قال : سمعت الحكم ، وسأله أبوعروة ، عن قول الله عزّ وجلّ (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : من كلّ شيء مقدور ، هكذا قال الحسن ، وسأله أبوعروة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء وحدثني المثنى ، قال : أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : مقدور بقدْر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : مقدور بقدْر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عليّ بن الهيثم ، قال : ثنا يحيي بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : مقدور بقدْر .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عليّ بن الهيثم ، قال : ثنا يحيي بن زكريا ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : بقدْر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) يقول : معلوم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) يقول : معلوم .

وكان بعضهم يقول : معنى ذلك : وأنبتنا فى الجبال من كل شىء موزون : يعنى من الذهب والفضة والنحاس والرصاص ونحو ذلك من الأشياء التى توزن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : الأشياء التى توزن .

وأولى القولين عندنا بالصواب القول الأول لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : (وَجَعَلْنَا لَكُمْ) أيها الناس فى الأرض (مَعَايِشَ) ، وهى جمع معيشة (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) .

اختلف أهل التأويل فى المعنى فى قوله (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) فقال بعضهم : عنى به الدوابّ والأنعام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسين قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله جميعا ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) الدوابّ والأنعام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : عنى بذلك : الوحش خاصة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور [1] فى هذه الآية (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) قال الوحش ، فتأويل « مَنْ » فى : (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) على هذا التأويل بمعنى ما ، وذلك قليل فى كلام العرب .

(١) منصور الذى يروى عنه شعبة بن الحجاج : هو منصور بن عبد الرحمن التيمى الغدانى (بضم الغين) عن الشعبى ، وعنه وشعبة وابن علية . وثقه ابن معين وأحمد وأبو داود ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوى ، يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال النسائى : ليس بقوى . وفى كلام الفراء الذى نقلناه تحت الشاهد « هلا سألت » إشارة إلى روايته هنا ، بقوله « وقد جاء أنهم الوحوش . . . الخ » . (وانظر خلاصة الخزرجى) .

* وأولى ذلك بالصواب ، وأحسن أن يقال : عنى بقوله (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) من العبيد والإماء والدوابّ والأنعام . فمعنى ذلك : وجعلنا لكم فيها معايش ، والعبيدَ والإماء والدوابَّ والأنعام ، وإذا كان ذلك كذلك ، حسن أن توضع حينئذ مكان العبيد والإماء والدوابّ « من » ، وذلك أن العرب تفعل ذلك إذا أرادت الخبر عن البهائم معها بنو آدم . وهذا التأويل على ماقلناه وصرفنا إليه معنى الكلام إذا كانت « من » فى موضع نصب عطفا به على معايش بمعنى : جعلنا لكم فيها معايش ، وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين . وقيل : إنّ « من » فى موضع خفض عطفا به على الكاف والميم ، فى قوله (وَجَعَلْنَا لَكُمْ) بمعنى : وجعلنا لكم فيها معايش (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) وأحسب أن منصورا[1] فى قوله هوالوحش قصد هذا المعنى وإياه أراد ، وذلك وإن كان له وجه فى كلام العرب ، فبعيد قليل ، لأنها لاتكاد تظاهر على معنى فى حال الخفض ، وربما جاء فى شعر بعضهم فى حال الضرورة ، كما قال بعضهم :

هَلاَّ سأَلْتَ بِذِى الجَماجِمِ عَنْهُمُ وأبى نَعِيمٍ ذى اللِّوَاءِ المُخْرَقِ[2]

فردّ أبا نعيم على الهاء والميم فى عنهم . وقد بيَّنت قبح ذلك فى كلامهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (٢١)

* يقول تعالى ذكره : وما من شيء من الأمطار إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر لكل أرض معلوم عندنا حدّه ومبلغه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا يزيد بن أبى زياد ، عن رجل ، عن عبد الله ، قال : ما من أرض أمطر من أرض ، ولكن الله يقدره فى الأرض ، ثم قرأ (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن أبى جحيفة ، عن عبد الله ، قال :

---

(١) انظر الكلام عليه فى هامش ص ١٧ .

(٢) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (ص ١٦٧ من مصورة الجامعة) . قال : وقوله « وجعلنا لكم فيها معايش » : أراد الأرض « ومن لستم له برازقين » : فمن فى موضع نصب . يقول : جعلنا لكم فيها معايش والعبيد والإماء ، وقد جاء أنهم الوحوش والبهائم ؛ ومن : لا يفرد بها البهائم ، ولا ما سوى الناس ، فإن يكن ذلك على ما روى فنرى أن أدخل فيهم المماليك ، على أنا ملكناكم العبيد والإبل والغنم وما أشبه ذلك ، مجاز ذلك . وقد يقال إن « من » فى موضع خفض ، يراد جعلنا لكم فيها معايش ولمن . وما أقل ما ترد العرب لمخفوض قد كُنى عنه ، وقد قال الشاعر :

نعلق فى مثل السوارى سيوفنا وما بينها والكعب غوط نفانف

فرد الكعب على بينها . وقال الآخر : هلا سألت . . . . البيت ، فرد « أبى نعيم » على الهاء فى عنهم .

قلت : وهذا الموضع الذى أشار إليه الفراء ، وهو عطف اسم مخفوض على ضمير هو قوله تعالى « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » من سورة النساء .

ما من عام بأمطر من عام ، ولكن الله يصرفه عمن يشاء ، ثم قال (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خزائنه ، وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا إبراهيم بن مهدى المصيصى ، قال : ثنا علىّ بن مسهر ، عن يزيد ابن أبي زياد ، عن أبي جحيفة ، عن عبد الله بن مسعود : ما من عام بأمطر من عام ، ولكن الله يقسمه حيث شاء ، عاما ههنا وعاما ههنا ، ثم قرأ (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ) قال : المطر خاصة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، عن الحكم بن عتيبة ، فى قوله (وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) قال : ما من عام بأكثر مطرا من عام ولا أقلّ ، ولكنه يمطر قوم ، ويُحرم آخرون ، وربما كان فى البحر ، قال : وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم يحصون كلّ قطرة حيث تقع وما تُنبت .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامّة القرّاء (وأرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) ، وقرأه بعض قرّاء أهل الكوفة (وأرْسَلْنا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) فوحّد الريح وهى موصوفة بالجمع : أعنى بقوله : لواقح . وينبغى أن يكون معنى ذلك : أن الريح وإن كان لفظها واحدا ، فمعناها الجمع ، لأنه يقال : جاءت الريح من كلّ وجه، وهبّت من كلّ مكان ، فقيل : لواقح لذلك ، فيكون معنى جمعهم نعتها ، وهى فى اللفظ واحدة معنى قولهم : أرض سباسب ، وأرض أغفال ، وثوب أخلاق ، كما قال الشاعر :

جاءَ الشِّتاءُ وقَميصِي أخْلاقْ ... شَرَاذِمٌ يضْحَكُ مِنْهُ التَّوَّاقْ [١]

وكذلك تفعل العرب فى كلّ شيء اتسع .

(١) هذا الرجز ، أورده الفراء فى معانى القرآن (ص ١٦٧) قال : وقوله « وأرسلنا الرياح لواقح » وقرئ الريح ، قرأ حمزة . فمن قال : « الريح لواقح » فجمع اللواقح والريح واحدة، لأن الريح فى معنى جمع ، ألا ترى أنك تقول : جاءت الريح من كل مكان ، فقيل لواقح لذلك كما قيل : تركته فى أرض أغفال وسباسب ، ومهارق وثوب أخلاق ، ومنه قول الشاعر : جاء الشتاء . . . الخ البيت . وأما من قال : الرياح لواقح ، فهو بين . ولكن يقال : إنما الريح ملقحة ، تلقح الشجر ، فكيف قيل : لواقح ؟ فى ذلك معنيان : أحدهما أن تجعل الريح هى التى بمرورها على التراب والماء ، فيكون فيها اللقاح ، فيقال ريح لاقح ، كما يقال : ناقة لاقح ؛ ويشهد على ذلك أنه وصف ريح العذاب فقال : « عليهم الريح العقيم » ، فجعلها عقيما إذ لم تلقح . والوجه الآخر : أن يكون وصفها باللقح ، وإن كانت تلقح (بضم التاء) كما قيل : ليل نائم ،والنوم فيه ، وسركاتم .

واختلف أهل العربية فى وجه وصف الرياح باللقح ، وإنما هى ملقحة لالاقحة ، وذلك أنها تلقح السحاب والشجر ، وإنما توصف باللقح الملقوحة لا الملقح ، كما يقال : ناقة لاقح . وكان بعض نحويى البصرة يقول : قيل : الرياح لواقح ، فجعلها على لاقح ، كأن الرياح لقحت ، لأن فيها خيرا ، فقد لقحت بخير . قال : وقال بعضهم : الرياح تلقح السحاب ، فهذا يدلّ على ذلك المعنى ، لأنها إذا أنشأته وفيها خير وصل ذلك إليه . وكان بعض نحويى الكوفة يقول : فى ذلك معنيان : أحدهما أن يجعل الريح هى التى تلقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح ، فيقال : ريح لاقح ، كما يقال : ناقة لاقح ، قال : ويشهد على ذلك أنه وصف ريح العذاب ، فقال (عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) فجعلها عقيما إذا لم تلقح . قال : والوجه الآخر أن يكون وصفها باللقح ، وإن كانت تلقح ، كما قيل : ليل نائم والنوم فيه ، وسرّ كاتم . وكما قيل : المبروز والمختوم ، فجعل مبروزا ، ولم يقل مبرزا بناه على غير فعله : أى أن ذلك من صفاته ، فجاز مفعول لمفعل ، كما جاز فاعل لمفعول ، إذا لم يرد البناء على الفعل ، كما قيل : ماء دافق .

* والصواب من القول فى ذلك عندى : أن الرياح لواقح كما وصفها به جلّ ثناؤه من صفتها ، وإن كانت قد تلقح السحاب والأشجار ، فهى لاقحة ملقحة ، ولقحها : حملها الماء وإلقاحها السحاب والشجر : عملها فيه ، وذلك كما قال عبد الله بن مسعود .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربى ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن سكن ، عن عبد الله بن مسعود ، فى قوله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ)قال : يرسل الله الرياح فتحمل الماء ، فتجرى السحاب ، فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن قيس بن سكن ، عن عبد الله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) قال : يبعث الله الريح فتلقح السحاب ، ثم تمريه فتدر كما تدر اللقحة ، ثم تمطر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أسباط بن محمد ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن قيس ابن السكن ، عن عبد الله بن مسعود ، فى قوله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) قال : يرسل الرياح ، فتحمل الماء من السحاب ، ثم تمرى السحاب ، فتدر كما تدر اللقحة ، فقد بين عبد الله بقوله : يرسل الرياح فتحمل الماء أنها هى اللاقحة بحملها الماء وإن كانت ملقحة بإلقاحها السحاب والشجر .

وأما جماعة أُخَر من أهل التأويل ، فانهم وجّهوا وصف الله تعالى ذكره إياها بأنها لواقح ، إلى أنه بمعنى ملقحة ، وأن اللواقح وُضعت موضع ملاقح ، كما قال نهشل بن حرى :

* (وفى لسان العرب : (خلق) : وقد يقال : ثوب أخلاق ، يصفون به الواحد ، إذا كانت الخلوقة فيه كله ، كما قالوا برمة أعشار ، وثوب أكباش (ضرب من نسج اليمن) وحبل أرمام وأرض سباسب . وهذا النحو كثير ، وكذلك : ملاءة أخلاق وبرمة أخلاق (عن اللحيانى) أى نواحيها أخلاق . قال : وهو من الواحد الذى فرق ثم جمع . قال : وكذلك : حبل أخلاق : وقربة أخلاق . عن ابن الأعرابى . التهذيب : يقال ثوب أخلاق يجمع بما حوله ، وقال الراجز : جاء الشتاء . . . الخ والتواق ابنه . قلت : والرواية عند الفراء وفى اللسان « يضحك منه »*، وعند المؤلف « يضحك منى » ، والمعنى قريب بعضه من بعض .

لِيُبْكَ يَزِيدُ بائِسٌ لِضَرَاعَةٍ		وأشْعَثُ مِمَّنْ طَوَّحَتْهُ الطَّوَائِحُ ١

يريد المطاوح ؛ وكما قال النابغة :

كِلِينى لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ		ولَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِىءِ الكَوَاكِبِ ٢

بمعنى : مُنْصِب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم فى قوله (وأَرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) قال : تلقح السحاب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، قوله (وأَرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) قال : لواقح للشجر ، قلت : أو للسحاب ، قال : وللسحاب تمريه حتى يمطر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبى سنان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن عبيد بن عمير ، قال : يبعث الله المبشرة فتقمّ الأرض قما ، ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب ، ثم يبعث الله المؤلِّفة فتؤلف السحاب ، ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر ، ثم تلا عبيد (وأَرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأَرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) يقول : لواقح للسحاب ، وإن من الريح عذابا ، وإن منها رحمة .

---

(١) البيت لنشهل بن حرى على الأصح ، شاعر مخضرم . وقد ينسب إلى غيره ، وصوب البغدادى نسبته إلى نهشل . وقد استشهد به أبوعبيدة بهذه الرواية نفسها عند تفسير قوله تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » قال : مجازها مجاز ملاقح ، لأن الريح ملقحة السحاب للعرب . قد تفعل هذا ، فتلقى الميم ، لأنها تعيده إلى أصل الكلام ، كقول نهشل بن حرى يرثى أخاه « ليبك يزيد » . . . الخ البيت . فحذف الميم ، لأنها المطاوع . وأورد البيت صاحب (اللسان : طيح) باختلاف فى بعض الألفاظ قال : وأنشد سيبويه :

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ		ومُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ

وقال (سيبويه) : الطوائح : على حذف الزائد ، أو على النسب قال ابن جنى : أول البيت مبنى على اطراح ذكر الفاعل ، فإن آخره (كذا فى اللسان) قد عوود فيه الحديث على الفاعل ، لأن تقديره فيما بعد : ليبك مختبط مما تطيح الطوائح ، فدل قوله : ليبك (بالبناء المفعول) على ما أراد من قوله « ليبك » (أى بالبناء للفاعل). اهـ . والمختبط : الذى يسلك من غير معرفة ولا وسيلة بينكما . وانظر خزانة الأدب البغدادى (١ : ١٤٧ - ١٥٢) ففيها كلام كثير فى معنى البيت وروايته وقائله .

(٢) البيت للنابغة الذبيانى ، وهو مطلع قصيدة له يمدح بها عمرو بن الحارث الأعرج ، بن الحارث الأكبر ، بن أبى شمر ، حين هرب من النعمان بن المنذر . وقد مر شرحنا له فى غير هذا الموضع من التفسير . والشاهد هنا فى قوله « ناصب » أنه بمعنى المنصب . قال فى (اللسان : نصبت) : النصب : الإعياء من العناء . والفعل : نصب الرجل بالكسر : أعيا وتعب. وأنصبه هو ، وأنصبنى هذا الأمر ، وهم ناصب : منصب ، ذو نصب ، مثل تامر ولابن ، وهو فاعل بمعنى مفعول ، لأنه ينصب فيه ويتعب . قال النابغة : « كلينى لهم يا أميمة ناصب » قال : ناصب : بمعنى منصوب . وقال الأصمعى : ناصب : ذى نصب ، مثل : ليل نائم ذو نوم ينام فيه ، ورجل دارع : ذو درع . وقال سيبويه : هم ناصب : هو على النسب . وحكى أبو على الفارسى نصبه لهم ، فناصب إذن على الفعل . اهـ . قلت : أيريد أبو على الفارسى : أنه اسم فاعل قياسى جار على فعله ، فليس على النسب إذن ولا على التجوز فى الإسناد مثل ليل نائم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَوَاقِحَ) قال : تلقح الماء فى السحاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس (لَوَاقِحَ) قال : تُلقح الشجر وتُمرى السحاب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وأرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) الرياح يبعثها الله على السحاب فتلقحه ، فيمتلئ ماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبيس بن ميمون ، قال : ثنا أبو المهزم ، عن أبى هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الرِّيحُ الجَنُوبُ مِنَ الجَنَّةِ ، وَهِيَ الرِّيحُ اللَّوَاقِحُ ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ تَعالَى فِي كِتابِهِ وَفِيها مَنافِعُ لِلنَّاسِ » .

حدثنى أبو الجماهر الحمصى أو الحضرمى محمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد العزيز بن موسى ، قال : ثنا عبيس بن ميمون أبو عبيدة ، عن أبى المهزم ، عن أبى هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله سواء .

وقوله (فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ) يقول تعالى ذكره : فأنزلنا من السماء مطرا فأسقيناكم ذلك المطر لشرب أرضكم ومواشيكم ؛ ولو كان معناه : أنزلناه لتشربوه لقيل : فسقيناكموه . وذلك أن العرب تقول إذا سقت الرجل ماء شربه أو لبنا أو غيره ، سقيته بغير ألف إذا كان لسقيه ، وإذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ماشيته ، قالوا : أسقيته وأسقيت أرضه وماشيته ، وكذلك إذا استسقت له ، قالوا : أسقيته واستسقيته ، كما قال ذو الرُّمَّة :

وَقَفْتُ على رَسْمٍ لِمَيَّةَ ناقَتِي فَمَا زِلْتُ أبْكِي عِنْدَهُ وأُخاطِبُهْ
وأُسْقِيهِ حتى كادَ مِمَّا أبُثُّهُ تُكَلِّمُنِي أحْجارُهُ ومَلاعِبُهْ (١)

وكذلك إذا وهبت لرجل إهابا ليجعله سقاء ، قلت : أسقيته إياه .

وقوله (وَما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ) يقول : ولستم بخازنى الماء الذى أنزلنا من السماء فأسقيناكموه ، فتمنعوه من أسقيه ، لأن ذلك بيدى وإلىّ ، أسقيه من أشاء ، وأمنعه من أشاء .

كما حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال سفيان (وَما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ) قال : بمانعين .

---

(١) البيتان فى ديوان ذى الرمة (طبعة كيمبردج سنة ١٩١٩ ص ٣٨) وأسقيه : أدعو له بالسقيا ، أقول : سقاك الله . وأبثه : أشكو إليه . وقد استشهد بهذين البيتين أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٥٠) على أن يقال : سقيت الرجل ماء وشرابا من لبن وغير ذلك ، وليس فيه إلا لغة واحدة بغير ألف ، إذا كان فى الشفة . وإذا جعلت له شربا (بكسر الشين ، أى ماء لشرب دوابه) فهو أسقيته وأسقيت أرضه وإبله ، لا يكون غير هذا ، وكذلك إذا استسقيت له كقول ذى الرمة . . . . البيتين وهو قريب من كلام المؤلف هنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥) ﴾

يقول تعالى ذكره : (وإنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي) من كان ميتا إذا أردنا (ونُمِيتُ) من كان حيا إذا شئنا (وَنَحْنُ الوَارِثُونَ) يقول : ونحن نرث الأرض ومن عليها بأن نميت جميعهم ، فلا يبقى حيّ سوانا إذا جاء ذلك الأجل . وقوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَأْخِرِينَ) . اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ولقد علمنا من مضى من الأمم ، فتقدّم هلاكهم ، ومن قد خلق وهو حيّ ، ومن لم يخلق بعدُ ممن سيخلق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة (وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ولقَد عَلمْنَا المُسْتَأْخِرِينَ) قال : المستقدمون : من قد خلق ومن خلا من الأمم ؛ والمستأخرون : من لم يخلق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة ، فى قوله (وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَأْخِرِينَ) قال : هم خلق الله كلهم ، قد علم من خلق منهم إلى اليوم ، وقد علم من هو خالقه بعد اليوم .

حدثنا الحسن بن يحيي ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمى ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : إن الله خلق الخلق ففرغ منهم ، فالمستقدمون : من خرج من الخلق ، والمستأخرون : من بقى فى أصلاب الرجال لم يخرج .

حدثنى محمد بن أبي معشر ، قال : أخبرنى أبومعشر ، قال : سمعت عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يذاكر محمد بن كعب فى قول الله (وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَأْخِرِينَ) فقال عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود : خير صفوف الرجال المقدّم ، وشرّ صفوف الرجال المؤخّر ، وخير صفوف النساء المؤخّر ، وشرّ صفوف النساء المقدّم ؛ فقال محمد بن كعب : ليس هكذا ، ولقدعلمنا المستقدمين منكم : الميت والمقتول . والمستأخرين : من يلحق بهم من بعدُ ، وإن ربك هو يحشرهم ، إنه حكيم عليم ، فقال عون بن عبد الله : وفقك الله وجزاك خيرا .

حدثنامحمد بن عبدالأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : قال قتادة : المستقدمين : من مضى والمستأخرين : من بقى فى أصلاب الرجال .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا أبوالأحوص ، قال : ثنا سعيد بن

مسروق، عن عكرمة وخصيف ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قالا : من مات ومن بقى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) قال : كان ابن عباس يقول : آدم صلى الله عليه وسلم ومن مضى من ذرّيته (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) : من بقى فى أصلاب الرجال .

حدثنا محمد بن عبدالأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال : المستقدمون آدم ومن بعده، حتى نزلت هذه الآية . والمستأخرون : قال : كلّ من كان من ذرّيته .

قال أبوجعفر : أظنه أنا قال : ما لم يُخلق ، وما هو مخلوق .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ،قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : المستقدمون : ماخرج من أصلاب الرجال . والمستأخرون : ما لم يخرج . ثم قرأ (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ، إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) .

وقال آخرون : عنى بالمستقدمين : الذين قد هلكوا ، والمستأخرين : الأحياء الذين لم يهلكوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) يعنى بالمستقدمين : من مات ، ويعنى بالمستأخرين : من هو حىّ لم يمت .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد،قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) يعنى : الأموات منكم (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) بقيتهم ، وهم الأحياء ، يقول : علمنا من مات ومن بقى .

حدثنى يونس، قال : أخبرنا ابن وهب،قال : قال ابن زيد ،فى قوله(وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال : المستقدمون منكم : الذين مضوا فى أوّل الأمم، والمستأخرون : الباقون .

وقال آخرون : بل معناه : ولقد علمنا المستقدمين فى أوّل الخلق ، والمستأخرين فى آخرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى : قال : ثنا عبدالوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر فى هذه الآية (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ،وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال: قال : أوّل الخلق وآخره .

حدثنا ابن المثنى ،قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن الشعبىّ ، فى قوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا

المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَأْخِرِينَ): ما استقدم فى أول الخلق ،وما استأخر فى آخر الخلق .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا على بن عاصم ، عن داود بن أبى هند ، عن عامر ، فى قوله : (وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) قال : فى العُصُر ، والمستأخرين منكم فى أصلاب الرجال ، وأرحام النساء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المستقدمين من الأمم ، والمستأخرين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : أخبرنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : المستقدمين منكم ، قال : القرون الأول ، والمستأخرين : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنى عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَأْخِرِينَ) قال : المستقدمون : ما مضى من الأمم ، والمستأخرون : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن عبد الملك ، عن مجاهد بنحوه ، ولم يذكر قيسا .

وقال آخرون : بل معناه : ولقد علمنا المستقدمين منكم فى الخير ، والمستأخرين عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَأْخِرِينَ) قال : كان الحسن يقول : المستقدمون فى طاعة الله ، والمستأخرون فى معصية الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عباد بن راشد ، عن الحسن ، قال : المستقدمين فى الخير ، والمستأخرين : يقول : المبطئين عنه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المستقدمين منكم فى الصفوف فى الصلاة ، والمستأخرين فيها ، بسبب النساء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن رجل أخبرنا عن مروان بن الحكم أنه قال : كان أناس يستأخرون فى الصفوف من أجل النساء، قال : فأنزل الله (وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَأْخِرِينَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا جعفر بن سليمان ، قال : أخبرنى عمرو بن مالك ، قال : سمعت أبا الجوزاء يقول فى قول الله (وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَأْخِرِينَ) قال : المستقدمين منكم فى الصفوف فى الصلاة والمستأخرين .

حدثنى محمد بن موسى الحرسى ، قال : ثنا نوح بن قيس، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة ، قال ابن عباس : لا والله ما إن رأيت مثلها قط ،فكان بعض المسلمين إذا صلوا استقدموا، وبعض يستأخرون، فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم ، فأنزل الله (وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَأْخِرِينَ) .

حدثنا أبو كريب ،قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا نوح بن قيس، وحدثنا أبو كريب ، قال ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا نوح بن قيس ، عن عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس قال : كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة حسناء من أحسن الناس ، فكان بعض الناس يستقدم فى الصف الأوّل لئلا يراها ، ويستأخر بعضهم حتى يكون فى الصف المؤخر ، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه فى الصف ، فأنزل الله فى شأنها (وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَأْخِرِينَ) .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندى فى ذلك بالصحة قول من قال: معنى ذلك : ولقد علمنا الأموات منكم يابنى آدم فتقدّم موته ، ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حىّ ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعدُ لدلالة ما قبله من الكلام،وهو قوله (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوارِثُونَ) وما بعده وهو قوله (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) على أن ذلك كذلك ، إذ كان بين هذين الخبرين ، ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدلّ على خلافه ، ولا جاء بعد ، وجائز أن تكون نزلت فى شأن المستقدمين فى الصفّ ، لشأن النساء والمستأخرين فيه لذلك ، ثم يكون الله عزّ وجلّ عمّ بالمعنى المراد منه جميع الخلق ، فقال جلّ ثناؤه لهم : قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم ، وما كانوا يعملون ، ومن هو حىّ منكم ومن هو حادث بعدكم أيها الناس ، وأعمال جميعكم خيرها وشرّها ، وأحصينا جميع ذلك ، ونحن نحشر جميعهم ، فنجازى كلا بأعماله ، إن خيرا فخيرا ، وإن شرّا فشرّا ، فيكون ذلك تهديدا ووعيدا للمستأخرين فى الصفوف لشأن النساء ، ولكلّ من تعدّى حدّ الله ، وعمل بغير ما أذن له به ، ووعدا لمن تقدّم فى الصفوف لسبب النساء ، وسارع إلى محبة الله ورضوانه فى أفعاله كلها .

وقوله (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ)يعنى بذلك جلّ ثناؤه: وإن ربك يامحمد هو يجمع جميع الأوّلين

والآخرين عنده يوم القيامة ، أهل الطاعة منهم والمعصية ، وكلّ أحدٍ من خلقه ، المستقدمين منهم والمستأخرين .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وإنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) قال : أى الأوّل والآخر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد القرشىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، فى قوله (وَإنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) قال : هذا من ههنا ، وهذا من ههنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخُرَاسانىّ ، عن ابن عباس (وَإنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) قال : وكلهم ميت ، ثم يحشرهم ربهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ بن عاصم ، عن داود بن أبى هند ، عن عامر (وإنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) قال : يجمعهم الله يوم القيامة جميعا ، قال الحسن : قال علىّ : قال داود : سمعت عامرا يفسر قوله (إنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) يقول : إن ربك حكيم فى تدبيره خلقه فى إحيائهم إذا أحياهم ، وفى إماتتهم إذا أماتهم ، عليم بعددهم وأعمالهم ، وبالحىّ منهم والميت ، والمستقدم منهم والمستأخر .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كلّ أولئك قد علمهم الله ، يعنى المستقدمين والمستأخرين .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ ﴿٢٦﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : ولقد خلقنا آدم وهو الإنسان من صلصال . واختلف أهل التأويل فى معنى الصلصال ؛ فقال بعضهم : هو الطين اليابس لم تصبه نار ، فإذا نقرته صَلّ ، فسمعت له صلصلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدىّ ، قالا : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : خلق آدم من صلصال من حمأ ومن طين لازب ، وأما اللازب : فالجيد ، وأما الحَمأ : فالحمأة . وأما الصَّلصال : فالتراب المرقّق ، وإنما سمى إنسانا لأنه عهد إليه فنسى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ) قال : والصلصال : التراب اليابس الذى يسمع له صلصلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) قال : الصلصال : الطين اليابس يسمع له صلصلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن الحسن بن صالح ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (مِنْ صَلْصَالٍ) قال : الصلصال : الماء يقع على الأرض الطيبة ثم يحسِرُ عنها ، فتشقق ، ثم تصير مثل الخزف الرقاق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : خُلق الإنسان من ثلاثة : من طين لازب ، وصلصال ، وحمأ مسنون . والطين اللازب : اللازق الجيد ، والصلصال : المرقق الذى يصنع منه الفخار ، والمسنون : الطين فيه الحمأة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) قال : هو التراب اليابس الذى يُبَلّ بعد يُبسه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن مسلم ، عن مجاهد ، قال : الصلصال : الذى يصلصل ، مثل الخزف من الطين الطيب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، يقول : الصلصال : طين صُلْب يخالطه الكثيب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ صَلْصَالٍ) قال : التراب اليابس .

وقال آخرون : الصلصال : المُنْتِن . وكأنهم وجَّهوا ذلك إلى أنه من قولهم : صلّ اللحم وأصلّ : إذا أنتن ، يقال ذلك باللغتين كلتيهما : يَفْعَل وأَفْعَل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ صَلْصَالٍ) الصلصال : المنتن .

والذى هو أولى بتأويل الآية أن يكون الصلصال فى هذا الموضع الذى له صوت من الصلصلة ، وذلك أن الله تعالى وصفه فى موضع آخر فقال (خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخَّارِ) فشبهه تعالى ذكره بأنه كان كالفخار فى يُبسه . ولو كان معناه فى ذلك المُنتن لم يشبهه بالفخار ، لأن الفخار ليس بمنتن فيشبهه به فى النتن غيره .

وأما قوله (مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) فإن الحمأ : جمع حَمْأة ، وهو الطين المتغيّر إلى السواد . وقوله (مَسْنُونٍ) يعنى : المتغير .

واختلف أهل العلم بكلام العرب فى معنى قوله (مَسْنُونٍ) فكان بعض نحويّى البصريين يقول : عنى

به : حمأ مصوّر تامّ . وذُكر عن العرب أنهم قالوا : سُنّ على مثال سُنّة الوجه : أى صورته . قال : وكأن سُنة الشيء من ذلك : أى مثاله الذى وُضع عليه . قال : وليس من الآسن المتغير ، لأنه من سَنَن مضاعف .

وقال آخر منهم : هو الحمأ المصبوب . قال : والمصبوب : المسنون ، وهو من قولهم : سَنَنْت الماء على الوجه وغيره إذا صببته .

وكان بعض أهل الكوفة يقول : هو المتغير ، قال : كأنه أخذ من سَنَنْت الحجَر على الحجر ، وذلك أن يحكّ أحدهما بالآخر . يقال منه : سننته أسُنه سَنًّا فهو مسنون . قال : ويقال للذى يخرج من بينهما : سَنين ، ويكون ذلك مُنْتنا ، وقال منه : سُمِّيَ المِسَنّ لأن الحديد يُسَنّ عليه . وأما أهل التأويل ، فإنهم قالوا فى ذلك نحو ما قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبيد الله بن يوسف الجبيرى ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) قال : الحمأ : المنتنة .

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) قال : الذى قد أنتن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك عن ابن عباس (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) قال : منتن .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) قال : هو التراب المبتلّ المنتنُ ، فجعل صلصالا كالفخار .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) قال : منتن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) والحمأ المسنون : الذى قد تغير وأنتن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) قال : قد أنتن ، قال : منتنة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) قال : من طين لازب ، وهو اللازق من الكثيب : وهو الرمل .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) قال : الحمأ المنتن .

وقال آخرون منهم فى ذلك : هو الطين الرَّطْب .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) يقول : من طين رَطب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره (والجانّ) وقد بيّنا فيما مضى معنى الجانّ ، ولم قيل له جان . وعنى بالجانّ ههنا : إبليس أبا الجنّ ، يقول تعالى ذكره : وإبليس خلقناه من قبل الإنسان من نار السموم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والجانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ) وهو إبليس خُلق قبل آدم ، وإنما خلق آدم آخر الخلق ، فحسده عدوّ الله إبليس على ما أعطاه الله من الكرامة ، فقال : أنا ناريّ ، وهذا طينيّ ، فكانت السجدة لآدم ، والطاعة لله تعالى ذكره ، فقال (اخْرُجْ مِنْها فإنَّكَ رَجِيمٌ) .

واختلف أهل التأويل فى معنى (نارِ السَّمُومِ) فقال بعضهم : هى السموم الحارّة التى تقتل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن التميمى ، عن ابن عباس فى قوله (والجانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ) قال : السموم الحارّة التى تقتل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمَّانِيّ ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق التميمى ، عن ابن عباس (والجانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ) قال : هى السموم التى تقتل ، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت قال : هى السموم التى تقتل .

وقال آخرون : يعنى بذلك من لهب النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (والجانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ) قال : من لهب من نار السموم .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا عثمان ، عن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : كان إبليس من حيّ من أحياء الملائكة يقال لهم الجنّ ، خُلقوا من نار السموم من بين الملائكة . قال : وخُلقت الجنّ الذين ذُكروا فى القرآن من مارج من نار .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : دخلت على عمرو بن الأصمّ أعوده ، فقال : ألا أحدّثك حديثا سمعته من عبد الله ؟ سمعت عبد الله يقول : هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التى خرج منها الجانّ ، قال : وتلا (والجانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ

نارِ السَّمُومِ) . وكان بعض أهل العربية يقول : السموم بالليل والنهار . وقال بعضهم : الحَرُور بالنهار ، والسموم بالليل ، يقال : سَمَّ يومُنا يَسَمُّ سُمُوماً .

حدثني المثنى ، قال : ثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثني عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه ، وسئل عن الجنّ ماهم ، وهل يأكلون أو يشربون ، أو يموتون ، أو يتناكحون ؟ قال : هم أجناس ، فأما خالص الجنّ فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون . ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون ويموتون ، وهى هذه التى منها السعالى والغُول وأشباه ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (و) اذكر يا محمد (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ) يقول : فإذا صوّرته فعدّلت صورته (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى) فصار بشرا حيا (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) سجود تحية وتكرمة لا سجود عبادة .

وقد حدثني جعفر بن مكرم ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما خلق الله الملائكة قال : إنى خالق بشرا من طين ، فإذا أنا خلقته فاسجدوا له ، فقالوا : لا نفعل ، فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ، وخلق ملائكة أخرى ، فقال : إنى خالق بشرا من طين ، فإذا أنا خلقته فاسجدوا له ، فأبَوا ؛ قال : فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ؛ ثم خلق ملائكة أخرى ، فقال : إنى خالق بشرا من طين ، فاذا أنا خلقته فاسجدوا له ، فأبوا ، فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ؛ ثم خلق ملائكة ، فقال : إنى خالق بشرا من طين ، فإذا أنا خلقته فاسجدوا له ، فقالوا : سمعنا وأطعنا ، إلا إبليس كان من الكافرين الأوّلين .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : فلما خلق الله ذلك البشر ، ونفخ فيه الروح بعد أن سوّاه سجد الملائكة كلهم جميعا ، إلا إبليس ، فإنه أبى أن يكون مع الساجدين فى سجودهم لآدم حين سجدوا ، فلم يسجد له معهم تكبرا وحسدا

وبغيا ، فقال الله تعالى ذكره (يا إبليس ُ مالك َ ألا َّ تكون َ مع َ السَّاجدين َ) يقول : ما منعك من أن تكون مع الساجدين ؛ فأن فى قول بعض نحويى الكوفة خفض ، وفى قول بعض أهل البصرة نصب بفقد الخافض .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى ذكره (قال َ) إبليس (لَم ْ أكُن ْ لِأَسْجُد َ لِبَشَرٍ خَلَقْتَه ُ مِن ْ صَلْصَال ٍ مِن ْ حَمَأ ٍ مَسْنُون ٍ) وهو من طين وأنا من نار ، والنار تأكل الطين . وقوله (فاخْرُج ْ مِنْها) يقول الله تعالى ذكره لإبليس : (فاخْرُج ْ مِنْها ، فإنَّك َ رَجِيم ٌ)

والرجيم المرجوم ، صرف من مفعول إلى فعيل وهو المشتوم ، كذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فإنَّك َ رَجِيم ٌ) والرجيم : الملعون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فاخْرُج ْ مِنْها فإنَّك َ رَجِيم ٌ) قال : ملعون . والرجم فى القرآن : الشتم .

وقوله (وَإن َّ عَلَيْك َ اللَّعْنَة َ إلى يَوْم ِ الدِّين ِ) يقول : وإن غضب الله عليك بإخراجه إياك من السموات وطردك عنها إلى يوم المجازاة ، وذلك يوم القيامة. وقد بيَّنا معنى اللعنة فى غير موضع بما أغنى عن إعادته ههنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال إبليس : ربّ فإذ أخرجتنى من السموات ولعنتنى ، فأخِّرنى إلى يوم تبعث خلقك من قبورهم ، فتحشرهم لموقف القيامة ، قال الله له : فإنك ممن أُخِّر هلاكه إلى يوم الوقت المعلوم لهلاك جميع خلقى ، وذلك حين لا يبقى على الأرض من بنى آدم ديَّار .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ذكره : قال إبليس (رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي) بإغوائك (لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ)، وكأن قوله (بِمَا أَغْوَيْتَنِي) خرّج مخرج القسم ، كما يقال : بالله ، أو بعزّة الله لأغوينهم . وعنى بقوله (لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) : لأحسننّ لهم معاصيك ، ولأحببها إليهم فى الأرض (وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) يقول : ولأضلّنّهم عن سبيل الرشاد (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) يقول : إلا من أخلصته بتوفيقك فهديته ، فإن ذلك ممن لاسلطان لى عليه ولا طاقة لى به . وقد قرئ (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ) فمن قرأ ذلك كذلك ، فإنه يعنى به : إلا من أخلص طاعتك ، فإنه لاسبيل لى عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) يعنى : المؤمنين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) قال قتادة : هذه ثَنِيَّة الله تعالى ذكره .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) فقرأه عامّة قراء الحجاز والمدينة والكوفة والبصرة (هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) بمعنى : هذا طريق إلىّ مستقيم .

فكان معنى الكلام : هذا طريق مرجعه إلىّ ، فأجازى كلاّ بأعمالهم ، كما قال الله تعالى ذكره (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) ، وذلك نظير قول القائل لمن يتوعده ويتهدده : طريقك علىّ ، وأنا على طريقك ، فكذلك قوله : (هَٰذَا صِرَاطٌ) معناه : هذا طريق علىّ وهذا طريق إلىّ ، وكذلك تأوّل من قرأ ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) قال : الحق يرجع إلى الله ، وعليه طريقه ، لا يعرّج على شىء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا مَرْوان بن شجاع ، عن خَصيف ، عن زياد بن أبي مريم ، وعبد الله بن كثير أنهما قرآها (هَـٰذَا صِرَاطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ) وقالا : علىّ هى إلىّ وبمنزلتها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن وسعيد عن قتادة ، عن الحسن (هَـٰذَا صِرَاطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ) يقول : إلىّ مستقيم . وقرأ ذلك قيس بن عباد وابن سيرين وقتادة فيما ذُكر عنهم (هَـٰذَا صِرَاطٌ عَلِىٌّ مُسْتَقِيمٌ) برفع علىّ على أنه نعت للصراط ، بمعنى : رفيع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى حماد ، قال : ثنى جعفر البصرى ، عن ابن سيرين أنه كان يقرأ (هَـٰذَا صِرَاطٌ عَلِىٌّ مُسْتَقِيمٌ) يعنى : رفيع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَـٰذَا صِرَاطٌ عَلِىٌّ مُسْتَقِيمٌ) أى رفيع مستقيم ، قال بشر ، قال يزيد ، قال سعيد : هكذا نقرؤها نحن وقتادة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون ، عن أبى العوّام ، عن قتادة ، عن قيس ابن عباد (هَـٰذَا صِرَاطٌ عَلِىٌّ مُسْتَقِيمٌ) يقول : رفيع .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، قراءة من قرأ (هَـٰذَا صِرَاطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ) على التأويل الذى ذكرناه عن مجاهد والحسن البصرى ، ومن وافقهما عليه ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها ، وشذوذ ماخالفها .

وقوله (إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) يقول تعالى ذكره : إن عبادى ليس لك عليهم حجة ، إلا من اتبعك على مادعوته إليه من الضلالة ممن غوى وهلك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن عبيد الله بن موهب ، قال ثنا يزيد بن قسيط ، قال : كانت الأنبياء لهم مساجد خارجة من قُراهم ، فإذا أراد النبىّ أن يستنبئ ربه عن شىء ، خرج إلى مسجده ، فصلى ما كتب الله له ، ثم سأل ما بدا له ، فبينما نبىّ فى مسجده ، إذ جاء عدوّ الله حتى جلس بينه وبين القبلة ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فقال عدوّ الله أرأيت الذى تعوّذ منه فهو هو ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فردّد ذلك ثلاث مرّات ، فقال عدوّ الله : أخبرنى بأىّ شىء تنجو منى ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : بَلْ أَخْبِرْنِى بِأَىِّ شَىْءٍ تَغْلِبُ ابْنَ آدَمَ ، مرّتين ، فأخذ كلّ واحد منهما على صاحبه ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ يَقُولُ (إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ، إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) قال عدوّ الله : قد سمعت هذا قبل أن تولد ، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ويقول اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) وإنّى والله ماأَحْسَسْتُ بِكَ قَطُّ إِلَّا اسْتَعَذْتُ بِاللهِ مِنْكَ ، فقال عدوّ الله : صدقت بهذا تنجو منى ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : فَأَخْبِرْنِى بِأَىِّ شَىْءٍ تَغْلِبُ ابْنَ آدَمَ ؟ قال : آخذه عند الغضب ، وعند الهوى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لإبليس : وإن جهنم لموعد من تبعك أجمعين (لها سَبْعةُ أبوابٍ) يقول : لجهنم سبعة أطباق ، لكلّ طَبَق منهم : يعني من أتباع إبليس جزء ، يعني : قسما ونصيبا مقسوما .

وذُكر أن أبواب جهنم طبقات بعضها فوق بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت أبا هارون الغنوى ، قال : سمعت حِطان ، قال : سمعت عليا وهو يخطب ، قال : إن أبواب جهنم هكذا ، ووضع شُعبة إحدى يديه على الأخرى .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي هارون الغنوى ، عن حطان بن عبد الله ، قال : قال علىّ : تدرون كيف أبواب النار ؟ قلنا : نعم كنحو هذه الأبواب ، فقال : لا ، ولكنها هكذا ، فوصف أبوهارون أطباقا بعضها فوق بعض ، وفعل ذلك أبو بشر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أبي هارون الغنوى ، عن حطان بن عبدالله عن علىّ ، قال : هل تدرون كيف أبواب النار ؟ قالوا : كنحو هذه الأبواب ، قال : لا ، ولكن هكذا ووصف بعضها فوق بعض .

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : ثنا مصعب بن المقدام ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : ثنا أبوإسحاق ، عن هبيرة ، عن علىّ ، قال : أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض ، فيمتلىء الأوّل ، ثم الثانى ، ثم الثالث ثم تمتلىُ كلها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة ، عن علىّ قال : أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض ، وأشار بأصابعه على الأوّل ، ثم الثانى ، ثم الثالث حتى تملأ كلها.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن هبيرة ابن مريم ، قال : سمعت عليا يقول : إن أبواب جهنم بعضها فوق بعض ، فيملأ الأوّل ثم الذى يليه ، إلى آخرها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد الواسطىّ ، عن جَهْضَم ، قال : سمعت عكرمة يقول فى قوله (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوابٍ) قال : لها سبعة أطباق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ) قال : أوّلها جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية . والجحيم فيها أبو جهل

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ) وهى والله منازل بأعمالهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا الله بطاعته وخافوه ، فتجنبوا معاصيه فى جنات وعيون ، يقال لهم : (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ) من عقاب الله ، أو أن تُسلبوا نعمة أنعمها الله عليكم ، وكرامة أكرمكم بها . قوله (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) يقول : وأخرجنا ما فى صدور هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم من حقد وضغينة بعضهم لبعض .

واختلف أهل التأويل فى الحال التى ينزع الله ذلك من صدورهم ، فقال بعضهم : ينزع ذلك بعد دخولهم الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوغسان ، قال : ثنا إسرائيل ، عن بشر البصرى ، عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبى أمامة ، قال : يدخل أهل الجنة الجنة على ما فى صدورهم فى الدنيا من الشحناء والضغائن حتى إذا توافوا وتقابلوا ، نزع الله ما فى صدورهم فى الدنيا من غلّ ، ثم قرأ (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ)

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو فضالة ، عن لقمان ، عن أبى أمامة ، قال : لا يدخل مؤمن الجنة حتى ينزع الله ما فى صدورهم من غلّ ، ثم ينزع منه السبع الضارى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن إسرائيل ، عن أبى موسى سمع الحسن البصرى يقول : قال علىّ : فينا والله أهل بدر نزلت الآية (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) قال : من عداوة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطى ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) قال : العداوة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن رجل ، عن علىّ (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) قال : العداوة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : جاء ابن جرموز

قاتل الزبير يستأذن على علىّ ، فحجبه طويلا ، ثم أذن له فقال له : أما أهل البلاء فتجفوهم ، قال علىّ : بفيك التراب إنى لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن جعفر ، عن علىّ نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبان بن عبد الله البجلى ، عن نعيم بن أبى هند ، عن ربعىّ بن حراش ، بنحوه . وزاد فيه : قال : فقام إلى علىّ رجل من همدان ، فقال الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين قال : فصاح علىّ صيحة ظننت أن القصر تدهده لها ، ثم قال : إذا لم نكن نحن ، فمن هم ؟

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبومعاوية الضرير ، قال : ثنا أبومالك الأشجعى ، عن أبى حبيبة مولى لطلحة ، قال : دخل عمران بن طلحة على علىّ بعد ما فرغ من أصحاب الجمل . فرحّب به وقال : إنى لأرجو أن يجعلنى الله وأباك من الذين قال الله (إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) ورجلان جالسان على ناحية البساط ، فقالا : الله أعدل من ذلك ، تقتلهم بالأمس وتكونون إخوانا ؟ فقال علىّ : قوما أبعد أرض وأسحقها ، فمن هم إذن إن لم أكن أنا وطلحة . وذكر لنا أبو معاوية الحديث بطوله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا أبو مالك ، قال : ثنا أبوحبيبة ، قال : قال علىّ لابن طلحة : إنى لأرجو أن يجعلنى الله وأباك من الذين نزع الله ما فى صدورهم من غلّ ، ويجعلنا إخوانا على سرر متقابلين .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حماد بن خالد الخياط ، عن أبى الجويرية ، قال : ثنا معاوية بن إسحاق ، عن عمران بن طلحة ، قال : لما نظرنى علىّ قال : مرحبا بابن أخى ، فذكر نحوه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا هشام ، عن محمد ، قال : استأذن الأشتر على علىّ وعنده ابن لطلحة ، فحبسه ، ثم أذن له ، فلما دخل قال : إنى لأراك إنما حبستنى لهذا ، قال : أجل ، قال : إنى لأراه لو كان عندك ابن لعثمان لحبستنى ، قال : أجل إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا إسحاق الأزرق ، قال : أخبرنا عوف ، عن ابن سيرين ، بنحوه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمى ، قال : ثنا السكن بن المغيرة ، قال : ثنا معاوية ابن زاشد ، قال : قال علىّ إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثنا ابن المتوكل الناجى أن أباسعيد الخدرىّ حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ ، قَالَ : فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ،

«لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِى الجَنَّةِ ، مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ الَّذِى كَانَ فِى الدُّنْيَا » . وقال بعضهم : ما يشبَّه بهم إلا أهل جمعة انصرفوا من جمعتهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد بن أبى عروبة فى هذه الآية (وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) قال : ثنا قتادة أن أبا المتوكل الناجى حدثهم أن أبا سعيد الخدرىّ حدثهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه ، إلى قوله « وأذِنَ لَهُمْ فِى دُخُولِ الجَنَّةِ » ثم جعل سائر الكلام عن قتادة ، قال : وقال قتادة : فوالذى نفسى بيده لأحدهم أهدى بمنزله ، ثم ذكر باقى الحديث نحو حديث بشر ، غير أن الكلام إلى آخره عن قتادة ، سوى أنه قال فى حديثه : قال قتادة وقال بعضهم : ما يشبَّه بهم إلا أهل الجمعة إذا انصرفوا من الجمعة .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى ، قال : ثنا عمر بن زرعة ، عن محمد بن إسماعيل الزبيدى ، عن كثير النواء ، قال : سمعته يقول : دخلت على أبى جعفر محمد بن علىّ ، فقلت : وليى وليكم ، وسلمى سِلْمكم ، وعدوّى عدوّكم ، وحربى حربكم ، إنى أسألك بالله ، أتبرأ من أبى بكر وعمر ، فقال : قد ضَلَلْتُ إذا وما أنا من المهتدين ، تولّهما يا كثير ، فما أدركك فهو فى رقبتى ، ثم تلا هذه الآية (إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) يقول : إخوانا يقابل بعضهم وجه بعض ، لايستدبره فينظر فى قفاه ، وكذلك تأوّله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا حصين ، عن مجاهد ، فى قوله (عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) قال : لاينظر أحدهم فى قفا صاحبه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ومؤمل ، قالوا : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله . والسرر : جمع سرير ، كما الجدد : جمع جديد وجمع سررا ، وأظهر التضعيف فيها ، والراءان متحرّكتان لخفة الأسماء ، ولا تفعل ذلك فى الأفعال لثقل الأفعال ، ولكنهم يُدْغمون فى الفعل ليسكن أحد الحرفين فيخفف ، فإذا دخل على الفعل ما يسكن الثانى أظهروا حينئذ التضعيف .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ * نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : لا يَمَسّ هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم فى الجنات نَصَب ، يعنى تَعَب (وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ) يقول : وما هم من الجنة ونعيمها وما أعطاهم الله فيها بمخرجين ، بل ذلك دائم أبدا . وقوله (نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

أخبر عبادى يا محمد ، أنى أنا الذى أستر على ذنوبهم إذا تابوا منها وأنابوا ، بترك فضيحتهم بها وعقوبتهم عليها ، الرحيم بهم ، أن أعذّبهم بعد توبتهم منها عليها (وأنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأليمُ) يقول : وأخبرهم أيضا أن عذابى لمن أصرّ على معاصىّ ، وأقام عليها ولم يتب منها ، هو العذاب الموجع الذى لا يشبهه عذاب ، هذا من الله تحذير لخلقه التقدم على معاصيه ، وأمر منه لهم بالإنابة والتوبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أنا الغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وأنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأليمُ) قال : بلغنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : «لَوْ يَعْلَمُ العَبْدُ قَدْرَ عَفْوِ اللهِ ، لما تورّعَ من حرام ، وَلَوْ يَعلم قَدْرَ عَذَابِهِ لَبَخَعَ نَفْسَهُ » .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا ابن المكىّ ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا مصعب بن ثابت ، قال : ثنا عاصم بن عبد الله ، عن ابن أبى رباح ، عن رجل من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم قال « طَلَعَ عَلَيْنَا رسولُ الله صلىّ الله عليه وسلَّم من الباب الذى يدخل منه بنو شيبة ، فقالَ : ألا أراكُمْ تَضْحَكُونَ ؟ ثم أدبر حتى إذا كان عند الحجر رجع إلينا القهقرى ، فقال : إنِّى لمَّا خَرَجْتُ جاءَ جَبْرَئيلُ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ فَقَالَ : يا مُحَمَّدُ إنَّ اللهَ يَقُولُ : لِمَ تُقَنِّطُ عِبادِي ، نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أنا الغَفُورُ الرَّحِيمُ وأنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الألِيمُ » .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأخبر عبادى يامحمد عن ضيف إبراهيم : يعنى الملائكة الذين دخلوا على إبراهيم خليل الرحمن حين أرسلهم ربهم إلى قوم لوط ليهلكوهم (فَقَالُوا سَلَاما) يقول : فقال الضيف لإبراهيم : سلاما (قال : إنَّا مِنْكُمْ وجِلُون) يقول : قال إبراهيم : إنا منكم خائفون . وقد بيّنا وجه النصب فى قوله (سَلَاما) ، وسبب وجل إبراهيم من ضيفه ، واختلاف المختلفين ودللنا على الصحيح من القول فيه فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . وأما قوله (قالُوا سَلَاما) وهو يعنى به الضيف ، فجمع الخبر عنهم ، وهم فى لفظ واحد ، فإن الضيف اسم للواحد والاثنين والجمع مثل الوزن والقطر والعدل ، فلذلك جمع خبره ، وهو لفظ واحد . وقوله (قَالُوا لاتَوْجَلْ) يقول : قال الضيف لإبراهيم : لاتوجل (لا تَخَفْ إنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝ ﴾

* يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم للملائكة الذين بشروه بغلام عليم (أَبَشَّرْتُمُونِي على أنْ مَسَّنِيَ الكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ) يقول : فبأيّ شيء تبشرون .

وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء وحدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (قالَ أَبَشَّرْتُمُونِي على أنْ مَسَّنِيَ الكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ؟) قال: عجب من كبره ، وكبر امرأته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وقال (على أنْ مَسَّنِيَ الكِبَرُ) ومعناه : لأن مسنى الكبر وبأن مسنى الكبر ، وهو نحو قوله (حَقِيقٌ على أنْ لاأَقُولَ على اللهِ إلاَّ الحَقَّ) بمعنى : بأن لاأقول، ويمثله فى الكلام : أتيتك أنك تعطى، فلم أجدك تعطى.

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ۝ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ۝

* يقول تعالى ذكره : قال ضيف إبراهيم له : بشرناك بحقّ يقين ، وعلم منّا بأن الله قد وهب لك غلاما عليما ، فلا تكن من الذين يقنطون من فضل الله ، فييأسون منه ، ولكن أبشر بما بشرناك به واقبل البُشرى .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله(مِنَ القانِطِينَ) فقرأته عامّة قراء الأمصار (مِنَ القانِطِينَ) بالألف وذكر عن يحيى بن وثاب أنه كان يقرأ ذلك (القَنِطِينَ) .

* والصواب من القراءة فى ذلك ماعليه قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة على ذلك ، وشذوذ ماخالفه .

وقوله (قال وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إلاَّ الضَّالُّونَ) يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم للضيف : ومن ييأس من رحمة الله إلا القوم الذين قد أخطئوا سبيل الصواب ،وتركوا قصد السبيل فى تركهم رجاء الله، ولا يخيب من رجاه ، فضلوا بذلك عن دين الله .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَمَنْ يَقْنَطُ) فقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والكوفة (وَمَنْ يَقْنَطُ) بفتح النون إلا الأعمش والكسائى ، فإنهما كسرا النون من (يَقْنِط) . فأما الذين فتحوا النون منه ممن ذكرنا فانهم قرءوا (مِنْ بَعْدِ مَاقَنَطوا) بفتح القاف والنون . وأما الأعمش فكان يقرأ ذلك : من بعد ماقَنِطُوا ، بكسر النون . وكان الكسائى يقرؤه بفتح النون . وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ الحرفين جميعا على النحو الذى ذكرنا من قراءة الكسائى .

* وأولى القراءات فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه (مِنْ بَعْدِ مَاقَنَطوا) بفتح النون (وَمَنْ يَقْنِطُ) بكسر النون ، لإجماع الحجة من القرّاء على فتحها فى قوله (مِنْ بعْدِ ما قَنَطُوا) فكسرها فى (وَمَنْ

يتمنْطُ) أولى إذ كان مجمعا على فتحها فى قنَط ، لأن فعَل إذا كانت عين الفعل منها مفتوحة ، ولم تكن من الحروف الستة التى هى حروف الحلق ، فإنها تكون فى يفعِل مكسورة أو مضمومة . فأما الفتح فلا يُعرف ذلك فى كلام العرب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۝٥٧ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٥٨ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا ۙ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ۝٦٠﴾

يقول تعالى ذكره : قال إبرهيم للملائكة : فما شأنكم : ما أمركم أيها المرسلون ؟ قالت الملائكة له : إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين : يقول : إلى قوم قد اكتسبوا الكفر بالله ، إلا آل لوط : يقول : إلا أتباع لوط على ما هو عليه من الدين ، فإنا لن نهلكهم ، بل ننجيهم من العذاب الذى أمرنا أن نعذب به قوم لوط ، سوى امرأة لوط قدرنا إنها من الغابرين : يقول : قضى الله فيها إنها لمن الباقين ، ثم هى مهلكة بعد . وقد بينا الغابر فيما مضى بشواهده .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ۝٦١ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٦٢ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٦٣﴾

يقول تعالى ذكره : فلما أتى رسلُ الله آل لوط ، أنكرهم لوط فلم يعرفهم ، وقال لهم : (إنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) : أى ننكركم لانعرفكم ، فقالت له الرسل : بل نحن رسل الله جئناك بما كان فيه قومك يشكون أنه نازل بهم من عذاب الله على كفرهم به .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) قال : أنكرهم لوط . وقوله (بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ) قال : بعذاب قوم لوط .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝٦٤ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۝٦٥﴾

☆ يقول تعالى ذكره : قالت الرسل للوط : وجئناك بالحقّ اليقين من عند الله ، وذلك الحقّ هو العذاب الذى عذّب الله به قوم لوط . وقد ذكرت خبرهم وقصصهم فى سورة هود وغيرها حين بعث الله رسله ليعذّبهم به . وقولهم : (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) يقولون : إنا لصادقون فيما أخبرناك به يا لوط من أن الله مُهلِكٌ قومك (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن رسله أنهم قالوا للوط ، فأسر بأهلك ببقية من الليل ، واتبع يا لوط أدبار أهلك الذين تسرى بهم ، وكن من ورائهم ، وسر خلفهم وهم أمامك ، ولا يلتفت منكم وراءه أحد ، وامضوا حيث يأمركم الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ) لا يلتفت وراءه أحد ، ولا يُعَرِّج .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ) : لا ينظر وراءه أحد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ) قال : أُمر أن يكون خلف أهله ، يتبع أدبارهم فى آخرهم إذا مشوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) قال : بعض الليل (وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ) : أدبار أهله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾

☆ يقول تعالى ذكره : وفرغنا إلى لوط من ذلك الأمر ، وأوحينا أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين : يقول : إن آخر قومك وأوّلهم مجذوذ مستأصل صباح ليلتهم . وأنّ من قوله (أَنَّ دَابِرَ) فى موضع نصب ردّا على الأمر بوقوع القضاء عليها . وقد يجوز أن تكون فى موضع نصب بفقد الخافض ، ويكون معناه : وقضينا إليه ذلك الأمر بأن دابر هؤلاء مقطوع مُصبحين . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله : وقلنا إن دابر هؤلاء مقطوع مُصبحين . وعُنى بقوله (مُصْبِحِينَ) : إذا أصبحوا ، أو حين يصبحون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ) يعنى : استئصال هلاكهم مصبحين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ) قال : أوحينا إليه .

وقوله (وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ) يقول : وجاء أهل مدينة سَدُوم وهم قوم لوط لما سمعوا أن ضيفا قد ضاف لوطا مستبشرين بنزولهم مدينتهم طمعا منهم فى ركوب الفاحشة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ) استبشروا بأضياف نبيّ الله صلى الله عليه وسلم لوط ، حين نزلوا لما أرادوا أن يأتوا إليهم من المنكر .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه : إن هؤلاء الذين جئتموهم تريدون منهم الفاحشة ضيفى ، وحقّ على الرجل إكرام ضيفه ، فلا تفضحون أيها القوم فى ضيفى ، وأكرمونى فى ترككم التعرّض لهم بالمكروه . وقوله (وَاتَّقُوا اللَّهَ) يقول : وخافوا الله فىّ وفى أنفسكم أن يحلّ بكم عقابه (وَلَا تُخْزُونِ) يقول : ولا تذلونى ولا تهينونى فيهم ، بالتعرّض لهم بالمكروه (قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ) يقول تعالى ذكره : قال للوط قومه : أو لم ننهك أن تضيف أحدا من العالمين .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ) قال : ألم ننهك أن تضيف أحدا ؟

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾

يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه : تزوّجوا النساء فأتوهنّ ، ولا تفعلوا ما قد حرّم الله عليكم من إتيان الرجال ، إن كنتم فاعلين ما آمركم به ، ومنتهين إلى أمرى .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ) : أمرهم نبيّ الله لوط أن يتزوّجوا النساء ، وأراد أن يَقِيَ أضيافه ببناته .

وقوله (لَعَمْرُكَ) يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وحياتك يا محمد ، إن قومك من قريش (لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) يقول : لفي ضلالتهم وجهلهم يتردّدون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا سعيد بن زيد ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : ماخلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ، قال الله تعالى ذكره (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق الحضْرمىّ ، قال : ثنا الحسن بن أبى جعفر ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس ، فى قول الله (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) قال : ماحلف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وحياتك يامحمد وعمرك وبقائك فى الدنيا (إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) وهى كلمة من كلام العرب ، لفى سكرتهم : أى فى ضلالتهم يعمهون : أى يلعبون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، قال : سألت الأعمش ، عن قوله (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) قال : لفى غفلتهم يتردّدون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فِي سَكْرَتِهِمْ) قال : فى ضلالتهم يعمهون : قال : يلعبون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال مجاهد (يَعْمَهُونَ) قال : يتردّدون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله : (لَعَمْرُكَ) يقول : لَعَيْشُكَ (إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) قال : يتمادَوْن .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كانوا يكرهون أن يقول الرجل : لعمرى ، يرونه كقوله : وَحَيَاتِى .

وقوله (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ) يقول تعالى ذكره : فأخذتهم صاعقة العذاب ، وهى الصيحة مشرقين : يقول : إذ أشرقوا ، ومعناه : إذ أشرقت الشمس ، ونصب مشرقين ومصبحين على الحال بمعنى : إذ أصبحوا ، وإذ أشرقوا ، يقال منه : صيح بهم : إذا أهلكوا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ) قال : حين أشرقت الشمس ذلك مشرقين .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : فجعلنا عالى أرضهم سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل [1] .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) أى من طين .

وقوله (إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) يقول : إن فى الذى فعلنا بقوم لوط من إهلاكهم وأحللنا بهم من العذاب لعلامات ودلالات للمتفرّسين المعتبرين بعلامات الله ، وعبره على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به . وإنما يعنى تعالى ذكره بذلك قوم نبىّ الله صلى الله عليه وسلم من قريش ؛ يقول : فلقومك يا محمد فى قوم لوط ، وما حلّ بهم من عذاب الله حين كذّبوا رسولهم ، وتمادوا فى غيهم وضلالهم ، مُعْتَبَر .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (لِلْمُتَوَسِّمِينَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الأعلى بن واصل قال : ثنا يعلى بن عبيد ، قال : ثنا عبد الملك بن أبى سليمان ، عن قيس ، عن مجاهد ، فى قوله (إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) قال : للمتفرّسين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عبدالملك ؛ وحدثنا الحسن الزعفرانى ، قال : ثنى محمد ابن عبيد ، قال : ثنى عبدالملك ، عن قيس ، عن مجاهد (إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) قال : للمتفرّسين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) لعل الأصل (من سجيل) : أى من طين ، كما يظهر بتأمل .

حدثنا القاسم ، قال: ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : المتوسمين : المتفرّسين . قال : توسّمت فيك الخير نافلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن قيس ، عن مجاهد ﴿ إنَّ في ذلكَ لآياتٍ للمُتَوَسِّمِينَ ﴾ قال : المتفرّسين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال: ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ﴿ إنَّ في ذلكَ لآياتٍ للمُتَوَسِّمِينَ ﴾ يقول : للناظرين .

حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا محمد بن يزيد، عن جويبر ، عن الضحاك ﴿ للمُتَوَسِّمِينَ ﴾ قال للناظرين.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ إنَّ في ذلكَ لآياتٍ للمُتَوَسِّمِينَ ﴾ : أي للمعتبرين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ﴿ للمُتَوَسِّمِينَ ﴾ قال : للمعتبرين .

حدثني محمد بن عُمارة ، قال : ثني حسن بن مالك ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ فإنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ . ثم قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنَّ في ذلكَ لآياتٍ للمُتَوَسِّمِينَ ﴾» .

حدثنا أحمد بن محمد الطُّوسي ، قال : ثنا محمد بن كثير مولى بني هاشم، قال : ثنا عمرو بن قيس المَلاَئي ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا الفُرات بن السائب ، قال : ثنا ميمون بن مهران، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ فإنَّ المُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ » .

حدثنا عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثني سعيد بن محمد الجَرْميّ ، قال: ثنا عبد الواحد بن واصل ، قال : ثنا أبو بشر المزلق ، عن ثابت البُنَانيّ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ لله عِبَاداً يَعْرِفُونَ النَّاسَ بالتَّوَسُّمِ » .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ﴿ إنَّ في ذلكَ لآياتٍ للمُتَوَسِّمِينَ ﴾ قال: المتفكرون والمعتبرون الذين يتوسمون الأشياء ، ويتفكرون فيها ويعتبرون.

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿ للمُتَوَسِّمِينَ ﴾ يقول : للناظرين .

حدثني أبو شرحبيل الحمْصِيّ ، قال: ثنا سليمان بن سلمة ، قال : ثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبيّ ، قال : ثنا أبو المعلّى أسد بن وداعة الطائيّ ، قال : ثنا وهب بن منبه ، عن طاوس بن كيسان ،

عن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، وينطق بتوفيق الله».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾

يقول تعالى ذكره: وإن هذه المدينة، مدينة سدوم، لبطريق واضح مقيم يراها المجتاز بها لاخفاء بها، ولا يبرح مكانها، فيجهل ذو لب أمرها، وغب معصية الله، والكفر به.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء؛ وحدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا ورقاء؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء؛ وحدثنى المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، وحدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبوعاصم، قال: ثنا عيسى، جميعاً عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (وإنها لبسبيل مقيم) قال: لبطريق معلم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وإنها لبسبيل مقيم) يقول: بطريق واضح.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد فى قوله (وإنها لبسبيل مقيم) قال: طريق: السبيل: الطريق.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (لبسبيل مقيم) يقول: بطريق معلم.

وقوله (إن فى ذلك لآية للمؤمنين) يقول تعالى ذكره: إن فى صنيعنا بقوم لوط ما صنعنا بهم، لعلامة ودلالة بينة لمن آمن بالله على انتقامه من أهل الكفر به، وإنقاذه من عذابه، إذا نزل بقوم أهل الإيمان به منهم.

كما حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن سماك، عن سعيد بن جبير، فى قوله (إن فى ذلك لآية) قال: هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بينى وبينكم أن أرسل إليكم خاتمى، أو آية كذا وكذا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبوأسامة، عن سفيان، عن سماك، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (إن فى ذلك لآية) قال: أما ترى الرجل يرسل بخاتمه إلى أهله فيقول: هاتوا كذى، هاتوا كذى، فإذا رأوه علموا أنه حق.

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ۝ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : وقد كان أصحاب الغَيْضة ظالمين ، يقول : كانوا بالله كافرين ، والأيكة : الشجر الملتفّ المجتمع ، كما قال أمية :

كَبُكا الحَمامِ عَلى فُرُو عِ الأَيْكِ فى الغُصُنِ الجَوَانِحْ (١)

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، قال ، قوله (أَصْحَابُ الأَيْكَةِ) قال : الشجر ، وكانوا يأكلون فى الصيف الفاكهة الرطبة ، وفى الشتاء اليابسة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ) ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة . وكان عامّة شجرهم هذا الدَّوْم . وكان رسولهم فيما بلغنا شُعَيب صلى الله عليه وسلم ، أرسل إليهم وإلى أهل مدين ، أرسل إلى أمتين من الناس ، وعذّبتا بعذابين شتى . أما أهل مدين ، فأخذتهم الصيحة ؛ وأما أصحاب الأيكة ، فكانوا أهل شجر متكاوس ؛ ذُكر لنا أنه سلّط عليهم الحرّ سبعة أيام ، لا يظلهم منه ظلّ ، ولا يمنعهم منه شيء ، فبعث الله عليهم سحابة ، فحلّوا تحتها يلتمسون الرَّوْح فيها ، فجعلها الله عليهم عذابا ، بعث عليهم نارا ، فاضطرمت عليهم فأكلتهم ، فذلك عذاب يوم الظلّة ، إنه كان عذاب يوم عظيم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه عن سعيد بن جبير ، قال : أصحاب الأيكة : أصحاب غَيْضَة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ) قال : قوم شعيب . قال ابن عباس : الأيكة ذات آجام وشجر كانوا فيها .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أَصْحَابُ الأَيْكَةِ) قال : هم قوم شعيب ، والأيكة : الغيضة .

---

(١) البيت لأمية بن أبى الصلت الثقفى ، ولم أجده فى ديوانه ، ووجدته فى سيرة ابن هشام (٣ : ٣١ طبعة الحلبى) من قصيدة له يرثى بها قتلى بدر وأولها :

أَلاَّ بَكَيْتِ عَلى الكِرا مِ بَنِى الكِرامِ أُولى المَمادِحْ

كبكا الحمام . . . البيت . والأيك : الشجر الملتف ، واحدته أيكة . والجوانح : الموائل . يقول : جنح : إذا مال . وفى (اللسان أيك) : الأيكة : الشجر الكثير الملتف . وقيل : هى الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر ، وخص بعضهم به منبت الأثل ومجتمعه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عمرو بن عبدالله ، عن قتادة ، أنه قال : إن أصحاب الأيكة ، والأيكة : الشجر الملتف .

وقوله (فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ) يقول تعالى ذكره : فانتقمنا من ظلمة أصحاب الأيكة . وقوله (وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ) يقول : وإن مدينة أصحاب الأيكة ، ومدينة قوم لوط ، والهاء والميم فى قوله (وَإِنَّهُمَا) من ذكر المدينتين (لَبِإِمَامٍ) يقول : لبطريق يأتمون به فى سفرهم ، ويهتدون به (مُبِينٍ) يقول : يبين لمن ائتم به استقامته ، وإنما جعل الطريق إماما لأنه يؤم ويتبع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ) يقول : على الطريق .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ) يقول : طريق ظاهر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ) قال : بطريق معلم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ) قال : طريق واضح .

حُدثت عن الحسين قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ) بطريق مستبين .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٨١ ﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد كذب سكان الحجر ، وجعلوا لسكناهم فيها ومقامهم بها أصحابها ، كما قال تعالى ذكره (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا) فجعلهم أصحابها لسكناهم فيها ومقامهم بها ، والحجر : مدينة ثمود .

وكان قتادة يقول فى معنى الحجر ، ماحدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة : أصحاب الحجر : قال : أصحاب الوادى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، وهو يذكر الحجر

مساكن ثمود قال: قال سالم بن عبدالله: إن عبد الله بن عمر قال: «مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاتَدْخُلُوا مَساكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أنفسَهم إلاّ أنْ تَكُونُوا باكِينَ حَذَرًا أنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أصابَهُمْ، ثم زجر فأسرع حتى خلفها».

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصرىّ، قال: ثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن أبى عباد المكىّ، قال: ثنا داود بن عبدالرحمن، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن ابن سابط، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالحجر: «هَؤُلاءِ قَوْمُ صَالِحٍ أهلكَهُمُ اللهُ إلاّ رَجُلاً كانَ فى حَرَمِ اللهِ مَنَعَهُ حَرَمُ اللهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ، قيل: يا رسول الله من هو؟ قال: أبُو رِغالٍ».

وقوله (وآتَيْناهُمْ آياتِنا فَكانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ) يقول: وأريناهم أدلتنا وحججنا على حقيقة ما بعثنا به إليهم رسولنا صالحا، فكانوا عن آياتنا التى آتيناهموها معرضين لايعتبرون بها ولا يتعظون.

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۝٨٢ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ۝٨٣ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨٤﴾

﴿ يقول تعالى ذكره: وكان أصحاب الحجر، وهم ثمود قوم صالح، (ينحتون مِنَ الجبالِ بُيُوتا آمِنِينَ) من عذاب الله، وقيل: آمنين من الخراب أن تخرب بيوتهم التى نحتوها من الجبال. وقيل: آمنين من الموت. وقوله (فأخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ) يقول: فأخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا من اليوم الرابع من اليوم الذى وُعدوا العذاب، وقيل لهم: تَمَتَّعوا فى داركم ثلاثة أيام. وقوله (فَمَا أغْنَى عَنْهُمْ ماكانُوا يَكْسِبُونَ) يقول: فما دفع عنهم عذاب الله ماكانوا يجترحون من الأعمال الخبيثة قبل ذلك.

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ۝٨٥ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٨٦﴾

﴿ يقول تعالى ذكره: وما خلقنا الخلائق كلها، سماءها وأرضها، ما فيهما وما بينهما، يعنى بقوله (وَمَا بَيْنَهُما) مما فى أطباق ذلك (إلاّ بالحَقّ) يقول: إلا بالعدل والإنصاف، لابالظلم والجور. وإنما يعنى تعالى ذكره بذلك: أنه لم يظلم أحدا من الأمم التى اقتصّ قَصَصَها فى هذه السورة، وقصص إهلاكه إياها بما فعل به من تعجيل النقمة له على كفره به، فيعذّبه ويهلكه بغير استحقاق، لأنه لم يخلق السموات والأرض وما بينهما بالظلم والجور، ولكنه خلق ذلك بالحقّ والعدل. وقوله (وإنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ

فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن الساعة ، وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة لجائية ، فارض بها لمشركى قومك الذين كذّبوك، وردّوا عليك ماجئتهم به من الحقّ (فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ) يقول : فأعرض عنهم إعراضا جميلا ، واعف عنهم عفوًا حسناً وقوله (إنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ) يقول تعالى ذكره : إن ربك هو الذى خلقهم وخلق كلّ شيء ، وهو عالم بهم وبتدبيرهم ، وما يأتون من الأفعال . وكان جماعة من أهل التأويل تقول : هذه الآية منسوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ) ثم نسخ ذلك بعد ، فأمره الله تعالى ذكره بقتالهم، حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، لايقبل منهم غيره .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ)، (فاصْفَحْ عَنْهُمْ ،وقُلْ سَلامٌ،فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ. وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ) و (قُلْ للذين آمنوا يغفروا للَّذِينَ لا يَرجُونَ أيَّامَ الله) وهذا النحوُ كله فى القرآن أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك منه ، حتى أمره بالقتال ، فنسخ ذلك كله . فقال (خُذُوهُمْ واحْصُرُوهُمْ ، وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر، عن مجاهد (فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ) قال : هذا قبل القتال .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان بن عيينة ، فى قوله (فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ) وقوله (وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ) قال : كان هذا قبل أن ينزل الجهاد . فلما أمر بالجهاد قاتلهم فقال : « أنا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ ونَبِيُّ المَلْحَمَةِ ، وبُعِثْتُ بالحَصَادِ ولَمْ أُبْعَثْ بالزِّرَاعَةِ » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾

اختلف أهل التأويل فى معنى السبع الذى آتى الله نبيه صلى الله عليه وسلم من المثانى ؛ فقال بعضهم: عنى بالسبع : السبع السور من أوّل القرآن اللواتى يُعرفن بالطول. وقائلو هذه المقالة مختلفون فى المثانى ، فكان بعضهم يقول : المثانى هذه السبع ، وإنما سمين بذلك لأنهن تُثْنَى فيهن الأمثالُ والخبرُ والعِبَر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن يونس ، عن ابن سيرين ، عن ابن مسعود فى قوله (ولَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعا مِنَ المَثانِي) قال : السبع : الطُّوَل

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن سعيد الجريريّ ، عن رجل ، عن ابن عمر قال : السبع : الطُّوَل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) قال : السبع : الطُّوَل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن الحجاج ، عن الوليد بن العيزار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : هنّ السبع الطُّوَل ، ولم يُعطَهن أحد إلا النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأُعطىَ موسى منهنّ اثنتين .

حدثنا ابن وكيع ، وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مسلم البَطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أوتى النبيّ صلى الله عليه وسلم سبعا من المثانى الطُّوَل ، وأوتى موسى ستا ، فلما ألقى الألواح رفعت اثنتان وبقيت أربع .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علىّ بن عبد الله بن جعفر ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) قال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف . قال إسرائيل : وذكر السابعة فنسيتها .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) قال : هى الطُّوَل : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) قال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس ، فيهنّ الفرائض والحدود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن ابن أبى خالد ، عن خوّات ، عن سعيد بن جبير ، قال : السبع : الطُّوَل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال أبو بشر : أخبرنا عن سعيد بن جبير ، قال : هنّ السبع الطُّوَل . قال : وقال مجاهد : هن السبع الطُّوَل . قال : ويقال : هنّ القرآن العظيم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا سعيد ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (سَبْعًا

مِنَ المَثَانِي) قال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس، تُثْنَى فيها الأحكام والفرائض .

حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : هن السبع الطُّوَل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (سَبْعاً مِنَ المَثَانِي) قال : البقرة، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس . قال : قلت : ما المثاني ؟ قال : يثنى فيهنّ القضاء والقَصَص .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي والقُرْآنَ العَظِيمَ) قال : البقرة وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : السبع الطُّوَل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبوخالد القرشي ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبوخالد ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس . قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد، قال : هي السبع الطُّوَل .

حدثنا الحسن بن محمد بن عبيد الله ، قال : ثنا عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد، في قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي) قال : هي السبع الطُّوَل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، في قول الله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي والقُرْآنَ العَظِيمَ) قال : من القرآن السبع الطُّوَل السبع الأُوَل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل وابن نمير ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، قال : هنّ السبع الطُّوَل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : السبع الطُّوَل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن نمير ، عن سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : هي الأمثال والخَبَر والعِبَر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن إسماعيل ، عن خوّات ، عن سعيد بن جبير ، قال : هي السبع الطُّوَل ، أعطِيَ موسى ستا ، وأُعطِيَ محمد صلى الله عليه وسلم سبعا .

حُدِثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (سَبْعا مِنَ المَثانِي) يعني السبع الطُّوَل .

وقال آخرون : عنى بذلك : سبع آيات وقالوا : هن آيات فاتحة الكتاب ، لأنهنّ سبع آيات ، وهم أيضا مختلفون في معنى المثاني ، فقال بعضهم : إنما سمين مثاني لأنهن يثنين في كلّ ركعة من الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا ابن علية ، عن سعيد الجريري ، عن أبي نضرة ، قال : قال رجل منا يقال له : جابر أو جويبر طلبت إلى عمر حاجة في خلافته ، فقدمت المدينة ليلا ، فمثلت بين أن أتخذ منزلا وبين المسجد ، فاخترت المسجد منزلا ، فأرقت نشوا من آخر الليل ، فإذا إلى جنبي رجل يصلي يقرأ بأمّ الكتاب ، ثم يسبح قدر السورة ، ثم يركع ولا يقرأ ، فلم أعرفه حتى جَهَر ، فإذا هو عُمر ، فكانت في نفسي ، فغدوت عليه فقلت : يا أمير المؤمنين حاجة مع حاجة ، قال : هات حاجتك ، قلت : إني قدِمت ليلا فمثلت بين أن أتخذ منزلا وبين المسجد ، فاخترت المسجد ، فأرقت نَشْوا من آخر الليل ، فاذا إلى جنبي رجل يقرأ بأمّ الكتاب ، ثم يسبح قدر السورة ثم يركع ولا يقرأ ، فلم أعرفه حتى جَهَر ، فإذا هو أنت ، وليس كذلك نفعل قِبَلنا ، قال : وكيف تفعلون ؟ قال : يقرأ أحدنا أمّ الكتاب ، ثم يفتتح السورة فيقرؤها ، قال : ما لهم يعلَمُون ولا يعمَلُون ، ما لهم يعلَمون ولا يعمَلُون ، مالهم يعلَمُون ولا يعمَلُون ، وما تبغي عن السبع المثاني ، وعن التسبيح صلاة الخلق .

حدثني طُلَيق بن محمد الواسطيّ ، قال : أخبرنا يزيد ، عن الجريريّ ، عن أبي نضرة ، عن جابر أوجويبر ، عن عُمَر بنحوه ، إلا أنه قال : فقال يقرأ القرآن ما تيسر أحيانا ، ويسبح أحيانا ، مالهم رغبة عن فاتحة الكتاب ، وما يبتغي بعد المثاني ، وصلاة الخلق : التسبيح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السديّ ، عن عبد خير ، عن عليّ ، قال : السبع المثاني : فاتحة الكتاب .

حدثنا نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا حفص بن عمر ، عن الحسن بن صالح وسفيان ، عن السديّ ، عن عبد خير ، عن عليّ مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السديّ ، عن عبد خير ، عن عليّ مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ؛ وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد جميعا ، عن سفيان ، عن السديّ ، عن عبد خير ، عن عليّ ، مثله .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا هشام ، عن ابن سيرين ، قال : سئل ابن مسعود عن سبع من المثانى ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، فى قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب ، قال : وقال ابن سيرين عن ابن مسعود : هى فاتحة الكتاب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن يونس ، عن ابن سيرين ، عن ابن مسعود (سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب .

حدثني سعيد بن يحيى الأُمَوِىّ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا ابن جريج ، قال : أخبرنا أبى ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، أنه قال فى قول الله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) قال : هى فاتحة الكتاب ، فقرأها علىّ ستا ، ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة ، قال سعيد : وقرأها ابن عباس علىّ كما قرأها عليك ، ثم قال الآية السابعة : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال ابن عباس : قد أخرجها الله لكم وما أخرجها لأحد قبلكم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن جريج ، أن أباه حدّثه ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال لى ابن عباس : فاستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قرأ فاتحة الكتاب ، ثم قال : تدرى ما هذا (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى . قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي) يقول : السبع : الحمد لله ربّ العالمين ، والقرآن العظيم . ويقال : هنّ السبع الطول ، وهن المثون .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثني عمران بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا إسحاق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر ، وعن أبى فاختة فى هذه الآية (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) قالا : هى أمّ الكتاب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن السدىّ عمن سمع عليا يقول : الحمد لله ربّ العالمين ، هى السبع المثانى .

حدثنا أبو المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت العلاء بن عبد الرحمن ، يحدّث عن أبيه ، عن أُبىّ بن كعب ، أنه قال : السبع المثانى : الحمد لله ربّ العالمين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، فى قول الله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب سبع آيات ، قلت للربيع : إنهم يقولون : السبع الطول ، فقال : لقد أنزلت هذه ، وما أنزل من الطول شيء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : فاتحة الكتاب . قال : وإنما سميت المثانى ، لأنه يثنى بها كلما قرأ القرآن قرأها ، فقيل لأبي العالية : إن الضحاك بن مزاحمَ يقول : هى السبع الطُّوَل ، فقال : لقد نزلت هذه السورة سبعا من المثانى وما أنزل شىء من الطُّوَل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي جميعا ، عن سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم مثله

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ؛ وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد جميعا ، عن هارون بن أبي إبراهيم البربرى ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : السبع من المثانى : فاتحة الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن ابن جريج ، عن أبي مليكة (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب . قال : وذكر فاتحة الكتاب لنبيكم صلى الله عليه وسلم لم تذكر لنبىّ قبله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، فى قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب .

حدثنى محمد بن أبي خداش ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا هارون البربرى ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى فى قول الله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) قال : هى الحمد لله ربّ العالمين .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : سألت الحسن ، عن قوله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) قال : هى فاتحة الكتاب ، ثم سئل عنها وأنا أسمع ، فقرأها الحمد لله ربّ العالمين ، حتى أتى على آخرها ، فقال : تثنى فى كلّ قراءة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : فاتحة الكتاب

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) ذكر لنا أنهنّ فاتحة الكتاب ، وأنهن يثنين فى كلّ قراءة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب تُثْنَى فى كلّ ركعة مكتوبة وتطوّع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد بن زيد وحجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى أبي

عن سعيد بن جبير ، أنه أخبره أنه سأل ابن عباس ، عن السبع المثانى . فقال : أمّ القرآن ، قال سعيد : ثم قرأها ، وقرأ منها : (بسم الله الرحمن الرحيم) قال أبى : قرأها سعيد كما قرأها ابن عباس ، وقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم . قال سعيد : قلت لابن عباس : فما المثانى؟ قال : هى أمّ القرآن ، استثناها الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فرفعها فى أمّ الكتاب ، فذخرها لهم حتى أخرجها لهم ، ولم يعطها لأحد قبله . قال : قلت : لأبى : أخبرك سعيد أن ابن عباس قال له : بسم الله الرحمن الرحيم ، آية من القرآن ؟ قال : نعم . قال ابن جريج : قال عطاء : فاتحة الكتاب ، وهى سبع ببسم الله الرحمن الرحيم ، والمثانى : القرآن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء ، أنه قال : السبع المثانى : أمّ القرآن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد الله العتكى ، عن خالد الحنفى قاضى مرو فى قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب .

وقال آخرون : عنى بالسبع المثانى : معانى القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الشهيد الشهيدىّ ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن زياد بن أبى مريم ، فى قوله (سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) قال : أعطيتك سبعة أجزاء : مُرْ ، وانْهَ ، وبَشِّرْ ، وأنذِرْ ، واضرب الأمثال ، واعدُد النعم ، وآتيتك نبأ القرآن .

وقال آخرون : من الذين قالوا عُنِى بالسبع المثانى : فاتحة الكتاب المثانى هو القرآن العظيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن أبى مالك ، قال : القرآن كله مثانى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن حصين ، عن أبى مالك ، قال : القرآن كُلُّه مثانى .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبيد أبو زيد ، عن حصين ، عن أبى مالك ، قال : القرآن مثانى ، وعدّ البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف وبراءة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، وعن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : القرآن كله يُثَنَّى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : المثانى : ما ثنى من القرآن ، ألم تسمع لقول الله تعالى ذكره (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : المثانى : القرآن ، يذكر الله القصة الواحدة مرارا ، وهو قوله (نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ) .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : عنى بالسبع المثانى : السبع اللواتى هنّ آيات

أم الكتاب، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى حدثنيه يزيد بن مخلد بن خداش الواسطى، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن العلاء، عن أبيه، عن أبى هريرة. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أُمُّ القُرآنِ السَّبْعُ المَثانِي الَّتِي أُعْطِيتُها ».

حدثنى أحمد بن المقدام العجلى، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا روح بن القاسم، عن أبيه، عن أبى هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأُبىّ: « إِنِّى أُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلا فِي الإِنْجِيلِ وَلا فِي الزَّبُورِ وَلا فِي الفُرْقانِ مِثْلُها، قال: نعم يا رسول الله، قال: إِنِّى لَأَرْجُو أَنْ لا تَخْرُجَ مِنْ هٰذَا البابِ حَتَّى تَعْلَمَها، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى يحدثنى، فجعلت أتباطأ مخافة أن يبلغ البابَ قبل أن ينقضى الحديث؛ فلما دنوت قلت: يا رسول الله ما السورة التى وعدتنى؟ قال: ما تَقرأُ فى الصَّلاةِ؟ فقرأت عليه أمّ القرآن، فقال: والَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ ما أُنْزِلَ فى التَّوْراةِ ولا فى الإِنْجِيلِ ولا فى الزَّبُورِ ولا فىالفُرْقانِ مِثْلُها، إِنَّها السَّبْعُ مِنَ المَثانِى والقُرآنِ العَظِيمِ الَّذِى أُعْطِيتُهُ ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا زيد بن حباب العكلى، قال: ثنا مالك بن أنس، قال: أخبرنى العلاء ابن عبد الرحمن بن يعقوب مولى لعروة، عن أبى سعيد مولى عامر بن فلان، أو ابن فلان، عن أبىّ بن كعب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: « إذا افْتَتَحْتَ الصَّلاةَ بِمَ تَفْتَتِحُ؟ قال: الحمد لله ربّ العالمين، حتى ختمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هِيَ السَّبْعُ المَثانى والقُرآنُ العَظِيمُ الَّذِى أُعْطِيتُ ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبيه، عن أبى هريرة، عن أبىّ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ألا أُعَلِّمُكَ سُورَةً ما أُنْزِلَ فى التَّوْراةِ ولا فى الإِنْجِيلِ وَلا فى الزَّبُورِ، ولا فى الفُرْقانِ مِثْلُها؟ قلت: بلى، قال: إِنِّى لَأَرْجُو أَنْ لا تَخْرُجَ مِنْ ذٰلِكَ البابِ حَتَّى تَعْلَمَها، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمت معه، فجعل يحدثنى ويده فى يدى، فجعلت أتباطأ كراهية أن يخرج قبل أن يخبرنى بها؛ فلما قرب من الباب قلت: يا رسول الله السورة التى وعدتنى، قال: كَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلاةَ؟ قال: فقرأ فاتحة الكتاب، قال: هِيَ هِيَ، وَهِيَ السَّبْعُ المَثانِي الَّتِي قالَ اللهُ تَعالى (وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ المَثانِي والقُرآنَ العَظِيمَ - الَّذِى أُوتِيتُ) ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا المحاربىّ، عن إبراهيم بن الفضل المدنىّ، عن سعيد المقبرى، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « الرَّكْعَتانِ اللَّتانِ لا يُقْرَأُ فِيهِما كالخِداجِ لَمْ يُتِمَّا، قال رجل: أرأيت إن لم يكن معى إلا أمّ القرآن؟ قال: هى حسبك هِيَ أُمُّ القُرآنِ، هِيَ السَّبْعُ المَثانِي ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن نمير، عن إبراهيم بن الفضل، عن المقبرى، عن أبى هريرة، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرَّكْعَةُ الَّتِي لايُقْرَأُ فِيها كَالخِدَاجِ » قلت لأبى هريرة : فإن لم يكن معى إلا أمّ القرآن ؟ قال : هى حسبك ، هى أمّ الكتاب ، وأمّ القرآن ، والسبع المثانى .

حدثنى أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ ، ما أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ وَلا فِي الإِنْجِيلِ وَلا فِي الزَّبُورِ وَلا فِي الفُرْقَانِ مِثْلَها ، يعنى أمّ القرآن، وإِنَّها لَهِيَ السَّبْعُ المَثانِي الَّتِي آتانِي اللهُ تَعالى » .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن أبى ذئب ، عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : « هِيَ أُمُّ القُرْآنِ ، وهِيَ فاتِحَةُ الكِتابِ ، وهِيَ السَّبْعُ المَثانى » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن هارون وشبابة ، قالا : أخبرنا ابن أبى ذئب ، عن المقبرىّ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى فاتحة الكتاب قال : « هِيَ فاتِحَةُ الكِتابِ وهِيَ السَّبْعُ المَثانِي والقُرْآنُ العَظِيمُ » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، قال : ثنا العلاء ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبىّ بن كعب فقال : « أَتُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فى التَّوْرَاةِ ولا فى الإِنْجِيلِ ولا فى الزَّبُورِ ولا فى الفُرْقانِ مِثْلُها ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال : فَكَيْفَ تَقْرَأُ فى الصَّلاةِ ؟ فقرأت عليه أمّ الكتاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فِي التَّوْرَاةِ وَلا فِي الإِنْجِيلِ وَلا فِي الزَّبُورِ ، وَلا فِي الفُرْقانِ مِثْلُها ، وإِنَّها السَّبْعُ المَثانِي والقُرْآنُ العَظِيمُ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا سعيد بن حبيب ، عن حفص بن عاصم ، عن أبى سعيد بن المعلى، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم دعاه وهو يصلى ، فصلى ، ثم أتاه فقال : «ما مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي ؟ قال : إنى كنت أصلى، قال : أَلَمْ يَقُلِ اللهُ (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ ولِلرَّسُولِ إِذَا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ) قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ ، فكأنه بينها أو نسى ، فقلت : يا رسول الله الذى قلت : قال : الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ المَثانِي والقُرآنُ العَظِيمُ الَّذِى أُوتِيتُهُ » .

⁂ فإذ كان الصحيح من التأويل فى ذلك ماقلنا للذى به استشهدنا ، فالواجب أن تكون المثانى مرادا بها القرآن كله ، فيكون معنى الكلام : ولقد آتيناك سبع آيات مما يَثْنِي بعض آيه بعضا. وإذا كان ذلك كذلك كانت المثانى : جمع مَثْناة، وتكون آى القرآن موصوفة بذلك ، لأن بعضها يَثْنِي بعضا، وبعضها يتلو بعضا بفصول تفصل بينها ؛ فيعرف انقضاء الآية وابتداء التى تليها ، كما وصفها به تعالى ذكره فقال (اللهُ نَزَّلَ

أحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) وقد يجوز أن يكون معناها كما قال ابن عباس والضحاك: ومن قال ذلك أن القرآن إنما قيل له مثانى لأن القصص والأخبار كرّرت فيه مرّة بعد أخرى . وقد ذكرنا قول الحسن البصرىّ أنها إنما سميت مثانى ، لأنها تُثَنّى فى كلّ قراءة . وقول ابن عباس: إنها إنما سميت مثانى ، لأن الله تعالى ذكره استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم دون سائر الأنبياء غيره ، فادّخرها له .

وكان بعض أهل العربية ، يزعم أنها سميت مَثَانِيَ ، لأن فيها الرحمن الرحيم مرّتين ، وأنها تُثَنّى فى كلّ سورة ، يعنى : بسم الله الرحمن الرحيم .

وأما القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك ، فهو أحد أقوال ابن عباس ، وهو قول طاوس ومجاهد وأبى مالك ، وقد ذكرنا ذلك قبل .

وأما قوله (والقُرْآنَ العَظِيمَ) فإن القرآن معطوف على السبع بمعنى : ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن ، وغير ذلك من سائر القرآن .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (والقُرْآنَ العَظِيمَ) قال : سائره : يعنى سائر القرآن مع السبع من المثانى .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (والقُرْآنَ العَظِيمَ) يعنى : الكتاب كله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا تتمنينّ يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك ، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يتمتعون فيها ، فإن مِنْ ورائهم عذاباً غليظاً (وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) يقول : ولا تحزن على ما مُتِّعوا به ، فعجّل لهم ، فإن لك فى الآخرة ما هو خير منه ، مع الذى قد عجّلنا لك فى الدنيا من الكرامة بإعطائنا السبع المثانى والقرآن العظيم ، يقال منه : مدّ فلانٌ عينه إلى مال فلان : إذا اشتهاه وتمناه وأراده .

وذُكر عن ابن عيينة أنه كان يتأوّل هذه الآية قولَ النبىّ صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بالقُرآنِ » : أى من لم يستغن به ، ويقول : ألا تَرَاهُ يَقُولُ (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعا مِنَ المَثانِي والقُرْآنَ العَظِيمَ . لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أزْوَاجا مِنْهُمْ) » فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال . قال : ومنه قول الآخر : من أوتى القرآن ، فرأى أن أحدا أعطى أفضل مما أعطى ، فقد عظّم صغيرا وصغّر عظيما .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (أَزْوَاجاً) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ) : الأغنياء الأمثال الأشباه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ) قال : نُهِىَ الرجل أن يتمنى مال صاحبه .

وقوله (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وألِن لمن آمن بك ، واتبعك واتبع كلامك ، وقرّبهم منك ، ولا تجف بهم ، ولا تَغْلُظ عليهم . يأمره تعالى ذكره بالرفق بالمؤمنين . والجناحان من بنى آدم : جنباه ، والجناحان : الناحيتان ، ومنه قول الله تعالى ذكره (وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ) قيل : معناه : إلى ناحيتك وجنبك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد للمشركين : إنى أنا النذير الذى قد أبان إنذاره لكم من البلاء والعقاب أن ينزل بكم من الله على تماديكم فى غيكم ، كما أنزلنا على المقتسمين : يقول : مثل الذى أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب على الذين اقتسموا القرآن ، فجعلوه عِضِين .

ثم اختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بقوله (الْمُقْتَسِمِينَ) ، فقال بعضهم : عنى به : اليهود والنصارى ، وقال : كان اقتسامهم أنهم اقتسموا القرآن وعضوه ، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عيسى بن عثمان الرملى ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن أبى ظَبْيان ، عن ابن عباس ، فى قول الله (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : هم اليهود والنصارى ، آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ . الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : هم أهل الكتاب ، جزّءوه فجعلوه أعضاء أعضاء ، فآمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، فى قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ) قال : الذين آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : (المُقْتَسِمِينَ) أهل الكتاب (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ) قال : يؤمنون ببعض ، ويكفرون ببعض .

حدثني مطر بن محمد الضَّبِّيُّ ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو بشر ، عن سعيد ابن جبير ، أنه قال فى قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ) قال : هم أهل الكتاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قال فى هذه الآية (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ) قال : هم أهل الكتاب آمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ) قال : هم أهل الكتاب جزّءوه فجعلوه أعضاء . فآمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : جزّءوه فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال : هم أهل الكتاب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمى ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ) قال : هم اليهود والنصارى من أهل الكتاب قسموا الكتاب ، فجعلوه أعضاء ، يقول : أحزابا ، فآمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (المُقْتَسِمِينَ) آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ، وفرقوا الكتاب .

وقال آخرون (المُقْتَسِمِينَ) : أهل الكتاب ، ولكنهم سموا المقتسمين ، لأن بعضهم قال استهزاء بالقرآن : هذه السورة لى ، وقال بعضهم : هذه لى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ) قال : كانوا يستهزءون ، يقول هذا : لى سورة البقرة ، ويقول هذا : لى سورة آل عمران .

وقال آخرون : هم أهل الكتاب ، ولكنهم قيل لهم : المقتسمون : لاقتسامهم كتبهم ، وتفريقهم ذلك بإيمان بعضهم ببعضها ، وكفره ببعض ، وكفر آخرين بما آمن به غيرهم ، وإيمانهم بما كفر به الآخرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ . الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) قال : هم اليهود والنصارى ، قسموا كتابهم ، ففرّقوه ، وجعلوه أعضاء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثني الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحُذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ) قال : أهل الكتاب فرقوه وبدّلوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ) قال : أهل الكتاب .

وقال آخرون : عُنِي بذلك رهط من كفار قريش بأعيانهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى المُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) رهط خمسة من قريش ، عَضَّهُوا كتاب الله .

وقال آخرون : عُنِيَ بذلك رهط من قوم صالح الذين تقاسموا على تبييت صالح وأهله .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ) قال : الذين تقاسموا بصالح ، وقرأ قول الله تعالى (وكَانَ فِي المَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ) قال : تقاسموا بالله حتى بلغ الآية .

وقال بعضهم : هم قوم اقتسموا طرق مكة أيام قدوم الحاجّ عليهم ، كان أهلها بعثوهم فى عقابها ، وتقدموا إلى بعضهم أن يشيع فى الناحية التى توجه إليها لمن سأله عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم من القادمين عليهم ، أن يقول : هو مجنون ، وإلى آخر : إنه شاعر ، وإلى بعضهم : إنه ساحر .

☆ والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعلم قومه الذين عضّوا القرآن ففرقوه ، أنه نذير لهم من سخط الله تعالى وعقوبته ، أن يَحُلَّ بهم على كفرهم ربهم ، وتكذيبهم نبيهم ، ما حلّ بالمقتسمين من قبلهم ومنهم . وجائز أن يكون عنى بالمقتسمين : أهل الكتابين : التوراة والإنجيل ، لأنهم اقتسموا كتاب الله ، فأقرّت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها ، وكذبت بالإنجيل والفرقان ، وأقرّت النصارى ببعض الإنجيل وكذّبت ببعضه وبالفرقان . وجائز أن يكون عُنِي بذلك : المشركون من قريش ، لأنهم اقتسموا القرآن ، فسماه بعضهم شعرا ، وبعض كهانة ، وبعض أساطير الأوّلين . وجائز أن يكون عُنِي به الفريقان ، وممكن أن يكون عُنِيَ به المقتسمون على صالح من قومه ،

فإذ لم يكن فى التنزيل دلالة على أنه عُنى به أحد الفرق الثلاثة دون الآخرين ، ولا فى خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا فى فطرة عقل ، وكان ظاهر الآية محتملا ما وصفت ، وجب أن يكون مقضيا بأن كلّ من اقتسم كتابا لله بتكذيب بعض وتصديق بعض ، واقتسم على معصية الله ممن حلّ به عاجل نقمة الله فى الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية ، فداخل فى ذلك لأنهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله ، كانوا عِبرة ، وللمتعظين بهم منهم عِظَة .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ) فقال بعضهم : معناه : الذين جعلوا القرآن فِرَقا مفترقة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ) قال : فرقا .

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : جزّءوه فجعلوه أعضاء ، فآمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : جزّءوه فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة ، عن عطاء (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ) قال : المشركون من قريش ، عَضَّوُا القرآن فجعلوه أجزاء ، فقال بعضهم : ساحر ، وقال بعضهم : شاعر ، وقال بعضهم : مجنون ، فذلك العِضُون .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ) : جعلوا كتابهم أعضاء كأعضاء الجزور ، وذلك أنهم تقطعوه زبرا ، كل حزب بما لديهم فرحون ، وهو قوله (فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ) عضهوا كتاب الله ، زعم بعضهم أنه سِحْر ، وزعم بعضهم أنه شِعْر ، وزعم بعضهم أنه كاهن .

قال أبو جعفر : هكذا قال كاهن ، وإنما هو كهانة ، وزعم بعضهم أنه أساطير الأوّلين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ) قال : آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنى ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ) قال : جعلوه أعضاء كما تُعَضَّى الشاة . قال بعضهم : كَهانة . وقال بعضهم : هو سحر . وقال بعضهم : شعر . وقال بعضهم (أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا) . . . الآية ، جعلوه أعضاء كما تُعَضَّى الشاة

فوجه قائلو هذه المقالة قوله (عِضِينَ) إلى أن واحدها : عُضْو ، وأن عِضِينَ جمعه ، وأنه مأخوذ من قولهم عَضَّيت الشيء تعضية : إذا فرقته ، كما قال رُؤْبة :

* وليس دينُ اللهِ بالمُعَضَّى [1] *

يعنى بالمفرّق ؛ وكما قال الآخر :

وعَضَّى بَنِي عَوْفٍ فأمَّا عَدُوَّهُمْ فأرْضَى وأمَّا العِزَّ مِنهُمْ فغَيَّرا [2]

يعنى بقوله : وعَضَّى : سبَّاهُمْ ، وقَطَّعاهُمْ بألسنتهما [3] .

وقال آخرون : بل هى جمع عِضَة ، جمعت عِضِين كما جمعت البُرَة بُرِين ، والعِزة عِزِين ، فإذا وُجِّه ذلك إلى هذا التأويل كان أصل الكلام عِضَهَة ، ذهبت هاؤها الأصلية ، كما نقصوا الهاء من الشَّفَة وأصلها شَفَهَة ، ومن الشاة ، وأصلها شاهة ، يدلّ على أن ذلك الأصل تصغيرهم الشفة : شُفَيْهة ، والشاة : شُوَيْهة ، فيردّون الهاءَ التى تسقط فى غير حال التصغير إليها فى حال التصغير ، يقال منه : عَضَهْتُ الرجل أعضَهُه عَضْهاً : إذا بَهَتَّه ، وقذفته بِبُهتان ، وكأن تأويل من تأوّل ذلك كذلك : الذين عَضَهوا القرآن ، فقالوا : هو سِحْر ، أو هو شعر ، نحو القول الذى ذكرناه عن قتادة .

وقد قال جماعة من أهل التأويل : إنه إنما عَنَى بالعَضْه فى هذا الموضع ، نسبتهم إياه إلى أنه سِحْر خاصة دون غيره من معانى الذمّ ، كما قال الشاعر :

* للماءِ مِنْ عِضَاهِنَّ زَمْزَمه [4] *

يعنى : من سِحْرهنّ .

---

(١) البيت لرؤبة فى ديوانه (طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٨١) من أرجوزة له يمدح بها تميما وسعدا ونفسه ، مطلعها : « داينت أروى والديون تقضى » والبيت هو ال ٥١ فيها . واستشهد به أبو عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٣٥٥) عند قوله تعالى « الذين جعلوا القرآن عضين » ، أى عضوه أعضاء ، أى فرقوه فرقا . قال رؤبة : وليس . . . الخ و (فى اللسان : عضا) عضيت الشاة والجزور تعضية : إذا جعلتها أعضاء وقسمتها . وعضى الشيء : وزعه وفرقه ، قال : وليس . . . . البيت . ثم قال : وفى التنزيل : « جعلوا القرآن عضين » أى جزءوه أجزاء ، آمنوا ببعضه ، وكفروا ببعض ، وقال ابن الأعرابى : فرقوا فيه القول ، فقالوا : شعر ، وسحر ، وكهانة فقسموه هذه الأقسام ، وعضوه أعضاء .

(٢) البيت لم أقف على قائله . ولعله للمخبل السعدى وعضى بنى عوف أى سباهم وقسمهم فأرضى عدوهم بذلك ، ومن بنى عوف ، فغير حالهم ، من السيادة إلى المذلة . ولعل رواية الشطر الثانى : « فأرضى وأما العز منهم فغبرا » وغبر بالباء الموحدة ، كما فى بيت المخبل السعدى ، الذى أنشده صاحب اللسان فى غبر ، وهو :

فأنْزَلهُمْ دارَ الضَّياعِ فأصْبَحُوا على مقْعَدٍ مِنْ مَوْطِنِ العِزِّ أغْبَرَا

يقال : عز أغبر : أى ذاهب دارس . يريد أنه سبى فريقا من بنى عوف ، وأذل فريقا منهم .

(٣) قوله : « سباهم وقطعاهم بألسنتهما » : كذا فى الأصل المخطوط (الورقة ٦٥ و جزء ١٤) ، ولعله سهو من المؤلف ، لأن الفعل « عضى » إذا كان من التعضية ، فهو مسند إلى واحد ، ولا يظهر لى أى معنى لجعل المسند إليه مثنى فى كلام المؤلف .

(٤) البيت من مشطور الرجز ، ولم أقف على قائله . استشهد به المؤلف على أن « عضين » فى الآية جمع « عضة » ، ومعناها عند قوم من أهل التأويل : السحر . وقال الفراء (فى معانى القرآن : ١٦٩) والذين جعلوا القرآن عضين » : فرقوه ، إذ جعلوه سحرا وكذبا ، وأساطير الأولين . والعضون فى كلام العرب : السحر بعينه . ويقال : عضوه : أى فرقوه ، كما تعضى الشاة والجزور . وواحد العضين عضة ، رفعها عضون ، ونصبها وخفضها عضين . وفى (اللسان : عضه) : وقال الفراء : العضون فى كلام العرب : السحر وذلك أنه من العضه . اهـ . والزمزمة : الكلام غير البين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : سحرا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عِضِينَ) قال : عَضَهوه وبَهَتُوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كان عكرمة يقول : العَضْه : السحر بلسان قريش ، تقول للساحرة : إنها العاضهة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : سحرا أعضاء الكتب كلها وقريش ، فرقوا القرآن ، قالوا : هو سحر .

❁ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعْلِم قوما عَضَهُوا القرآن أنه لهم نذير من عقوبة تنزل بهم بِعَضْهِهِمْ إياه مثل ما أنزل بالمقتسمين ، وكان عَضْهُهُمْ إياه : قذفهموه بالباطل ، وقيلهم إنه شعر وسحر ، وما أشبه ذلك .

وإنما قلنا : إن ذلك أولى التأويلات به لدلالة ماقبله من ابتداء السورة وما بعده ، وذلك قوله (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) على صحة ما قلنا ، وإنه إنما عُنِىَ بقوله (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) مشركى قومه . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنه لم يكن فى مشركى قومه من يؤمن ببعض القرآن ويكفر ببعض ، بل إنما كان قومه فى أمره على أحد معنيين : إما مؤمن بجميعه ، وإما كافر بجميعه . وإذ كان ذلك كذلك ، فالصحيح من القول فى معنى قوله(الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قول الذين زعموا أنهم عَضَهوه ، فقال بعضهم : هو سحر . وقال بعضهم : هو شعر . وقال بعضهم : هو كهانة ، وما أشبه ذلك من القول ،أو عَضَوْه ففرقوه ، بنحو ذلك من القول . وإذا كان ذلك معناه احتمل قوله عِضِين ، أن يكون جمع : عِضة ، واحتمل أن يكون جمع عُضْو ، لأن معنى التعضية : التفريق ، كما تُعَضى الجزور والشاة ، فتفرق أعضاء . والعَضْه : البَهْت ، ورميه بالباطل من القول ، فهما متقاربان فى المعنى .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فوربك يا محمد لنسألنّ هؤلاء الذين جعلوا القرآن

فى الدنيا عِضين فى الآخرة عما كانوا يعملون فى الدنيا ، فيما أمرناهم به ، وفيما بعثناك به إليهم من آى كتابى الذى أنزلته إليهم ، وفيما دعوناهم إليه من الإقرار به ، ومن توحيدى والبراءة من الأنداد والأوثان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال هل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن بشير ، عن أنس ، فى قوله (فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) قال : عن شهادة أن لاإله إلا الله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن بشير بن نَهيك ، عن أنس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم (فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) قال : عن لاإله إلا الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن بشير ، عن أنس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم نحوه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال : عن لاإله إلا الله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن هلال ، عن عبد الله بن عُكَيْم ، قال : قال عبد الله : والذى لاإله غيره ، مامنكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ، كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، فيقول ابن آدم : ماذا غرّك منى بى ابن آدم ؟ ماذا عملت فيما علمت ابن آدم ؟ ماذا أجبت المرسلين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية (فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال : يُسأل العباد كلهم عن خلّتين يوم القيامة : عما كانوا يعبدون ، وعما أجابوا المرسلين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا الحسين الجعفى ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفى عن ابن عمر (لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال : عن لاإله إلا الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، ثم قال (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) قال : لايسألهم : هل عملتم كذا وكذا ، لأنه أعلم بذلك منهم ، ولكن يقول لهم : لِمَ عملتم كذا وكذا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل الله تعالى ذكره (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) فإنه أمر من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم بتبليغ رسالته قومه ، وجميع من أرسل إليه . ويعنى بقوله (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) : فأمض وافرُق ، كما قال أبو ذُؤَيب :

وكأنّهُنّ رِبابَةٌ وكأنّهُ يَسَرٌ يُفيضُ على القِداح ويَصْدَعُ[1]

(١) البيت فى شعر أبى ذؤيب من ديوان الهذليين ، القسم الأول (طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٥) . والربابة بكسر الراء :

يعني بقوله : يَصْدَعُ : يُفَرِّق بالقداح .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثني معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) يقول : فأمضه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) يقول : افعل ما تؤمر .

حدثني الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) قال : بالقرآن .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأَوْدِىّ ، قال : ثنا يحيى بن إبراهيم ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) قال : هو القرآن .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) قال : بالقرآن .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) قال : الجهر بالقرآن فى الصلاة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) قال : بالقرآن فى الصلاة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) قال : اجهر بالقرآن فى الصلاة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن أخيه عبد الله ابن عبيدة قال : ما زال النبيّ صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ، وأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ) فخرج هو وأصحابه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) قال : بالقرآن الذى يوحى إليه أن يبلغهم إياه ، وقال تعالى ذكره (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) ولم يقل : بما تؤمر به ؛ والأمر يقتضي الباء ، لأن معنى الكلام : فاصدع بأمرنا ، فقد أمرناك أن تدعو إلى مابعثناك به من الدين خلقي ، وأذنّا لك فى إظهاره .

خرقة تغطى بها القداح . ويقال الربابة هنا هى القداح . واليسر : الذى يضرب بالقداح ، وهو المفيض ، ويصدع : يفرق ويصيح ، ويفيض على القداح : أى يدفعها ، ويضرب بها ، ونابت « على » مناب « الباء » والضمير فى كأنهن راجع إلى الأتن المذكورة قبل البيت . وفى كأنه راجع إلى حمار الوحش الذى يطردها ويسوقها أمامه .

ومعنى « ما » التى فى قوله (بِمَا تُؤْمَرُ) معنى المصدر، كما قال تعالى ذكره (يا أبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ) معناه : افعل الأمر الذى تؤمر به. وكان بعض نحويِّ أهل الكوفة يقول فى ذلك : حذفت الباء التى يوصل بها تؤمر من قوله (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) على لغة الذين يقولون: أمرتك أمرا . وكان يقول للعرب فى ذلك لغتان : إحداهما أمرتك أمرا ، والأخرى أمرتك بأمر ، فكان يقول : إدخال الباء فى ذلك وإسقاطها سواء، واستشهد لقوله ذلك بقول حصين بن المنذر الرقاشى ليزيد بن المهلَّب :

أمَرْتُكَ أمْرًا جازما فَعَصَيْتَنِى		فأصْبَحْتَ مَسْلُوبَ الإمارَةِ نادِما[1]

فقال : أمرتك أمرا ، ولم يقل : أمرتك بأمر ، وذلك كما قال تعالى ذكره (ألا إنَّ عادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ) ولم يقل : بربهم ، وكما قالوا : مددت الزمام ، ومددت بالزمام ، وما أشبه ذلك من الكلام .

وأما قوله (وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: بلغ قومك ما أرسلتَ به ، واكفف عن حرب المشركين بالله وقتالهم ، وذلك قبل أن يفرض عليه جهادهم، ثم نَسَخَ ذلك بقوله (فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ) وهو من المنسوخ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ - و- قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِروا للَّذِينَ لايَرْجُونَ أيَّامَ اللهِ) وهذا النحو كله فى القرآن أمر الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك منه ، ثم أمره بالقتال، فنَسَخَ ذلك كله ، فقال (خُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ) . . . الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنا كفيناك المستهزئين يامحمد ، الذين يستهزئون بك ، ويسخرون منك ، فاصدع بأمر الله ، ولا تخف شيئا سوى الله ، فإن الله كافيك من ناصبك وآذاك ، كما كفاك المستهزئين ؛ وكان رؤساء المستهزئين قوما من قريش معروفين .

ذكر أسمائهم

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد ، قال : كان عظماء المستهزئين كما حدثنى يزيد بن رومان ، عن عرُوة بن الزُّبير خمسة نفَر من قومه. وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم من بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : الأسود بن المطلب أبوزَمْعة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه ، فقال : اللهمّ أعم بصره، وأثكله ولده . ومن بنى : زهرة الأسود بن

(١) البيت شاهد على أنه يقال أمرتك أمرا ، وأمرتك بأمر ، فيجوز أن يتعدى الفعل بنفسه وبالباء .

عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زُهرة ، ومن بنى مخزوم : الوليدُ بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ؛ ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤىّ : العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد بن سَهْم ، ومن خُزاعة : الحارث بن الطُّلاطلة بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن ملْكان . فلما تمادَوْا فى الشرّ وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء ، أنزل الله تعالى ذكره (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ، وأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) . . . إلى قوله (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) قال محمد بن إسحاق ، فحدثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء ، أن جبرئيل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ؛ فمرّ به الأسود ابن المطلب . فرمى فى وجهه بورقة خضراء ، فعَمِىَ ، ومرّ به الأسود بن عبد يغوث . فأشار إلى بطنه فاستَسْقَى بطنه ، فمات منه حبنا ؛ ومرّ به الوليد بن المُغيرة ؛ فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنتين ، وهو يجرّ سبله ، يعنى إزاره ، وذلك أنه مرّ برجل من خزاعة يَرِيش نبلا له ؛ فتعلق سهم من نبله بإزاره ؛ فخدش رجله ذلك الخدش وليس بشيء . فانتقَضَ به فقتله ؛ ومرّ به العاص ابن وائل السَّهمِىّ ؛ فأشار إلى أخمص رجله ، فخرج على حمار له يريد الطائف ، فوَقَصَ على شِبْرِقة . فدخل فى أخمص رجله منها شوكة ، فقتلته .

قال أبو جعفر : الشِّبْرقة : المعروف بالحسَك ، منه حَبَنًا [١] ، والحَبَن : الماء الأصفر ؛ ومرّ به الحارث ابن الطُّلاطلة ؛ فأشار إلى رأسه ، فامتخط قيحا فقتله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد القرشىّ ، عن رجل ، عن ابن عباس ، قال : كان رأسهم الوليد بن المُغيرة ، وهو الذى جمعهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : كان المستهزئين : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وأبو زمعة والأسود بن عبد يغوث ، والحارث بن عيطلة ؛ فأتاه جبرئيل ، فأومأ بأصبعه إلى رأس الوليد ، فقال : ماصنعت شيئا ، قال : كُفِيت ؛ وأومأ بيده إلى أخمص العاص ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ماصَنَعْتَ شَيْئًا ، فقال : كُفِيت ؛ وأومأ بيده إلى عين أبى زمعة . فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما صَنَعْتَ شَيْئًا ، قال : كُفِيت ؛ وأومأ بأصبعه إلى رأس الأسود ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : دَعْ لى خالى ، فقال : كُفِيت ؛ وأومأ بأصبعه إلى بطن الحارث ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما صَنَعْتَ شَيْئًا ، فقال كُفِيت . قال : فمرّ الوليد على قين لخزاعة وهو يجرّ ثيابه ، فتعلقت بثوبه بروة أو شررة [٢] ، وبين يديه نساء ، فجعل يستحيى أن يطأ من ينتزعها ، وجعلت تضرب ساقه فخدشته ، فلم يزل مريضا حتى مات ؛ وركب العاص بن وائل بغلة له بيضاء إلى حاجة له بأسفل مكة ، فذهب ينزل ، فوضع أخمص قدمه على شبرقة . فحكت رجله . فلم يزل يحكها حتى مات ؛ وعمى أبو زمعة ؛ وأخذت الأكلة فى رأس الأسود ؛ وأخذ الحارث الماء فى بطنه .

(١) كذا فى الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب (الورقة ٦٩ و) ولعله قد سقط من العبارة بعضها . وأصلها : الشبرقة : واحدة الشبرق ، المعروف بالحسك . ويقال : مات منه حبنا . والحبن ... الخ . وانظر خبر كفاية الله نبيه المستهزئين فى سيرة ابن هشام (طبعة الحلبى ٢ : ٥٠ ـ ٥٢ من الطبعة الأولى) فقد نقله المؤلف هنا ، مع اختلاف يسير فى بعض الألفاظ .

(٢) البروة : لغة فى البرة ، وهى الحلقة من صفر ونحوه ، يريد بها ما يتطاير من الحديد عند الطرق بالمطارق . والشررة : واحدة الشرر ، وفى الأصل : شرة ، ولا معنى له هنا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : هم خمسة رهط من قريش: الوليدُ بن المغيرة ، والعاصُ بن وائل ، وأبو زمعة ، والحارث بن عيطلة ، والأسود بن قيس .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل السَّهمىّ ، والأسود ابن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، والحارث بن عيطلة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، فى قوله (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : هم خمسة كلهم هلك قبل بَدْر : العاص بن وائل ، والوليد بن المغيرة ، وأبوزمعة بن عبد الأسود ، والحارث بن قيس ، والأسود بن عبد يغوث .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة عن عمرو ، عن عكرمة (إنا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والأسود بن عبد يغوث ، والحارث بن عيطلة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبى بكر الهذلى ، قال : قلت : للزُّهرىّ : إن سعيد بن جبير وعكرمة اختلفا فى رجل من المستهزئين ، فقال سعيد : هو الحارث بن عيطلة ، وقال عكرمة : هو الحارث بن قيس ، فقال : صدقا كانت أمه تسمى عيطلة وأبوه قيس .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن الشعبىّ ، قال : المستهزئين سبعة ، وسَمَّى منهم أربعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : كانوا من قريش خمسة نفر : العاص بن وائل السهمى ، كُفِى بصُداع أخذه فى رأسه ، فسال دماغه حتى كان يتكلم من أنفه ؛ والوليد بن المغيرة المخزومى ، كفى برجل من خزاعة أصلح سهما له ، فندرت منه شظية ، فوطئ عليها فمات ؛ وهبار بن الأسود ، وعبد يغوث بن وهب ، والحارث بن عيطلة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : كلهم من قريش : العاص بن وائل ، فكفى بأنه أصابه صداع فى رأسه ، فسال دماغه حتى لايتكلم إلا من تحت أنفه ؛ والحارث بن عيطلة بصفر فى بطنه ؛ وابن الأسود فكفى بالجدرى ؛ والوليد بأن رجلا ذهب ليصلح سهما له ، فوقعت شظية ، فوطئ عليها ؛ وعبد يغوث فكفى بالعمى ، ذهب بصره .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، وعن مِقْسم (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : هم الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وعدىّ بن قيس ، والأسود ابن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، مرّوا رجلا رجلا على النبىّ صلى الله عليه وسلم ومعه جبرئيل ، فإذا مرّ به رجل منهم قال جبرئيل : كيف تجد هذا ؟ فيقول : بئس عدوّ الله ، فيقول جبرئيل : كفاكه ؛

فأما الوليد بن المغيرة ، فتردّى ، فتعلق سهم بردائه ، فذهب يجلس ، فقطع أكحله ، فنُزِف فمات ؛ وأما الأسود بن عبد يغوث ، فأُتِى بغصن فيه شوك ، فضرب به وجهه ، فسالت حدقتاه على وجهه ، فكان يقول : دعوت على محمد دعوة ، ودعا علىّ دعوة ، فاستجيب لى ، واستجيب له ؛ دعا علىّ أن أعمَى فعميت ؛ ودعوت عليه أن يكون وحيدا فريدا فى أهل يثرب فكان كذلك . وأما العاص بن وائل ، فوطئ على شوكة فتساقط لحمه عن عظامه حتى هلك . وأما الأسود بن المطلب ، وعدىّ بن قيس ، فإن أحدهما قام من الليل وهو ظمآن ، فشرب ماء من جرّة ، فلم يزل يشرب حتى انفتق بطنه فمات ، وأما الآخر فلدغته حية فمات .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر : عن قتادة وعثمان ، عن مِقْسم مولى ابن عباس ، فى قوله (إنّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ) ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن ابن ثور .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كمَا أنْزَلْنا على المُقْتَسِمِينَ . الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ) هم رهط خمسة من قريش ، عضهوا القرآن ، زعم بعضهم أنه سحر ، وزعم بعضهم أنه شعر ، وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين : أما أحدهم : فالأسود بن عبد يغوث ، أتى على نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وهو عند البيت ، فقال له الملَك : كيف تجد هذا ؟ قال : بِئْسَ عَبْدُ اللهِ على أنَّهُ خالى ؛ قال : كفيناك ؛ ثم أتى عليه الوليد بن المغيرة ، فقال له الملَك : كيف تجدهذا ؟ قال : بِئْسَ عَبْدُ اللهِ ؛ قال : كفيناك ؛ ثم أتى عليه عدىّ بن قيس أخو بنى سهم ، فقال الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بِئْسَ عَبْدُ اللهِ ، قال : كَفيناك ؛ ثم أتى عليه الأسود بن المطلب ، فقال له الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بِئْسَ عَبْدُ اللهِ ، قال : كفيناك ؛ ثم أتى عليه العاص بن وائل ، فقال له الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بِئْسَ عَبْدُ اللهِ ، قال : كفيناك . فأما الأسود بن عبد يغوث ، فأتى بغصن من شوك فضرب به وجهه حتى سالت حدقتاه على وجهه ، فكان بعد ذلك يقول : دعا علىّ محمد بدعوة ، ودعوت عليه بأخرى ، فاستجاب الله له فىّ ، واستجاب الله لى فيه ، دعا علىّ أن أثكل وأن أعمى ، فكان كذلك ؛ ودعوت عليه أن يصير شريدا طريدا ، فطردناه مع يهود يثرب وسرّاق الحجيج ، وكان كذلك . وأما الوليد بن المغيرة ، فذهب يرتدى ، فتعلق بردائه سهم غرب [1] ، فأصاب أكحاله أو أبجله ، فأتى فى كلّ ذلك ، فمات . وأما العاص بن وائل ، فوطئ على شوكة ، فأتى فى ذلك جعل يتساقط لحمه عضوا عضوا فمات وهو كذلك . وأما الأسود بن المطلب ، وعدىّ بن قيس ، فلا أدرى ما أصابهما .

ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، نهى أصحابه عن قتل أبى البخترى ، وقال : خذوه أخذا ، فإنه قد كان له بلاء ، فقال له أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم : يا أبا البخترى إنا قد نهينا عن قتلك فهلمّ إلى الأمنة والأمان ، فقال أبوالبخترى : وابن أخى معى ، فقالوا : لم نؤمر إلا بك ، فراودوه ثلاث مرّات ، فأبى إلا وابن أخيه معه ، قال : فأغلظ للنبىّ صلى الله عليه وسلم الكلام ، فحمل عليه رجل من القوم فطعنه فقتله . فجاء قاتله وكأنما على ظهره جبل أو ثقه ، مخافة أن يلومه النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛

(١) سهم غرب ، بسكون الراء وفتحها : لايدرى من أين أتاه (اللسان) .

فلما أخبر بقوله ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: أَبْعَدَهُ اللهُ وأسْحَقَهُ ، وهم المستهزئُونَ الَّذِينَ قال الله (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) وهم الخمسة الذين قيل فيهم: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) : استهزءوا بكتاب الله ، ونبيه صلى الله عليه وسلم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) هم من قريش .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة، قال : ثنا شبل، وزعم ابن أبي بَزَّة أنهم العاص بن وائل السهمى والوليد بن المغيرة الوحيد ، والحارث بن عدىّ بن سهم بن العيطلة ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ ، وهو أبو زمعة . والأسود بن عبد يغوث . وهو ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، نحو حديث محمد بن عبد الأعلى ، عن محمد بن ثور ، غير أنه قال : كانوا ثمانية ، ثم عدّهم وقال : كلهم مات قبل بدر .

وقوله (الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) وعيد من الله تعالى ذكره ، وتهديد للمستهزئين الذين أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قد كفاه أمرهم بقوله تعالى ذكره : إنا كفيناك يامحمد الساخرين منك ، الجاعلين مع الله شريكا فى عبادته ، فسوف يعلمون ما يلقون من عذاب الله عند مصيرهم إليه فى القيامة ، وما يَحُلّ بهم من البلاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولقد نعلم يامحمد أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك من تكذيبهم إياك واستهزائهم بك، وبما جئتهم به، وأن ذلك يُحرجك (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) يقول : فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم إلى الشكر لله والثناء عليه والصلاة ، يكفك الله من ذلك ما أهمّك ، وهذا نحو الخبر الذى رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أنه كان إذا حَزَبَه أمر فَزِع إلى الصلاة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

* يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : واعبد ربك حتى يأتيك الموت، الذى هو مُوقَن به . وقيل : يقين ، وهو موقَن به ، كما قيل : خمر عتيق ، وهى معتَّقة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، قال : ثنى طارق بن عبد الرحمن ، عن سالم بن عبد الله (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) قال : الموت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى عباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرنى ابن كثير أنه سمع مجاهدا يقول : (حَتَى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) قال : الموت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) قال : يعنى الموت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حَتَى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) قال : اليقين : الموت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، فى قوله (حَتَى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) قال : الموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن طارق ، عن سالم ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) قال : الموت ، إذا جاءه الموت ، جاءه تصديق ماقال الله له ، وحدّثه من أمر الآخرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب « أن خارجة بن زيد بن ثابت أخبره عن أمّ العلاء امرأة من الأنصار قد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته أنهم اقتسموا المهاجرين قُرْعة . قالت : وطار لنا عثمان بن مظعون ، فأنزلناه فى أبياتنا ، فوَجع وجعه الذى مات فيه ؛ فلما تُوُفِّى وغسِّل وكُفِّن فى أثوابه ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ياعثمان بن مظعون رحمة الله عليك أبا السائب ، فشهادتى عليك ، لقد أكرمك الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَما يُدْرِيكِ أنَّ اللهَ أكْرَمَهُ ؟ قالت : يا رسول الله فمن ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمَّا هُوَ فَقَدْ جاءَهُ اليَقِينُ ، وَوَاللهِ إنّى لأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ » .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا إسماعيل ، قال : ثنا إبراهيم بن سعد ، قال : ثنا ابن شهاب ، عن خارجة بن زيد ، عن أمّ العلاء امرأة من نسائهم ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنحوه.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا إبراهيم بن إسماعيل ، عن محمد بن شهاب ، أن خارجة بن زيد ، حدثه عن أمّ العلاء امرأة منهم ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه ، إلا أنه قال فى حديثه : فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « أمَّا هُوَ فَقَدْ عايَنَ اليَقِينَ » .

(١٦) سُورَةُ النَّحْلِ مَكِّيَّة
وآياتها ثمانٍ وعشرون ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ①

يقول تعالى ذكره : أتى أمر الله فقرُب منكم أيها الناس ودنا ، فلا تستعجلوا وقوعه .

ثم اختلف أهل التأويل فى الأمر الذى أعلم الله عباده مجيئه وقُربه منهم ما هو ، وأىّ شيء هو ؟ فقال بعضهم : هو فرائضه وأحكامه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ) قال : الأحكام والحدود والفرائض .

وقال آخرون : بل ذلك وعيد من الله لأهل الشرك به ، أخبرهم أن الساعة قد قَرُبت ، وأن عذابهم قد حضر أجله ، فدنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما نزلت هذه الآية ، يعنى (أتى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ) قال : رجال من المنافقين بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن أمر الله أتى ، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ماهو كائن ؛ فلما رأوا أنه لاينزل شيء ، قالوا : مانراه نزل شيء ، فنزلت : (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ) فقالوا: إن هذا يزعم مثلها أيضا ؛ فلما رأوا أنه لاينزل شيء،قالوا : مانراه نزل شيء، فنزلت (وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ العَذابَ إلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ ما يَحْبِسُهُ ، ألا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ ، وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) .

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى بكر بن حفص ، قال : لما نزلت (أَتَى أَمْرُ اللهِ) رفعوا رءوسهم ، فنزلت (فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ) .

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا يحيى بن واضح، قال : ثنا أبو بكر بن شعيب ، قال : سمعت أبا صادق يقرأ (يا عِبادِي أَتى أمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ) .

وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، قول من قال : هو تهديد من الله أهل الكفر به وبرسوله، وإعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك. وذلك أنه عقَّب ذلك بقوله سبحانه وتعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) فدلّ بذلك على تقريعه المشركين . ووعيده لهم . وبعد ، فإنه لم يبلغنا أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل فرائض قبل أن تُفرض عليهم ، فيقال لهم من أجل ذلك : قد جاءتكم فرائض الله فلا تستعجلوها . وأما مستعجلو العذاب من المشركين ، فقد كانوا كثيرا .

وقوله سبحانه وتعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره تنزيها لله . وعلوّا له عن الشرك الذى كانت قريش ، ومن كان من العرب على مثل ما هم عليه يَدِينُ به .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله تعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) فقرأ ذلك أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين (عَمَّا يُشْرِكُونَ) بالياء على الخبر عن أهل الكفر بالله. وتوجيه للخطاب بالاستعجال إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك قرءوا الثانية بالياء. وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة بالتاء على توجيه الخطاب بقوله (فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ) إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبقوله تعالى (عَمَّا تُشْرِكُونَ) إلى المشركين . والقراءة بالتاء فى الحرفين جميعا على وجه الخطاب للمشركين أولى بالصواب لما بيَّنت من التأويل ، أن ذلك إنما هو وعيد من الله للمشركين . ابتدأ أوّل الآية بتهديدهم ، وختم آخرها بنكير فعلهم ، واستعظام كفرهم على وجه الخطاب لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ) فقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والكوفة (يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ) بالياء وتشديد الزاى ونصب الملائكة. بمعنى : يُنَزِّل الله الملائكة بالروح . وقرأ ذلك بعض البصريين وبعض المكيين (يُنْزِلُ المَلائِكَةَ) بالياء وتخفيف الزاى ونصب الملائكة. وحُكِي عن بعض الكوفيين أنه كان يقرؤه (تَنَزَّلُ المَلائِكَةُ) بالتاء وتشديد الزاى والملائكة بالرفع. على اختلاف عنه فى ذلك . وقد رُوِى عنه موافقة سائر قرّاء بلده .

وأولى القراءات بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأ (يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ) بمعنى : ينزّل الله ملائكة . وإنما اخترت ذلك . لأن الله هو المنزّل ملائكته بوحيه إلى رسله . فاضافة فعل ذلك إليه أولى وأحقّ . واخترت ينزّل بالتشديد على التخفيف . لأنه تعالى ذكره كان ينزّل من الوحى على من نزّله شيئا بعد شىء . والتشديد به إذ كان ذلك معناه . أولى من التخفيف .

فتأويل الكلام : ينزّل الله ملائكته بما يحيا به الحقّ ، ويضمحلّ به الباطل من أمره على من يشاء من عباده ، يعنى على من يشاء من رسله أن أنذروا ، فأن الأولى فى موضع خفض ، ردّا على الروح ، والثانية فى موضع نصب بأنذروا . ومعنى الكلام : ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ، بأن أنذروا عبادى سطوتى على كفرهم بى وإشراكهم فى اتخاذهم معى الآلهة والأوثان ، فإنه لا إله إلا أنا ، يقول : لاتنبغى الألوهة إلا لى ، ولا يصلح أن يُعبد شىء سواى . فاتقون : يقول : فاحذرونى بأداء فرائضى ، وإفراد العبادة ، وإخلاص الربوبية لى ، فإن ذلك نجاتكم من الهلكة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ) يقول : بالوحى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يقول : ينزل الملائكة...[1] .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحُذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) إنه لاينزل مَلَك إلا ومعه روح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج . قال مجاهد : قوله (يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) قال : لاينزل ملك إلا معه روح (يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) قال : بالنبوّة ؛ قال ابن جريج : وسمعت أن الروح خلق من الملائكة نزل به الروح (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، فى قوله : (يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاتَّقُونِ) قال : كل كلم تكلم به ربنا فهو روح منه (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) . . . إلى قوله (أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) يقول : ينزّل بالرحمة والوحى من أمره (عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) فيصطفى منهم رسلا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) قال : بالوحى والرحمة .

(١) أى بنحو ماقبله ، من حديث المثنى عن ابن عباس ، كما جرت به عادة المؤلف فى مواضع كثيرة .

وأما قوله (أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) فقد بيَّنا معناه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، قوله (أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) إنما بعث الله المرسلين أن يوحَّدَ الله وحده ، ويُطاع أمره ، ويجتنب سخطه .

القول في تأويل قوله تعالى :

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾

يقول تعالى ذكره معرّفا خلقه حجته عليهم فى توحيده ، وأنه لاتصلح الألوهة إلا له : خلق ربكم أيها الناس السموات والأرض بالعدل ، وهو الحقّ منفردا بخلقها ، لم يشركه فى إنشائها وإحداثها شريك ، ولم يعنه عليه معين ، فأنّى يكون له شريك (تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول جلّ ثناؤه : علا ربكم أيها القوم عن شرككم ودعواكم إلها دونه ، فارتفع عن أن يكون له مثل أو شريك أو ظهير ، لأنه لايكون إلها إلا من يخلق وينشى بقدرته مثل السموات والأرض ، ويبتدع الأجسام فيحدثها من غير شىء ، وليس ذلك فى قدرة أحد سوى الله الواحد القهّار الذى لاتنبغى العبادة إلا له ، ولا تصلح الألوهة لشىء سواه .

القول في تأويل قوله تعالى :

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾

يقول تعالى ذكره : ومن حججه عليكم أيضا أيها الناس ، أنه خلق الإنسان من نطفة ، فأحدث من ماء مهين خلقا عجيبا ، قلبه تارات خلقا بعد خلق فى ظلمات ثلاث ، ثم أخرجه إلى ضياء الدنيا بعد ما تمّ خلقه ونفخ فيه الروح ، فغذّاه ورزقه القوت ونماه ، حتى إذا استوى على سوقه ، كفر بنعمة ربه ، وجحد مدبره ، وعبد من لايضرّ ولا ينفع ، وخاصم إلهه ، فقال (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) ونسى الذى خلقه ، فسوّاه خلقا سويا من ماء مهين ، ويعنى بالمبين : أنه يبين عن خصومته بمنطقه ، ويجادل بلسانه ، فذلك إبانته ، وعنى بالإنسان : جميع الناس ، أخرج بلفظ الواحد ، وهو فى معنى الجميع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : ومن حججه عليكم أيها الناس ما خلق لكم من الأنعام ، فسخّرها لكم ، وجعل لكم من أصوافها وأوبارها وأشعارها ملابس تدفئون بها ، ومنافع من ألبانها ، وظهورها تركبونها (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) يقول : ومن الأنعام ما تأكلون لحمه كالإبل والبقر والغنم ، وسائر ما يؤكل لحمه، وحذفت « ما » من الكلام لدلالة من عليها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى وعلىّ بن داود ، قال : المثنى أخبرنا ، وقال ابن داود : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ) يقول : الثياب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ) يعنى بالدفء : الثياب ، والمنافع : ما ينتفعون به من الأطعمة والأشربة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (لَكُمْ فِيها دِفْءٌ) قال : لباس ينسج ، ومنها مركب ولبن ولحم.

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَكُمْ فِيها دِفْءٌ) لباس ينسج ومنافع ، مركب ولحم ولبن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قوله (لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ) قال : نسل كلّ دابة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل باسناده ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ) يقول : لكم فيها لباس ومنفعة وبلغة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : قال ابن عباس (والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ ، وَمِنْها تَأْكُلُونَ) قال : هو منافع ومآكل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ) قال : دفء اللحف ¹ التى جعلها الله منها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى ، عن مجاهد (والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ) قال : نتاجها وركوبها وألبانها ولحومها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ ﴾

يقول تعالى ذكره : ولكم فى هذه الأنعام والمواشى التى خلقها لكم (جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ) يعنى :

(١) اللحف : جمع لحاف ، وهو كل مايلتحف به الإنسان للدفء ، من عباءة ، وكساء ، ونحوهما .

تردّونها بالعشيّ من مسارحها إلى مراحها ومنازلها التى تأوى إليها ، ولذلك سمى المكان : المراح ، لأنها تراح إليه عشيا ، فتأوى إليه ، يقال منه : أراح فلان ماشيته ، فهو يريحها إراحة . وقوله (وَحِينَ تَسْرَحُونَ) يقول : وفى وقت إخراجكموها غدوة من مُراحها إلى مسارحها ، يقال منه : سرح فلان ماشيته ، يسرحها تسريحا ، إذا أخرجها للرعى غدوة ، وسرَحت الماشية : إذا خرجت للمرعى تسرح سرحا وسروحا ، فالسرح بالغداة ، والإراحة بالعشيّ ، ومنه قول الشاعر :

كأنَّ بقايا الأُتْنِ فَوْقَ مُتُونِهِ مدَبُّ الدَّبَى فَوْقَ النَّقا وَهْوَ سارِحُ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) وذلك أعجب ما يكون إذا راحت عظاما ضروعها ، طوالا أسنمتها ، وحين تسرحون إذا سرحت لرعيها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) قال : إذا راحت كأعظم ما تكون أسنمة ، وأحسن ماتكون ضروعا .

وقوله (وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ) يقول : وتحمل هذه الأنعام أثقالكم إلى بلد آخر لم تكونوا بالغيه إلا بجهد من أنفسكم شديد ، ومشقة عظيمة .

كما حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا شريك ، عن جابر ، عن عكرمة ،(وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ) قال : لو تكلفونه لم تبلغوه إلا بجهد شديد.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سماك ، عن عكرمة (إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ) قال : لو كلفتموه لم تبلغوه إلا بشقّ الأنفس .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة (إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ) قال : البلد : مكة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ) قال : مشقة عليكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ) يقول : بجهد الأنفس .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

(١) لعل الشاعر يصف حمارا وحشيا . يقول : إن الأتن قد عضضنه ، فتركن فوق متونه آثارا ، كانت كأنها طريق للدبى ، وهو صغار الجراد . فوق النقا ، وهو الكثيب الأبيض من الرمل . ولم أعثر على البيت ولا قائله .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء الأمصار بكسر الشين (إلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ) سوى أبى جعفر القارئ ، فإن المثنى حدثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ، قال : ثنى أبو سعيد الرازى ، عن أبى جعفر قارئ المدينة ، أنه كان يقرأ (لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إلاَّ بِشَقِّ الأَنْفُسِ) بفتح الشين ، وكان يقول : إنما الشقّ : شقّ النفس . وقال ابن أبى حماد : وكان معاذ الهرّاء يقول : هى لغة ، تقول العرب بشَقّ وبشِقّ ، وبرَق وبرِق .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار ، وهى كسر الشين لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، وشذوذ ما خالفه ، وقد يُنشد هذا البيت بكسر الشين وفتحها ، وذلك قول الشاعر :

وذِى إبِلٍ يَسْعَى ويَحْسِبُها لَهُ أخِى نَصَبٍ مِنْ شَقِّها ودُءُوبِ[1]

ومن شِقِّها أيضا بالكسر والفتح ؛ وكذلك قول العجاج :

أصبحَ مَسْحُولٌ يُوازِى شَقّا[2]

وشقا بالفتح والكسر ، ويعنى بقوله « يوازى شقا » : يقاسى مشقة ، وكان بعض أهل العربية يذهب بالفتح إلى المصدر من شققت عليه أشقّ شقا ، وبالكسر إلى الاسم . وقد يجوز أن يكون الذين قرءوا بالكسر أرادوا إلا بنقص من القوّة ، وذهاب شىء منها حتى لايبلغه إلا بعد نقصها ، فيكون معناه عند ذلك : لم تكونوا بالغيه إلا بشقّ قوى أنفسكم ، وذهاب شقها الآخر ، ويحكى عن العرب : خذ هذا الشِّقّ : لشقة الشاة بالكسر . فأما فى شقت عليك شقا فلم يحك فيه إلا النصب .

وقوله (إنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره : إن ربكم أيها الناس ذو رأفة بكم ، ورحمة ؛ من رحمته بكم ، خلق لكم الأنعام لمنافعكم ومصالحكم ، وخلق السموات والأرض أدلة لكم على وحدانية ربكم ، ومعرفة إلهكم ، لتشكروه على نعمه عليكم ، فيزيدكم من فضله .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

يقول تعالى ذكره : وخلق الخيل والبغال والحمير لكم أيضا لتركبوها وزينة : يقول : وجعلها لكم زينة تتزينون بها مع المنافع التى فيها لكم ، للركوب وغير ذلك ؛ ونصب الخيل والبغال عطفا على الهاء والألف فى قوله (خَلَقَها) ، ونصب الزينة بفعل مضمر على ما بيَّنت ، ولو لم يكن معها واو وكان الكلام لتركبوها زينة ، كانت منصوبة بالفعل الذى قبلها الذى هى به متصلة ، ولكن دخول الواو آذنت بأن معها ضمير فعل ، وبانقطاعها عن الفعل الذى قبلها .

(١) البيت للنمر بن تولب العكلى (اللسان : شقق) وقال أبو عبيدة فى معانى القرآن (١ : ٣٥٦) « إلا بشق الأنفس » بكسر أوله ويفتح ، ومعناه : بمشقة الأنفس . وفى اللسان : الشق المشقة . قال ابن برى شاهد الكسر قول النمر بن تولب : وذى إبل ... البيت .

(٢) البيت فى ديوان العجاج (طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٤٤٠) وهو شاهد على أن الشق بالكسر بمعنى المشقة . ومسحول : يعنى بعيره ، ويوازى : يقاسى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً) قال : جعلها لتركبوها ، وجعلها زينة لكم . وكان بعض أهل العلم يرى أن فى هذه الآية دلالة على تحريم أكل لحوم الخيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبوضمرة ، عن أبى إسحاق ، عن رجل ، عن ابن عباس ، قوله (والخَيْلَ والبغالَ والحَميرَ لِتَرْكَبُوها)قال : هذه للركوب (والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ)قال : هذه للأكل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا هشام الدستوائى ، قال : ثنا يحيى بن أبى كثير ، عن مولى نافع بن علقمة ، أن ابن عباس كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير ، وكان يقول : قال الله (والأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ ، وَمِنْها تَأْكُلُونَ) فهذه للأكل (وَالخَيْلَ وَالْبِغالَ وَالحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها) فهذه للركوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن ابن أبى ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، أنه سئل عن لحوم الخيل ، فكرهها وتلا هذه الآية (والخَيْلَ والبغالَ والحَميرَ لِتَرْكَبُوها) . . . الآية .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن لحوم الخيل ، فقال : اقرأ التى قبلها (والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ ومَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ والخَيْلَ والبِغالَ والحَميرَ لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً) فجعل هذه للأكل ، وهذه للركوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبى غنية ، عن أبيه ، عن الحكم (والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ) فجعل منه الأكل ، ثم قرأ حتى بلغ (والخَيْلَ والبغالَ والحميرَ لتركَبُوها) قال : لم يجعل لكم فيها أكلا ، قال : وكان الحكم يقول والخيل والبغال والحمير حرام فى كتاب الله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا ابن أبى غنية ، عن الحكم ، قال : لحوم الخيل حرام فى كتاب الله ، ثم قرأ (والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ) . . . إلى قوله (لِتَرْكَبُوها) . وكان جماعة غيرهم من أهل العلم يخالفونهم فى هذا التأويل ، ويرون أن ذلك غير دالّ على تحريم شىء ، وأن الله جلّ ثناؤه إنما عرّف عباده بهذه الآية ، وسائر ما فى أوائل هذه السورة نعمه عليهم ونبههم به على حججه عليهم ، وأدلته على وحدانيته ، وخطأ فعل من يشرك به من أهل الشرك .

ذكر بعض من كان لايرى بأسا بأكل لحم الفرس

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، أنه أكل لحم الفرس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، عن الأسود بنحوه .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : نحر أصحابنا فرسا فى النجع وأكلوا منه ، ولم يروا به بأسا .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندنا ، ما قاله أهل القول الثانى ، وذلك أنه لو كان فى قوله تعالى ذكره (لِتَرْكَبُوها) دلالة على أنها لاتصلح ـ إذ كانت للركوب للأكل ـ لكان فى قوله (فيها دِفْءٌ ومَنَافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ) دلالة على أنها لاتصلح إذ كانت للأكل والدفء للركوب ، وفى إجماع الجميع على أن ركوب ما قال تعالى ذكره (وَمِنْها تَأْكُلُونَ) جائز حلال غير حرام ، دليل واضح على أن أكل ماقال (لِتَرْكَبُوها) جائز حلال غير حرام ، إلا بما نصّ على تحريمه أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب أو وحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم . فأما بهذه الآية فلا يحرم أكل شىء . وقد وضع الدلالة على تحريم لحوم الحمُر الأهلية بوحيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى البغال بما قد بيّنا فى كتابنا ، كتاب الأطعمة بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، إذ لم يكن هذا الموضع من مواضع البيان عن تحريم ذلك ، وإنما ذكرنا ماذكرنا ليدلّ على أن لاوجه لقول من استدلّ بهذه الآية على تحريم لحم الفرس .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عبد الكريم ، عن عطاء ، عن جابر ، قال : « كنا نأكل لحم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : فالبغال ؟ قال : أما البغال فلا » .

وقوله (وَيَخْلُقُ ما لاتَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ويخلق ربكم مع خلقه هذه الأشياء التى ذكرها لكم مالاتعلمون ، مما أعدّ فى الجنة لأهلها ، وفى النار لأهلها ، مما لم تره عين ، ولا سمعته أذن ، ولا خطر على قلب بشر .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : وعلى الله أيها الناس بيان طريق الحقّ لكم ، فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها . والسبيل : هى الطريق ، والقصد من الطريق : المستقيم الذى لااعوجاج فيه ، كما قال الراجز :

فَصَدَّ عَنْ نَهْجِ الطَّرِيقِ القَاصِدِ[1]

(١) البيت شاهد على أن الطريق القاصد معناه : المستقيم . قال فى اللسان : القصد : استقامة الطريق ، قصد يقصد قصدا فهو قاصد ، وقوله تعالى : « وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر » أى على الله تبيين الطريق المستقيم ، والدعاء بالحجج والبراهين الواضحة . « ومنها جائر » أى ومنها طريق غير قاصد . وطريق قاصد : سهل مستقيم .

وقوله (وَمِنْهَا جائِرٌ) يعنى تعالى ذكره : ومن السبيل جائرعن الاستقامة معوجّ ، فالقاصد من السبل : الإسلام ، والجائر منها : اليهودية والنصرانية ، وغير ذلك من ملل الكفر كلها جائر عن سواء السبيل وقصدها ، سوى الحنيفية المسلمة . وقيل : ومنها جائر ، لأن السبيل يؤنث ويذكر ، فأنثت فى هذا الموضع . وقدكان بعضهم يقول : وإنما قيل : ومنها ، لأن السبيل وإن كان لفظها لفظ واحد فمعناها الجمع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَعلى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) يقول : البيان .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَعلى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) يقول : على الله البيان أن يبين الهدى والضلالة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَعلى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) قال : طريق الحقّ على الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعلى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) يقول : على الله البيان ، بيان حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَعلى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) قال : السبيل : طريق الهدى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَعلى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) قال : إنارتها .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَعلى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) يقول : على الله البيان ، يبين الهدى من الضلالة ، ويبين السبيل التى تفرّقت عن سبله ، ومنها جائر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْهَا جائِرٌ) : أى من السبل ، سبل الشيطان . وفى قراءة عبد الله بن مسعود (وَمِنْكُمْ جائِرٌ ، وَلَوْ شاءَ اللهُ لَهَدَاكُمْ أجْمَعِينَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمِنْهَا جائِرٌ) قال فى حرف ابن مسعود (وَمِنْكُمْ جائِرٌ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) يعني : السبل المتفرّقة .

حدثني عليّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) يقول : الأهواء المختلفة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) يعني : السبل التي تفرّقت عن سبيله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَمِنْهَا جَائِرٌ) السبل المتفرقة عن سبيله .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) قال : من السبل جائر عن الحقّ ؛ قال : قال الله (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) .

وقوله (وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) يقول : ولوشاء الله للطف بجميعكم أيها الناس بتوفيقه ، فكنتم تهتدون ، وتلزمون قصد السبيل ، ولا تجورون عنه ، فتتفرّقون في سبل عن الحقّ جائرة .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) قال : لو شاء لهداكم أجمعين لقصد السبيل ، الذي هو الحقّ ، وقرأ (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا) ... الآية، وقرأ (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا) ... الآية .

القول في تأويل قوله تعالى:

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : والذي أنعم عليكم هذه النعم ، وخلق لكم الأنعام والخيل وسائر البهائم لمنافعكم ومصالحكم ، هو الربّ الذي أنزل من السماء ماء ، يعني : مطرا لكم من ذلك الماء ، شراب تشربونه ، ومنه شراب أشجاركم ، وحياة غروسكم ونباتها (فِيهِ تُسِيمُونَ) يقول : في الشجر الذي ينبت من الماء الذي أنزل من السماء تسيمون ، يعني ترعون ، يقال منه : أسام فلان إبله يسيمها إسامة ، إذا أرعاها وسوّمها أيضا يسوّمها ، وسامت هي : إذا رعت ، فهي تسوم ، وهي إبل سائمة . ومن ذلك قيل للمواشي المطلقة في الفلاة وغيرها للرعي سائمة . وقد وجّه بعضهم معنى السوم في البيع إلى أنه من هذا ، وأنه ذهاب كلّ واحد من المتبايعين فيما ينبغي له من زيادة ثمن ونقصانه ، كما تذهب سوائم المواشي حيث شاءت من مراعيها ؛ ومنه قول الأعشى :

وَمَشَى الْقَوْمُ بِالْعِمَادِ إِلَى الْمَرْ عَى وَأَعْيَا الْمُسِيمَ أَيْنَ الْمَسَاقُ[1]

(١) البيت لأعشى بني ثعلبة : ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص٢١٣) من قصيدة له قالها بنجران يتشوق إلى قومه مفتخرا بهم . والرواية فيه « إلى الرزحى » بدل « إلى المرعى » يقول : هزل الإبل الجوع ، فسقطت على الأرض

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن النضْر بن عربى ، عن عكرمة (وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) قال : ترعون .

حدثنا أحمد بن سهيل الواسطى ، قال : ثنا قرة بن عيسى ، عن النضر بن عربى ، عن عكرمة ، فى قوله (فِيهِ تُسِيمُونَ) قال : ترعون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ترعون .

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) يقول : شجر يرعون فيه أنعامهم وشاءهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (فِيهِ تُسِيمُونَ) قال : ترعون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبومعاوية وأبوخالد ، عن جويبر ، عن الضحاك : فيه ترعون .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، عن الضحاك ، فى قوله (تُسِيمُونَ) يقول : ترعون أنعامكم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن طلحة بن أبى طلحة القناد ، قال : سمعت عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبزى ، قال : فيه ترعون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) يقول : ترعون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ترعون .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبوهلال ، عن قتادة فى قول الله (شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) قال : تَرْعون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) قال : تَرْعون ؛ قال : الإسامة : الرّعية ؛ وقال الشاعر :

= من الإعياء ، ومشى الناس إليها ، يضعون الأعمدة تحت بطونها ، ليعينوها على الوقوف . وأعيا الراعى أن يجد المراعى لاستحكام الجدب . والرزحى : الإبل ، تهزل ، فلا تستطيع المشى ، فتسقط ، وهى جمع رازح يضعون العماد تحت بطونها ، ثم يرفعونها والميم : اسم فاعل من أسام الماشية : أرعاها فى المرعى . وقال أبو عبيدة ، فى مجاز القرآن : (١ : ٣٥٧) يقال : أسمت إبلى ، وسامت هى : أى رعيتها .

مثلَ ابنِ بزْعةَ أو كآخرَ مثلِه ... أوْلى لكَ ابنَ مُسيمةِ الأجْمالِ (١)

قال : يا ابنَ راعية الأجمال .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ يُنبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره: يُنبت لكم ربكم بالماء الذى أنزل لكم من السماء زرعكم وزيتونكم ونخيلكم وأعنابكم ، ومن كل الثمرات : يعنى من كل الفواكه غير ذلك أرزاقا لكم وأقواتا وإداما وفاكهة ، نعمة منه عليكم بذلك وتفضلا ، وحجة على من كفر به منكم (إنَّ فِي ذلكَ لآيَةً) يقول جلّ ثناؤه : إن فى إخراج الله بما ينزل من السماء من ماء ما وصف لكم لآية : يقول : لدلالة واضحة ، وعلامة بينة (لقومٍ يتَفكَّرُونَ) يقول : لقوم يعتبرون مواعظ الله ، ويتفكرون فى حججه ، فيتذكرون وينيبون .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : ومن نعمه عليكم أيها الناس مع التى ذكرها قبل أن سخر لكم الليل والنهار يتعاقبان عليكم هذا لتصرفكم فى معاشكم ، وهذا لسكنكم فيه ، والشمس والقمر لمعرفة أوقات أزمنتكم وشهوركم وسنينكم ، وصلاح معايشكم (والنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ) لكم بأمر الله تجرى فى فلكها لتهتدوا بها فى ظلمات البرّ والبحر (إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فى تسخير الله ذلك على ما سخره لدلالات واضحات لقوم يعقلون حجج الله ، ويفهمون عنه تنبيهه إياهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ﴿١٣﴾

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (وَما ذَرأَ لَكُمْ) وسخر لكم ما ذرأ : أى ما خلق لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ، من الدوابّ والثمار .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما ذَرأَ لَكُمْ فِي الأرْضِ) يقول : وما خلق لكم مختلفا ألوانه من الدوابّ ، ومن الشجر والثمار ، نعم من الله متظاهرة فاشكروها لله .

(١) البيت تقدم الاستشهاد به فى الجزء الثالث من هذا التفسير (ص ٢٠٤) فارجع إلى شرحنا له فى ذلك الموضع وهو هنا شاهد على أن معنى « تسيمون » : ترعون : أى تخرجونها إلى المرعى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : من الدوابّ والأشجار والثمار. ونصب قوله مختلفا ، لأن قوله (وَمَا) فى موضع نصب بالمعنى الذى وصفت . وإذا كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون مختلفا ألوانه حالا من « ما » ، والخبر دونه تامّ ، ولو لم تكن « ما » فى موضع نصب ، وكان الكلام مبتدأ من قوله (وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ) لم يكن فى مختلف إلا الرفع ، لأنه كان يصير مرافع « ما » حينئذ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

❊ يقول تعالى ذكره : والذى فعل هذه الأفعال بكم ، وأنعم عليكم ، أيها الناس هذه النعم : الذى سخر لكم البحر ، وهو كلّ نهر ، ملحا كان ماؤه أو عذبا (لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) وهو السمك الذى يصطاد منه(وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) وهو اللؤلؤ والمرجان .

كما حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) قال : منهما جميعا (وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) قال : هذا اللؤلؤ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) يعنى حيتان البحر .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا حماد ، عن يحيى ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الملك ، قال : جاء رجل إلى أبى جعفر ، فقال : هل فى حلىّ النساء صدقة ؟ قال : لا ، هى كما قال الله تعالى (حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ، وَتَرَى الْفُلْكَ) يعنى : السفن (مَوَاخِرَ فِيهِ) وهى جمع ماخرة .

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (مَوَاخِرَ) فقال بعضهم : المواخر : المواقر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، فى قوله (وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) قال : المواقر .

وقال آخرون فى ذلك : ما حدثنا به عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، عن أبى بكر الأصمّ ، عن عكرمة ، فى قوله (وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) قال : ما أخذ عن يمين السفينة وعن يسارها من الماء ، فهو المواخر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى مكين ، عن عكرمة ، فى قوله (وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) قال : هى السفينة تقول بالماء هكذا : يعنى تشقه .

وقال آخرون فيه ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح (وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) قال : تجرى فيه متعرّضة .

وقال آخرون فيه بما حدثني به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فيه) قال : تمخر السفينة الرياح ، ولا تمخر الريح من السفن ، إلا الفلك العظام .

حدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه ، غير أن الحرث قال في حديثه : ولا تمخر الرياح من السفن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مَوَاخِرَ) قال : تمخر الريح .

وقال آخرون فيه : ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) تجرى بريح واحدة ، مُقبلة ومُدبرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : تجرى مقبلة ومدبرة بريح واحدة .

حدثنا المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن يزيد بن إبراهيم ، قال : سمعت الحسن (وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) قال : مقبلة ومدبرة بريح واحد . والمخر في كلام العرب : صوت هبوب الريح ، إذا اشتدّ هبوبها ، وهو في هذا الموضع : صوت جرى السفينة بالريح إذا عصفت وشقها الماء حينئذ بصدرها ، يقال : منه : مخرت السفينة تمخر مخرا ومخورا ، وهي ماخرة ، ويقال : امتخرت الريح وتمخرتها : إذا نظرتَ من أين هبوبها ، وتسمَّعت صوت هبوبها. ومنه قول واصل مولى ابن عيينة : كان يقال : إذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح ، يريد بذلك : لينظر من أين مجراها وهبوبها ليستدبرها فلا ترجع عليه البول وتردّه عليه .

وقوله (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) يقول تعالى ذكره : ولتتصرّفوا في طلب معايشكم بالتجارة سخر لكم .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) قال : تجارة البرّ والبحر .

وقوله (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يقول : ولتشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم من ذلك ، سخر لكم ما سخر من هذه الأشياء التي عدّدها في هذه الآيات .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : ومن نعمه عليكم أيها الناس أيضا ، أن ألقى فى الأرض رواسى ، وهى جمع راسية ، وهى الثوابت فى الأرض من الجبال . وقوله (أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) يعنى : أن لاتميد بكم ، وذلك كقوله (يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا) ، والمعنى : أن لاتضلوا ، وذلك أنه جلّ ثناؤه أرسى الأرض بالجبال لئلا يميد خلقه الذى على ظهرها ، بل وقد كانت مائدة قبل أن تُرْسَى بها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن قيس بن عباد أن الله تبارك وتعالى لما خلق الأرض جعلت تمور ، قالت الملائكة : ما هذه بمقرّة على ظهرها أحدا ، فأصبحت صبحا وفيها رواسيها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن حبيب ، عن علىّ بن أبى طالب ، قال : لما خلق الله الأرض قمصت ، وقالت : أى ربّ أتجعل علىّ بنى آدم يعملون علىّ الخطايا ، ويجعلون علىّ الخبث ، قال : فأرسى الله عليها من الجبال ماترون ومالاترون ، فكان قرارها كاللحم يترجرج . والميد : هو الاضطراب والتكفؤ ، يقال : مادت السفينة تميد ميدا : إذا تكفأت بأهلها ومالت ، ومنه الميد الذى يعترى راكب البحر ، وهو الدوار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) : أن تكفأ بكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، فى قوله (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) قال : الجبال أن تميد بكم . قال قتادة : سمعت الحسن يقول : لما خلقت الأرض كادت تميد ، فقالوا : ما هذه بمقرّة على ظهرها أحدا ، فأصبحوا وقد خُلقت الجبال ، فلم تدر الملائكة مم خُلقت الجبال .

وقوله (وَأَنْهَارًا) يقول : وجعل فيها أنهارا ، فعطف بالأنهار على الرواسى ، وأعمل فيها ما أعمل فى الرواسى ، إذ كان مفهوما معنى الكلام والمراد منه ، وذلك نظير قول الراجز :

تَسْمَعُ فى أجْوَافِهِنّ صَوْرَا ... وفى اليَدَيْنِ حَشَّةً وبَوْرَا[1]

---

(١) هذا من الرجز ، ولم أقف على قائله . والصور الصوت (اللسان) ، أولعله محرف عن الضور بالضاد ، والمراد به : الصوت يشبه الأنين فى الجوف من شدة الجوع ، قال فى اللسان : الضور : شدة الجوع . والتضور ، التلوى والصياح ، من وجع الضرب أو الجوع . وتضور الذئب والكلب والأسد والثعلب : صاح عند الجوع . والحشة ، بتشديد الشين : اليبس ، يقال حشت اليد وأحشت وهى محش : يبست . وأكثر ذلك فى الشلل . والبور بالفتح : مصدر بار ، بمعنى هلك وفسد . والبور أيضا : الهالك الفاسد ، ولعله يريد وصف ناقته بأنه أضر بها الجوع فصاحت ، وأن فى يديها يبسا أى شللا وفسادا . وقد بين الإمام للطبرى موضع الشاهد فى التفسير .

والحشة : اليُبس ، فعطف بالحشة على الصوت ، والحشة لاتسمع ، إذ كان مفهوما المراد منه ، وأن معناه وترى فى اليدين حَشَّةً .

وقوله (وَسُبُلاً) وهى جمع سبيل ، كما الطرق : جمع طريق . ومعنى الكلام : وجعل لكم أيها الناس فى الأرض سبلا وفجاجا تسلكونها ، وتسيرون فيها فى حوائجكم ، وطلب معايشكم رحمة بكم ، ونعمة منه بذلك عليكم ولو عماها عليكم لهلكتم ضلالا وحيرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سُبُلاً) : أى طرقا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سُبُلاً) قال : طرقا .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) يقول : لكى تهتدوا بهذه السبل التى جعلها لكم فى الأرض إلى الأماكن التى تقصدون ، والمواضع التى تريدون ، فلاتضلوا وتتحيروا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَعَلَامَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾

اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالعلامات ، فقال بعضهم : عنى بها معالم الطرق بالنهار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَعَلَامَاتٍ وبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) يعنى بالعلامات : معالم الطرق بالنهار ، وبالنجم هم يهتدون بالليل .

وقال آخرون : عنى بها النجوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَعَلَامَاتٍ وبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) قال : منها ما يكون علامات ، ومنها مايهتدون به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَعَلَامَاتٍ وبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) قال : منها ما يكون علامة ، ومنها ما يهتدى به .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

قال المثنى : قال : ثنا إسحاق خالف قبيصة وكيعا فى الإسناد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعَلَامَاتٍ وبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) والعلامات : النجوم ، وإن الله تبارك وتعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات : جعلها

زينة للسماء ، وجعلها يهتدى بها ، وجعلها رجوما للشياطين ، فمن تعاطى فيها غير ذلك ، فقد رأيه ، وأخطأ حظه ، وأضاع نصيبه ، وتكلّف ما لاعلم له به .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَعَلاماتٍ) قال النجوم.

وقال آخرون : عنى بها الجبال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبى (وَعَلاماتٍ) قال : الجبال .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره عدّد على عباده من نعمه ، إنعامه عليهم بما جعل لهم من العلامات التى يهتدون بها فى مسالكهم وطرقهم التى يسيرونها ، ولم يخصص بذلك بعض العلامات دون بعض ، فكلّ علامة استدلّ بها الناس على طرقهم ، وفجاج سُبُلهم ، فداخل فى قوله (وَعَلاماتٍ) والطرق المسبولة : الموطوءة ، علامة للناحية المقصودة ، والجبال علامات يهتدى بهنّ إلى قصد السبيل ، وكذلك النجوم بالليل ، غير أن الذى هو أولى بتأويل الآية أن تكون العلامات من أدلة النهار إذ كان الله قد فصل منها أدلة الليل بقوله (وبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) ، وإذ كان ذلك أشبه وأولى بتأويل الآية ، فالواجب أن يكون القول فى ذلك ماقاله ابن عباس فى الخبر الذى رويناه عن عطية عنه ، وهو أن العلامات معالم الطرق وأماراتها التى يهتدى بها إلى المستقيم منها نهارا ، وأن يكون النجم الذى يهتدى به ليلا هو الجدى والفرقدان ، لأن بها اهتداء السفر دون غيرها من النجوم .

فتأويل الكلام إذن : وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهارا على طرقكم فى أسفاركم ، ونجوما تهتدون بها ليلا فى سُبلكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾

⁂ يقول تعالى ذكره لعبدة الأوثان والأصنام : أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة التى عددناها عليكم وينعم عليكم هذه النعم العظيمة ، كمن لايخلق شيئا ، ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة : يقول : أتشركون هذا فى عبادة هذا ؟ يعرّفهم بذلك عظم جهلهم ، وسوء نظرهم لأنفسهم ، وقلّة شكرهم لمن أنعم عليهم بالنعم التى عدّدها عليهم ، التى لايحصيها أحد غيره ،قال لهم جلّ ثناؤه موبخهم (أفَلا تَذَكَّرُونَ) أيها الناس . يقول : أفلا تذكرون نعم الله عليكم ، وعظيم سُلطانه وقُدرته على ما شاء ، وعجز أوثانكم وضعفها ومهانتها ، وأنها لاتجلب إلى نفسها نفعا ، ولا تدفع عنها ضرّا ، فتعرفوا بذلك خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكموها وإقراركم لها بالألوهة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) والله هو الخالق الرازق ، وهذه الأوثان التى تعبد من دون الله تخلق ، ولا تخلق شيئا ، ولا تملك لأهلها ضرا ولانفعا ، قال الله :(أفلا تذكّرون) . وقيل (كَمَنْ لَا يَخْلُقُ) هو الوثن والصنم ، و « مَنْ » لذوى التمييز خاصة ، فجعل فى هذا الموضع لغيرهم للتمييز ، إذ وقع تفصيلا بين من يخلق ومن لايخلق . ومحكيّ عن العرب : اشتبه عليّ الراكب وجمله ، فما أدرى من ذا ، ومن ذا ، حيث جمعا ، وأحدهما إنسان حسنت من فيهما جميعا . ومنه قول الله عزّ وجلّ (فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ) . وقوله (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا) لاتطيقوا أداء شكرها ، (إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول جلّ ثناؤه : إن الله لغفور لما كان منكم من تقصير فى شكر بعض ذلك إذا تبتم وأنبتم إلى طاعته واتباع مرضاته ، رحيم بكم أن يعذّبكم عليه بعد الإنابة إليه والتوبة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۞ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ ﴾

۞ يقول تعالى ذكره : والله الذى هو إلهكم أيها الناس، يعلم ما تسرّون فى أنفسكم من ضمائركم فتخفونه عن غيركم ، فما تبدونه بألسنتكم وجوارحكم ، وما تعلنونه بألسنتكم وجوارحكم وأفعالكم ، وهو محص ذلك كله عليكم ، حتى يجازيكم به يوم القيامة ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء منكم بإساءته ، ومُسائلكم عما كان منكم من الشكر فى الدنيا على نعمه التى أنعمها عليكم فيها التى أحصيتم،والتى لم تحصوا . وقوله (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) يقول تعالى ذكره : وأوثانكم الذين تدعون من دون الله أيها الناس آلهة لا تخلق شيئا وهى تخلق، فكيف يكون إلها ما كان مصنوعا مدبرا ، لاتملك لأنفسها نفعا ولا ضرّا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۞ ﴾

۞ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش : والذين تدعون من دون الله أيها الناس (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ) وجعلها جلّ ثناؤه أمواتا غير أحياء ، إذ كانت لاأرواح فيها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) وهى هذه الأوثان التى تُعبد من دون الله أموات لاأرواح فيها ، ولا تملك

لأهلها ضرًّا ولا نفعا ، وفى رفع الأموات وجهان : أحدهما أن يكون خبرا للذين ، والآخر على الاستئناف.

وقوله (وَمَا يَشْعُرُونَ) يقول : وما تدرى أصنامكم التى تدعون من دون الله متى تبعث . وقيل : إنما عنى بذلك الكفار ، أنهم لايدرون متى يبعثون .

القول في تأويل قوله تعالى:

إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : معبودكم الذى يستحقّ عليكم العبادة ، وإفراد الطاعة له دون سائر الأشياء : معبود واحد ، لأنه لاتصلح العبادة إلا له ، فأفردوا له الطاعة ، وأخلصوا له العبادة ، ولا تجعلوا معه شريكا سواه (فالَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ) يقول تعالى ذكره : فالذين لايصدّقون بوعد الله ووعيده ، ولا يقرّون بالمعاد إليه بعد الممات قلوبهم منكرة ، يقول تعالى ذكره : مستنكرة لما نقص عليهم من قدرة الله وعظمته ، وجميل نعمه عليهم ، وأن العبادة لاتصلح إلا له ، والألوهة ليست لشىء غيره يقول : وهم مستكبرون عن إفراد الله بالألوهة ، والإقرار له بالوحدانية ، اتباعا منهم لما مضى عليه من الشرك بالله أسلافهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فالَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ) لهذا الحديث الذى مضى ، وهم مستكبرون عنه .

القول في تأويل قوله تعالى:

لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله : لاجرم حقا أن الله يعلم ما يسرّ هؤلاء المشركون من إنكارهم ماذكرنا من الأنباء فى هذه السورة ، واعتقادهم نكير قولنا لهم : إلهكم إله واحد ، واستكبارهم على الله ، وما يعلنون من كفرهم بالله وفريتهم عليه (إنَّهُ لايُحِبُّ المُسْتَكْبِرِينَ) يقول : إن الله لايحبّ المستكبرين عليه أن يوحدوه ويخلعوا ما دونه من الآلهة والأنداد .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا مِسْعر ، عن رجل ، أن الحسن بن علىّ كان يجلس إلى المساكين ، ثم يقول (إنَّهُ لايُحِبُّ المُسْتَكْبِرِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين لايؤمنون بالآخرة من المشركين ، ماذا أنزل ربكم ، أىّ شىء أنزل ربكم ، قالوا : الذى أنزل ما سطّره الأوّلون من قبلنا من الأباطيل .

وكان ذلك كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ماذَا أنْزَلَ رَبُّكُمْ ؟ قالُوا أساطِيرُ الأوَّلِينَ) يقول : أحاديث الأوّلين وباطلهم ، قال ذلك قوم من مشركي العرب كانوا يقعدون بطريق من أتى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا مرّ بهم أحد من المؤمنين يريد نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا لهم : أساطير الأوّلين ، يريد : أحاديث الأوّلين وباطلهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أساطِيرُ الأوَّلِينَ) يقول : أحاديث الأوّلين .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء المشركون لمن سألهم : ماذا أنزل ربكم الذى أنزل ربنا فيما يزعم محمد عليه : أساطير الأوّلين ، لتكون لهم ذنوبهم التى هم عليها مقيمون من تكذيبهم الله ، وكفرهم بما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذنوب الذين يصدّونهم عن الإيمان بالله يضلون يفتنون منهم بغير علم . وقوله (ألا ساءَ ما يَزِرُونَ) يقول : ألا ساء الإثم الذى يأثمون ، والثقل الذى يتحملون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِيَحْمِلُوا أوْزَارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ) ومن أوزار من أضلوا احتمالهم ذنوب أنفسهم ، وذنوب من أطاعهم ، ولا يخفف ذلك عمن أطاعهم من العذاب شيئا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه ، إلا أنه قال : ومن أوزار الذين يضلونهم حملهم ذنوب أنفسهم ، وسائر الحديث مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لِيَحْمِلُوا أوْزَارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ ، وَمِنْ أوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ) قال : حملهم ذنوب أنفسهم وذنوب من أطاعهم ، ولا يخفف ذلك عمن أطاعهم من العذاب شيئا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَحْمِلُوا أوْزَارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ) أى ذنوبهم وذنوب الذين يضلونهم بغير علم (ألا ساءَ ما يَزِرُونَ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) يقول : يحملون ذنوبهم ، وذلك مثل قوله (وأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ) يقول : يحملون مع ذنوبهم ذنوب الذين يُضِلُّونهم بغير علم .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ) قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إلى ضَلالَةٍ فاتُّبِعَ ، فإنَّ عَلَيْهِ مِثْلَ أَوْزَارِ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ غيرِ أنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ؛ وأَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إلى هُدًى فاتُّبِعَ فَلَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمْ مِنْ غيرِ أنْ يُنْقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ » .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن رجل ، قال : قال زيد بن أسلم : « إنه بلغه أنه يتمثل للكافر عمله في صورة أقبح ماخلق الله وجها وأنتنه ريحاً ، فيجلس إلى جنبه كلما أفزعه شيء زاده فزعا ، وكلما تخوّف شيئا زاده خوفا ، فيقول : بئس الصاحب أنت ، ومن أنت ؟ فيقول : وما تعرفني ؟ فيقول لا ، فيقول : أنا عملك كان قبيحا ، فلذلك تراني قبيحا ، وكان منتنا فلذلك تراني منتنا ، طأطئ إلىّ أركبك ، فطالما ركبتني في الدنيا ، فيركبه ، وهو قوله (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ٢٦

يقول تعالى ذكره : قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين الذين يصدّون عن سبيل الله ، من أراد اتباع دين الله ، فراموا مغالبة الله ببناء بَنَوه ، يريدون بزعمهم الارتفاع إلى السماء لحرب من فيها . وكان الذي رام ذلك فيما ذُكر لنا جبار من جبابرة النَّبَط ، فقال بعضهم : هو نمرود بن كنعان . وقال بعضهم : هو بختنصر ، وقد ذكرت بعض أخبارهما في سورة إبراهيم . وقيل : إن الذي ذُكر في هذا الموضع هو الذي ذكره الله في سورة إبراهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قال : أمر الذي حاجّ إبراهيم في ربه بإبراهيم فأُخرِج ، يعني من مدينته ، قال : فلقي لوطا على باب المدينة وهو ابن أخيه ، فدعاه فآمن به ، وقال : إني مهاجر إلى ربي ، وحلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم ، فأخذ أربعة أفراخ من فِراخ

النسور ، فرباهنّ باللحم والخبز حتى كبرن وغلظن واستعجلن ، فربطهنّ فى تابوت ، وقعد فى ذلك التابوت ثم رفع لهنّ رجلا من لحم ، فطرن ، حتى إذا ذهبن فى السماء أشرف ينظر إلى الأرض ، فرأى الجبال تدبّ كدبيب النمل ، ثم رفع لهنّ اللحم ، ثم نظر فرأى الأرض محيطا بها بحر كأنها فلكة فى ماء ، ثم رفع طويلا فوقع فى ظلمة ، فلم ير مافوقه وما تحته ، ففزع ، فألقى اللحم ، فاتبعته منقضّات ؛ فلما نظرت الجبال إليهنّ ، وقد أقبلن منقضات ، وسمعت حفيفهنّ ، فزعت الجبال ، وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن وذلك قول الله تعالى (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ) ، وهى فى قراءة ابن مسعود (وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ) فكان طَيَرُورتهن به من بيت المقدس ووقوعهن به فى جبل الدخان ؛ فلما رأى أنه لا يطيق شيئا أخذ فى بنيان الصرح ؛ فبنى حتى إذا شيده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر ، يزعم إلى إله إبراهيم ، فأحدث ، ولم يكن يُحدث ، وأخذ الله بنيانه من القواعد (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وأتاهُمُ العَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ) يقول : من مأمنهم ، وأخذهم من أساس الصرح ، فتنقّض بهم ، فسقط ، فتبلبلت ألسن الناس يومئذ من الفزع ، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا ، فلذلك سميت بابل . وإنما كان لسان الناس من قبل ذلك بالسريانية .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ القَواعِدِ) قال : هو نمرود حين بنى الصرح .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم : إن أوّل جبار كان فى الأرض نمرود ، فبعث الله عليه بعوضة فدخلت فى منخره ، فمكث أربع مئة سنة يُضرب رأسُه بالمطارق ، أرحم الناس به من جمع يديه ، فضرب رأسه بهما ، وكان جبارا أربع مئة سنة ، فعذّبه الله أربع مئة سنة كمُلكه ، ثم أماته الله ؛ وهو الذى كان بنى صَرْحا إلى السماء ، وهو الذى قال الله : (فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ القَواعِدِ ، فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) . وأما قوله (فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ القَواعِدِ) فإن معناه : هدم الله بنيانهم من أصله . والقواعد : جمع قاعدة ، وهى الأساس . وكان بعضهم يقول : هذا مثل للاستئصال ، وإنما معناه : إن الله استأصلهم . وقال : العرب تقول ذلك إذا استؤصل الشىء .

وقوله (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فخرّ عليهم السقف من فوقهم : أعالى بيوتهم من فوقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ القَواعِدِ) إى والله ، لأتاها أمر الله من أصلها (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) والسقف : أعالى البيوت ، فائتفكت بهم بيوتهم فأهلكهم الله ودمرهم (وأتاهُمُ العَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) قال : أتى الله بنيانهم من أصوله ، فخرّ عليهم السقف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ) قال : مكر نمرود بن كنعان الذى حاجّ إبراهيم فى ربه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : عنى بقوله (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) أن العذاب أتاهم من السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) يقول : عذاب من السماء لما رأوه استسلموا وذلوا .

⁂ وأولى القولين بتأويل الآية ، قول من قال : معنى ذلك : تساقطت عليهم سقوف بيوتهم ، إذ أتى أصولها وقواعدها أمر الله ، فائتفكت بهم منازلهم ، لأن ذلك هو الكلام المعروف من قواعد البنيان ، وخرّ السقف ، وتوجيه معانى كلام الله إلى الأشهر الأعرف منها ، أولى من توجيهها إلى غير ذلك ما وُجِد إليه سبيل (وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) يقول تعالى ذكره : وأتى هؤلاء الذين مكروا من قَبْل مشركى قريش ، عذاب الله من حيث لايدرون أنه أتاهم منه .

القول في تأويل قوله تعالى:

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : فعل الله بهؤلاء الذين مكروا ، الذين وصف الله جلّ ثناؤه أمرهم ما فعل بهم فى الدنيا ، من تعجيل العذاب لهم ، والانتقام بكفرهم ، وجحودهم وحدانيته ، ثم هو مع ذلك يوم القيامة مخزيهم ، فمذلهم بعذاب أليم ، وقائل لهم عند ورودهم عليه (أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ) أصله : من شاققت فلانا فهو يشاقّنى ، وذلك إذا فعل كلّ واحد منهما بصاحبه ما يشقّ عليه . يقول تعالى ذكره يوم القيامة تقريعا للمشركين بعبادتهم الأصنام : أين شركائى ؟ يقول : أين الذين كنتم تزعمون فى الدنيا أنهم شركائى اليوم ، ما لهم لايحضرونكم ، فيدفعوا عنكم ما أنا محلّ بكم من العذاب ، فقد كنتم تعبدونهم فى الدنيا ، وتتولونهم ، والولىّ ينصر وليه ، وكانت مشاقتهم الله فى أوثانهم مخالفتهم إياه فى عبادتهم .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ) يقول : تخالفونى .

وقوله (قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ إنَّ الخِزْىَ اليَوْمَ والسُّوءَ على الكافرين) يعنى : الذلة والهوان والسوء ، يعنى : عذاب الله على الكافرين .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ ۚ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : قال الذين أوتوا العلم : إن الخزى اليوم والسوء على من كفر بالله فجحد وحدانيته (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائكَةُ) يقول : الذين تقبض أرواحهم الملائكة (ظالِمِى أنْفُسِهِمْ) يعنى : وهم على كفرهم وشركهم بالله . وقيل : إنه عنى بذلك من قتل من قريش ببدر ، وقد أخرج إليها كرها .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب بن محمد الزهرى ، قال : ثنى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة ، قال : كان ناس بمكة أقرّوا بالإسلام ولم يهاجروا ، فأخرج بهم كرها إلى بدر ، فقتل بعضهم ، فأنزل الله فيهم (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائكَةُ ظالِمِى أنْفُسِهِمْ) .

وقوله (فَألْقَوُا السَّلَمَ) يقول : فاستسلموا لأمره ، وانقادوا له حين عاينوا الموت قد نزل بهم ، (ما كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ) ، وفى الكلام محذوف استغنى بفهم سامعيه ما دلّ عليه الكلام عن ذكره وهو : قالوا ماكنا نعمل من سوء ، يخبر عنهم بذلك أنهم كذّبوا وقالوا : ما كنا نعصى الله اعتصاما منهم بالباطل رجاء أن ينجوا بذلك ، فكذّبهم الله ، فقال : بل كنتم تعملون السوء وتصدّون عن سبيل الله (إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : إن الله ذو علم بما كنتم تعملون فى الدنيا من معاصيه ، وتأتون فيها ما يسخطه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : يقول لهؤلاء الظلمة أنفسهم حين يقولون لربهم : ماكنا نعمل من سوء ، ادخلوا أبواب جهنم ، يعنى : طبقات جهنم (خالِدِينَ فِيها) يعنى : ماكثين فيها (فَلَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ) يقول : فلبئس منزل من تكبر على الله ولم يقرّ بربوبيته ، ويصدّق بوحدانيته جهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وقيل للفريق الآخر ، الذين هم أهل إيمان وتقوى لله (ماذَا أنزَلَ رَبُّكُمْ ؟ قالُوا خَيْرًا) يقول : قالوا : أنزل خيرا . وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يقول : إنما اختلف الأعراب فى قوله (قالُوا أساطِيرُ الأوَّلِينَ) ، وقوله (خَيْرًا) ، والمسئلة قبل الجوابين كليهما واحدة ، وهى قوله (ماذَا أنزَلَ رَبُّكُمْ) لأن الكفار جحدوا التنزيل ، فقالوا حين سمعوه : أساطير الأولين : أى هذا الذى جئت به أساطير الأولين ، ولم ينزل الله منه شيئا . وأما المؤمنون فصدّقوا التنزيل ، فقالوا خيرا ، بمعنى أنه أنزل خيرا ، فانتصب بوقوع الفعل من الله على الخير ، فلهذا افترقا ، ثم ابتدأ الخبر فقال (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا فِى هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ) . وقد بيّنا القول فى ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته .

وقوله (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا فِى هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ) يقول تعالى ذكره : للذين آمنوا بالله فى هذه الدنيا ورسوله ، وأطاعوه فيها ، ودعوا عباد الله إلى الإيمان والعمل بما أمر الله به حسنة ، يقول : كرامة من الله (وَلَدارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ) يقول : ولدار الآخرة خير لَهُمْ مِنْ دَارِ الدُّنْيا ، وكرامة الله التى أعدّها لهم فيها أعظم من كرامته التى عجلها لهم فى الدنيا (وَلَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ) يقول : ولنعم دار الذين خافوا الله فى الدنيا فاتقوا عقابه بأداء فرائضه وتجنب معاصيه دار الآخرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ماذَا أنزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أحْسَنُوا فِى هذهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ) وهؤلاء مؤمنون ، فيقال لهم (ماذَا أنزَلَ رَبُّكُمْ ؟) فيقولون (خَيْرًا لِلَّذِينَ أحْسَنُوا فِى هذهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ) : أى آمنوا بالله وأمروا بطاعة الله ، وحثوا أهل طاعة الله على الخير ودعوهم إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ ٣١

﴿ يعنى تعالى ذكره بقوله (جَنَّاتُ عَدْنٍ) بساتين للمقام . وقد بيّنا اختلاف أهل التأويل فى معنى عدن فيما مضى بما أغنى عن إعادته (يَدْخُلُونَها) يقول : يدخلون جنات عدن ، وفى رفع جنات أوجه ثلاثة : أحدها : أن يكون مرفوعا على الابتداء ، والآخر بالعائد من الذكر فى قوله (يَدْخُلُونَها) . والثالث : على أن يكون خبر النعم ، فيكون المعنى : إذا جعلت خبر النعم ولنعم دار المتقين جنات عدن ، ويكون (يَدْخُلُونَها) فى موضع حال ، كما يقال : نعم الدار دار تسكنها أنت ، وقد يجوز أن يكون إذا كان الكلام بهذا التأويل : يدخلونها ، من صلة جنات عدن . وقوله (تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ)

يقول : تجرى من تحت أشجارها الأنهار (لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ) يقول : للذين أحسنوا فى هذه الدنيا فى جنات عدن ما يشاءون مما تشتهى أنفسهم ، وتلذّ أعينهم (كَذَلِكَ يَجْزِى اللهُ الْمُتَّقِينَ) يقول : كما يجزى الله هؤلاء الذين أحسنوا فى هذه الدنيا بما وصف لكم أيها الناس أنه جزاهم به فى الدنيا والآخرة ، كذلك يجزى الذين اتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : كذلك يجزى الله المتقين الذين تَقْبِض أرواحَهم ملائكةُ الله ، وهم طيبون بتطييب الله إياهم بنظافة الإيمان ، وطهر الإسلام فى حال حياتهم وحال مماتهم .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) قال : أحياء وأمواتا ، قدر الله ذلك لهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) يعنى جلّ ثناؤه أن الملائكة تقبض أرواح هؤلاء المتقين ، وهى تقول لهم : سلام عليكم صيروا إلى الجنة بشارة من الله تبشرهم بها الملائكة .

كما حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أبو صخر ، أنه سمع محمد ابن كعب القُرَظىّ يقول : إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك فقال : السلام عليك ولىّ الله ، الله يقرأ عليك السلام ، ثم نزع بهذه الآية (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) قال : الملائكة يأتونه بالسلام من قِبَل الله ، وتخبره أنه من أصحاب اليمين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا الأشبُّ أبو علىّ ، عن أبى رجاء ، عن محمد بن مالك ، عن البراء ، قال : قوله (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ) قال : يسلم عليه عند الموت .

وقوله (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : بما كنتم تصيبون فى الدنيا أيام حياتكم فيها طاعة الله ، طلب مرضاته .

القول في تأويل قوله تعالى:

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى ذكره : هل ينتظر هؤلاء المشركون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم ، أو يأتى أمر ربك بحشرهم لموقف القيامة (كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول جلّ ثناؤه: كما يفعل هؤلاء من انتظارهم ملائكة الله لقبض أرواحهم ، أو إتيان أمر الله فعل أسلافهم من الكفرة بالله، لأن ذلك فى كلّ مشرك بالله (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ) يقول جلّ ثناؤه : وما ظلمهم الله بإحلال سُخْطه (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بمعصيتهم ربهم وكفرهم به ، حتى استحقوا عقابه ، فعجّل لهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ) قال : بالموت ، وقال فى آية أخرى (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا المَلائِكَةُ) وهو ملك الموت ، وله رسل ، قال الله تعالى (أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ) ذاكم يوم القيامة .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبوحُذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ) يقول : عند الموت حين تتوفاهم ، أو يأتى أمر ربك ذلك يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى:

فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

يقول تعالى ذكره : فأصاب هؤلاء الذين فعلوا من الأمم الماضية فعل هؤلاء المشركين من قريش سيئات ما عملوا ، يعنى عقوبات ذنوبهم ، ونقم معاصيه التى اكتسبوها (وَحَاقَ بِهِمْ ما كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : وحلّ بهم من عذاب الله ما كانوا يستهزئون منه ، ويسخرون عند إنذارهم ذلك رسلُ الله ، ونزل ذلك بهم دون غيرهم من أهل الإيمان بالله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾

❊ يقول تعالى ذكره : وقال الذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام من دون الله : ما نعبد هذه الأصنام إلا لأن الله قد رضى عبادتنا هؤلاء ، ولا نحرم ماحرمنا من البحائر والسوائب ، إلا أن الله شاء منا ومن آبائنا تحريمناها ورضيه ، لولا ذلك لقد غير ذلك ببعض عقوباته أو بهدايته إيانا إلى غيره من الأفعال . يقول تعالى ذكره : كذلك فعل الذين من قبلهم من الأمم المشركة الذين استنّ هؤلاء سنتهم ، فقالوا مثل قولهم ، وسلكوا سبيلهم فى تكذيب رسل الله ، واتباع أفعال آبائهم الضلال . وقوله (فَهَلْ على الرُّسُلِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ) يقول جلّ ثناؤه : فهل أيها القائلون : لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ، على رسلنا الذين نرسلهم بانذاركم عقوبتنا على كفركم ، إلا البلاغ المبين : يقول : إلا أن تبلغكم ما أرسلنا إليكم من الرسالة . ويعنى بقوله (المُبِينُ) : الذى يبين عن معناه لمن أبلغه ، ويفهمه من أرسل إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾

❊ يقول تعالى ذكره : ولقد بعثنا أيها الناس فى كلّ أمة سلفت قبلكم رسولا ، كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لاشريك له ، وأفردوا له الطاعة ، وأخلصوا له العبادة (وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) يقول : وابعدوا من الشيطان ، واحذروا أن يغويكم ، ويصدّكم عن سبيل الله ، فتضلوا ، (فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ) يقول : فممن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله ، فوفّقه لتصديق رسله ، والقبول منها ، والإيمان بالله ، والعمل بطاعته ، ففاز وأفلح ، ونجا من عذاب الله (وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ) يقول : وممن بعثنا رسلنا إليه من الأمم آخرون حقّت عليهم الضلالة ، فجاروا عن قصد السبيل ، فكفروا بالله ، وكذّبوا رسله ، واتبعوا الطاغوت ، فأهلكهم الله بعقابه . وأنزل عليهم بأسه الذى لايردّ عن القوم المجرمين ، (فَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره لمشركى قريش : إن كنتم أيها الناس غير مصدّق رسولنا فيما يخبركم به عن هؤلاء الأمم الذين حلّ بهم ماحلّ من بأسنا بكفرهم بالله ، وتكذيبهم رسوله ، فسيروا فى الأرض التى كانوا يسكنونها ، والبلاد التى كانوا يعمرونها ، فانظروا إلى آثار الله فيهم ، وآثار سخطه النازل بهم ، كيف أعقبهم تكذيبهم رسل الله ما أعقبهم ، فإنكم ترون حقيقة ذلك ، وتعلمون به صحة الخبر الذى يخبركم به محمد صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾

☼ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن تحرص يامحمد على هدى هؤلاء المشركين إلى الإيمان بالله واتباع الحق (فإنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء الكوفيين (فإنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ يَضِلُّ) بفتح الياء من يهدى . وضمها من يضلّ . وقد اختلف فى معنى ذلك قارئوه كذلك ، فكان بعض نحويى الكوفة يزعم أن معناه : فإن الله من أضله لايهتدى . وقال : العرب تقول : قد هدى الرجل : يريدون قد اهتدى ، وهدى واهتدى بمعنى واحد . وكان آخرون منهم يزعمون أن معناه : فإن الله لايهدى من أضله ، بمعنى : أن من أضله الله فإن الله لايهديه . وقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والشام والبصرة (فإنَّ اللهَ لا يُهْدَى) بضم الياء من يُهدى ومن يضل ، وفتح الدال من يُهدَى بمعنى : من أضله الله فلا هادى له .

وهذه القراءة أولى القراءتين عندى بالصواب ، لأن يهدى بمعنى : يهتدى قليل فى كلام العرب غير مستفيض ، وأنه لافائدة فى قول قائل : من أضله الله فلا يهديه ، لأن ذلك مما لايجهله أحد . وإذ كان ذلك كذلك ، فالقراءة بما كان مستفيضا فى كلام العرب من اللغة بما فيه الفائدة العظيمة أولى وأحرى .

فتأويل الكلام : لو كان الأمر على ما وصفنا : إن تحرص يامحمد على هداهم ، فإن من أضله الله فلا هادى له ، فلا تجهد نفسك فى أمره ، وبلغه ما أرسلت به لتتمّ عليه الحجة (وَمَا لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ) يقول : وما لهم من ناصر ينصرهم من الله إذا أراد عقوبتهم ، فيحول بين الله وبين ما أراد من عقوبتهم .

وفى قوله (إنْ تَحْرِصْ) لغتان : فمن العرب من يقول : حرَص يحرِص بفتح الراء فى فعَل وكسرها فى يفعل . وحرِص يحرَص بكسر الراء فى فعِل ، وفتحها فى يفعَل ، والقراءة على الفتح فى الماضى والكسر فى المستقبل ، وهى لغة أهل الحجاز .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

☼ يقول تعالى ذكره : وحلف هؤلاء المشركون من قريش بالله جَهْدَ أَيْمانِهِمْ حلفهم ، لايبعث الله من يموت بعد مماته . وكذبوا وأبطلوا فى أيمانهم التى حلفوا بها كذلك ، بل سيبعثه الله بعد مماته ، وعدا عليه أن يبعثهم وعد عباده . والله لايخلف الميعاد (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر قريش لايعلمون وعد الله عباده ، أنه باعثهم يوم القيامة بعد مماتهم أحياء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأَقْسَمُوا باللهِ جَهْدَ

أيمانهم لايبعث الله من يموت) تكذيبا بأمر الله أو بأمرنا ، فإن الناس صاروا فى البعث فريقين : مكذّب ومصدّق . ذُكر لنا أن رجلا قال لابن عباس : إن ناسا بهذا العراق يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة ، ويتأوّلون هذه الآية ، فقال ابن عباس : كذب أولئك ، إنما هذه الآية للناس عامّة ، ولعمرى لو كان علىّ مبعوثا قبل يوم القيامة ما أنكحنا نساءه ، ولا قسمنا ميراثه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس : إن رجالا يقولون : إن عليا مبعوث قبل يوم القيامة ، ويتأوّلون (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت ، بلى وعدا عليه حقا ، ولكن أكثر الناس لايعلمون) قال : لو كنا نعلم أن عليا مبعوث ، ما تزوّجنا نساءه ، ولا قسمنا ميراثه ، ولكن هذه للناس عامة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن أبيه ، عن الربيع ، فى قوله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت) قال : حلف رجل من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم عند رجل من المكذّبين ، فقال : والذى يرسل الروح من بعد الموت ، فقال : وإنك لتزعم أنك مبعوث من بعد الموت ، وأقسم بالله جهد يمينه : لايبعث الله من يموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قال : كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين ، فأتاه يتقاضاه ، فكان فيما تكلم به : والذى أرجوه بعد الموت إنه لكذا ، فقال المشرك : إنك تزعم أنك تُبعث بعد الموت ، فأقسم بالله جهد يمينه : لايبعث الله من يموت ، فأنزل الله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت . بلى وعدا عليه حقا ، ولكن أكثر الناس لايعلمون) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن عطاء بن أبى رباح أنه أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول : « قال الله : سبنى ابن آدم ، ولم يكن ينبغى له أن يسبنى ، وكذّبنى ولم يكن ينبغى له أن يكذّبنى ؛ فأما تكذيبه إياى ، فقال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت) قال : قلت (بلى وعدا عليه حقا) . وأما سبه إياى ، فقال : (إن الله ثالث ثلاثة) ، وقلت : (قل هو الله أحد ، الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

(لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾)

يقول تعالى ذكره : بل ليبعثنّ الله من يموت وعدا عليه حقا ، ليبين لهؤلاء الذين يزعمون أن الله لايبعث من يموت ، ولغيرهم الذى يختلفون فيه من إحياء الله خلقه بعد فنائهم ، وليعلم الذين جحدوا صحة ذلك ، وأنكروا حقيقته أنهم كانوا كاذبين فى قيلهم : لايبعث الله من يموت .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ) قال : للناس عامّة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : إنا إذا أردنا أن نبعث من يموت فلا تعب علينا ولا نصب فى إحيائناهم ، ولا فى غير ذلك مما نخلق ونكوّن ونحدث ، لأنا إذا أردنا خلقه وإنشاءه ، فإنما نقول له : كن فيكون ، لامعاناة فيه ، ولا كُلفة علينا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله : يكون ، فقرأه أكثر قرّاء الحجاز والعراق على الابتداء ، وعلى أن قوله (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ) كلام تامّ مكتف بنفسه عما بعده ، ثم يبتدأ فيقال : فيكون ، كما قال الشاعر :

يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فيعجِمُهْ[1]

وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل الشام ، وبعض المتأخرين من قرّاء الكوفيين (فَيَكُونَ) نصبا ، عطفا على قوله (أَنْ نَقُولَ لَهُ) . وكأن معنى الكلام على مذهبهم : ما قولنا لشىء إذا أردناه إلا أن نقول له : كن ، فيكون . وقد حُكى عن العرب سماعا : أريد أن آتيك فيمنعنى المطر ، عطفا بيمنعنى على آتيك .

وقوله (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) يقول تعالى ذكره : والذين فارقوا قومهم ودورهم وأوطانهم عداوة لهم فى الله على كفرهم إلى آخرين غيرهم (مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا) يقول : من بعد ما نيل منهم فى أنفسهم بالمكاره فى ذات الله (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) يقول : لنسكننهم فى الدنيا مسكنا يرضونه صالحا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) هذا بيت من مشطور الرجز من شواهد الفراء فى معانى القرآن (ص ١٦١) والشاهد فى البيت : أن قوله فيعجمه بالرفع ليس معطوفا على أن يعربه وإنما هو كلام مستأنف ، أى فهو يعجمه ولا يعربه . ومثله قوله تعالى « أن نقول له كن فيكون » بالرفع وليس معطوفا على «أن نقول» . ومثله أيضا قوله تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل» بالرفع ، وليس بالنصب على الجواب للنفى ومثله قوله تعالى « لنبين لكم ، ونقر فى الأرحام » برفع نقر على الاستئناف وقوله تعالى فى براءة « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » ثم قال « ويتوب الله على من يشاء » . قال الفراء : فإذا رأيت الفعل منصوبا ، وبعده فعل قد نسق عليه بواو أو فاء أو ثم ، فإن كان يشاكل معنى الفعل الذى قبله ، نسقته عليه ، وإن رأيته غير مشاكل لمعناه ، استأنفته فرفعته . ومنه قوله :

وَالشِّعْرُ لا يَسْتَطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهْ يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهْ

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) قال : هؤلاء أصحاب محمد ظلمهم أهل مكة ، فأخرجوهم من ديارهم ، حتى لحق طوائف منهم بالحبشة ، ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة ، وجعل لهم أنصارا من المؤمنين .

حُدثت عن القاسم بن سلام ، قال : ثنا هشيم ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبى (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً) قال : المدينة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً) قال : هم قوم هاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة بعد ظلمهم ، وظلمهم المشركون .

وقال آخرون : عنى بقوله (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً) لنرزقنهم فى الدنيا رزقا حسنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) لنرزقنهم فى الدنيا رزقا حسنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن العوامّ ، عمن حدثه أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول : خذ بارك الله لك فيه ، هذا ماوعدك الله فى الدنيا ، وماذخره لك فى الآخرة أفضل ، ثم تلا هذه الآية (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً ، وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) .

❊ وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) : لنحلنهم ولنسكننهم ، لأن التبوأ فى كلام العرب الحلول بالمكان والنزول به . ومنه قول الله تعالى (وَلَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ) وقيل : إن هذه الآية نزلت فى أبى جندل بن سهيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن داود بن أبى هند ، قال : نزلت (وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) . . . إلى قوله (وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فى أبى جندل بن سهيل .

وقوله (وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) يقول : ولثواب الله إياهم على هجرتهم فيه فى الآخرة أكبر ، لأن ثوابه إياهم هنالك الجنة التى يدوم نعيمها ولايبيد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الله (وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ) أى والله لما يثيبهم الله عليه من جنته أكبر (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

❁ يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا صفتهم ، وآتيناهم الثواب الذى ذكرناه ، الذين صبروا فى الله على ما نابهم فى الدنيا (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يقول : وبالله يثقون فى أمورهم ، وإليه يستندون فى نوائب الأمور التى تنوبهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أرسلنا من قبلك يامحمد إلى أمة من الأمم ، للدعاء إلى توحيدنا ، والانتهاء إلى أمرنا ونهينا ، إلا رجالا من بنى آدم نوحى إليهم وحينا لا ملائكة ، يقول : فلم نرسل إلى قومك إلا مثل الذى كنا نرسل إلى من قبلهم من الأمم من جنسهم ، وعلى منهاجهم (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) يقول لمشركى قريش : وإن كنتم لا تعلمون أن الذين كنا نرسل إلى من قبلكم من الأمم رجال من بنى آدم مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، وقلتم : هم ملائكة : أى ظننتم أن الله كلمهم قبلا ، فاسئلوا أهل الذكر ، وهم الذين قد قرءوا الكتب من قبلهم : التوراة والإنجيل ، وغير ذلك من كتب الله التى أنزلها على عباده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن ليث ، عن مجاهد (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) قال : أهل التوراة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن سفيان ، قال : سألت الأعمش ، عن قوله (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) قال : سمعنا أنه من أسلم من أهل التوراة والإنجيل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا

أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلاَّ رِجالاً نُوحِي إلَيْهِمْ ، فاسْئَلُوا أهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ) قال : هم أهل الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال ، ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (فاسْئَلُوا أهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ) قال : قال لمشركى قريش : إن محمدا فى التوراة والإنجيل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : لما بعث الله محمدا رسولا ، أنكرت العرب ذلك ، أو من أنكر منهم ، وقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد ، قال : فأنزل الله (أكانَ للنَّاسِ عَجَبًا أنْ أوْحَيْنا إلى رَجُلٍ مِنْهُمْ ؟) وقال : (وَمَا أرْسَلْنا مِنْ قبلكَ إلاَّ رِجالاً نُوحِي إلَيْهِمْ فاسْئَلُوا أهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ ، بالبَيِّناتِ والزُّبُرِ) فاسئلوا أهل الذكر : يعنى أهل الكتب الماضية ، أبشرا كانت الرسل التى أتتكم أم ملائكة ؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم ، وإن كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد رسولا ، قال : ثم قال : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى : أى ليسوا من أهل السماء كما قلتم .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبى جعفر (فاسْئَلُوا أهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ) قال : نحن أهل الذكر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فاسْئَلُوا أهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ) قال : الذكر : القرآن . وقرأ (إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحافِظُونَ) وقرأ (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ) . . . الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى :

بِالْبَيِّنَٰتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

❊ يقول تعالى ذكره : أرسلنا بالبينات والزُّبُر رجالا نوحى إليهم .

فإن قال قائل : وكيف قيل بالبينات والزُّبُر ، وما الجالب لهذه الباء فى قوله (بالبَيِّناتِ) فإن قلت : جالبها قوله (أرْسَلْنا) وهى من صلته ، فهل يجوز أن تكون صلة « ما » قبل « إلا » بعدها ، وإن قلت : جالبها غير ذلك ؛ فما هو ، وأين الفعل الذى جلبها . قيل : قد اختلف أهل العربية فى ذلك ، فقال بعضهم : الباء التى فى قوله (بالبَيِّناتِ) من صلة أرسلنا ، وقال : إلا فى هذا الموضع ، ومع الجحد والاستفهام فى كلّ موضع بمعنى غير ، وقال : معنى الكلام : وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر غير رجال نوحى إليهم ، ويقول على ذلك : ماضرب إلا أخوك زيدا ، وهل كلم إلا أخوك عمرا ، بمعنى : ماضرب زيدا غير أخيك ؛ وهل كلم عمرا إلا أخوك ؟ ، ويحتجّ فى ذلك بقول أوْس بن حَجَر :

أَبَنِي لُبَيْنَى لَسْتُمُ بِيَدٍ ... إلا يَدٍ لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ[١]

ويقول : لو كانت « إلا » بغير معنى لفسد الكلام ، لأن الذى خفض الباء قبل إلا لا يقدر على إعادته بعد إلا لخفض اليد الثانية ، ولكن معنى إلا معنى غير ، ويستشهد أيضا بقول الله عز وجل (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ) ويقول : إلا بمعنى : غير فى هذا الموضع . وكان غيره يقول : إنما هذا على كلامين : يريد : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا أرسلنا بالبينات والزبر . قال : وكذلك قول القائل: ماضرب إلا أخوك زيدا معناه : ماضرب إلا أخوك ، ثم يبتدئ ضرب زيدا ، وكذلك مامرّ إلا أخوك بزيد مامرّ إلا أخوك ، ثم يقول : مرّ بزيد ، ويستشهد على ذلك ببيت الأعشى :

وَلَيْسَ مُجِيرًا إنْ أَتَى الحَيَّ خَائِفٌ ... وَلا قَائِلاً إِلاَّ هُوَ المُتَعَيَّبَا[٢]

ويقول : لو كان ذلك على كلمة لكان خطأ ، لأن المُتَعَيَّبا من صلة القائل ، ولكن جاز ذلك على كلامين. وكذلك قول الآخر :

نُبِّئْتُهُمْ عَذَّبُوا بِالنَّارِ جَارَهُمُ ... وَهَلْ يُعَذِّبُ إِلاَّ اللهُ بِالنَّارِ[٣]

---

(١) رواية هذا البيت فى الكتاب لسيبويه (١ : ٣٦٢) :

يابْنَيْ لُبَيْنَى لَسْتُمَا بِيَدٍ ... إلاَّ يَدًا لَيْسَتْ لهَا عَضُدُ

بنصب يد التى بعد إلا على محل بيد التى قبلها . قال الشنتمرى فى الكلام على الشاهد : الشاهد فيه نصب ما بعد إلا ، على البدل من موضع الباء وما عملت فيه . والتقدير : لستما يدا إلا يدا لاعضد لها . ولا يجوز الجر على البدل من المجرور ، لأن ما بعد « إلا » مجرور ، والباء : مؤكدة للنفى . ويروى : مخبولة العضد . والخبل : الفساد ، أى أنتما فى الضعف وقلة النفع كيد بطل عضدها . اهـ .

وقال الفراء فى معانى القرآن (١ : ١٧٢) : ورأيت الكسائى يجعل إلا مع الجحد والاستفهام بمنزلة غير . . . . وقال فى قوله تعالى : « لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا » لا أجد المعنى إلا : لوكان فيهما آلهة غير الله لفسدتا . واحتج بقول الشاعر :

أبنى لبينى لستم بيد ... إلا يد ليست لها عضد

فقال : لوكان المعنى إلا لكان الكلام فاسدا فى هذا ؛ لأنى لا أقدر فى هذا البيت على إعادة خافض بضمير ، وقد ذهب ههنا مذهبا . قلت : وقد جوز الشيخ خالد فى يد التى بعد إلا النصب على الاستثناء ، وعلى البدلية ، كما مر فى كلام الأعلم الشنتمرى . وجوز وجها ثالثا تبعا للكسائى وأنشد بيته الشاهد ، وهذا الوجه : هو جره على الصفة ليد الأولى . التصريح بمضمون التوضيح ١ : ٤٢٤ (طبعة الأميرية ، باب الاستثناء) .

وقال الشيخ يس العليمى الحمصى فى حاشيته على التصريح فى هذا الموضع : « أبنى لبينى : بصيغة المثنى ، بدليل قوله « لستما » أى فى رواية صاحب التصريح . وهو منادى حذف منه حرف النداء ، وليس فى قوله : « إلا يد » وصف الشيء بنفسه ، لأن المعتمد بالصفة ليد الأولى صفة يد الثانية ، و« يد » الثانية صفة موطئة .

(٢) البيت لأعشى بنى ثعلبة ميمون بن قيس (ديوانه طبعة القاهرة ص ١١٣) يقول : إنه لايملك أن يؤمن رجلا ، فيجعله فى جواره ، لأن الناس لا يحترمون هذا الجوار ، وإنما يحترمون جوار الأقوياء ، فلا يجرءون أن ينالوا جارهم بأذى ، والمتعيب اسم مفعول من تعيبه إذا نسبه إلى العيب : أى ولا قائلا القول المعيب إلا هو . وقد بين المؤلف وجه استشهاد بعض النحويين (وهو الكسائى) بالبيت . وأن المتعيبا منصوب بقائلا المحذوف . والتقدير : ولا قائلا إلا هو « قائلا » المعيبا . وهو معنى قوله ، ولكن جاز ذلك على كلامين . اهـ .

(٣) هذا البيت كسابقه : شاهد على أن قوله « بالنار » من صلة الفعل « يعذب » وما قبل إلا لا يعمل فيما بعدها ، فأخره ونوى كلامين ، فيكون « بالنار » من صلة « يعذب » المحذوف . والتقدير : وهل يعذب إلا الله ، يعذب بالنار . والبيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (١ : ١٧٢) .

فتأويل الكلام إذن : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر ، وأنزلنا إليك الذكر . والبينات : هى الأدلة والحجج التى أعطاها الله رسله أدلة على نبوّتهم شاهدة لهم على حقيقة ما أتوا به إليهم من عند الله . والزُّبُر : هى الكتب ، وهى جمع زَبُور ، من زَبَرْتُ الكتاب وذَبَرْته : إذا كتبته.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (بالبَيِّناتِ والزُّبُرِ) قال : الزبر : الكتب .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بالبَيِّناتِ والزُّبُرِ) قال : الآيات . والزبر : الكتب.

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحُذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الزُّبُر : الكُتُب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَالزُّبُرِ) يعنى : بالكتب .

وقوله (وأنْزَلْنا إلَيْكَ الذِّكْرَ) يقول : وأنزلنا إليك يامحمد هذا القرآن تذكيرا للناس وعظة لهم ، (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ) يقول : لتعرفهم ما أنزل إليهم من ذلك (وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) يقول : وليتذكروا فيه ويعتبروا به : أى بما أنزلنا إليك ؛ وقد حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : ثنا الثورى ، قال : قال مجاهد (وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) قال : يطيعون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره : أفأمن الذين ظلموا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فراموا أن يفتنوهم عن دينهم من مشركى قريش الذين قالوا : إذ قيل لهم : ما ذا أنزل ربكم : أساطير الأوّلين ، صدّا منهم لمن أراد الإيمان بالله عن قصد السبيل ، أن يخسف الله بهم الأرض على كفرهم وشركهم ، أو يأتيهم عذاب الله من مكان لايشعر به ، ولا يدرى من أين يأتيه . وكان مجاهد يقول : عنى بذلك نمرود ابن كنعان .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح

عن مجاهد (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ)... إلى قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) قال: هو نمرود بن كنعان وقومه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وإنما اخترنا القول الذى قلناه فى تأويل ذلك، لأن ذلك تهديد من الله أهل الشرك به، وهو عقيب قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ، فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ) فكان تهديد من لم يقرّ بحجة الله الذى جرى الكلام بخطابه قبل ذلك أحرى من الخبر عمن انقطع ذكره عنه.

وكان قتادة يقول فى معنى السيئات فى هذا الموضع، ماحدثنا به بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ): أى الشرك.

القول فى تأويل قوله تعالى:

أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) أو يهلكهم فى تصرّفهم فى البلاد، وتردّدهم فى أسفارهم (فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) يقول جلّ ثناؤه: فإنهم لايعجزون الله من ذلك إن أراد أخذهم كذلك.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى وعلىّ بن داود، قالا: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) يقول: فى اختلافهم.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) قال: إنْ شئت أخذته فى سفر.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) فى أسفارهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، مثله.

وقال ابن جريج فى ذلك ماحدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) قال: التقلب: أن يأخذهم بالليل والنهار.

وأما قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) فإنه يعنى: أو يهلكهم بتخوّف، وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم الشىء بعد الشىء حتى يهلك جميعهم، يقال منه: تخوّف مال فلان الإنفاق: إذا انتقصه، ونحو تخوّفه من التخوّف بمعنى: التنقص، قول الشاعر:

تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْهَا تامِكا قَرِدًا ... كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ[١]

يعنى بقوله : تخوّف السير : تنقص سنامها . وقد ذكرنا عن الهيثم بن عدىّ أنه كان يقول : هى لغة لأزدشنوءة معروفة لهم ؛ ومنه قول الآخر :

تَخَوَّفَ عَدْوُهُمْ مالى وأهْـدَى ... سَلاسِلَ فى الحُلُوقِ لَهَا صَلِيلُ[٢]

وكان الفرّاء يقول : العرب تقول : تحوّفته : أى تنقصته ، تحوّفا : أى أخذته من حافاته وأطرافه ، قال : فهذا الذى سمعته ، وقد أتى التفسير بالحاء وهما بمعنى . قال : ومثله ماقرئ بوجهين قوله : إن لك فى النهار سَبْحاً وسَبْخاً .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن المسعودى ، عن إبراهيم بن عامر بن مسعود ، عن رجل ، عن عُمَر أنه سألهم عن هذه الآية (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ . أَوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ) فقالوا : ما نرى إلا أنه عند تنقص ما يردّده من الآيات ، فقال عمر : ما أرى إلا أنه على ماتنتقصون من معاصى الله ، قال : فخرج رجل ممن كان عند عمر ، فلقى أعرابيا ، فقال : يافلان مافعل ربك ؟ قال : قد تَخَيَّفته ، يعنى تنقصته ، قال : فرجع إلى عمر فأخبره ، فقال : قدّر الله ذلك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أَوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ) يقول : إن شئت أخذته على أثر موت صاحبه وتخوّف بذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس (على تَخَوُّفٍ) قال : التنقص والتفزيع .

---

(١) البيت لابن مقبل (لسان العرب : خوف) قال : التخوف : التنقص . وفى التنزيل : « أويأخذهم على تخوف » . قال الفراء فى التفسير بأنه التنقيص قال : والعرب تقول : تحوفته أى تنقصته من حافاته . قال : فهذا الذى سمعته . قال : وقد أتى التفسير بالحاء . قال الزجاج : ويجوز أن يكون معناه : أو يأخذهم بعد أن يخيفهم بأن يهلك قرية ، فتخاف التى تليها . وقال ابن مقبل : تخوف ... الخ والسفن : الحديدة التى تبرد بها القسى ، أى تنقص ، كما تأكل هذه الحديدة خشب القسى . وكذلك التخويف ، يقال : خوفه وخوف منه . قال ابن السكيت : يقال : هو يتحوف المال (بالمهملة) ويتخوفه ، أى يتنقصه ، ويأخذ من أطرافه . وقال ابن الأعرابى : تحوفته وتحيفته ، وتخوفته وتخيفته إذا تنقصته . والتامك السنام أو السنام المرتفع . والقرد : الذى تجمع شعره ، أو الذى تراكم لحمه من السمن. وفى « فتح القدير » للشوكانى : التخوف بالفاء : التنقص : لغة لأزد شنوءة . والنبع من شجر الجبال تتخذ منه القسى ، الواحدة نبعة .

(٢) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٠) قال : « على تخوف » مجازه : على التنقص ، وأنشد بيتين ثانيهما بيت الشاهد ، وأولهما :

أُلامُ عَلَى الهِجاءِ وكُلَّ يَوْمٍ ... يُلاقِينِى مِنَ الجِيرانِ غُولُ

أى تنقص غدرهم مالى . سلاسل : يريد القوافى تنشد ، فهو صليلها . وهو قلائد فى أعناقهم . وفى رواية أبى عبيدة والقرطبى غدرهم ، فى مكان عدوهم . أى اعتداؤهم . قلت . وفى اللسان أيضا (خون) تخونه ، وخونه ، وخون منه : نقصه . يقال : تخوننى فلان حق إذا تنقصك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ) على تنقص .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (على تَخَوُّفٍ) قال : تنقص .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ) فيعاقب أو يتجاوز .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ) قال : كان يقال : التخوّف : التنقُّص ، ينتقصهم من البلدان من الأطراف .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ) يعني : يأخذ العذاب طائفة ويترك أخرى ، ويعذّب القرية ويهلكها ، ويترك أخرى إلى جنبها .

وقوله (فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) يقول : فإن ربكم إن لم يأخذ هؤلاء الذين مكروا السيئات بعذاب معجّل لهم ، وأخذهم بموت وتنقص بعضهم في أثر بعض ، لرءوف بخلقه ، رحيم بهم ، ومن رأفته ورحمته بهم لم يخسف بهم الأرض ، ولم يعجّل لهم العذاب ، ولكن يخوّفهم وينقّصهم بموت .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والمدينة والبصرة (أَوَلَمْ يَرَوْا) بالياء على الخبر عن الذين مكروا السيئات . وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين (أَوَلَمْ تَرَوْا) بالتاء على الخطاب .

وأولى القراءتين عندي بالصواب قراءة من قرأ بالياء على وجه الخبر عن الذين مكروا السيئات ، لأن ذلك في سياق قَصَصهم ، والخبر عنهم ، ثم عقب ذلك الخبر عن ذهابهم عن حجة الله عليهم ، وتركهم النظر في أدلته والاعتبار بها . فتأويل الكلام إذن : أولم ير هؤلاء الذين مكروا السيئات ، إلى ما خلق الله من جسم قائم ، شجر أو جبل أو غير ذلك ، يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل ، يقول : يرجع من موضع إلى موضع ، فهو في أوّل النهار على حال ، ثم يتقلّص ، ثم يعود إلى حال أخرى في آخر النهار .

وكان جماعة من أهل التأويل يقولون في اليمين والشمائل ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد

عن قتادة ، قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا إلى ما خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ اليَمِينِ والشَّمائِلِ سُجَّدًا لِلهِ) أما اليمين : فأول النهار ؛ وأما الشمال : فآخر النهار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (يَتَفَيَّأُ ظِلالُه عَنِ اليَمِينِ والشَّمائِلِ) قال : الغدوّ والآصال ، إذا فاءت الظِّلال ، ظلال كلّ شيء بالغدوّ سجدت لله ، وإذا فاءت بالعشىّ سجدت لله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ اليَمِينِ والشَّمائِلِ) يعنى : بالغدوّ والآصال ، تسجد الظلال لله غدوة إلى أن يفىء الظلّ ، ثم تسجد لله إلى الليل ، يعنى : ظلّ كلّ شيء .

وكان ابن عباس يقول فى قوله (يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) ما حدثنا المثنى ، قال : أخبرنا أبو صالح ، قال ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) يقول : تتميل .

واختلف فى معنى قوله (سُجَّدًا لِلهِ) فقال بعضهم : ظلّ كلّ شيء سجوده .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) قال : ظلّ كلّ شيء : سجوده .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الرازىّ ، عن أبى سنان ، عن ثابت عن الضحاك (يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) قال : سجد ظلّ المؤمن طوعا ، وظلّ الكافر كرْها .

وقال آخرون : بل عنى بقوله (يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) كلا عن اليمين والشمائل فى حال سجودها ، قالوا : وسجود الأشياء غير ظلالها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ؛ وحدثنى نصر بن عبد الرحمن الأَودىّ ، قالا : ثنا حَكّام ، عن أبى سنان ، عن ثابت عن الضحاك ، فى قول الله (أَوَلَمْ يَرَوْا إلى ما خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) قال : إذا فاء الفىء توجه كلّ شيء ساجدا قِبَل القبلة ، من نبت أو شجر ، قال : فكانوا يستحبون الصلاة عند ذلك .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا الحِمَّانىّ ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قول الله (يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) قال : إذا زالت الشمس سجد كلّ شيء لله عزّ وجلّ .

وقال آخرون : بل الذى وصف الله بالسجود فى هذه الآية ظلال الأشياء ، فإنما يسجد ظلالها دون التى لها الظلال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (أَوَلَمْ

يرَوْا إلى ما خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) قال : هو سجود الظلال ، ظلال كلّ شيء ما فى السموات وما فى الأرض من دابة ، قال : سجود ظلال الدوابّ ، وظلال كلّ شيء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أوَلَمْ يرَوْا إلى ما خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) ما خلق من كلّ شيء عن يمينه وشمائله ، فلفظ ما لفظ عن اليمين والشمائل ، قال : ألم تر أنك إذا صليت الفجر ، كان ما بين مطلع الشمس إلى مغربها ظلا ، ثم بعث الله عليه الشمس دليلا ، وقبض الله الظلّ .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر فى هذه الآية أن ظلال الأشياء هى التى تسجد ، وسجودها : ميَلانها ودورانها من جانب إلى جانب ، وناحية إلى ناحية ، كما قال ابن عباس : يقال من ذلك : سجدت النخلة إذا مالت ، وسجد البعير وأسجد : إذا أميل للركوب . وقد بيّنا معنى السجود فى غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته .

وقوله (وَهُمْ دَاخِرُونَ) يعنى : وهم صاغرون ، يقال منه : دخر فلان لله يدخر دخرا ودخورا : إذا ذلّ له وخضع ؛ ومنه قول ذى الرُّمَّة :

فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ داخِرٌ فِى مُخَيَّسٍ وَمُنْجَحِرٌ فِى غيرِ أرْضِكَ فى جُحْرِ[١]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَهُمْ دَاخِرُونَ) : صاغرون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُمْ دَاخِرُونَ) : أى صاغرون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة مثله .

وأما توحيد اليمين فى قوله (عَنِ اليَمِينِ والشَّمائِلِ) فجمعها ، فإن ذلك إنما جاء كذلك ؛ لأن معنى الكلام : أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلال ما خلق من شيء عن يمينه : أى ما خلق ، وشمائله ، فلفظ « ما » لفظ واحد ، ومعناه معنى الجمع ، فقال : عن اليمين بمعنى : عن يمين ما خلق ، ثم رجع إلى معناه فى الشمائل . وكان بعض أهل العربية يقول : إنما تفعل العرب ذلك ، لأن أكثر الكلام مواجهة الواحد الواحد ، فيقال للرجل : خذ عن يمينك ، قال : فكأنه إذا وحّد ذهب إلى واحد من القوم ، وإذا جمع

---

(١) البيت شاهد على أن معنى الداخر : الصاغر . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن : وهم داخرون : أى صاغرون يقال : فلان دخر لله : أى ذل وخضع . و (فى اللسان : دخر) : دخر الرجل بالفتح يدخر دخورا ، فهو داخر ، ودخر دخرا (كفرح) ذل وصغر يصغر صغارا ، وهو الذى يفعل ما يؤمر به ، شاء أو أبى ، صاغرا قميئا . وفى (اللسان : خيس) : وكل سجن : مخيس ومخيس (بتشديد الياء مفتوحة ومكسورة) . وأنشد البيت ونسبه إلى الفرزدق . والمنجحر : الداخل فى الجحر ، يقال : أجحره فانجحر : أدخله الجحر ، فدخله . والجحر : كل شيء تحتفره الهوام والسباع لأنفسها . والجمع : أجحار وجحرة .

فهو الذى لامساءلة فيه ، واستشهد لفعل العرب ذلك بقول الشاعر :

بِفِى الشَّامِتِينَ الصَّخْرُ إنْ كانَ هَدَّنِى رَزِيَّةُ شِبْلَىْ مُخْدِرٍ فى الضَّراغمِ [1]

فقال : بِفِى الشامتين ، ولم يقل : بأفواه ؛ وقول الآخر :

الوَارِدُونَ وتَيْمٌ فِى ذَرَا سَبَإٍ قد عَضَّ أعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الجَوَاميسِ [2]

ولم يقل : جلود .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

يقول تعالى ذكره : ولله يخضع ويستسلم لأمره ما فى السموات وما فى الأرض من دابّة يدبّ عليها ، والملائكة التى فى السموات ، وهم لا يستكبرون عن التذلل له بالطاعة (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) وظلالهم تتفيأ عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون .

وكان بعض نحويّى البصرة يقول : اجتزئ بذكر الواحد من الدوابّ عن ذكر الجميع . وإنما معنى الكلام : ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من الدوابّ والملائكة ، كما يقال : ما أتانى من رجل ، بمعنى : ما أتانى من الرجال .

كان بعض نحويّى الكوفة يقول : إنما قيل : من دابة ، لأن « ما » وإن كانت قد تكون على مذهب الذى ، فإنها غير مؤقتة ، فإذا أبهمت غير مؤقتة أشبهت الجزاء ، والجزاء يدخل من فيما جاء من اسم بعده من النكرة ، فيقال : من ضربه من رجل فاضربوه ، ولا تسقط «مِن» مِن هذا الموضع كراهية أن تشبه أن تكون حالا لمن وما ، فجعلوه بمن ليدلّ على أنه تفسير لما ومن لأنهما غير موقتتين ، فكان دخول من فيما بعدهما تفسيرا لمعناهما ، وكان دخول من أدلّ على ما لم يوقت من من وما ، فلذلك لم تلغيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

يقول تعالى ذكره : يخاف هؤلاء الملائكة التى فى السموات ، وما فى الأرض من دابة ، ربهم من

---

(١) هذا البيت من شواهد الفراء فى (معانى القرآن ١ : ١٧٢) استشهد به عند قوله تعالى : (يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل) قال : الظل يرجع على كل شىء من جوانبه ، فذلك تفيؤه ، ثم فسر فقال : عن اليمين والشمائل ، وكل ذلك جائز فى العربية ، قال الشاعر : « بفى الشامتين . . . الخ البيت » . قال ولم يقل : بأفواه الشامتين . قلت : يريد أن جمع الشمائل وإفراد اليمين ، جائز فى العربية ؛ واستشهد عليه بالبيت . وقد وجهه المؤلف فى التفسير توجيها حسنا .

(٢) وهذا البيت أيضا كالشاهد قبله من شواهد الفراء ، فى (معانى القرآن ، بعد سابقه ١ : ١٧٢) على أن الشاعر قال : جلد الجواميس بالإفراد ، ولم يقل : جلود الجواميس ، فى مقابلة أعناقهم ولم نقف على البيت فى المراجع ، و لا على قائله .

فوقهم ، أن يعذّبهم إن عَصَوا أمره ، ويفعلون ما يؤمرون . يقول : ويفعلون ما أمرهم الله به ، فيؤدّون حقوقه ، ويجتنبون سُخْطه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ (٥١)

❁ يقول تعالى ذكره : وقال الله لعباده : لاتتخذوا لى شريكا أيها الناس ، ولا تعبدوا معبودَين ؛ فإنكم إذا عبدتم معى غيرى جعلتم لى شريكا ، ولا شريك لى ، إنما هو إله واحد ، ومعبود واحد ، وأنا ذلك ، فإياى فارهبون : يقول : فإياى فاتقوا وخافوا عقابى بمعصيتكم إياى إن عصيتمونى وعبدتم غيرى ، أو أشركتم فى عبادتكم لى شريكا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ (٥٢)

❁ يقول تعالى ذكره : ولله ملك ما فى السموات والأرض من شىء ، لاشريك له فى شىء من ذلك ، هو الذى خلقهم ، وهو الذى يرزقهم ، وبيده حياتهم وموتهم . وقوله (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبا) يقول جلّ ثناؤه : وله الطاعة والإخلاص دائما ثابتا واجبا ، يقال منه : وَصَبَ الدِّينُ يَصِبُ وُصُوبا ووَصْبا ؛ كما قال الدِّيلىّ :

لا أبْتَغِي الحَمْدَ القَلِيلَ بَقاؤُهُ يَوْما بِذَمِّ الدَّهْرِ أجْمَعَ وَاصِبا[1]

ومنه قول الله (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) ؛ وقول حسان :

غَيَّرَتْهُ الرِّيحُ تَسْفِي بِهِ وهَزِيمٌ رَعْدُهُ وَاصِبُ[2]

فأما من الألم ، فإنما يقال : وصب الرجل يوصب وصبا ، وذلك إذا أعيا وملّ ؛ ومنه قول الشاعر :

(١) البيت لأبى الأسود الدؤلى، ويقال فيه الديلى أيضا ، استشهد به أبوعبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦١) على أن معنى « واصبا » : دائما . وروايته فيه كرواية المؤلف (الطبرى) . واستشهد به كذلك القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن (١٠ : ١١٤) ورواه بروايتين : الأولى كرواية المؤلف ، وقال قبلها : أنشد الغزنوى والثعلبى وغيرهما . . . البيت . والأخرى باختلاف فى الشطر الثانى ، وهو : « بدم يكون الدهر أجمع واصبا » وظاهر أن هذه الرواية محرفة عن الأولى . وقال صاحب لسان العرب فى « وصب » : وفى التنزيل العزيز : « وله الدين واصبا » قال أبو إسحاق : قيل فى معناه : دائبا : أى طاعته دائمة واجبة أبدا . قال : ويجوز ، والله أعلم أن يكون « وله الدين واصبا » : أى له الدين والطاعة ، رضى العبد بما يؤمر به ، أولم يرض به ، سهل عليه ، أولم يسهل ، فله الدين وإن كان فيه الوصب . والوصب : شدة التعب . وفيه : « بعذاب واصب » أى دائم ثابت . وقيل : موجع .

(٢) البيت لحسان بن ثابت (ديوانه طبع ليدن سنة ١٩١٠ ص ٦١) وقبله بيت وهو المطلع :

قَدْ تَعَفَّى بَعْدَنا عاذِبُ ما بِهِ بادٍ وَلا قارِبُ

وتسفى به : تحمل إليه التراب . والهزيم : السحاب المتشقق بالمطر . يقول : غير هذا المكان ما تسفيه الريح عليه من التراب ، وما يأتى به السحاب من مطر رعده دائم .

لا يغمزُ السَّاقَ مِنْ أيْنٍ ولا وَصَبٍ　　ولا يعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ(١)

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل الواصب ، فقال بعضهم : معناه : ما قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن الأغرّ بن الصباح ، عن خليفة بن حصين عن أبى نضرة ، عن ابن عباس (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبا) قال : دائما .

حدثنى إسماعيل بن موسى ، قال : أخبرنا شريك ، عن أبى حصين ، عن عكرمة ، فى قوله (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبا) قال : دائما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن يعلى بن النعمان ، عن عكرمة ، قال دائما.

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال أخبرنا : إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح عن مجاهد (وَلَهُ الدِّينُ واصِباً) قال : دائما .

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وله الدّين واصبا) قال : دائما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة وأبومعاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبا) قال : دائما .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هُشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبا) : أى دائما ، فإن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئا من خلقه إلا عبده طائعا أوكارها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاصِبا) قال : دائما ، ألا ترى أنه يقول (عَذَابٌ وَاصِبٌ) : أى دائم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبا) قال : دائما ، والواصب : الدائم .

(١) هذا البيت لأعشى باهلة ، واسمه عامر بن الحارث جمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبى الخطاب القرشى (١٣٥ - ١٣٧) من قصيدة يقولها فى أخ له اسمه المنتشر ، قتله بنو الحارث بن كعب وقطعوه إربا إربا (عضوا عضوا) برجل منهم كان فعل معه مثل ذلك . ورواية البيت فيه وفى اللسان (صفر) :

لا يتأَسَّى لِمَا فى القِدْرِ يرْقُبُـهُ　　ولا يَعَضُّ عَلى شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ

قال : والصفر دويبة تكون فى البطن ، تدعيها الأعراب ، ويكون منها الجوع . وخطأ رواية البيت الصاغانى ، وأورده كرواية المؤلف . (انظر هامش اللسان : أرى) . والغمز : العصر باليد . والشرسوف : جمعه شرا سيف ، وهى أطراف أضلاع الصدر التى تشرف على البطن .

وقال آخرون : الواصب فى هذا الموضع : الواجب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن يَعْلَى بن النعمان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا) قال : واجبا .

وكان مجاهد يقول : معنى الدين فى هذا الموضع : الإخلاص . وقد ذكرنا معنى الدين فى غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا) قال : الإخلاص .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الدين : الإخلاص .

وقوله (أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ) يقول تعالى ذكره : أفغير الله أيها الناس تتقون : أى ترهبون وتحذرون أن يسلبكم نعمة الله عليكم بإخلاصكم العبادة لربكم ، وإفرادكم الطاعة له ، وما لكم نافع سواه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾

اختلف أهل العربية فى وجه دخول الفاء فى قوله (فَمِنَ اللهِ) فقال بعض البصريين : دخلت الفاء ، لأن « ما » بمنزلة « من » فجعل الخبر بالفاء . وقال بعض الكوفيين : « ما » فى معنى جزاء ، ولها فعل مضمر كأنك قلت : ما يكن بكم من نعمة فمن الله ، لأن الجزاء لابدّ له من فعل مجزوم ، إن ظهر فهو جزم ، وإن لم يظهر فهو مضمر ؛ كما قال الشاعر :

إنِ العَقْلُ فى أموالِنا لا نَضِقْ بِهِ ذِرَاعا وإنْ صَبْرًا فَنَعْرِفُ للصَّبْرِ[1]

وقال : أراد : إن يكن العقل فأضمره ، قال : وإن جعلت « مابكم » فى معنى الذى جاز . وجعلت صلته بكم

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (١ : ١٧٣) عند قوله تعالى « وما بكم من نعمة فمن الله » قال : ما : فى معنى جزاء ، ولها فعل مضمر ، كأنك قلت : ما يكن بكم من نعمة فمن الله ؛ لأن الجزاء لابد له من فعل مجزوم ، إن ظهر فهو جزم ، وإن لم يظهر فهو مضمر ، كما قال الشاعر : « إن العقل . . . » البيت. أراد : إن يكن ، فأضمرها . ولو جعلت « ما بكم » فى معنى « الذى » : جاز ، وجعلت صلته « بكم » ، والذى حينئذ : فى موضع رفع ، بقوله « فمن الله » . وأدخل الفاء ، كما قال تعالى : « قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم » . وكل اسم وصل ، مثل من وما ، والذى ، فقد يجوز دخول الفاء فى خبره ؛ لأنه مضارع للجزاء ، والجزاء قد يجاب بالفاء ، ولا يجوز : أخوك فهو قائم ، لأنه اسم غير موصول .
والعقل فى البيت معناه : الدية .

و « ما » فى موضع رفع بقوله (فَمِنَ اللهِ) وأدخل الفاء ، كما قال (إنَّ المَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فإنَّه مُلاقِيكُمْ) وكل اسم وصل مثل من وما والذى ، فقد يجوز دخول الفاء فى خبره لأنه مضارع للجزاء والجزاء قد يجاب بالفاء ، ولا يجوز أخوك فهو قائم ، لأنه اسم غير موصول ، وكذلك تقول : مالك لى ، فإن قلت : مالك ، جاز أن تقول : مالك فهو لى ، وإن ألقيت الفاء فصواب .

وتأويل الكلام : ما يكن بكم فى أبدانكم أيها الناس من عافية وصحة وسلامة ، وفى أموالكم من نماء ، فالله المنعم عليكم بذلك لا غيره ، لأن ذلك إليه وبيده (ثُمَّ إذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ) يقول : إذا أصابكم فى أبدانكم سَقَم ومرض ، وعلة عارضة ، وشدة من عيش (فإلَيْهِ تَجْأَرُونَ) يقول : فإلى الله تصرخون بالدعاء وتستغيثون به ، ليكشف ذلك عنكم . وأصله : من جؤار الثور ، يقال منه : جأر الثور يجأر جؤارا ، وذلك إذا رفع صوتا شديدا من جوع أو غيره ؛ ومنه قول الأعشى :

وَمَا أيْبُـلِىٌّ عَلَى هَيْكَلٍ بَنَاهُ وَصَلَّبَ فِيـهِ وصَارَا
يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ المَلِيـكِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُؤَارًا[1]

يعنى بالجؤار : الصياح إما بالدعاء ، وإما بالقراءة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فإلَيْهِ تَجْأَرُونَ) قال : تضرعون دعاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : الضُّرّ : السُّقْم .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

(١) البيتان من شعر الأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة ص ٥٣) من قصيدة له سبعون بيتا ، يمدح بها قيس بن معد يكرب . والأيبلى : الراهب صاحب الأيبل، وهى العصا التى يدق بها الناقوس . والهيكل : موضع فى صدر الكنيسة، يقرب فيه القربان . صلب صور فيه الصليب . وفى اللسان صار : صور عن أبى على الفارسى . ويلوح لى أن المراد بصور فى البيت : هو ماقاله الأعشى فى بيت آخر وهو قوله فى وصف الخمر « وصلى على دنها وارتسم » . ومعنى ارتسم : أشار بيده على جبهته وقلبه وصدره يمنة ويسرة ، كما يفعل =

﴿ يقول تعالى ذكره : ثم إذا وهب لكم ربكم العافية ، ورفع عنكم ما أصابكم من المرض فى أبدانكم، ومن الشدّة فى معاشكم ، وفرّج البلاء عنكم (إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ) يقول : إذا جماعة منكم يجعلون لله شريكا فى عبادتهم ، فيعبدون الأوثان، ويذبحون لها الذبائح شكرا لغير من أنعم عليهم بالفرج مما كانوا فيه من الضرّ (لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) يقول: ليجحدوا الله نعمته فيما آتاهم من كشف الضرّ عنهم (فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)، وهذا من الله وعيد لهؤلاء الذين وصف صفتهم فى هذه الآيات ، وتهديد لهم ، يقول لهم جلّ ثناؤه : تمتعوا فى هذه الحياة الدنيا إلى أن توافيكم آجالكم، وتبلغوا الميقات الذى وقته لحياتكم، وتمتعكم فيها ، فإنكم من ذلك ستصيرون إلى ربكم ، فتعلمون بلقائه وبال ما كسبت أيديكم ، وتعرفون سوء مغبة أمركم ، وتندمون حين لاينفعكم الندم .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾

﴿ يقول تعالى ذكره: ويجعل هؤلاء المشركون من عبدة الأوثان، لما لايعلمون منه ضرا ولا نفعا، نصيبا . يقول : حظا وجزاء مما رزقناهم من الأموال ، إشراكا منهم له الذى يعلمون أنه خالقهم، وهو الذى ينفعهم ويضرّهم دون غيره .

كالذى حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) قال : يعلمون أن الله خلقهم، ويضرّهم وينفعهم، ثم يجعلون لما لايعلمون أنه يضرّهم ولا ينفعهم نصيبا مما رزقناهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) وهم مشركو العرب، جعلوا لأوثانهم نصيبا مما رزقناهم، وجزءا من أموالهم يجعلونه لأوثانهم .

حدثنى يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، فى قوله (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) قال : جعلوا لآلهتهم التى ليس لها نصيب ولا شيء، جعلوا لها نصيبا مما قال الله من الحرث والأنعام ، يسمون عليها أسماءها ويذبحون لها .

وقوله (تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ) يقول تعالى ذكره: والله أيها المشركون الجاعلون الآلهة والأنداد نصيبا فيما رزقناكم شركا بالله وكفرا ، ليسألنكم الله يوم القيامة عما كنتم فى الدنيا تفترون، يعنى : تختلقون من الباطل والإفك على الله بدعواكم له شريكا ، وتصييركم لأوثانكم فيما رزقكم نصيبا، ثم ليعاقبنكم عقوبة تكون جزاء لكفرانكم نعمه وافترائكم عليه .

= المسيحيون . وراوح بين العملين: تداول هذا مرة ، وهذا مرة . وجأر إلى الله جؤارا : تضرع إليه بالدعاء والاستغاثة . يقول : ليس الراهب المعتكف فى هيكله أمام صليبه ، دائبا على صلواته سجودا وتضرعا إلى الله ، بأعظم منه تقى فى الحساب (خبر ما : فى البيت الذى بعد البيتين) .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ۝ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝﴾

يقول تعالى ذكره : ومن جهل هؤلاء المشركين وخُبْث فعلهم ، وقبح فِرْيتهم على ربهم ، أنهم يجعلون لمن خلقهم ودبَّرهم وأنعم عليهم ، فاستوجب بنعمه عليهم الشكر ، واستحقّ عليهم الحمد : البنات. ولا ينبغي أن يكون لله ولد ذكر ولا أنثى سبحانه ، نزّه جلّ جلاله بذلك نفسه عما أضافوا إليه ونسبوه من البنات ، فلم يرضوا بجهلهم إذ أضافوا إليه ما لا ينبغي إضافته إليه . ولا ينبغي أن يكون له من الولد أن يضيفوا إليه ما يشتهونه لأنفسهم ، ويحبونه لها ، ولكنهم أضافوا إليه مايكرهونه لأنفسهم ، ولا يرضونه لها من البنات ما يقتلونها إذا كانت لهم ، وفى « ما » التى فى قوله (وَلَهُمْ ما يَشْتَهُونَ) وجهان من العربية النصب عطفا لها على البنات ، فيكون معنى الكلام : إذا أريد ذلك : ويجعلون لله البنات ولهم البنين الذين يشتهون ، فتكون « ما » للبنين ، والرفع على أن الكلام مبتدأ من قوله (وَلَهُمْ ما يَشْتَهُونَ) فيكون معنى الكلام : ويجعلون لله البنات ولهم البنون .

وقوله (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا) يقول : وإذا بشر أحد هؤلاء الذين جعلوا لله البنات بولادة مايضيفه إليه من ذلك له ، ظلّ وجهه مسودًّا من كراهته له (وَهُوَ كَظِيمٌ) يقول قد كَظَمَ الحزنَ ، وامتلأ غما بولادته له ، فهو لا يظهر ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَيَجْعَلُونَ لله البَنَاتِ سُبْحانَهُ ، وَلَهُمْ مايَشْتَهُونَ) ، ثم قال (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) . . . إلى آخر الآية ، يقول : يجعلون لله البنات ترضونهنّ لى ، ولا ترضونهنّ لأنفسكم ، وذلك أنهم كانوا فى الجاهلية إذا وُلد للرجل منهم جارية أمسكها على هون ، أو دسها فى التراب وهى حية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) وهذا صنيع مشركى العرب ، أخبرهم الله تعالى ذكره بخبث صنيعهم فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له ، وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه ، ولعمرى ما يدرى أنه خير ، لرُبَّ جارية خير لأهلها من غلام . وإنما أخبركم الله بصنيعهم لتجتنبوه وتنتهوا عنه ، وكان أحدهم يغذو كلبه ، ويئد ابنته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَهُوَ كَظِيمٌ) قال : حزين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وَهُوَ كَظِيمٌ) قال : الكظيم : الكميد . وقد بيَّنا ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : يتوارى هذا المبشَّر بولادة الأنثى من الولد له من القوم ، فيغيب عن أبصارهم (مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ) يعنى : من مساءته إياه ميلا بين أن يمسكه على هون : أى على هوان ، وكذلك ذلك فى لغة قريش فيما ذكر لى ، يقولون للهوان : الهون ؛ ومنه قول الحطيئة :

فلمَّا خَشِيتُ الهُونَ والعَيْرُ مُمْسِكٌ على رَغْمِهِ ما أثبتَ الحبلَ حافِرُه[1]

وبعض بنى تميم جعل الهون مصدرا للشىء الهين . ذكر الكسائى أنه سمعهم يقولون : إن كنت لقليل هون المؤنة منذ اليوم ؛ قال : وسمعت : الهوان فى مثل هذا المعنى ، سمعت منهم قائلا يقول لبعير له : ما به بأس غير هوانه ، يعنى خفيف الثمن ، فإذا قالوا : هو يمشى على هونه ، لم يقولوه إلا بفتح الهاء ، كما قال تعالى (وَعِبادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ على الأرْضِ هَوْنا) . (أمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ) يقول : يدفنه حيا فى التراب فيئده .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (أَيُمْسِكُهُ على هُونٍ أمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ) يئد ابنته .

وقوله (ألا ساءَ ما يَحْكُمُونَ) يقول : ألا ساء الحكم الذى يحكم هؤلاء المشركون ، وذلك أن جعلوا لله ما لا يرضون لأنفسهم . وجعلوا لما لا ينفعهم ولا يضرّهم شركا فيما رزقهم الله ، وعبدوا غير من خلقهم ، وأنعم عليهم .

---

(١) البيت فى ديوان الحطيئة طبع التقدم بالقاهرة ص ١٠ قال شارحه : يقول : مادام الحمار مقيدا فهو ذليل ، معترف بالهوان . وهذا مقلوب ، أراد : ما أثبت الحبل حافره (الحبل فاعل أثبت ، والحافر مفعوله) فقلب ، فجعل الفاعل مفعولا ، والمفعول فاعلا ، ومثله :

أسلموها فى دمشق كما أسلمت وحشية وهقا

أراد : كما أسلم وحشية وهق (والوهق : الحبل المغار فيه أنشوطة ، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان ، جمعه أوهاق ...) : وقال عروة ابن الورد :

فلو أنى شهدت أبا سعاد غداة غدا بمهجته يفوق

فديت بنفسه نفسى ومالى وما آلوه إلا ما أطيق

أى لا أترك جهدا ، أراد : فديت نفسه بنفسى ، فقلب .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ٦٠

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه أن قوله (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) ، والآية التى بعدها مثل ضربه الله لهؤلاء المشركين الذين جعلوا لله البنات ، فبين بقوله (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ) أنه مثل ، وعنى بقوله جل ثناؤه (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) للذين لايصدّقون بالمعاد والثواب والعقاب من المشركين (مَثَلُ السَّوْءِ) وهو القبيح من المثل ، ومايسوء من ضرب له ذلك المثل (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) يقول : ولله المثل الأعلى ، وهو الأفضل والأطيب ، والأحسن ، والأجمل ، وذلك التوحيد والإذعان له بأنه لاإله غيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) قال : شهادة أن لاإله إلا الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) الإخلاص والتوحيد .

وقوله (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول تعالى ذكره : والله ذو العزّة التى لايمتنع عليه معها عقوبة هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم فى هذه الآيات ، ولا عقوبة من أراد عقوبته على معصيته إياه ، ولايتعذّر عليه شىء أراده وشاءه ، لأن الخلق خلقه ، والأمر أمره ، الحكيم فى تدبيره ، فلا يدخل تدبيره خلل ، ولا خطأ .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ٦١

يقول تعالى ذكره : (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ) عصاة بنى آدم بمعاصيهم (مَا تَرَكَ عَلَيْهَا) يعنى على الأرض (مِنْ دَابَّةٍ) تدبّ عليها (وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ) يقول : ولكن بحلمه يؤخر هؤلاء الظلمة فلا يُعاجلهم بالعقوبه (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) يقول : إلى وقتهم الذى وُقّت لهم ، (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ) يقول : فاذا جاء الوقت الذى وُقّت لهلاكهم (لَا يَسْتَأْخِرُونَ) عن الهلاك ساعة فيمهلون (وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) له حتى يستوفوا آجالهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال : كاد الجُعَل أن يعذّب بذنب بني آدم ، وقرأ (لَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا إسماعيل بن حكيم الخزاعيّ ، قال : ثنا محمد بن جابر الجعفي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، قال : سمع أبو هريرة رجلا وهو يقول : إن الظالم لا يضرّ إلا نفسه ، قال : فالتفت إليه فقال : بلى ، والله إن الحبارى لتموت في وكرها هزالا بظلم الظالم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا أبو عبيدة الحداد ، قال : ثنا قرة بن خالد السدوسي ، عن الزبير بن عديّ ، قال : قال ابن مسعود : خطيئة ابن آدم قتلت الجُعَل .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، ، عن أبي عبيدة ، قال : قال عبد الله : كاد الجُعَل أن يهلك في جُحره بخطيئة ابن آدم .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، قال الله : (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) قال : نرى أنه إذا حضر أجله فلا يؤخر ساعة ، ولا يقدّم ، ما لم يحضر أجله ، فإن الله يؤخّر ما شاء ، ويقدّم ما شاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ ٦٢

يقول تعالى ذكره : ويجعل هؤلاء المشركون لله ما يكرهونه لأنفسهم (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ) يقول : وتقول ألسنتهم الكذب وتفتريه ، أن لهم الحسنى ، فأن في موضع نصب ، لأنها ترجمة عن الكذب . وتأويل الكلام : ويجعلون لله ما يكرهونه لأنفسهم ، ويزعمون أن لهم الحسنى ، الذي يكرهونه لأنفسهم ، البنات يجعلونهن لله تعالى ، وزعموا أن الملائكة بنات الله . وأما الحُسنى التي جعلوها لأنفسهم : فالذكور من الأولاد ، وذلك أنهم كانوا يئدون الإناث من أولادهم ، ويستبقون الذكور منهم ، ويقولون : لنا الذكور ولله البنات ، وهو نحو قوله (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ، وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا

إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى) قال : قول قريش : لنا البنون ، ولله البنات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : قول كفار قريش .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ما يَكْرَهُونَ ، وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ) : أي يتكلمون بأن لهم الحسنى : أي الغلمان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى) قال : الغلمان .

وقوله (لاجَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) يقول تعالى ذكره : حقا واجبا أن لهؤلاء القائلين لله البنات ، الجاعلين له مايكرهونه لأنفسهم ، ولأنفسهم الحسنى عند الله يوم القيامة النار .

وقد بيَّنا تأويل قول الله (لاجَرَمَ) فى غير موضع من كتابنا هذا بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

ورُوى عن ابن عباس فى ذلك : ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لاجَرَمَ) يقول : بلى .

وقوله (لاجَرَمَ) كان بعض أهل العربية يقول : لم تُنْصَب جَرَمَ بلا كما نصبت الميم من قول : لاغلام لك ؛ قال : ولكنها نُصبت لأنها فعل ماض ، مثل قول القائل : قَعَدَ فلان وجلس ، والكلام : لاردّ لكلامهم أى ليس الأمر هكذا ، جَرَمَ : كَسَبَ ، مثل قوله : لاأقسم ، ونحو ذلك . وكان بعضهم يقول : نصب جَرَمَ بلا ، وإنما هو بمعنى : لابدّ ، ولا محالة ؛ ولكنها كثرت فى الكلام حتى صارت بمنزلة حقا .

وقوله (وأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) يقول تعالى ذكره : وأنهم مُخَلَّفون متروكون فى النار ، منسيون فيها .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال أكثرهم بنحو ما قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية (لاجَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ، وأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) قال : منسيون مُضَيَّعون .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا زيد بن حباب ، قال : أخبرنا سعيد ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا بهز بن أسد ، عن شعبة ، قال : أخبرنى أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (لاجَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ، وأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) قال : متروكون فى النار ، منسيون فيها .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : حصين ، أخبرنا ، عن سعيد بن جبير ، بمثله .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير بمثله.

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وأنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) قال : منسيون .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة وأبو معاوية وأبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك (وأنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) قال : متروكون في النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم ، عن مجاهد : (مُفْرَطُونَ) قال : مَنْسيون .

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثني أبي ، عن الحسين ، عن قتادة (وأنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) يقول : مُضَاعُون .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا بدل ، قال : ثنا عباد بن راشد ، قال : سمعت داود بن أبي هند ، في قول الله (وأنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) قال : منسيون في النار .

وقال آخرون : معنى ذلك : أنهم مُعْجَلُون إلى النار مقدّمون إليها ، وذهبوا في ذلك إلى قول العرب أفرطنا فلانا في طلب الماء إذا قدّموه لإصلاح الدلاء والأرشية ، وتسوية ما يحتاجون إليه عند ورودهم عليه فهو مُفْرَط . فأما المتقدّم نفسه فهو فارط ، يقال : قد فَرَط فلان أصحابَه يَفْرُطهم فَرْطا وفُروطا : إذا تقدمهم وجمع فارط : فُرَّاط ؛ ومنه قول القُطاميّ :

واسْتَعْجَلُونا وكانُوا مِنْ صَحابَتِنا كمَا تَعَجَّلَ فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ (١)

ومنه قول النبيّ صلى الله عليه وسلم « أنا فَرَطُكُمْ على الحَوْضِ » : أي متقدمكم إليه وسابقكم « حتى تَرِدُوهُ » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) يقول : مُعْجَلُون إلى النار .

(١) البيت في ديوان القطامي (طبعة ليدن سنة ١٩٠٢) وفيه « فاستعجلونا » بالفاء . يقول : استعجلونا : أي أعجلونا ، يريد تقدمونا ، والفراط : الذين يتقدمون الواردة ، فيصلحون الأرشية ، حتى يأتي القوم بعدهم . وفي اللسان : فرط : وفرط القوم يفرطهم فرطا (من باب قتل) وفراطة : تقدمهم إلى الورد ، لإصلاح الأرشية والدلاء ، ومدر الحياض والسقي فيها ، فأنا فارط ، وهم الفراط ؛ قال القطامي : فاستعجلونا . . . الخ البيت . وفي الصحاح : كما تعجل في موضع : كما تقدم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) قال : قد أُفْرِطوا فى النار : أى مُعْجَلُون .

وقال آخرون : معنى ذلك : مُبْعَدون فى النار.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أشعث السمّان ، عن الربيع ، عن أبى بشر ، عن سعيد (وأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) قال : مُخْسَئون مُبْعَدون .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، القول الذى اخترناه ، وذلك أن الإفراط الذى هو بمعنى التقديم ، إنما يقال فيمن قدّم مقدّما لإصلاح ما يقدّم إليه إلى وقت ورود من قدّمه عليه ، وليس بمُقَدّم من قُدّم إلى النار من أهلها لإصلاح شىء فيها لوارد يرد عليها فيها فيوافقه مصلحا ، وإنما تَقَدّم مَن قُدّم إليها لعذاب يُعجّل له . فإذا كان معنى ذلك الإفراط الذى هو تأويل التعجيل ففسد أن يكون له وجه فى الصحة ، صحّ المعنى الآخر ، وهو الإفراط الذى بمعنى التخليف والترك . وذلك أنه يُحكَى عن العرب : ما أفْرَطت ورائى أحدًا : أى ما خلّفته ؛ وما فرطته : أى لم أخلفه .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المِصرَين الكوفة والبصرة (وأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) بتخفيف الراء وفتحها ، على معنى مالم يُسَمّ فاعله من أُفرِط فهو مُفْرَط . وقد بيّنت اختلاف قراءة ذلك كذلك فى التأويل . وقرأه أبو جعفر القارئ (وأَنَّهُمْ مُفَرِّطُونَ) بكسر الراء وتشديدها ، بتأويل : أنهم مفرّطون فى أداء الواجب الذى كان لله عليهم فى الدنيا ، من طاعته وحقوقه ، مضيعو ذلك ، من قول الله تعالى (يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ) . وقرأ نافع بن أبى نعيم (وأَنَّهُمْ مُفْرِطُونَ) بكسر الراء وتخفيفها .

حدثنى بذلك يونس ، عن ورْش عنه ، بتأويل : أنهم مُفْرِطون فى الذنوب والمعاصى ، مُسْرِفون على أنفسهم مكثرون منها ، من قولهم : أَفرط فلان فى القول : إذا تجاوز حدّه ، وأسرف فيه .

والذى هو أولى القراءات فى ذلك بالصواب قراءة الذين ذكرنا قراءتهم من أهل العراق لموافقتها تأويل أهل التأويل الذى ذكرنا قبل ، وخروج القراءات الأخرى عن تأويلهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

يقول تعالى ذكره مقسما بنفسه عزّ وجلّ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : والله يا محمد لقد أرسلنا رسلا من قبلك إلى أممها بمثل ما أرسلناك إلى أمتك من الدعاء إلى التوحيد لله ، وإخلاص العبادة له ، والإذعان له بالطاعة ، وخلع الأنداد والآلهة (فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) يقول : فحسّن لهم الشيطان ما كانوا

عليه من الكفر بالله وعبادة الأوثان مقيمين ، حتى كذّبوا رسلهم ، وردّوا عليهم ما جاءوهم به من عند ربهم (فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ) يقول : فالشيطان ناصرهم اليوم فى الدنيا، وبئس الناصر (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى الآخرة عند ورودهم على ربهم ، فلا ينفعهم حينئذ ولاية الشيطان ، ولا هى نفعتهم فى الدنيا ، بل ضرّتهم فيها ، وهى لهم فى الآخرة أضرّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أنزلنا يامحمد عليك كتابنا وبعثناك رسولا إلى خلقنا إلا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله ، فتعرّفهم الصواب منه ، والحقّ من الباطل، وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله الذى بعثك بها .

وقوله (وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : وهدى بيانا من الضلالة ، يعنى بذلك الكتاب ، ورحمة لقوم يؤمنون به ، فيصدّقون بما فيه ، ويقرّون بما تضمن من أمر الله ونهيه ، ويعملون به ، وعطف بالهدى على موضع ليبين ، لأن موضعها نصب . وإنما معنى الكلام: وما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانا للناس فيما اختلفوا فيه هدى ورحمة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾

❁ يقول تعالى ذكره منبهّ خلقه على حججه عليهم فى توحيده، وأنه لاتنبغى الألوهة إلا له ، ولاتصلح العبادة لشىء سواه : أيها الناس معبودكم الذى له العبادة دون كلّ شىء (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) يعنى : مطرا، يقول : فأنبت بما أنزل من ذلك الماء من السماء الأرض الميتة التى لازرع بها ولا عُشْبَ ولا نبت (بَعْدَ مَوْتِهَا) بعد ماهى ميتة لاشىء فيها (إن فى ذلكَ لَآيَةً) يقول تعالى ذكره : إن فى إحيائنا الأرض بعد موتها بما أنزلنا من السماء من ماء لدليلا واضحا ، وحجة قاطعة، عذر من فكر فيه (لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) يقول : لقوم يسمعون هذا القول فيتدبرونه ويعقلونه ، ويطيعون الله بما دلهم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وإن لكم أيها الناس لعظة فى الأنعام التى نُسْقيكم مما فى بطونه .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (نُسْقِيكُمْ) فقرأته عامة أهل مكة والعراق والكوفة والبصرة ، سوى عاصم ؛ ومن أهل المدينة أبو جعفر (نُسْقِيكُمْ) بضمّ النون ، بمعنى : أنه أسقاهم شرابا دائما . وكان الكسائىّ يقول : العرب تقول : أسقيناهم نَهْرا ،وأسقيناهم لبنا : إذا جعلته شِرْبا دائما،فإذا أرادوا أنهم أعطوه شربة قالوا :سقيناهم فنحن نَسْقيهم بغير ألف ؛وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة سوى أبى جعفر ؛ ومن أهل العراق عاصم (نَسْقِيكم) بفتح النون من سَقاه الله ، فهو يَسْقيه،والعرب قد تدخل الألف فيما كان من السقى غير دائم ، وتنزعها فيما كان دائما .وإن كان أشهر الكلامين عندها ماقال الكسائىّ ، يدلّ على ما قلنا من ذلك ، قول لَبيد فى صفة سحاب :

سَقَى قَوْمِى بَنِى مَجْدٍ وأسْقَى ... نُمَيْرًا والقَبائِلَ مِنْ هِلالِ[1]

فجمع اللغتين كلتيهما فى معنى واحد ، فإذا كان ذلك كذلك ، فبأية القراءتين قرأ القارئ فمصيب ، غير أن أعجب القراءتين إلىّ قراءة ضمّ النون لما ذكرت من أن أكثر الكلامين عند العرب فيما كان دائما من السقى أسقى بالألف فهو يُسْقِى،وما أسقى الله عباده من بطون الأنعام فدائم لهم غير منقطع عنهم. وأما قوله (مِمَّا فِي بُطُونِهِ) وقد ذكر الأنعام قبل ذلك ، وهى جمع ، والهاء فى البطون موحدة، فإن لأهل العربية فى ذلك أقوالا ، فكان بعض نحوىّ الكوفة يقول : النَّعم والأنعام شىء واحد ، لأنهما جميعا جمعان، فردّ الكلام فى قوله (مِمَّا فِي بُطُونِهِ) إلى التذكير مرادا به معنى النَّعم، إذ كان يؤدى عن الأنعام ، ويستشهد لقوله ذلك برجز بعض الأعراب :

إذا رأَيْتَ أَنْجُما مِنَ الأسَدْ ... جَبْهَتَهُ أَوِ الخَرَاةِ والكَتَدْ

بالَ سُهَيْلٌ فى الفَضِيخِ فَفَسَدْ ... وطابَ ألْبانُ اللِّقاحِ فَبَرَدْ[2]

ويقول : رجع بقوله : « فبرد » إلى معنى اللبن ، لأن اللبن والألبان تكون فى معنى واحد ، وفى تذكير النعم قول الآخر :

---

(١) البيت للبيد (لسان العرب : سقى) قال : السقى : معروف ، والاسم : السقيا بالضم . وسقاه الله الغيث وأسقاه ، وقد جمعهما لبيد فى قوله : « سقى قومى » . وقال الفراء فى معانى القرآن : (١٧٤) العرب تقول لكل ما كان من بطون الأنعام ومن لسماء أو نهر يجرى لقوم : أسقيت . فإذا سقاك الرجل ماء لشفتك ، قالوا : سقاه ، ولم يقولوا : أسقاه ، كما قال الله عز وجل : « وسقاهم ربهم شرابا طهورا » . وقال : « الذى يطعمنى ويسقين » . وربما قالوا لما فى بطون الأنعام ولماء السماء سقى وأسقى ، كما قال لبيد : « سقى قومى . . . » البيت . وقد اختلف القراء ، وقرأ بعضهم نسقيكم ، وبعضهم : يسقيكم .

(٢) الأبيات الثلاثة الأولى فى (اللسان : جبه) قال الأزهرى : الجبهة النجم الذى يقال له : جبهة الأسد ، وهى أربعة أنجم ينزلها القمر ، قال الشاعر : « إذا رأيت . . . »وفى (اللسان : خرت) : والخراتان نجمان من كواكب الأسد ، وهما كوكبان بينهما قدر سوط ، وهما كتفا الأسد ، واحدهما خراة وأنشد الأبيات الأربعة . وفى (اللسان : كتد) : والكتد: نجم ، أنشد ثعلب : « إذا رأيت . . . الخ » الأبيات وفى (اللسان : سهل) الأزهرى : سهيل كوكب لايرى بخراسان ، ويرى بالعراق . وقال ابن كناسة ، سهيل يرى بالحجاز ، وفى جميع أرض العرب ، ولا يرى بأرض أرمينية . وقال الأزهرى: سهيل كوكب يمان . وفى (اللسان فضخ) الفضيخ : عصير العنب ، وهو أيضا شراب يتخذ من البسر المفضوخ وحده ، من غير أن تمسه النار ، وهو المشدوخ . =

أكُلَّ عامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهُ يُلْقِحُــهُ قَوْمٌ وتَنْتِجُونَهُ[١]

فذكر النعم ؛ وكان غيره منهم يقول : إنما قال (مِمَّا فِى بُطُونِهِ) لأنه أراد : مما فى بطون ما ذكرنا ؛ وينشد فى ذلك رَجزا لبعضهم :

مِثْلُ الفِراخِ نُتِفَتْ حَوَاصِلُهُ[٢]

وقول الأسود بن يَعْفُر :

إنّ المَنِيَّةَ والحُتُوفَ كلاهُما يُوفِى المَخارِمَ يَرْقُبانِ سَوَادِى[٣]

فقال : كلاهما ، ولم يقل : كلتاهما ؛ وقول الصَّلَتان العَبْدِىّ :

إنّ السَّماحَــةَ والمُرُوءَةَ ضُمِّنا قَبْرًا بمَرْوَ على الطَّرِيقِ الوَاضِحِ[٤]

وقول الآخر :

= وفضحت البسر وافتضحته ، قال الراجز : « بال سهيل فى الفضيخ ففسد » يقول : لما طلع سهيل ذهب زمن البسر وأرطب ، فكأنه بال فيه . وأصل هذه الشواهد من شواهد الفراء فى معانى القرآن ، قال : (ص ١٧٤) : وأما قوله « مما فى بطونه » ، ولم يقل « بطونها » . فإنه قيل — والله أعلم — إن النعم والأنعام شىء واحد ، وهما جمعان ، فرجع التذكير إلى معنى « النعم » ، إذ كان يؤدى عن الأنعام . أنشدنى بعضهم : إذا رأيت أنجما . . . الخ الأبيات الأربعة ، وهى من مشطور الرجز . فرجع (ضمير قوله فبرد) إلى اللبن ، والألبان يكون فى معنى واحد . قال : وقال الكسائى « نسقيكم مما فى بطونه » : بطون ما ذكرنا . وهو صواب . أنشدنى بعضهم « مثل الفراخ نتفت حواصله » .

(١) هذا الرجز لقيس بن الحصين بن يزيد الحارثى ، أنشده أبو عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٣٦٢) وأنشد بعد بيتى الشاهد بيتا ثالثا وهو : « أربابه نوكى ولا يحمونه » . والشاهد فيه أن الأنعام يذكر ويؤنث . قال : وقال آخرون : المعنى على النعم ، لأن النعم يذكر ويؤنث . وأنشده فى اللسان (نعم) قال : وقال آخر فى تذكير النعم :

فى كُلِّ عامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهُ يُلْقِحُــهُ قَوْمٌ وتَنْتِجُونَهُ

وذكر الرجز البغدادى فى الخزانة (١ : ١٩٦ — ١٩٧) وزاد فيه أبياتا ، قال : وتنتجونه بتاء الخطاب : يقال نتج الناقة أهلها : إذا استولدوها . وأنتجت الفرس بالهمزة : حان نتاجها . والنتاج بالكسر : اسم يشمل وضع البهائم من الغنم وغيرها . وإذا ولى الإنسان ناقة أو شاة ما خضا حتى تضع قيل نتجها نتجا من باب ضرب ، فالإنسان كالقابلة ، لأنه يتلقى الولد ويصلح من شأنه ؛ فهو ناتج ، والبهيمة منتوجة ، والولد : نتيجة .

يقول : يحملون الفحولة على النوق ، فإذا حملت أغرتم أنتم عليها . ورواية البيت فى الخزانة كرواية المؤلف . والأبيات : قيلت فى يوم الكلاب الثانى ، وهو ماء لبنى تميم بين الكوفة والبصرة .

(٢) هو مثل الشاهد السابق على سابقه . أنشده الفراء فى معانى القرآن (ص ١٧٤) شاهدا على أن قوله نتفت حواصله ، أى حواصل ما ذكرنا ، كما فسره الكسائى . ونقله صاحب اللسان فى (نعم) مع أشباه له .

(٣) البيت للأسود بن يعفر النهشلى التميمى (المفضليات : ١٠١) والمنية : الموت . والحتوف : جمع حتف ، يريد أنواع الأخطار التى تؤدى إلى الموت . والمخارم : جمع مخرم : الطريق فى الغلظ ، عن السكرى ، وقيل : الطرق فى الجبال ، وأفواه الفجاج . وسواد الإنسان : شخصه . والشاهد فى البيت قوله كلاهما بالتذكير ، مع أن المنية والحتوف مؤنثان . وكان حقه أن يقول : كلتاهما ، لأن الشاعر لم يحفل بهذا التأنيث ، واعتبر المذكور أولا مذكرا ، بمعنى الشيئين .

(٤) الشاهد فى البيت أن السماحة والمروءة لفظتان مؤنثتان ولم يؤنث الفعل المتحمل ضميرهما ، فقال الشاعر : ضمنا ، ولم يقل ضمنتا ، لأنه اعتبر ما رجع إليه الضمير قبل الفعل شيئين مذكرين ، أو خلقين ، فلذلك لم يؤنث الفعل المسند إلى ضميرهما .

وعَفْرَاءُ أدْنَى النَّاسِ مِنِّى مَوَدَّةً ... وعَفْرَاءُ عَنِّى المُعْرِضُ المُتَوَانِي[1]

ولم يقل : المعرضة المتوانية ؛ وقول الآخر :

إذا النَّاسُ ناسٌ والبِلادُ بغِبْطَةٍ ... وَإذْ أُمُّ عَمَّارٍ صَدِيقٌ مُسَاعِفُ[2]

ويقول : كل ذلك على معنى هذا الشيء وهذا الشخص والسواد ، وما أشبه ذلك ، ويقول من ذلك قول الله تعالى ذكره (فَلَمَّا رأى الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبِّى) بمعنى : هذا الشيء الطالع . وقوله (إنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ) ولم يقل ذكرها ؛ لأن معناه : فمن شاء ذكر هذا الشيء . وقوله (وَإنِّى مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ . فَلَمَّا جاءَ سُلَيْمانَ) ، ولم يقل جاءت

وكان بعض البصريين يقول : قيل (مِمَّا فِي بُطُونِهِ) لأن المعنى : نسقيكم من أىّ الأنعام كان فى بطونه ، ويقول : فيه اللبن مضمر ، يعنى : أنه يسقى من أيها كان ذا لبن ، وذلك أنه ليس لكلها لبن ، وإنما يُسقى من ذوات اللبن . والقولان الأولان أصح مخرجا على كلام العرب من هذا القول الثالث .

وقوله (مِنْ بينِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خالِصًا) يقول : نسقيكم لبنا ، نخرجه لكم من بين فرث ودم خالصا : يقول : خلص من مخالطة الدم والفرث ، فلم يختلطا به (سائِغًا للشَّارِبِينَ) يقول : يسوغ لمن شربه فلا يَغَصّ به كما يَغَصّ الغاصّ ببعض ما يأكله من الأطعمة . وقيل : إنه لم يَغَصّ أحد باللبن قطّ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : ولكم أيضا أيها الناسُ عبرةٌ فيما نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ، مع ما نسقيكم من بطون الأنعام من اللبن الخارج من بين الفرث والدم . وحذف من قوله (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ والأعْنابِ) الاسم ، والمعنى ما وصفت ، وهو : ومن ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه لدلالة « مِن » عليه ، لأن « من » تدخل فى الكلام مُبَعِّضة ، فاستغنى بدلالتها ومعرفة السامعين بما يقتضى من ذكر الاسم معها . وكان بعض نحويّى البصرة يقول فى معنى الكلام : ومن ثمرات النخيل والأعناب شيء تتخذون منه سكرا ، ويقول : إنما ذكرت الهاء فى قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ) لأنه أريد بها الشيء ، وهو عندنا عائد على المتروك ، وهو « ما » . وقوله (تَتَّخِذُونَ) من صفة « ما » المتروكة .

---

(١) استشهد المؤلف بهذا البيت على أن المعرض وهو خبر لعفراء ، لم يطابق المبتدأ فى التأنيث وهو عفراء ، لأن الشاعر ذهب إلى معنى الحبيب أو الشخص ، بما هو مذكر فى المعنى .

(٢) وهذا الشاهد كسابقه ، لأن الشاعر ذهب إلى أن أم عمار شخص ، فلذلك قال صديق على التأويل ولم يقل صديقة على المطابقة . والصديق المساعف : أى المواصل : الذى يدنو من صديقه ويسعفه حاجته .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) فقال بعضهم : عنى بالسَّكَر : الخمر ، وبالرزق الحسن : التمر والزبيب ، وقال : إنما نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر ، ثم حُرِّمت بعد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : ثنا أيوب بن جابر السُّحَيْمى ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس ، قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : السَّكَر : ما حُرِّم من شرابه ، والرزق الحسن : ما أحلّ من ثمرته .

حدثنا ابن وكيع وسعيد بن الربيع الرازى ، قالا : ثنا ابن عيينة ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : الرزق الحسن : ما أحلّ من ثمرتها ، والسكَر : ما حرّم من ثمرتها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو ابن سفيان ، عن ابن عباس بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الأسود بن قيس ، قال : سمعت رجلا يحدّث عن ابن عباس فى هذه الآية (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : السكر : ماحُرِّم من ثمرتيهما ، والرزق الحسن : ما أحلّ من ثمرتيهما .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا الحسن بن صالح ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوغسان ، قال : ثنا زهير بن معاوية ، قال : ثنا الأسود بن قيس ، قال : ثنى عمرو بن سفيان ، قال : سمعت ابن عباس يقول : وذكرت عنده هذه الآية (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : السكر : ماحرّم منهما ، والرزق الحسن : ما أحلّ منهما .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان البصرى ، قال : قال ابن عباس ، فى قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : فأما الرزق الحسن : فما أحلّ من ثمرتهما ، وأما السكر : فما حرّم من ثمرتهما .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا الحمّانى ، قال : ثنا شريك ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان البصرىّ ، عن ابن عباس (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : السكر : حرامه ، والرزق الحسن : حلاله .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا العباس بن أبى طالب ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس قال : السَّكَر : ما حرّم من ثمرتهما ، والرزق الحسن : ما حلّ من ثمرتهما .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الرزق الحسن : الحلال : والسَّكَر : الحرام .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : ما حرم من ثمرتهما ، وما أحلّ من ثمرتهما .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : السكر خمر ، والرزق الحسن الحلال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن مسعر وسفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : الرزق الحسن : الحلال ، والسَّكَر : الحرام .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى هذه الآية (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : السكر : الحرام ، والرزق الحسن : الحلال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبى رزين (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : نزل هذا وهم يشربون الخمر ، فكان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَهدىّ ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم والشعبىّ وأبى رزين ، قالوا : هى منسوخة فى هذه الآية (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا أبو قطن ، عن سعيد ، عن المُغيرة ، عن إبراهيم والشعبىّ ، وأبى رزين بمثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : هى منسوخة نسخها تحريم الخمر .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : ذكر الله نعمته فى السكر قبل تحريم الخمر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور وعوف ، عن الحسن ، قال السكر : ما حرّم الله منه ، والرزق : ما أحلّ الله منه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن الحسن ، قال : الرزق الحسن : الحلال ، والسكَر : الحرام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سلمة ، عن الضحاك ، قال : الرزق الحسن : الحلال ، والسكَر : الحرام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن أبي كدينة يحيى بن المهلب ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : السكر : الخمر ، والرزق الحسن : الرُّطَب والأعناب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا) قال : هي الخمر قبل أن تحرّم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا) قال : الخمر قبل تحريمها (وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : طعاما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) أما السَّكَر: فخمور هذه الأعاجم ، وأما الرزق الحسن : فما تنتبذون ، وما تُخلّلون، وما تأكلون ، ونزلت هذه الآية ولم تحرّم الخمر يومئذ ، وإنما جاء تحريمها بعد ذلك في سورة المائدة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، قال : قرأت على ابن أبي عُذرة، قال : هكذا سمعت قتادة (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) ثم ذكر نحو حديث بشر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَكَرًا) قال : هي خمور الأعاجم ، ونُسخت في سورة المائدة ، والرزق الحسن: قال : ماتنتبذون وتخلّلون وتأكلون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) وذلك أن الناس كانوا يسمُّون الخمر سكرا ، وكانوا يشربونها ، قال ابن عباس [١] : مرّ رجال بوادي السكران الذي كانت قريش تجتمع فيه، إذا تلقَّوا مسافريهم إذا جاءوا من الشام ، وانطلقوا معهم يشيعونهم حتى يبلغوا وادي السكران ثم يرجعوا منه ، ثم سماها الله بعد ذلك الخمر حين حرمت ، وقد كان ابن عباس يزعم أنها الخمر ، وكان يزعم أن الحبشة يسمون الخلّ السكر ، قوله (وَرِزْقاً حَسَنًا) يعني بذلك : الحلال التمر والزبيب ، وما كان حلالا لايسكر .

وقال آخرون: السَّكَر بمنزلة الخمر في التحريم ، وليس بخمر ، وقالوا : هو نقيع التمر والزبيب إذا اشتدّ وصار يسكر شاربه .

ذكرمن قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، في قوله (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ

(١) قوله : قال ابن عباس إلى يرجعوا منه . كذا في النسخ . وهو كالمقحم وسط الكلام ، وقد أسقطه السيوطي من الدر المنثور حين روى هذا الحديث .

والأعناب تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا)قال ابن عباس : كان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر والسكر حرام مثل الخمر ؛ وأما الحلال منه ، فالزبيب والتمر والخل ونحوه .

حدثني المثنى ، وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا) فحرّم الله بعد ذلك ، يعنى بعد ما أنزل فى سورة البقرة من ذكر الخمر ، والميسر والأنصاب والأزلام ، السَّكَرَ مع تحريم الخمر لأنه منه ، قال (وَرِزْقًا حَسَنًا) فهو الحلال من الخلّ والنبيذ ، وأشباه ذلك ، فأقرّه الله ، وجعله حلالا للمسلمين .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن موسى ، قال : سألت مرّة عن السَّكَر فقال : قال عبد الله : هو خمر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى فروة ، عن أبى عبد الرحمن بن أبى ليلى ، قال : السكر : خمر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى الهيثم ، عن إبراهيم ، قال : السكر : خمر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا حسن بن صالح ، عن مغيرة ، عن إبراهيم وأبى رزين ، قالا : السكر : خمر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا) يعنى : ما أسكر من العنب والتمر (وَرِزْقًا حَسَنًا) يعنى : ثمرتها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : الحلال ما كان على وجه الحلال حتى غيروها فجعلوا منها سكَرا .

وقال آخرون : السَّكَر : هو كلّ ما كان حلالا شربه ، كالنبيذ الحلال والخلّ والرطَب ؛ والرزق الحسن : التمر والزبيب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى داود الواسطىّ ، قال : ثنا أبوأسامة ، قال أبو رَوْق : ثنى قال : قلت للشعبىّ : أرأيت قوله تعالى (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا) أهو هذا السَّكَر الذى تصنعه النَّبَط؟ قال : لا ، هذا خمر ، إنما السكر الذى قال الله تعالى ذكره : النبيذ والخلّ ؛ والرزق الحسن : التمر والزبيب .

حدثنى يحيى بن داود ، قال : ثنا أبوأسامة ، قال : وذكر مجالد ، عن عامر ، نحوه .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا مندل ، عن ليث ، عن مجاهد (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : ما كانوا يتخذون من النخل النَّبيذ ، والرزق الحسن : ما كانوا يصنعون من الزبيب والتمر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا مندل ، عن أبى رَوْق ، عن الشعبىّ ، قال : قلت له :

ما تتخذون منه سكرا؟ قال: كانوا يصنعون من النبيذ والخلّ ؛ قلت: والرزق الحسن؟ قال: كانوا يصنعون من التمر والزبيب .

حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا أبوأسامة وأحمد بن بشير ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال: السَّكَر: النبيذ والرزق الحسن: التمر الذى كان يؤكل ، وعلى هذا التأويل ، الآية غير منسوخة ، بل حكمها ثابت .

⁂ وهذا التأويل عندى هو أولى الأقوال بتأويل هذه الآية ، وذلك أن السكر فى كلام العرب على أحد أوجه أربعة: أحدها: ما أسكر من الشراب . والثانى: ما طُعِم من الطعام ، كما قال الشاعر:

جَعَلْتُ عَيْبَ الأَكْرَمِينَ سَكَرًا [١]

أى طعما . والثالث: السُّكُون من قول الشاعر:

جَعَلَتْ عينُ الحَرُورِ تَسْكُرُ [٢]

وقد بيّنا ذلك فيما مضى . والرابع: المصدر من قولهم: سكر فلان يسكر سُكْرا وسَكْرا وسَكَرا ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان ما يُسْكِر من الشراب حراما بما قد دللنا عليه فى كتابنا المسمى: «لطيف القول فى أحكام شرائع الإسلام» وكان غير جائز لنا أن نقول: هو منسوخ ، إذ كان المنسوخ هو ما نفى حكمه الناسخ ، وما لايجوز اجتماع الحكم به وناسخه ، ولم يكن فى حكم الله تعالى ذكره بتحريم الخمر دليل على أن السَّكَر الذى هو غير الخمر ، وغير مايسكر من الشراب ، حرام ، إذ كان السكر أحد معانيه عند العرب ، ومن نزل بلسانه القرآن هو كلّ ما طعم ، ولم يكن مع ذلك ، إذ لم يكن فى نفس التنزيل دليل على أنه منسوخ ، أوورد بأنه منسوخ خبر من الرسول ، ولا أجمعت عليه الأمة ، فوجب القول بما قلنا من أن معنى السَّكَر فى هذا الموضع: هو كلّ ماحلّ شربه ، مما يتخذ من ثمر النخل والكرم ، وفسد أن يكون معناه الخمر أو ما يسكر من الشراب ، وخرج من أن يكون معناه السَّكَر نفسه ، إذ كان السَّكَر ليس مما يتخذ من النَّخْل والكَرْم ، ومن أن يكون بمعنى السكون .

وقوله (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يقول: فيما إن وصفنا لكم من نعمنا التى آتيناكم أيها

(١) تقدم الكلام على هذا الشاهد فى صفحة ١٣ من هذا الجزء . وقال أبوعبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٣) عند قوله تعالى: «تتخذون منه سكرا»: أى طعما ، وهذا له سكر: أى طعم . وقال جندل «جعلت عيب الأكرمين من سكرا» . قال: وله موضع آخر ، مجازه سكنا . وروايته البيت فى اللسان:

جَعَلْتَ أَعْرَاضَ الكِرَامِ سَكَرًا

أى جعلت ذمهم طعما لك .

(٢) تقدم الكلام على هذا الشاهد فى صفحة ؟ من هذا الجزء واستشهد به أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٣) بعد الشاهد السابق ، وعطفه عليه بقوله: وقال:

جاء الشتاء واجثأل القنبر وجعلت عين الحرور تسكر

أى يسكن حرها و يخبو . ويقال: ليلة ساكرة: أى ساكنة . وقال:

تريد الليالى فى طولها وليست بطلق ولا ساكرة

ويروى: تزيد ليالى فى طولها . اه . وفى (اللسان: سكر): تزاد .

الناس من الأنعام والنخل والكرم ، لدلالة واضحة وآية بينة لقوم يعقلون عن الله حججه ، ويفهمون عنه مواعظه ، فيتعظون بها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : وألهم ربك يامحمد النحل إيحاء إليها (أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) يعنى : مما يبنون من السقوف ، فرفعوها بالبناء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك : قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان ، عن إسحاق التميمى ، وهو ابن أبى الصباح ، عن رجل ، عن مجاهد (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ) قال : ألهمها إلهاما .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : بلغنى ، فى قوله (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ) قال : قذف فى أنفسها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن أصحابه ، قوله (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ) قال : قذف فى أنفسها أن اتخذى من الجبال بيوتا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه عن ابن عباس ، قوله (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ) . . . الآية ، قال : أمرها أن تأكل من الثمرات ، وأمرها أن تتبع سبل ربها ذللا .

وقد بينّا معنى الإيحاء ، واختلاف المختلفين فيه فيما مضى بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، وكذلك معنى قوله (يَعْرِشُونَ) .

وكان ابن زيد يقول فى معنى يعرشون ، ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (يَعْرِشُونَ) قال : الكَرْم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٦٩)

يقول تعالى ذكره : ثم كلى أيتها النحل من الثمرات (فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ) يقول : فاسلكى طرق ربك (ذُلُلًا) يقول : مذللة لك ، والذُّلُل : جمع ذَلُول .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (فاسْلُكى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً) قال : لايتوعَّر عليها مكان سلكته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فاسْلُكى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً) قال : طُرُقا ذُلُلا ، قال : لايتوعَّر عليها مكان سلكته . وعلى هذا التأويل الذى تأوّله مجاهد ، الذلل من نعت السبل .

والتأويل على قوله (فاسْلُكى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً) الذُّلُل لكِ : لايتوعر عليكِ سبيل سلكتيه ، ثم أسقطت الألف واللام فنصب على الحال .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاسْلُكى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً) : أى مطيعة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذُلُلاً) قال : مطيعة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فاسْلُكى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً) قال : الذلول : الذى يُقاد ويُذهب به حيث أراد صاحبه ، قال : فهم يخرجون بالنحل ينتجعون بها ويذهبون ، وهى تتبعهم . وقرأ (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاما فَهُمْ لَها مالِكُونَ ، وَذَلَّلْناها لَهُمْ) . . . الآية ، فعلى هذا القول ، الذُّلُل من نعت النحل ، وكلا القولين غير بعيد من الصواب فى الصحة وجهان مخرجان ، غير أنا اخترنا أن يكون نعتا للسُّبل لأنها إليها أقرب .

وقوله (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ) يقول تعالى ذكره : يخرج من بطون النحل شراب ، وهو العسل ، مختلف ألوانه ، لأن فيها أبيض وأحمر وأسحر ، وغير ذلك من الألوان .

قال أبو جعفر : أسحر : ألوان مختلفة مثل أبيض يضرب إلى الحمرة .

وقوله (فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ) اختلف أهل التأويل فيما عادت عليه الهاء التى فى قوله (فِيهِ) ، فقال بعضهم : عادت على القرآن ، وهو المراد بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن ليث ، عن مجاهد (فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ) قال : فى القرآن شفاء .

وقال آخرون : بل أريد بها العسل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) ففيه شفاء كما قال الله تعالى من الأدواء ، وقد كان ينهى عن تفريق النحل ، وعن قتلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال: ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر أن أخاه اشتكى بطنه ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : اذْهَبْ فاسْقِ أخاكَ عَسَلا ، ثم جاءه فقال : ما زاده إلا شدة ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : اذْهَبْ فاسْقِ أخاكَ عَسَلاً ، فَقَدْ صَدَقَ اللهُ وكَذَبَ بَطْنُ أخِيكَ ، فسقاه ، فكأنما نُشِط من عِقال » .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) قال : جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : شفاءان العسل شفاء من كل داء ، والقرآن شفاء لما فى الصدور .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) العسل .

✽ وهذا القول ، أعنى قول قتادة ، أولى بتأويل الآية ، لأن قوله (فِيهِ) فى سياق الخبر عن العسل فأن تكون الهاء من ذكر العسل ، إذ كانت فى سياق الخبر عنه أولى من غيره .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فى إخراج الله من بطون هذه النحل : الشراب المختلف ، الذى هو شفاء للناس ، لدلالة وحجة واضحة على من سخّر النحل وهداها لأكل الثمرات التى تأكل ، واتخاذها البيوت التى تنحت من الجبال والشجر والعروش ، وأخرج من بطونها ما أخرج من الشفاء للناس، أنه الواحد الذى ليس كمثله شىء ، وأنه لاينبغى أن يكون له شريك، ولاتصحّ الألوهة إلا له .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

✽ يقول تعالى ذكره : والله خلقكم أيها الناس وأوجدكم ، ولم تكونوا شيئا ، لاالآلهة التى تعبدون من دونه ، فاعبدوا الذى خلقكم دون غيره (ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ) يقول: ثم يقبضكم (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ) يقول : ومنكم من يَهْرَم، فيصير إلى أرذل العمر ، وهو أردؤه ، يقال منه : رذل الرجل وفسل ، يرذل رذالة ورذولة ورذلته أنا . وقيل : إنه يصير كذلك فى خمس وسبعين سنة .

حدثنى محمد بن إسماعيل الفزاريّ ، قال : أخبرنا محمد بن سوار، قال : ثنا أسد بن عمران ، عن سعد بن

طريف ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن عليّ ، فى قوله (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ) قال : خمسٌ وسبعون سنة .

وقوله (لِكَيْ لايَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) يقول : إنما نردّه إلى أرذل العمر ليعود جاهلا كما كان فى حال طفولته وصباه ، بعد علم شيئا : يقول : لئلا يعلم شيئا بعد علم كان يعلمه فى شبابه ، فذهب ذلك بالكبر ونسى ، فلا يعلم منه شيئا ، وانسلخ من عقله ، فصار من بعد عقل كان له لا يعقل شيئا (إنّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) يقول : إن الله لاينسى ، ولا يتغير علمه ، عليم بكلّ ما كان ويكون ، قدير على ماشاء لايجهل شيئا ، ولا يُعجزه شيء أراده .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ⁽⁷¹⁾

يقول تعالى ذكره : والله أيها الناس فضّل بعضكم على بعض فى الرزق الذى رزقكم فى الدنيا ، فما الذين فضّلهم الله على غيرهم بما رزقهم (بِرَادِّى رِزْقِهِمْ على ما مَلَكَتْ أيْمَانُهُمْ) يقول : بمشركي مماليكهم فيما رزقهم من الأموال والأزواج (فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ) يقول : حتى يستووا هم فى ذلك وعبيدهم ، يقول تعالى ذكره : فهم لايرضَون بأن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقتهم سواء ، وقد جعلوا عبيدى شركائى فى ملكى وسلطانى ، وهذا مَثَل ضربه الله تعالى ذكره للمشركين بالله . وقيل : إنما عنى بذلك ، الذين قالوا : إن المسيح ابن الله من النصارى . وقوله (أفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ) يقول تعالى ذكره : أفبنعمة الله التى أنعمها على هؤلاء المشركين من الرزق الذى رزقهم فى الدنيا يجحدون بإشراكهم غير الله من خلقه ، فى سلطانه ومُلكه ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى : قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّى رِزْقِهِمْ عَلَى ما مَلَكَتْ أيْمَانُهُمْ) يقول : لم يكونوا يشركون عبيدهم فى أموالهم ونسائهم ، فكيف يشركون عبيدى معى فى سلطانى ، فذلك قوله (أفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : هذه الآية فى شأن عيسى بن مريم ، يعنى بذلك نفسه ، إنما عيسى عبد ، فيقول الله : والله ماتشركون عبيدكم فى الذى لكم ، فتكونوا أنتم وهم سواء ، فكيف ترضَون لى بما لاترضون لأنفسكم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدالله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) قال : مثل آلهة الباطل مع الله تعالى ذكره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مامَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ) وهذا مثل ضربه الله ، فهل منكم من أحد شارك مملوكه فى زوجته وفى فراشه . فتعدلون بالله خلقه وعباده ، فإن لم ترض لنفسك هذا ، فالله أحق أن ينزه منه من نفسك . ولا تعدل بالله أحدا من عباده وخلقه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) قال : هذا الذى فضل فى المال والولد . لايشرك عبده فى ماله وزوجته ، يقول : قد رضيت بذلك لله ، ولم ترض به لنفسك ، فجعلت لله شريكا فى ملكه وخلقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

❊ يقول تعالى ذكره (وَاللهُ) الذى (جَعَلَ لَكُمْ) أيها الناس (مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجا) يعنى أنه خلق من آدم زوجته حواء (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أزواجكم بنين وحَفَدَةً) .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجا) : أى والله خلق آدم ، ثم خلق زوجته منه ثم جعل لكم بنين وحفدة .

واختلف أهل التأويل فى المعنيين بالحفدة ، فقال بعضهم : هم الأختان ، أختان الرجل على بناته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب وابن وكيع ، قالا : ثنا أبومعاوية . قال : ثنا أبان بن تغلب ، عن المنهال بن عمرو ، عن ابن حبيش ، عن عبد الله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الأختان .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن ورقاء سألت عبد الله : ما تقول فى الحَفَدَة ؟ هم حَشَم الرجل يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : لا ، ولكنهم الأختان .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ؛ وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قالا جميعا : ثنا سفيان ، عن عاصم بن بَهْدَلة ، عن زرّ بن حُبَيْش ، عن عبد الله ، قال : الحَفَدة : الأختان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان باسناده عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن بشار وأحمد بن الوليد القرشي وابن وكيع وسوار بن عبد الله العنبرىّ ومحمد بن خلف بن

خراش والحسن بن خلف الواسطيّ، قالوا : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، قال : الحَفَدة : الأختان .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، قال : الحفَدَة : الأختان .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الحفَدَة : الأختان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : الحفَدَة : الخَتَن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، قال : الأختان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن أشعث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الأختان .

وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ عن ابن عباس ، قوله (وحَفَدَةً) قال : الأصهار .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن ابن مسعود ، قال : الحفَدَة : الأختان .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عاصم بن أبى النجود ، عن زرّ بن حبيش ، قال : قال لى عبد الله بن مسعود : ما الحفَدَة يا زرّ ؟ قال : قلت : هم أحفاد الرجل من ولده وولد ولده ، قال : لا ، هم الأصهار .

وقال آخرون : هم أعوان الرجل وخدمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن خالد بن خداش ، قال : ثنى سلم بن قتيبة ، عن وهب بن حبيب الأسَدى ، عن أبى حمزة ، عن ابن عباس سئل عن قوله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : من أعانك فقد حفَدَك ، أما سمعت قول الشاعر :

حَفَدَ الوَلائِدُ حَوْلَهُنَّ وأُسْلِمَتْ بأكُفِّهِنَّ أزِمَّةُ الأجْمالِ[1]

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الحفدة : الخُدّام .

---

(١) استشهد بالبيت أبو عبيدة فى مجاز القرآن : (١ : ٣٦٤) ونسبه لجميل بن عبد الله بن معمر العذرى . قال عند قوله تعالى « بنين وحفدة » : أعوانا وخداما ، قال جميل : « حفد الولائد . . . الخ » واحدهم حافد خرج مخرج كامل . والجميع : كملة وقال فى (اللسان : حفد) يحفد بالكسر حفدا ، وحفدانا . واحتفد : خف فى العمل وأسرع . وحفد يحفد حفدا : خدم . الأزهرى : الحفد فى الخدمة والعمل : الخفة ، وأنشد (حفد الولائد . . .) البيت .

حدثني محمد بن خالد بن خداش ، قال : ثني سَلْم بن قتيبة ، عن حازم بن إبراهيم البَجَلى ، عن سماك ، عن عكرمة ، قال : قال : الحفَدَة : الخُدّام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن عكرمة ، قال : هم الذين يُعينون الرجل من ولده وخدمه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحكَم بن أبان ، عن عكرمة : (وَحَفَدَةً) قال : الحفدة : من خدمك مِنْ ولدك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سلام بن سليم ، وقيس عن سِماك ، عن عكرمة ، قال : هم الخدم .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سلام أبوالأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، مثله .

حدثني محمد بن خالد ، قال : ثنى سلمة ، عن أبي هلال ، عن الحسن . في قوله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : البنين وبني البنين ، ممّن أعانك من أهل وخادم فقد حفدك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال : هم الخَدَم .

حدثني محمد بن خالد وابن وكيع ، ويعقوب بن إبراهيم ، قالوا : ثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الحفَدَة : الخَدَم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ؛ وحدثنا ابن بشار ، قال ثنا عبد الرحمن ، جميعا عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : ابنه وخادمه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : أنصارا وأعوانا وخدّاما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا زمعة ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : الحفدة : الخدم .

حدثنا ابن بشار مرّة أخرى ، قال : ابنه وخادمه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) مهنة يَمْهنونك ويخدمونك من ولدك ، كرامة أكرمكم الله بها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السُّدى ، عن أبي مالك : الحَفَدة ، قال : الأعوان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حصين ، عن عكرمة ، قال : الذين يعينونه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معْمر ، عن الحكَم بن أبان ، عن عكرمة ، فى قوله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الحفدة : من خدمك من ولدك وولد ولدك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمىّ ، عن أبيه ، عن الحسن ، قال : الحفَدة : الخدَم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن عكرمة (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : ولده الذين يعينونه .

وقال آخرون : هم ولد الرجل وولد ولده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَحَفَدَةً) قال : هم الولد وولد الولد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن مجاهد وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى هذه الآية (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الحفَدة : البنون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غُنْدَر ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بنوك حين يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك ، قال حميد :

حَفَدَ الوَلائِدُ حَوْلَهُنَّ وأُسْلِمَتْ بِأَكُفِّهِنَّ أَزِمَّةَ الأَجْمالِ [١]

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الحفَدة : الخدم من ولد الرجل هم ولده ، وهم يخدمونه ؛ قال : وليس تكون العبيد من الأزواج كيف يكون من زوجى عبد ، إنما الحفدة : ولد الرجل وخدمه .

حُدثت عن الحسين بن الفرَج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) يعنى : ولد الرجل يحفِدونه ويخدُمونه ، وكانت العرب إنما تخدمهم أولادهم الذكور .

وقال آخرون : هم بنو امرأة الرجل من غيره .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) يقول : بنو امرأة الرجل ليسوا منه ، ويقال : الحفَدة : الرجل يعمل بين يدى الرجل ، يقول : فلان يحفد لنا ، ويزعم رجال أن الحفَدة أخْتان [٢] الرجل .

❊ والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى أخبر عباده معرفَهم نعمه عليهم ، فيما جعل

(١) سبق الاستشهاد بالبيت قريبا فى صفحة ١٤٤ فراجعه ثمة .

(٢) الأختان : جمع ختن ، بسكون التاء ، وهو زوج بنت الرجل .

لهم من الأزواج والبنين ، فقال تعالى (وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) فأعلمهم أنه جعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة ، والحفدة فى كلام العرب : جمع حافد ، كما الكذبة : جمع كاذب ، والفسقة : جمع فاسق . والحافد فى كلامهم : هو المتخفف فى الخدمة والعمل . والحفد : خفة العمل . يقال : مرّ البعير يحفد حفدانا : إذا مرّ يُسرع فى سيره . ومنه قولهم : « إليك نسعى ونحفد » : أى نسرع إلى العمل بطاعتك . يقال منه : حفد له يحفد حفدا وحفودا وحفدانا ومنه قول الراعى :

كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نُوقاً يَمَانِيَةً إذا الحُدَاةُ على أَكْسَائِها حَفَدُوا(١)

وإذ كان معنى الحفدة ماذكرنا من أنهم المسرعون فى خدمة الرجل ، المتخففون فيها ، وكان الله تعالى ذكره أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفد لنا ، وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا وخدمنا من مماليكنا إذا كانوا يحفدوننا ، فيستحقون اسم حفدة ، ولم يكن الله تعالى دلّ بظاهر تنزيله ، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا بحجة عقل ، على أنه عنى بذلك نوعا من الحفدة ، دون نوع منهم ، وكان قد أنعم بكلّ ذلك علينا ، لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاصّ من الحفدة دون عام ، إلا ما اجتمعت الأمة عليه أنه غير داخل فيهم . وإذا كان ذلك كذلك فلكلّ الأقوال التى ذكرنا عمن ذكرنا وجه فى الصحة ، ومَخْرج فى التأويل . وإن كان أولى بالصواب من القول ما اخترنا ، لما بيّنا من الدليل .

وقوله (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول : ورزقكم من حلال المعاش والأرزاق والأقوات ، (أَفَبِالبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : يحرّم عليهم أولياء الشيطان من البحائر والسوائب والوصائل ، فيصدّق هؤلاء المشركون بالله (وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) يقول : وبما أحلّ الله لهم من ذلك ، وأنعم عليهم بإحلاله . يكفرون . يقول : ينكرون تحليله ، ويجحدون أن يكون الله أحله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه أوثانا لاتملك لهم رزقا من السموات ، لأنها لاتقدر على إنزال قطر منها لإحياء موتان الأرضين ، والأرض . يقول : ولا تملك لهم أيضا رزقا من الأرض

(١) الأكساء : واحدها كسى ، بوزن قفل ، وهو مؤخر العجز ، أو مؤخر كل شىء ، والجمع أكساء (اللسان : كسا) . وقال فى (كسأ) : كسء كل شىء وكسوءه : مؤخره . وكسء الشهر وكسوءه : آخره ، قدر عشر بقين منه . . . وأنشد أبو عبيدة :

كلفت مجهولها . . . . . . إذا الحداد . . . . . . حفدوا

ولعل الحداد فى رواية الأزهرى محرفة عن الحداة .

لأنها لاتقدر على إخراج شيء من نباتها وثمارها لهم ، ولا شيئا مما عدّد تعالى فى هذه الآية أنه أنعم بها عليهم (وَلا يَسْتَطِيعُونَ) يقول : ولا تملك أوثانهم شيئا من السموات والأرض، بل هى وجميع ما فى السموات والأرض لله ملك ، ولا يستطيعون : يقول : ولا تقدر على شيء .

وقوله (فَلا تَضْرِبُوا لِلهِ الأَمْثالَ) يقول : فلا تمثلوا لله الأمثال ،ولا تشبّهوا له الأشباه ، فإنه لامِثْل له، ولا شِبْه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحُذيفة ، قال : ثنا شبل،عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : الأمثال الأشباه .

وحدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَلا تَضْرِبُوا لِلهِ الأَمْثالَ) يعنى اتخاذهم الأصنام ، يقول : لاتجعلوا معى إلها غيرى ، فإنه لاإله غيرى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مالا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ شَيْئا وَلا يَسْتَطِيعُونَ) قال : هذه الأوثان التى تُعْبَد من دون الله لاتملك لمن يعبدها رزقا ولاضرّا ولانفعا، ولاحياة ولانشورا . وقوله (فَلا تَضْرِبُوا لِلهِ الأَمْثالَ) فإنه أحَد صَمَد ، لم يَلِد ، ولم يُولَد ، ولم يكن له كُفُواً أحد (إنَّ اللهَ يَعْلَمُ وأَنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ) يقول : والله أيها الناس يعلم خطأ ما تمثلون وتضربون من الأمثال وصوابه ، وغير ذلك من سائر الأشياء ، وأنتم لاتعلمون صواب ذلك من خطئه

واختلف أهل العربية فى الناصب قوله (شَيْئا) فقال بعض البصريين : هو منصوب على البدل من الرزق ، وهو فى معنى : لايملكون رزقا قليلا ولا كثيرا. وقال بعض الكوفيين : نصب شيئا بوقوع الرزق عليه ، كما قال تعالى ذكره (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفاتا أَحْياءً وأَمْوَاتاً) : أى تكفت الأحياء والأموات ، ومثله قوله تعالى ذكره (أَوْ إِطْعامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يَتِيما ذا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : ولوكان الرزق مع الشيء لجاز خفضه ، لايملك لكم رزق شيء من السموات ، ومثله (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

يقول تعالى ذكره : وشبّه لكم شبها أيها الناس للكافر من عبيده، والمؤمن به منهم . فأما مثل الكافر :

فإنه لايعمل بطاعة الله ، ولا يأتى خيرا ، ولا ينفق فى شىء من سبيل الله ماله لغلبة خذلان الله عليه ، كالعبد المملوك ، الذى لايقدر على شىء فينفقه. وأما المؤمن بالله فإنه يعمل بطاعة الله، وينفق فى سبيله ماله كالحرّ الذى آتاه الله مالا ، فهو ينفق منه سرّا وجهرا ، يقول : بعلم من الناس وغير علم (هَلْ يَسْتَوُونَ) يقول هل يستوى العبد الذى لايملك شيئا ولايقدر عليه، وهذا الحرّ الذى قد رزقه الله رزقا حسنا ، فهو ينفق كما وَصَف ، فكذلك لايستوى الكافر العامل بمعاصى الله المخالف أمره ، والمؤمن العامل بطاعته .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، كان بعض أهل العلم يقول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكا لايَقْدِرُ على شَىْءٍ) هذا مثل ضربه الله للكافر ، رزقه مالا فلم يقدّم فيه خيرا ، ولم يعمل فيه بطاعة الله ، قال الله تعالى ذكره (وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقا حَسَنًا) فهذا المؤمن أعطاه الله مالا ، فعمل فيه بطاعة الله. وأخذ بالشكر ، ومعرفة حقّ الله ، فأثابه الله على ما رزقه الرزق المقيم الدائم لأهله فى الجنة . قال الله تعالى ذكره (هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً)، والله ما يستويان (الحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أكْثَرُهُمْ لايَعْلَمُونَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عَبْدًا مَمْلُوكا لايَقْدِرُ عَلى شَىْءٍ) قال : هو الكافر لايعمل بطاعة الله ، ولا ينفق خيرا (وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً) قال : المؤمن يطيع الله فى نفسه وماله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكاً لايَقْدِرُ عَلى شَىْءٍ) يعنى : الكافر أنه لايستطيع أن ينفق نفقة فى سبيل الله (وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً ، فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّا وَجَهْرًا) يعنى المؤمن، وهذا المثل فى النفقة .

وقوله (الحَمْدُ لِلّهِ) يقول: الحمد الكامل لله خالصا دون ما تَدْعُون أيها القوم من دونه من الأوثان فإياه فاحمدوا دونها . وقوله (بَلْ أكْثَرُهُمْ لايَعْلَمُونَ) يقول : ما الأمر كما تفعلون ، ولا القول كما تقولون ، ما للأوثان عندهم، من يد ولا معروف ، فتُحمد عليه ، إنما الحمد لله ، ولكن أكثر هؤلاء الكفرة الذين يعبدونها لا يعلمون أن ذلك كذلك ، فهم بجهلهم بما يأتون ويذَرون يجعلونها لله شركاء فى العبادة والحمد .

وكان مجاهد يقول : ضرب الله هذا المثل ، والمثل الآخر بعده لنفسه ، والآلهة التى تعبد من دونه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾

☆ وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التى تُعبد من دونه ، فقال تعالى ذكره : (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ ، أَحَدُهُما أَبْكَمُ لايَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ) يعنى بذلك الصنم أنه لايسمع شيئا ، ولا ينطق ، لأنه إما خشب منحوت ، وإما نحاس مصنوع لايقدر على نفع لمن خدمه ، ولا دفع ضرّ عنه ، وهو كَلّ على مولاه . يقول : وهو عيال على ابن عمه وحلفائه وأهل ولايته ، فكذلك الصنم كَلّ على من يعبده ، يحتاج أن يحمله ، ويضعه ويخدمه ، كالأبكم من الناس الذى لايقدر على شىء ، فهو كَلّ على أوليائه من بنى أعمامه وغيرهم (أَيْنَما يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ) يقول : حيثما يوجهه لايأت بخير ، لأنه لايفهم ما يُقال له ، ولا يقدر أن يعبر عن نفسه ما يريد ، فهو لايفهم ، ولا يُفْهَم عنه ، فكذلك الصنم ، لايعقل ما يقال له ، فيأتمر لأمر من أمره ، ولا ينطق فيأمر وينهى ، يقول الله تعالى (هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بالعَدْلِ) يعنى : هل يستوى هذا الأبكم الكلّ على مولاه الذى لايأتى بخير حيث توجه ومن هو ناطق متكلم يأمر بالحقّ ، ويدعو إليه ، وهو الله الواحد القهار ، الذى يدعو عباده إلى توحيده وطاعته ، يقول : لايستوى هو تعالى ذكره ، والصنم الذى صفته ما وصف . وقوله (وَهُوَ على صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : وهو مع أمره بالعدل ، على طريق من الحقّ فى دعائه إلى العدل ، وأمره به مستقيم ، لايَعْوجّ عن الحقّ ، ولا يزول عنه .

وقد اختلف أهل التأويل فى المضروب له هذا المثل ، فقال بعضهم فى ذلك بنحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لايَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ) قال : هو الوثن (هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بالعَدْلِ) قال : الله يأمر بالعدل (وَهُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) وكذلك كان مجاهد يقول : إلا أنه كان يقول : المثل الأوّل أيضا ضربه الله لنفسه وللوثن .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحُذيفة ، قال : ثنا شبل ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى ذكره (عَبْداً مَمْلُوكا لايَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ ، وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً - ورَجُلَيْنِ أحَدُهُما أَبْكَمُ - وَمَنْ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ) قال : كلّ هذا مثل إله الحقّ ، وما يُدعى من دونه من الباطل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أحَدُهُما أَبْكَمُ) قال : إنما هذا مثل ضربه الله .

وقال آخرون : بل كلا المثلين للمؤمن والكافر ، وذلك قول يُروَى عن ابن عباس ، وقد ذكرنا الرواية عنه فى المثل الأوّل فى موضعه .

وأما فى المثل الآخر ، فحدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن

أبيه ، عن ابن عباس (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ لايَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ) . . . إلى آخر الآية ، يعنى بالأبكم : الذي هو كلٌّ على مولاه الكافر ، وبقوله (وَمَنْ يَأْمُرُ بالعَدْلِ) المؤمن ، وهذا المثل فى الأعمال .

حدثنا الحسن بن الصباح البزار ، قال : ثنا يحيى بن إسحاق السيلحينى ، قال : ثنا حماد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن إبراهيم ، عن عكرمة ، عن يَعْلَى بن أمية ، عن ابن عباس ، فى قوله (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكا) قال : نزلت فى رجل من قريش وعبده . وفى قوله (مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ لايَقْدِرُ على شَيْءٍ) . . . إلى قوله (وَهُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال : هو عثمان بن عفان ، قال : والأبكم الذى أينما يُوَجِّهُ لا يأت بخير ، ذاك مولى عثمان بن عفان ، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المئونة ، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف ، فنزلت فيهما .

❊ وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى المثل الأول لأنه تعالى ذكره مثّل مثَل الكافر بالعبد الذى وصف صفته ، ومثّل مثل المؤمن بالذى رزقه رزقا حسنا ، فهو ينفق مما رزقه سرًّا وجهرا . فلم يجز أن يكون ذلك لله مثلا ، إذ كان الله إنما مثّل الكافر الذى لايقدر على شيء بأنه لم يرزقه رزقا ينفق منه سرًّا ؛ ومثّل المؤمن الذى وفّقه الله لطاعته فهداه لرشده ، فهو يعمل بما يرضاه الله ، كالحرّ الذى بسط له فى الرزق ، فهو ينفق منه سرًّا وجهرا ، والله تعالى ذكره هو الرازق غير المرزوق ، فغير جائز أن يمثل إفضاله وجوده بإنفاق المرزوق الرزق الحسن . وأما المثل الثانى ، فإنه تمثيل منه تعالى ذكره مَنْ مثله الأبكم الذى لايقدر على شيء والكفار لاشكّ أن منهم من له الأموال الكثيرة ، ومن يضرّ أحيانا الضرّ العظيم بفساده ، فغير كائن مالايقدر على شيء ، كما قال تعالى ذكره مثلا لمن يقدر على أشياء كثيرة . فإذا كان ذلك كذلك كان أولى المعانى به تمثيل مالايقدر على شيء ، كما قال تعالى ذكره بمثاله ما لايقدر على شيء ، وذلك الوثن الذى لا يقدر على شيء ، بالأبكم الكَلّ على مولاه الذى لايقدر على شيء كما قال ووصف .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾

❊ يقول تعالى ذكره : ولله أيها الناس ملك ما غاب عن أبصاركم فى السموات والأرض دون آلهتكم التى تدعون من دونه ، ودون كلّ ما سواه ، لايملك ذلك أحد سواه (وَما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ البَصَرِ) يقول : وما أمر قيام القيامة والساعة التى تنشر فيها الخلق للوقوف فى موقف القيامة ، إلا كنظرة من البصر ، لأن ذلك إنما هو أن يقال له : كن فيكون .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلاَّ كَلَمْحِ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) والساعة : كلمح البصر ، أو أقرب .

حدثنا الحسن بن يحيي ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ البَصَرِ) قال : هو أن يقول : كن ، فهو كلمح البصر ، فأمر الساعة كلمح البصر أو أقرب ؛ يعني يقول : أو هو أقرب من لمح البصر .

وقوله (إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : إن الله على إقامة الساعة فى أقرب من لمح البصر قادر ، وعلى ما يشاء من الأشياء كلها ، لايمتنع عليه شيء أراده .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

❊ يقول تعالى ذكره : والله تعالى أعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم ، لاتعقلون شيئا ولاتعلمون ، فرزقكم عقولا تفقهون بها ، وتميزون بها الخير من الشرّ وبصّركم بها مالم تكونوا تبصرون ، وجعل لكم السمع الذى تسمعون به الأصوات ، فيفقه بعضكم عن بعض ما تتحاورون به بينكم ؛ والأبصار التى تبصرون بها الأشخاص ، فتتعارفون بها ، وتميزون بها بعضا من بعض . والأفئدة : يقول : والقلوب التى تعرفون بها الأشياء فتحفظونها ، وتفكرون فتفقهون بها (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يقول : فعلنا ذلك بكم ، فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك ، دون الآلهة والأنداد ، فجعلتم له شركاء فى الشكر ، ولم يكن له فيما أنعم به عليكم من نعمه شريك .

وقوله (وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَتَعْلَمُونَ شَيْئًا) كلام متناه ، ثم ابتدئ الخبر ، فقيل : وجعل الله لكم السمع والأبصار والأفئدة . وإنما قلنا ذلك كذلك ، لأن الله تعالى ذكره جعل العبادة والسمع والأبصار والأفئدة ، قبل أن يخرجهم من بطون أمهاتهم ، وإنما أعطاهم العلم والعقل بعد ما أخرجهم من بطون أمهاتهم .

القول في تأويل قوله تعالى:

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

❊ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين : ألم تَرَوا أَيُّها المشركون بالله إلى الطير مسخرات فى جوّ السماء ، يعني : فى هواء السماء بينها وبين الأرض ، كما قال إبراهيم بن عمران الأنصاريّ :

وَيْلُ امِّها مِنْ هَوَاءِ الجَوِّ طَالِبَةً ... وَلا كَهذا الَّذِى فى الأَرْضِ مَطْلُوبُ [1]

(١) البيت نسبه المؤلف إلى إبراهيم بن عمران الأنصارى . ونسبه البغدادى فى الخزانة (٢ : ١١٢) لامرىء القيس بن حجر الكندى.

يعنى : فى هواء السماء (مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ) يقول : ما طيرانها فى الجوّ إلا بالله ، وبتسخيره إياها بذلك ، ولو سلبها ما أعطاها من الطيران لم تقدر على النهوض ارتفاعا . وقوله (إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : إن فى تسخير الله الطير ، وتمكينه لها الطيران فى جوّ السماء ، لعلامات ودلالات على أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنه لاحظ للأصنام والأوثان فى الألوهة (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يعنى : لقوم يقرّون بوجدان ما تعاينه أبصارهم ، وتحسه حواسهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مُسَخَّرَاتٍ فِى جَوِّ السَّمَاءِ) : أى فى كبد السماء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾

يقول تعالى ذكره (وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ) أيها الناس (مِنْ بُيُوتِكُمْ) التى هى من الحجر والمدر (سَكَنًا) تسكنون أيام مقامكم فى دوركم وبلادكم (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا) وهى البيوت من الأنطاع والفساطيط من الشعر والصوف والوبر (تَسْتَخِفُّونَهَا) يقول : تستخفون حملها ونقلها (يَوْمَ ظَعْنِكُمْ) من بلادكم وأمصاركم لأسفاركم (وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ) فى بلادكم وأمصاركم (وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا) .

وبنحو الذى قلنا فى معنى السكن ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

= وعزى فى الكتاب لسيبويه مرة إلى امرئ القيس (١ : ٣٥٣) ومرة (٢ : ٢٧٢) إلى النعمان بن بشير الأنصارى . وذكر البغدادى المقطوعة التى منها البيت ، وهى عشرة أبيات ، ونسبها لامرئ القيس ، ومطلعها :

الخير ما طلعت شمس وما غربت   مطلب بنواحى الخيل معصوب

وبيت الشاهد هو الثامن فى المقطوعة ، وأوله : « لا كالتى فى هواء » ... الخ . وقال ابن رشيق فى العمدة : هذا البيت عند دعبل ، أشعر بيت قالته العرب ، وبه تقدم على الشعراء . وقوله : ويلمها : هقا فى صورة الدعاء على الشىء والمراد به التعجب . والضمير المؤنث يراد به العقاب . والجو : مابين السماء والأرض ، وأراد بالمطلوب الذئب ، لأنه وصف عقابا تبعت ذئبا لتصيده ، فتعجب منها فى شدة طلبها ، وتعجب من الذئب أيضا فى سرعته وشدة هربه منها .

واستشهد المؤلف بالبيت عند تفسير قوله تعالى « ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء » أى فى هواء السماء ، بينها وبين الأرض كما استشهد أبو عبيدة من قبله فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٥) على أن جو السماء : أى الهواء .

قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا) قال : تسكنون فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله. وأما الأشعار فجمع شَعَر تثقل عينه وتخفف ، وواحد الشَّعَر شَعْرة . وأما الأثاث فإنه متاع البيت لم يسمع له بواحد، وهو في أنه لا واحد له مثل المتاع . وقد حكي عن بعض النحويين أنه كان يقول : واحد الأثاث أثاثة ، ولم أر أهل العلم بكلام العرب يعرفون ذلك ، ومن الدليل على أن الأثاث هو المتاع ، قول الشاعر :

أهاجَتْكَ الظَّعائِنُ يَوْمَ بانُوا ... بِذِي الرِّئْيِ الجَمِيلِ مِنَ الأثاثِ(١)

ويروى: بذي الزيّ ، وأنا أرى أصل الأثاث اجتماع بعض المتاع إلى بعض حتى يكثر كالشعر الأثيث وهو الكثير الملتفّ ، يقال منه ، أثّ شعر فلان يئِثّ أثًّا : إذا كثر والتفّ واجتمع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (أثاثا) يعني بالأثاث : المال .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (أثاثا) قال : متاعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أثاثا) قال : هو المال .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن حرب الرازي ، قال : أخبرنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن حميد بن عبد الرحمن ، في قوله (أثاثا) قال : الثياب .

وقوله (وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) فإنه يعني : أنه جعل ذلك لهم بلاغا ، يتبلَّغون ويكتفون به إلى حين آجالهم للموت .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) فإنه يعني : زينة ، يقول : ينتفعون به إلى حين .

---

(١) البيت لمحمد بن نمير الثقفي ، وكان يشبب بزينب أخت الحجاج بن يوسف الثقفي فتوعده ، فهرب منه (خبره في الكامل للمبرد ٢٨٩) والبيت من كلمة له (الكامل ٣٧٦) ، وفي (اللسان : رأى) قال قال : الفراء الرئي : المنظر وأهل المدينة يقرءون الآية (وريا) بغير همز . قال : وهو وجه جيد من رأيت ، لأنه من آيات لسن مهموزات الأواخر . وقال الجوهري : من همزه جعله من المنظر من رأيت ، وهو : ما رأته العين من حال حسنة ، وكسوة ظاهرة . وأنشد أبو عبيد لمحمد بن نمير الثقفي :

أشاقتك الظعائن يوم بانوا ... بذي الرئي الجميل من الأثاث

ومن لم يهمزه : إما أن يكون على تخفيف الهمزة ، أو يكون من رويت ألوانهم وجلودهم ، أي امتلأت وحسنت . وأثاثا : أي متاعا . قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٦٥) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَتَاعاً إلى حِينٍ) قال : إلى الموت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَتَاعاً إلى حِينٍ) إلى أجل وبلغة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

﴿﴾ يقول تعالى ذكره : ومن نعمة الله عليكم أيها الناس أن جعل لكم مما خلق من الأشجار وغيرها ظلالا تستظلون بها من شدّة الحرّ وهى جمع ظلّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن قتادة ، فى قوله (مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً) قال : الشجر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً) إى والله من الشجر ومن غيرها .

وقوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبالِ أكْناناً) يقول : وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها ، وهى جمع كنّ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبالِ أكْناناً) يقول : غيرانا من الجبال يسكن فيها (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ) يعنى ثياب القطن والكتان والصوف وقمصها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ) من القطن والكتان والصوف .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ) قال : القطن والكتان .

وقوله (سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ) يقول : ودروعا تقيكم بأسكم ، والبأس : هو الحرب ؛ والمعنى : تقيكم فى بأسكم السلاح أن يصل إليكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ) من هذا الحديد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ) قال : هي سرابيل من حديد .

وقوله (كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) يقول تعالى ذكره : كما أعطاكم ربكم هذه الأشياء التي وصفها في هذه الآيات نعمة منه بذلك عليكم ، فكذا يُتِمّ نعمته عليكم لعلكم تسلمون . يقول : لتخضعوا لله بالطاعة ، وتذِلّ منكم بتوحيده النفوس ، وتخلصوا له العبادة ، وقد رُوِي عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ) بفتح التاء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن حنظلة ، عن شهر بن حَوْشب ، قال : كان ابن عباس يقول (لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ) قال : يعني من الجراح .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا عباد بن العوّام ، عن حنظلة السّدوسيّ ، عن شهر بن حَوْشب ، عن ابن عباس ، أنه قرأها (لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ) من الجراحات . قال أحمد بن يوسف : قال أبو عبيد : يعني بفتح التاء واللام .

فتأويل الكلام على قراءة ابن عباس هذه : كذلك يتمّ نعمته عليكم بما جعل لكم من السرابيل التي تقيكم بأسكم ، لتسلموا من السلاح في حروبكم . والقراءة التي لا أستجيز القراءة بخلافها بضم التاء من قوله : (لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) وكسر اللام من أسلمت تُسْلِم يا هذا ، لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليها .

فإن قال لنا قائل : وكيف جعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ ، فخصّ بالذكر الحرّ دون البرد ، وهي تقي الحرّ والبرد ، أم كيف قيل (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) وترك ذكر ما جعل لهم من السهل ؟ قيل له : قد اختُلف في السبب الذي من أجله جاء التنزيل كذلك ، وسنذكر ما قيل في ذلك ، ثم ندلّ على أولى الأقوال في ذلك بالصواب .

فرُوِي عن عطاء الخراساني في ذلك ما حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، قال : إنما نزل القرآن على قدر معرفتهم ، ألا ترى إلى قول الله تعالى ذكره (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالا ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب جبال ، ألا ترى إلى قوله (وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) وما جعل لهم من غير ذلك أعظم منه وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب وَبَر وشَعَر ، ألا ترى إلى قوله (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ) يعجبهم من ذلك ، وما أنزل من الثلج أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا لا يعرفون به ، ألا ترى إلى قوله (سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ) وما تقي من البرد أكثر وأعظم ، ولكنهم كانوا أصحاب حرّ . فالسبب الذي من أجله خصّ الله تعالى ذكرُه السرابيل بأنها تقي الحرّ دون البرد على هذا القول ، هو أن المخاطبين بذلك كانوا أصحاب حرّ ، فذكر الله تعالى ذكره نعمته عليهم بما يقيهم مكروه ما به عرفوا مكروهه ، دون ما لم يعرفوا مبلغ مكروهه ، وكذلك ذلك في سائر الأحرف الأُخَر .

وقال آخرون : ذكر ذلك خاصة اكتفاء بذكر أحدهما من ذكر الآخر ، إذ كان معلوما عند المخاطبين

به معناه : وأن السرابيل التى تقى الحرّ تقى أيضا البرد ، وقالوا : ذلك موجود فى كلام العرب مستعمل، واستشهدوا لقولهم بقول الشاعر :

وَمَا أدْرِى إذا يَمَّمْتُ وَجْهاً أُرِيدُ الخَيْرَ أيُّهُمَا يَلِينِى [1]

فقال : أيهما يلينى : يريد الخير أو الشرّ ، وإنما ذكر الخير لأنه إذا أراد الخير فهو يتقى الشرّ .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب: قول من قال : إن القوم خوطبوا على قدر معرفتهم ، وإن كان فى ذكر بعض ذلك ، دلالة على ماترك ذكره ،لمن عرف المذكور والمتروك ، وذلك أن الله تعالى ذكره، إنما عدّد نعمه التى أنعمها على الذين قُصدوا بالذكر فى هذه السورة دون غيرهم ، فذكر أياديه عندهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فان أدبر هؤلاء المشركون يامحمد عما أرسلناك به إليهم من الحقّ ، فلم يستجيبوا لك وأعرضوا عنه ، فما عليك من لوم ولاعذل ، لأنك قد أدّيت ماعليك فى ذلك، إنه ليس عليك إلا بلاغهم ما أرسلت به . ويعنى بقوله (المُبِينُ) الذى يبين لمن سمعه حتى يفهمه .

وأما قوله (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها) فإن أهل التأويل اختلفوا فى المعنىّ بالنعمة التى أخبر الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين أنهم ينكرونها ، مع معرفتهم بها ، فقال بعضهم : هو النبىّ صلى الله عليه وسلم عرفوا نبوّته ثم جحدوها وكذبوه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن السدىّ ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهم يعرفون أن ما عدّد الله تعالى ذكره فى هذه السورة من النعم من عند الله ، وأن الله هو المنعم بذلك عليهم ، ولكنهم يُنكرون ذلك ، فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم .

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (ص ١٧٦) قال : وقوله « سرابيل تقيكم الحر » ولم يقل (والبرد) فترك ، لأن معناه معلوم ، والله أعلم ، كقول الشاعر : « وما أدرى . . . الخ البيت ». يريد أن الخير والشر يلينى ، لأنه إذا أراد الخير ، فهو يتقى الشر اه . وقد أفصح الشاعر فى البيت الذى بعده عن مراده ، وهو موافق لما قالوا :

أَأَلْخَيْرُ الَّذِى أنا أَبْتَغِيهِ أمِ الشَّرُّ الَّذِى هُوَ يَبْتَغِينِى ؟

والبيتان : لسحيم بن وثيل الرياحى ، من قصيدة مطلعها :

أفاطِمَ قَبْلَ بَيْنِكِ مَتِّعِينِى وَمَنْعُكِ ما سألْتِ كأنْ تَبِينِى

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنا المثنى ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) قال : هى المساكن والأنعام ، وما يرزقون منها ، والسرابيل من الحديد والثياب ، تعرف هذا كفار قريش ، ثم تنكره بأن تقول : هذا كان لآبائنا ، فروّحونا[1] إياه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : فورّثونا إياها ، وزاد فى الحديث عن ابن جريج ، قال ابن جريج : قال عبد الله بن كثير : يعلمون أن الله خلقهم وأعطاهم ما أعطاهم ، فهو معرفتهم نعمته ، ثم إنكارهم إياها كفرهم بعد .

وقال آخرون فى ذلك ، ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا معاوية ، عن عمرو ، عن أبي إسحاق الفزارى ، عن ليث ، عن عون بن عبد الله بن عتبة (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) قال : إنكارهم إياها أن يقول الرجل : لولا فلان ما كان كذا وكذا ، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا .

وقال آخرون : معنى ذلك أن الكفار إذا قيل لهم : من رزقكم ؟ أقرّوا بأن الله هو الذى رزقهم ، ثم ينكرون ذلك بقولهم : رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، وأشبهها بتأويل الآية ، قول من قال : عنى بالنعمة التى ذكرها الله فى قوله (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ) النعمة عليهم بارسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم داعيا إلى مابعثه بدعائهم إليه ، وذلك أن هذه الآية بين آيتين كلتاهما خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعما بعث به ؛ فأولى ما بينهما أن يكون فى معنى ما قبله وما بعده ، إذ لم يكن معنى يدلّ على انصرافه عما قبله وعما بعده ؛ فالذى قبل هذه الآية قوله (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ . يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) وما بعده (وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وهو رسولها . فإذا كان ذلك كذلك ، فمعنى الآية : يعرف هؤلاء المشركون بالله نعمة الله عليهم يا محمد بك ، ثم ينكرونك ويجحدون نبوّتك (وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ) يقول : وأكثر قومك الجاحدون نبوّتك ، لا المقرّون بها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾

يقول تعالى ذكره : يعرفون نعمة الله ثم يُنكرونها اليوم ويستنكرون (يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وهو الشاهد عليها بما أجابت داعى الله ، وهو رسولهم الذى أرسل إليهم (ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : ثم لا يؤذن للذين كفروا فى الاعتذار ، فيعتذروا مما كانوا بالله وبرسوله يكفرون (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) فيتركوا الرجوع إلى الدنيا ، فينيبوا ويتوبوا ، وذلك كما قال تعالى (هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) .

(١) قال فى اللسان : فى حديث أم زرع : وأراح على نعما ثريا : أى أعطانى . قال : والترويح : كالإراحة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة : قوله (وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وشاهدها نبيها ، على أنه قد بلغ رسالات ربه، قال الله تعالى (وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ)

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ ٨٥

يقول تعالى ذكره : وإذا عاين الذين كذبوك يامحمد ، وجحدوا نبوّتك ، والأمم الذين كانوا على منهاج مشركى قومك عذاب الله ، فلاينجيهم من عذاب الله شىء ، لأنهم لايؤذن لهم ، فيعتذرون ، فيخفّف عنهم العذاب بالعذر الذى يدّعونه (وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يقول : ولايُرْجَئُون بالعقاب ،لأن وقت التوبة والإنابة قد فات ، فليس ذلك وقتا لهما ، وإنما هو وقت للجزاء على الأعمال ، فلا ينظر بالعتاب ليعتب بالتوبة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ٨٦

يقول تعالى ذكره : وإذا رأى المشركون بالله يوم القيامة ما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة والأوثان وغير ذلك ، قالوا : ربنا هؤلاء شركاؤنا فى الكفر بك، والشركاء الذين كنا ندعوهم آلهة من دونك ، قال الله تعالى ذكره (فَأَلْقَوْا) يعنى : شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله القول : يقول : قالوا لهم : إنكم لكاذبون أيها المشركين ، ماكنا ندعوكم إلى عبادتنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ) قال : حدّثوهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ ٨٧

❊ يقول تعالى ذكره : وألقى المشركون إلى الله يومئذ السلم : يقول : استسلموا يومئذ وذلّوا لحكمه فيهم، ولم تغن عنهم آلهتهم التى كانوا يدعون فى الدنيا من دون الله ، وتبرأت منهم، ولا قومهم ، ولا عشائرُهم الذين كانوا فى الدنيا يدافعون عنهم ، والعرب تقول : ألقيت إليه كذا تعنى بذلك قلت له . وقوله (وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ) يقول : وأخطأهم من آلهتهم ما كانوا يأملون من الشفاعة عندالله بالنجاة.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وألْقَوْا إلى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ) يقول : ذلوا واستسلموا يومئذ (وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ ٨٨

❊ يقول تعالى ذكره : الذين جحدوا يا محمد نبوّتك وكذّبوك فيما جئتهم به من عند ربك ، وصَدُّوا عن الإيمان بالله وبرسوله، ومن أراده زدناهم عذابا يوم القيامة فى جهنم فوق العذاب الذى هم فيه قبل أن يزادوه .

وقيل : تلك الزيادة التى وعدهم الله أن يزيدهموها عقارب وحيات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال: ثنا عبد الرحمن ، قال: ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروق ، عن عبد الله (زِدْناهُمْ عَذَابا فَوْقَ العَذَابِ) قال : عقارب لها أنياب كالنخل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبومعاوية وابن عيينة ، عن الأعمش ، عن عبدالله بن مرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله (زِدْناهُمْ عَذَابا فَوْقَ العَذَابِ) قال : زيدوا عقارب لها أنياب كالنخل الطوال .

حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن عبد الله ابن مرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن سليمان ، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروق ، عن عبد الله ، نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدىّ ، عن مرّة ، عن عبدالله ، قال (زِدْناهُمْ عَذَاباً فَوْقَ العَذَابِ) قال : أفاعِىَ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدىّ . عن مرّة ، عن عبد الله ، قال : أفاعىَ فى النار .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مرة ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا مجاهد بن موسى والفضل بن الصباح ، قالا : ثنا جعفر بن عون، قال : أخبرنا الأعمش ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، قال : إن لجهنم جبابا فيها حيات أمثال البخت[1] ، وعقارب أمثال البغال الدهم يستغيث أهل النار إلى تلك الجباب أو الساحل، فتثب إليهم فتأخذ بشفاههم وشفارهم إلى أقدامهم ، فيستغيثون منها إلى النار ، فيقولون : النارَ النارَ ، فتتبعهم حتى تجد حرّها فترجع ، قال : وهى فى أسراب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى حيى بن عبد الله ، عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن لجهنم سواحل فيها حيات وعقارب أعناقها كأعناق البخت .

وقوله (بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ) يقول : زدناهم ذلك العذاب على ما بهم من العذاب بما كانوا يفسدون ، بما كانوا فى الدنيا يعصون الله ، ويأمرون عباده بمعصيته ، فذلك كان إفسادهم ، اللهمّ إنا نسألك العافية يا مالك الدنيا والآخرة الباقية .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

يقول تعالى ذكره (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) يقول: نسأل نبيهم الذى بعثناه إليهم للدعاء إلى طاعتنا ، وقال (مِنْ أَنْفُسِهِمْ) لأنه تعالى ذكره كان يبعث إلى أمم أنبياءها منها ، ماذا أجابوكم ، وما ردّوا عليكم (وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هؤُلاءِ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وجئنا بك يامحمد شاهدا على قومك وأمتك الذين أرسلتك إليهم بما أجابوك ، وماذا عملوا فيما أرسلتك به إليهم . وقوله (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) يقول : نزل عليك يامحمد هذا القرآن بيانا لكلّ مابالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب (وَهُدًى) من الضلالة (وَرَحْمَةً) لمن صدّق به ، وعمل بما فيه من حدود الله ، وأمره ونهيه ، فأحل حلاله ، وحرّم حرامه (وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) يقول : وبشارة لمن أطاع الله وخضع له بالتوحيد ، وأذعن له بالطاعة ، يبشره بجزيل ثوابه فى الآخرة ، وعظيم كرامته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا أبان بن تغلب ، عن الحكم ، عن مجاهد (تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) قال : مما أحلّ وحرّم .

(١) البخت : هى الإبل الخراسانية ، وهى جمال طوال الأعناق ، الواحد : بختى . (اللسان) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد ، فى قوله (تِبْيانا لِكُلِّ شَىْءٍ) مما أحلّ لهم وحرّم عليهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قوله (تِبْيانا لِكُلِّ شَىْءٍ) قال : ما أمر به ، وما نَهَى عنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله (وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْيانا لِكُلِّ شَىْءٍ) قال : ما أُمِرُوا به ، ونهوا عنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن أشعث ، عن رجل ، قال : قال ابن مسعود : أنزل فى هذا القرآن كل علم وكلّ شىء قد بين لنا فى القرآن ، ثم تلا هذه الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

يقول تعالى ذكره : إن الله يأمر فى هذا الكتاب الذى أنزله إليك يا محمد بالعدل ، وهو الإنصاف ، ومن الإنصاف : الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته ، والشكر له على إفضاله ، وتولى الحمد أهله . وإذا كان ذلك هو العدل ، ولم يكن للأوثان والأصنام عندنا يد تستحقّ الحمد عليها كان جهلا بنا حمدها وعبادتها ، وهى لاتنعم فتشكر ، ولا تنفع فتعبد ، فلزمنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ؛ ولذلك قال : من قال : العدل فى هذا الموضع : شهادة أن لا إله إلا الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، وعلىّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ) قال : شهادة أن لا إله إلا الله . وقوله والإحسان ، فإن الإحسان الذى أمر به تعالى ذكره مع العدل الذى وصفنا صفته : الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى ، فى الشدّة والرخاء ، والمَكْرَه والمَنْشَط ، وذلك هو أداء فرائضه .

كما حدثنى المثنى وعلىّ بن داود ، قالا : ثنا عبدالله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس : والإحسان : يقول : أداء الفرائض .

وقوله (وَإِيتاءِ ذِى القُرْبى) يقول : وإعطاء ذى القربى الحقّ الذى أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم .

كما حدثنى المثنى وعلىّ ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وإيتاءِ ذِى القُرْبى) يقول : الأرحام .

وقوله (وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ) قال : الفحشاء فى هذا الموضع : الزنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، وعلىّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ) يقول : الزنا ، وقد بيّنّا معنى الفحشاء بشواهده فيما مضى قبل .

وقوله (وَالْبَغْيِ) قيل : عنِىَ بالبغى فى هذا الموضع : الكبر والظلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، وعلىّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَالْبَغْيِ) يقول : الكبر والظلم . وأصل البغى : التعدّى ، ومجاوزة القدر والحدّ من كلّ شىء . وقد بيّنّا ذلك فيما مضى قبل .

وقوله (يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يقول : يذكركم أيها الناس ربكم لتذكروا فتنيبوا إلى أمره ونهيه ، وتعرفوا الحقّ لأهله .

كما حدثنى المثنى وعلىّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (يَعِظُكُمْ) يقول : يوصيكم (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) . وقد ذُكر عن ابن عيينة أنه كان يقول فى تأويل ذلك : إن معنى العدل فى هذا الموضع استواء السريرة والعلانية من كلّ عامل لله عملا ، وإن معنى الإحسان : أن تكون سريرته أحسن من علانيته ، وإن الفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته .

وذُكر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول فى هذه الآية ، ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، قال : سمعت منصور بن النعمان ، عن عامر ، عن شُتَير بن شَكَل ، قال : سمعت عبد الله يقول : إن أجمع آية فى القرآن فى سورة النحل (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الشعبى ، عن شُتَير بن شَكَل ، قال : سمعت عبد الله يقول : إن أجمع آية فى القرآن لخير أو لشرّ ، آية فى سورة النحل (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى) . . . الآية ، إنه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه ، إلا أمر الله به ، وليس من خُلق سيّئ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدّم فيه . وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وأوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه ، وعقده إذا عاقدتموه ، فأوجبتم به على أنفسكم حقا لمن عاقدتموه به وواثقتموه عليه (وَلا تَنْقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) يقول : ولا تخالفوا الأمر الذى تعاقدتم فيه الأيمان ، يعنى بعد ما شددتم الأيمان على أنفسكم، فتحنثوا فى أيمانكم وتكذبوا فيها ، وتنقضوها بعد إبرامها ، يقال منه : وكّد فلان يمينه يوكدها توكيدا: إذا شددها، وهى لغة أهل الحجاز، وأما أهل نجد، فإنهم يقولون: أكدتها أؤكدها تأكيدا. وقوله (وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً) يقول : وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيا يرعى الموفى منكم بعهد الله الذى عاهد على الوفاء به والناقض .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف بينهم فيمن عُنِىَ بهذه الآية، وفيما أنزلت ، فقال بعضهم : عُنِى بها الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، وفيهم أنزلت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمارة الأسدى ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو ليلى ، عن بريدة ، قوله (وأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عاهَدْتُمْ) قال : أنزلت هذه الآية فى بيعة النبىّ صلى الله عليه وسلم كان من أسلم بايع على الإسلام، فقالوا (وأوفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ) هذه البَيعة التى بايعتم على الإسلام (وَلا تَنْقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) البيعة ، فلا يحملكم قلة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكثرة المشركين ، أن تنقضوا البيعة التى بايعتم على الإسلام ، وإن كان فيهم قلة ، والمشركين فيهم كثرة .

وقال آخرون : نزلت فى الحلف الذى كان أهل الشرك تحالفوا فى الجاهلية ، فأمرهم الله عزّ وجلّ فى الإسلام أن يوفّوا به ولا ينقضوه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (وَلا تَنْقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) قال : تغليظها فى الحلف .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَنْقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) يقول : بعد تشديدها وتغليظها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : هؤلاء قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا وأعطى بعضهم العهد ، فجاءهم قوم، فقالوا : نحن أكثر وأعزّ وأمنع ، فانقضوا عهد هؤلاء وارجعوا إلينا ففعلوا ، فذلك قول الله تعالى (وَلا تَنْقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ

كَفِيلًا) أن تكون أمة هي أربى من أمة ، هي أربى أكثر من أجل أن كان هؤلاء أكثر من أولئك ، نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء ، فكان هذا فى هذا .

حدثنى ابن البرقى ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، قال : سألت يحيى بن سعيد ، عن قول الله (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) قال : العهود .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى أمر فى هذه الآية عباده بالوفاء بعهوده التى يجعلونها على أنفسهم ، ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين ، بعقود تكون بينهم بحق ، مما لايكرهه الله . وجائز أن تكون نزلت فى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهيهم عن نقض بيعتهم ، حذرا من قلة عدد المسلمين ، وكثرة عدد المشركين . وأن تكون نزلت فى الذين أرادوا الانتقال بحلفهم عن حلفائهم لقلة عددهم فى آخرين لكثرة عددهم . وجائز أن تكون فى غير ذلك ، ولا خبر تثبت به الحجة أنها نزلت فى شىء من ذلك دون شىء ؛ ولا دلالة فى كتاب ولا حجة عقل أى ذلك عنى بها ، ولا قول فى ذلك أولى بالحق مما قلنا لدلالة ظاهره عليه ، وأن الآية كانت قد نزلت لسبب من الأسباب ، ويكون الحكم بها عاما فى كل ما كان بمعنى السبب الذى نزلت فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) قال : وكيلا . . .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره : إن الله أيها الناس يعلم ما تفعلون فى العهود التى تعاهدون الله من الوفاء بها ، والأحلاف والأيمان التى تؤكدونها على أنفسكم ، أتبرون فيها أم تنقضونها وغير ذلك من أفعالكم ، محص ذلك كله عليكم ، وهو مسائلكم عنها ، وعما عملتم فيها ، يقول : فاحذروا الله أن تلقوه وقد خالفتم فيها أمره ونهيه ، فتستوجبوا بذلك منه ما لاقبل لكم به من أليم عقابه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾

يقول تعالى ذكره ناهيا عباده عن نقض الأيمان بعد توكيدها ، وآمرا بوفاء العهود ، وممثلا ناقض ذلك بناقضة غزلها من بعد إبرامه ، وناكثته من بعد إحكامه ؛ ولا تكونوا أيها الناس فى نقضكم أيمانكم بعد توكيدها وإعطائكم الله بالوفاء بذلك العهود والمواثيق (كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) يعنى : من بعد إبرام . وكان بعض أهل العربية يقول : القوة : ما غزل على طاقة واحدة ولم يثن . وقيل : إن التى كانت تفعل ذلك امرأة حمقاء معروفة بمكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عبد الله بن كثير (كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) قال : خرقاء كانت بمكة ، تنقضه بعد ما تُبْرِمه .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن صدقة ، عن السدى (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ) قال : هى خَرْقَاءُ بمكة كانت إذا أبرمت غزلها نقضته .

وقال آخرون : إنما هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد ، فشبهه بامرأة تفعل هذا الفعل ، وقالوا : فى معنى نقضت غزلها من بعد قوّة ، نحوا مما قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) فلو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم : ما أحمق هذه ، وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) قال : غزلها : حبلها تنقضه بعد إبرامها إياه ، ولا تنتفع به بعد .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) قال : نقضت حبلها من بعد إبرام قوّة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) قال : هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد الذى يعطيه ، ضرب الله هذا له مثلا بمثل التى غزلت ثم نقضت غزلها ، فقد أعطاهم ثم رجع ، فنكث العهد الذى أعطاهم . وقوله (أنكاثا) يعنى : أنقاضا ، وكلّ شىء نُقِض بعد الفتل فهو أنكاث ، واحدها : نِكْث حبلا كان ذلك أو غزلا ، يقال منه : نَكَثَ فلان هذا الحبل فهو ينكُثُه نكثا ، والحبل منتكِث : إذا انتقضت قُواه . وإنما عنى به فى هذا الموضع نكث العهد والعقد . وقوله (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ، أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) يقول تعالى ذكره : تجعلون أيمانكم التى تحلفون بها على أنكم موفون بالعهد لمن عاقدتموه (دَخَلًا بَيْنَكُمْ) يقول : خديعة وغرورا ليطمئنوا إليكم ، وأنتم مضمرون لهم الغدر ، وترك الوفاء بالعهد ، والنُّقلة عنهم إلى غيرهم من أجل أن غيرهم أكثر عددا منهم . والدَّخَل فى كلام العرب : كلّ أمر لم يكن صحيحا ، يقال منه : أنا أعلم دَخَل فلان ودُخْلُلَه ، وداخلة أمره ودخلته ودخيلته .

وأما قوله (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) فإن قوله أربى : أفعل من الربا ، يقال : هذا أربى من هذا وأربأ منه ، إذا كان أكثر منه ؛ ومنه قول الشاعر :

وأسْمَرَ خَطِّيَّ كأنَّ كُعُوبَهُ نوَى القسْبِ قد أرْبَى ذِرَاعا على العَشْرِ[١]

وإنما يقال : أربى فلان من هذا وذلك للزيادة التى يزيدها على غريمه على رأس ماله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى وعلىّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) يقول : أكثر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) يقول : ناس أكثر من ناس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) قال : كانوا يحالفون الحلفاء ، فيجدون أكثر منهم وأعزّ ، فينقضون حلف هؤلاء ، ويحالفون هؤلاء الذين هم أعزّ منهم ، فنهوا عن ذلك .

حدثنا ابن المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد[٢] وحدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ) يقول : خيانة وغدرا بينكم (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) أن يكون قوم أعزّ وأكثر من قوم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا أبو ثور ، عن معمر ، عن قتادة (دَخَلًا بَيْنَكُمْ) قال : خيانة بينكم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ) يغرّ بها ، يعطيه العهد يؤمنه ، وينزله من مأمنه ، فتزلّ قدمه ، وهو فى مأمن ، ثم يعود يريد الغدر ، قال : فأوّل بدو هذا[٣] قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا ، وأعطى بعضهم بعضا العهد ، فجاءهم قوم قالوا : نحن أكثر وأعزّ وأمنع ، فانقضوا عهد هؤلاء ، وارجعوا إلينا ، ففعلوا ، وذلك قول

(١) (البيت فى اللسان : قسب) قال : القسب : التمر اليابس . يتفتت فى الفم ، صلب النواة قال الشاعر يصف رمحا : « وأسمر خطيا . . . الى آخر البيت » ... قال ابن برى : هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطائى ، ولم أجده فى شعره . وأربى وأرمى : لغتان . ونوى القسب أصلب النوى . والخطى نسبة إلى الخط : بلد عند البحرين ، مشهور بصنع الرماح . واستشهد المؤلف هنا بالبيت على أن معنى أربى : أكثر . وكذلك قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٧) .

(٢) أى مثله ، وكثيرا ما يأتى بالسند ويترك المتن إذا تقدم ، ولا يأتى بلفظ نحوه أو مثله ، وقد تقدمت الإشارة إلى بعض ذلك فى مواضعه

(٣) فى الأصل : هو ، ولعله تحريف من الناسخ .

الله تعالى (وَلا تَنْقُضُوا الأيمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً - أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) هى أربى : أكثر من أجل أن كانوا هؤلاء أكثر من أولئك نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء ، فكان هذا فى هذا ، وكان الأمر الآخر فى الذى يعاهده ، فينزله من حصنه، ثم ينكث عليه ، الآية الأولى فى هؤلاء القوم ، وهى مبدؤه ، والأخرى فى هذا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) يقول : أكثر ، يقول : فعليكم بوفاء العهد .

وقوله (إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ) يقول تعالى ذكره : إنما يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بعهد الله إذا عاهدتم ، ليتبين المطيع منكم المنتهى إلى أمره ونهيه ، من العاصى المخالف أمره ونهيه (وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ ما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره : وليبينن لكم أيها الناس ربكم يوم القيامة إذا وردتم عليه بمجازاة كلّ فريق منكم على عمله فى الدنيا ، المحسن منكم باحسانه ، والمسىء بإساءته ، ما كنتم فيه تختلفون . والذى كانوا فيه يختلفون فى الدنيا أن المؤمن بالله كان يقرّ بوحدانية الله ونبوّة نبيه ويصدق بما ابتعث به أنبياءه ، وكان يكذّب بذلك كله الكافر ، فذلك كان اختلافهم فى الدنيا الذى وعد الله تعالى ذكره عباده أن يبينه لهم عند ورودهم عليه بما وصفنا من البيان .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

❊ يقول تعالى ذكره : ولو شاء ربكم أيها الناس للطف بكم بتوفية من عنده ، فصرتم جميعا جماعة واحدة ، وأهل ملة واحدة لاتختلفون ولا تفترقون ، ولكنه تعالى ذكره خالف بينكم ، فجعلكم أهل ملل شتى ، بأن وفّق هؤلاء للإيمان به ، والعمل بطاعته ، فكانو مؤمنين، وخذل هؤلاء فحرّمهم توفيقه فكانوا كافرين، وليسألنكم الله جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون فى الدنيا فيما أمركم ونهاكم، ثم ليجازينكم جزاء المطيع منكم بطاعته ، والعاصى له بمعصيته .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾

❊ يقول تعالى ذكره : ولا تتخذوا أيمانكم بينكم دخلا وخديعة بينكم، تغرّون بها الناس (فَتَزِلَّ قَدَمٌ

بَعْدَ ثُبُوتِها) يقول : فتهلكوا بعد أن كنتم من الهلاك آمنين . وإنما هذا مثل لكلّ مبتلى بعد عافية ، أو ساقط فى ورطة بعد سلامة ، وما أشبه ذلك : « زلّت قدمه » ، كما قال الشاعر :

سيَمْنَعُ منكَ السَّبْقُ إنْ كُنْتَ سابِقا		وتُلْطَعُ إنْ زَلَّتْ بكَ النَّعْلانِ [1]

وقوله(وَتَذُوقُوا السُّوءَ) يقول : وتذوقوا أنتم السوء وذلك السوء : هو عذاب الله الذى يعذّب به أهل معاصيه فى الدنيا ، وذلك بعض ما عذّب به أهل الكفر (بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) يقول : بما فتنتم من أراد الإيمان بالله ورسوله عن الإيمان(وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فى الآخرة ، وذلك نار جهنم ، وهذه الآية تدلّ على أن تأويل بريدة الذى ذكرنا عنه، فى قوله (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عاهَدْتُمْ) والآيات التى بعدها ، أنه عُنِى بذلك : الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، عن[2] مفارقة الإسلام لقلة أهله ، وكثرة أهل الشرك هو الصواب ، دون الذى قال مجاهد : أنهم عنوا به ، لأنه ليس فى انتقال قوم تحالفوا عن حلفائهم إلى آخرين غيرهم ، صدّ عن سبيل الله ، ولا ضلال عن الهدى ، وقد وصف تعالى ذكره فى هذه الآية فاعلى ذلك ، أنهم باتخاذهم الأيمان دخلا بينهم ، ونقضهم الأيمان بعد توكيدها ، صادّون عن سبيل الله ، وأنهم أهل ضلال فى التى قبلها ، وهذه صفة أهل الكفر بالله لا صفة أهل النُّقْلة بالحلف عن قوم إلى قوم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

يقول تعالى ذكره : ولا تنقضوا عهودكم أيها الناس، وعقودكم التى عاقدتموها من عاقدتم مؤكّديها بأيمانكم ، تطلبون بنقضكم ذلك عرضا من الدنيا قليلا ، ولكن أوفوا بعهد الله الذى أمركم بالوفاء به يثبكم الله على الوفاء به ، فإن ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بذلك ، هو خير لكم إن كنتم تعلمون ، فضل ما بين العوضين اللذين أحدهما الثمن القليل، الذى تشترون بنقض عهد الله فى الدنيا ، والآخر الثواب الجزيل فى الآخرة على الوفاء به ، ثم بين تعالى ذكره ، فرق ما بين العوضين وفضل ما بين الثوابين، فقال : ما عندكم أيها الناس مما تتملكونه فى الدنيا ، وإن كثُر فنافدٌ فان ، وما عند الله لمن أوفى بعهده وأطاعه من الخيرات باق غير فان ، فلما عنده فاعملوا وعلى الباقى الذى لا يفنى فاحرصوا. وقوله (وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : وليثيبنّ الله الذين صبروا على

(١) فى (اللسان : لطع) : اللطع أن تضرب مؤخر الإنسان برجلك . تقول : لطعته (بالكسر) ألطعه لطعا . وقوله تعالى : « فتزل قدم بعد ثبوتها » قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٧) : مثل يقال لكل مبتلى بعد عافية ، أو ساقط فى ورطة بعد سلامة ونحو ذلك : زلت قدمه .

(٢) « عن » هنا : للتعليل ، أى بسبب مفارقة الإسلام ، مثلها فى قوله تعالى (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) : أى لأجله .

طاعتهم إياه فى السرّاء والضرّاء ، ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها ، ومسارعتهم فى رضاه ، بأحسن ما كانوا يعملون من الأعمال دون أسوئها ، وليغفرنّ الله لهم سيئها بفضله .

القول في تأويل قوله تعالى:

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

يقول تعالى ذكره : من عمل بطاعة الله ، وأوفى بعهود الله إذا عاهد من ذكر أو أنثى من بنى آدم وهو مؤمن : يقول : وهو مصدّق بثواب الله الذى وعد أهل طاعته على الطاعة ، وبوعيد أهل معصيته على المعصية (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) .

واختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله بالحياة الطيبة التى وعد هؤلاء القوم أن يُحْيِيَهموها، فقال بعضهم : عنى أنه يحييهم فى الدنيا ما عاشوا فيها بالرزق الحلال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن إسماعيل بن سَمِيع[1] ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الحياة الطيبة : الرزق الحلال فى الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن إسماعيل بن سَمِيع ، عن أبى مالك وأبى الربيع ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن سَمِيع ، عن أبى الربيع ، عن ابن عباس ، فى قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الرزق الحسن فى الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سَمِيع ، عن أبى الربيع ، عن ابن عباس (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الرزق الطيب فى الدنيا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن سَمِيع ، عن أبى الربيع ، عن ابن عباس (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الرزق الطيب فى الدنيا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) يعنى فى الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن مطرف ، عن الضحاك (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الرزق الطيب الحلال .

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عون بن سلام القرشىّ ، قال : أخبرنا بشر بن عُمارة ، عن

(١) إسماعيل بن سميع ، بالسين مفتوحة ، الحنفى ، أبومحمد ، وثقه جماعة ، وكان خارجيا .

أبي رَوْق ، عن الضحاك ، فى قوله (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : يأكل حلالا ويلبس حلالا .

وقال آخرون (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) بأن نرزقه القناعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن المنهال بن خليفة ، عن أبي خزيمة سليمان التمّار ، عمن ذكره عن علىّ (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : القنوع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوعصام ، عن أبي سعيد ، عن الحسن البصرىّ ، قال : الحياة الطيبة : القناعة .

وقال آخرون : بل يعنى بالحياة الطيبة : الحياة مؤمنا بالله ، عاملا بطاعته .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) يقول : من عمل عملا صالحا وهو مؤمن فى فاقة أو ميسرة ، فحياته طيبة ، ومن أعرض عن ذكر الله فلم يؤمن ولم يعمل صالحا ، عيشته ضنكة لاخير فيها .

وقال آخرون : الحياة الطيبة : السعادة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى وعلىّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : السعادة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الحياة فى الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هَوْذة ، عن عوف ، عن الحسن (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : لاتطيب لأحد حياة دون الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن عوف ، عن الحسن (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : ماتطيب الحياة لأحد إلا فى الجنة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) فإن الله لايشاء عملا إلا فى إخلاص ، ويوجب من عمل ذلك فى إيمان ، قال الله تعالى (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) وهى الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الآخرة يحييهم حياة طيبة فى الآخرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الحياة الطيبة فى الآخرة : هى الجنة ،

تلك الحياة الطيبة ، قال (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) وقال : ألا تراه يقول : (يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) قال : هذه آخرته . وقرأ أيضا (وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ) قال : الآخرة دار حياة لأهل النار وأهل الجنة ، ليس فيها موت لأحد من الفريقين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ) قال : الإيمان : الإخلاص لله وحده ، فبين أنه لا يقبل عملا إلا بالإخلاص له .

⁂ وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : تأويل ذلك : فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة ، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه ، ولم يعظم فيها نصبه ، ولم يتكدر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها .

وإنما قلت : ذلك أولى التأويلات في ذلك بالآية ، لأن الله تعالى ذكره أوعد قوما قبلها على معصيتهم إياه إن عصوه أذاقهم السوء في الدنيا ، والعذاب في الآخرة ، فقال تعالى (وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ ، فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ، وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) فهذا لهم في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، فهذا لهم في الآخرة . ثم أتبع ذلك ما لمن أوفى بعهد الله وأطاعه فقال تعالى : ما عندكم في الدنيا ينفد ، وما عند الله باق ، فالذي[١] هذه السيئة بحكمته أن[١] يعقب ذلك الوعد لأهل طاعته بالإحسان في الدنيا ، والغفران في الآخرة ، وكذلك فعل تعالى ذكره .

وأما القول الذي روي عن ابن عباس أنه الرزق الحلال ، فهو محتمل أن يكون معناه الذي قلنا في ذلك ، من أنه تعالى يقنعه في الدنيا بالذي يرزقه من الحلال ، وإن قل فلا تدعوه نفسه إلى الكثير منه من غير حله ، لا أنه يرزقه الكثير من الحلال ، وذلك أن أكثر العاملين لله تعالى بما يرضاه من الأعمال لم نرهم رزقوا الرزق الكثير من الحلال في الدنيا ، ووجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة .

وقوله (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) فذلك لا شك أنه في الآخرة ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس : (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) قال : إذا صاروا إلى الله جزاهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سُميع ، عن أبي مالك ، وأبي الربيع ، عن ابن عباس ، مثله .

(١-١) هذه العبارة قد سقطت منها كلمات ، ولعل الأصل : فالذي أوعد أهل المعاصي بإذاقتهم هذه السيئة بحكمته ، أراد أن يعقب الخ

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سُمَيع ، عن أبي الربيع ، عن ابن عباس (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ) قال : فى الآخرة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن سُمَيع ، عن أبي الربيع ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : يجزيهم أجرهم فى الآخرة بأحسن ما كانوا يعملون :

وقيل : إن هذه الآية نزلت بسبب قوم من أهل مِلَل شتى تفاخروا ، فقال أهل كلّ ملة منها : نحن أفضل ، فبين الله لهم أفضلَ أهل الملل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قال : جلس ناس من أهل الأوثان وأهل التوراة وأهل الإنجيل ، فقال هؤلاء ، نحن أفضل ، وقال هؤلاء : نحن أفضل ، فأنزل الله تعالى (مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا كنت يامحمد قارئا القرآن ، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . وكان بعض أهل العربية يزعم أنه من المؤخر الذى معناه التقديم . وكأن معنى الكلام عنده : وإذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم ، فاقرأ القرآن ، ولا وجه لما قال من ذلك ، لأن ذلك لو كان كذلك لكان متى استعاذ مستعيذ من الشيطان الرجيم ، لزمه أن يقرأ القرآن ، ولكن معناه ماوصفناه ، وليس قوله (فاسْتَعِذْ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ) بالأمر اللازم . وإنما هو إعلام وندب . وذلك أنه لا خلاف بين الجميع ، أن من قرأ القرآن ولم يستعذ بالله من الشيطان الرّجيم . قبل قرأته أو بعدها أنه لم يضيع فرضا واجبا . وكان ابن زيد يقول فى ذلك نحو الذى قلنا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فإذا قَرَأْتَ القُرآنَ فاسْتَعِذْ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ) قال : فهذا دليل من الله تعالى دلّ عباده عليه .

وأما قوله (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فإنه يعنى بذلك : إن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا بما أمر الله به ، وانتهوا عما نهاهم الله عنه (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يقول : وعلى ربهم يتوكلون فيما نابهم من مهمات أمورهم (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) يقول : إنما حجته على الذين يعبدونه (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) يقول : والذين هم بالله مشركون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ) قال : حجته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) قال : يطيعونه .

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى من أجله لم يسلط فيه الشيطان على المؤمن .

فقال بعضهم بما حُدِّثت عن واقد بن سليمان ، عن سفيان ، فى قوله (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) قال : ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لايغفر .

وقال آخرون : هو الاستعاذة ، فانه إذا استعاذ بالله منع منه ، ولم يسلط عليه ، واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الله تعالى (وإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) وقد ذكرنا الرواية بذلك فى سورة الحجر .

وقال آخرون فى ذلك ، بما حدثنى به المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، فى قوله (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) إلى قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) يقال : إن عدوّ الله إبليس قال (لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) فهؤلاء الذين لم يجعل للشيطان عليهم سبيل ، وإنما سلطانه على قوم اتخذوه وليا ، وأشركوه فى أعمالهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يقول : السلطان على من تولى الشيطان وعمل بمعصية الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) يقول : الذين يطيعونه ويعبدونه .

❊ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا ،

فاستعاذوا بالله منه ، بما ندب الله تعالى ذكره من الاستعاذة (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) على ماعرض لهم من خطراته ووساوسه .

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلات بالآية ، لأن الله تعالى ذكره أتبع هذا القول (فإذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ فاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) وقال فى موضع آخر : (وَإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ بِاللهِ إنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) فكان بينا بذلك أنه إنما ندب عباده إلى الاستعاذة منه فى هذه الأحوال ليُعيذهم من سلطانه .

وأما قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم فيه بما قلنا : إن معناه : والذين هم بالله مشركون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) قال : يعدلون بربّ العالمين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) قال : يعدلون بالله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) عدلوا إبليس بربهم ، فإنهم بالله مشركون .

وقال آخرون : معنى ذلك : والذين هم به مشركون ، أشركوا الشيطان فى أعمالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) أشركوه فى أعمالهم .

والقول الأوّل ، أعنى قول مجاهد ، أولى القولين فى ذلك بالصواب ، وذلك أن الذين يتولون الشيطان إنما يشركونه بالله فى عبادتهم وذبائحهم ومطاعمهم ومشاربهم ، لاأنهم يشركون بالشيطان . ولو كان معنى الكلام ما قاله الربيع ، لكان التنزيل : الذين هم مشركوه ، ولم يكن فى الكلام به ، فكان يكون لو كان التنزيل كذلك ، والذين هم مشركوه فى أعمالهم ، إلا أن يوجه موجه معنى الكلام ، إلى أن القوم كانوا يدينون بألوهة الشيطان ، ويشركون الله به فى عبادتهم إياه ، فيصحّ حينئذ معنى الكلام ، ويخرج عما جاء التنزيل به فى سائر القرآن ، وذلك أن الله تعالى وصف المشركين فى سائر سور القرآن أنهم أشركوا بالله ، ما لم ينزل به عليهم سلطانا ، وقال فى كل موضع تقدّم إليهم بالزجر عن ذلك ، لاتشركوا بالله شيئا ، ولم نجد فى شىء من التنزيل : لاتشركوا الله بشىء ، ولا فى شىء من القرآن خبرا من الله عنهم أنهم أشركوا الله بشىء ،

فيجوز لنا توجيه معنى قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) إلى والذين هم بالشيطان مشركو الله ، فبين إذاً إذ كان ذلك كذلك ، أن الهاء فى قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ) عائدة على الربّ فى قوله (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

❊ يقول تعالى ذكره : وإذا نسخنا حكم آية ، فأبدلنا مكانه حكم أخرى ، والله أعلم بما ينزّل : يقول : والله أعلم بالذى هو أصلح لخلقه فيما يبدّل ويغير من أحكامه ، قالوا : إنما أنت مفتر : يقول : قال المشركون بالله ، المكذبو رسوله لرسوله : إنما أنت يا محمد مفتر : أى مكذب تخرص بتقوّل الباطل على الله، يقول الله تعالى : بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد : إنما أنت مفتر جهال ، بأنّ الذى تأتيهم به من عند الله ناسخه ومنسوخه ، لايعلمون حقيقة صحته .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) رفعناها فأنزلنا غيرها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) قال : نسخناها ، بدّلناها ، رفعناها ، وأثبتنا غيرها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) هو كقوله (ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) قالوا : إنما أنت مفتر ، تأتى بشىء وتنقضه ، فتأتى بغيره . قال : وهذا التبديل ناسخ ، ولا نبدّل آية مكان آية إلا بنسخ .

القول في تأويل قوله تعالى:

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للقائلين لك : إنما أنت مفتر فيما تتلو عليهم من آى كتابنا ، أنزله روح القُدُس : يقول : قل جاء به جبرئيل من عند ربى بالحق . وقد بيَّنت فى غير هذا الموضع معنى : روح القُدس ، بما أغنى عن إعادته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا جعفر بن عون العمرى ، عن موسى بن عبيدة الرَّبَذى ، عن محمد بن كعب ، قال : روح القُدُس : جبرئيل .

وقوله (لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا) يقول تعالى ذكره : قل نزل هذا القرآن ناسخه ومنسوخه روح القدس علىَّ من ربى ، تثبيتا للمؤمنين ، وتقوية لإيمانهم ، ليزدادوا بتصديقهم لناسخه ومنسوخه إيمانا لإيمانهم ، وهدى لهم من الضلالة ، وبُشرى للمسلمين الذين استسلموا لأمر الله ، وانقادوا لأمره ونهيه ، وما أنزله فى آى كتابه ، فأقرّوا بكلّ ذلك ، وصدّقوا به قولا وعملا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾

* يقول تعالى ذكره : ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلا منهم : إنما يعلم محمدا هذا الذى يتلوه بشر من بنى آدم ، وما هو من عند الله ، يقول الله تعالى ذكره مكذّبهم فى قيلهم ، وذلك : ألا تعلمون كذب ما تقولون ، إن لسان الذى تلحدون إليه : يقول : تميلون إليه بأنه يعلم محمدا أعجمىّ ، وذلك أنهم فيما ذُكر كانوا يزعمون أن الذى يعلّم محمدا هذا القرآن عبد رومىّ ، فلذلك ، قال تعالى (لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ) يقول : وهذا القرآن لسان عربىّ مبين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى اسم الذى كان المشركون يزعمون أنه يعلّم محمدا صلى الله عليه وسلم هذا القرآن من البشر ، فقال بعضهم : كان اسمه بَلْعام ، وكان قَيْنا بمكة نصرانيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أحمد بن محمد الطُّوسىّ ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا إبراهيم بن طَهْمان ، عن مسلم بن عبد الله المَلائى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلّم قينا بمكة ، وكان أعجمىّ اللسان ، وكان اسمه بَلْعام ، فكان المشركون يَرَوْن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه ، وحين يخرج من عنده ، فقالوا : إنما يعلّمه بَلْعام ، فأنزل الله تعالى ذكره (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ) .

وقال آخرون : اسمه يعيش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن عكرمة ، قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاما لبني المغيرة أعجميا ، قال سفيان : أراه يقال له : يَعيش ، قال : فذلك قوله (لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أنَّهُمْ يَقُولُونَ إنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) وقد قالت قريش : إنما يعلمه بشر ، عبد لبني الحَضْرميّ يقال له يعيش ، قال الله تعالى (لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) وكان يعيش يقرأ الكُتُب .

وقال آخرون : بل كان اسمه جَبْر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المَرْوَة إلى غلام نصراني يقال له جَبْر ، عبد لبني بياضة الحَضرميّ ، فكانوا يقولون : والله ما يعلِّم محمدا كثيرا مما يأتي به إلا جَبْرٌ النصرانيّ غلام الحضرميّ ، فأنزل الله تعالى في قولهم (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أنَّهُمْ يَقُولُونَ إنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير : كانوا يقولون : إنما يعلمه نصرانيّ على المَرْوة ، ويعلم محمدا رُوميّ يقولون اسمه جَبر ، وكان صاحب كُتُب عبد لابن الحضرميّ ، قال الله تعالى (لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِيٌّ) قال : وهذا قول قريش : إنما يعلمه بشر ، قال الله تعالى (لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)

وقال آخرون : بل كانا غلامين اسم أحدهما يسار ، والآخر جَبْر .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حُصَين ، عن عبد الله بن مسلم الحضرميّ أنه كان لهم عبدان من أهل عير اليمن ، وكانا طفلين ، وكان يُقال لأحدهما يسار ، والآخر جبر ، فكانا يقرآن التوراة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جلس إليهما ، فقال كفار قريش : إنما يجلس إليهما يتعلم منهما ، فأنزل الله تعالى (لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا معن بن أسد ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن حصين ، عن عبد الله بن مسلم الحضرميّ ، نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن حصين ، عن عبد الله بن مسلم ، قال : كان لنا غلامان

فكان يقرآن كتابا لهما بلسانهما ، فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يمرّ عليهما ، فيقوم يستمع منهما ، فقال المشركون : يتعلم منهما ، فأنزل الله تعالى ما كذّبهم به ، فقال (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) .

وقال آخرون : بل كان ذلك سَلْمان الفارسي .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ) كانوا يقولون : إنما يعلّمه سَلْمان الفارسي .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) قال : قول كفار قريش : إنما يعلّم محمدا عبدُ بن الحضرمي ، وهو صاحب كتاب ، يقول الله (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) .

وقيل : إن الذي قال ذلك : رجل كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ عن الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب أن الذي ذكر الله إنما يعلمه بشر ، إنما افتتن إنه كان يكتب الوحي ، فكان يملي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : سميع عليم ، أو عزيز حكيم ، وغير ذلك من خواتم الآي ، ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحي ، فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : أعزيز حكيم ، أو سميع عليم ، أو عزيز عليم ؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيّ ذلك كتبت فهو كذلك ، ففتنه ذلك ، فقال : إن محمدا يكل ذلك إليّ ، فأكتب ما شئت ، وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة .

واختلف القرّاء في قراءة قوله (يُلْحِدُونَ) فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ) بضم الياء من ألحد يلحد إلحادا ، بمعنى يعترضون ، ويعدلون إليه ، ويعرجون إليه من قول الشاعر :

قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِي ... لَيْسَ أَمِيرِي بِالشَّحِيحِ المُلْحِدِ [1]

(١) قدني : اسم فعل بمعنى كفى . والخبيبين : مثنى مصغر . وهما عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب أو هما خبيب بن عبد الله بن الزبير وأحد إخوته من بني عبد الله بن الزبير ، وهم حمزة وثابت وعباد وقيس وعامر وموسى . وقيل إن لفظ الخبيبين جمع خبيب ، يريد خبيبا ومن معه . أو يريد أنصار عبد الله بن الزبير ، وكان يلقب أبا خبيب . والملحد : قال صاحب المصباح : من ألحد في الحرم بالألف : إذا استحل حرمته وانتهكها . وألحد إلحادا : جادل ومارى . ولحد (بلا ألف) بمعنى : جار وظلم . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٦٨) « لسان الذي يلحدون إليه أعجمي » أي يعدلون إليه . ويقال : ألحد فلان : أي جار . وأعجمي : أضيف إلى أعجم اللسان . والبيتان من مشطور الرجز ، وهما لحميد الأرقط (انظر خزانة البغدادي ٢ : ٤٥٣) .

وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (لِسانُ الَّذِى يَلْحَدُونَ إِلَيْهِ) بفتح الياء ، يعنى : يميلون إليه من لحد فلان إلى هذا الأمر يلحد لحدا ولحودا ، وهما عندى لغتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فيهما الصواب . وقيل (وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ) يعنى : القرآن كما تقول العرب لقصيدة من الشعر يعرضها الشاعر : هذا لسان فلان : تريد قصيدته ؛ كما قال الشاعر :

لِسانُ السُّوءِ تُهْدِيها إِلَيْنا وحِنْتَ وَما حَسِبْتُكَ أَنْ تَحِينا (١)

يعنى باللسان القصيدة والكلمة .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

❁ يقول تعالى : إن الذين لايؤمنون بحجج الله وأدلته ، فيصدقون بما دلت عليه (لا يَهْدِيهِمُ اللهُ) يقول : لايوفقهم الله لإصابة الحق ، ولا يهديهم لسبيل الرشد فى الدنيا (وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ) وعندالله إذا وردوا عليه يوم القيامة عذاب مؤلم موجع . ثم أخبر تعالى ذكره المشركين الذين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : إنما أنت مفتر ، أنهم هم أهل الفرية والكذب ، لانبى الله صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنون به ، وبرأ من ذلك نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال : إنما يتخرص الكذب ، ويتقول الباطل ، الذين لايصدقون بحجج الله وإعلامه ، لأنهم لايرجون على الصدق ثوابا ، ولا يخافون على الكذب عقابا ، فهم أهل الإفك وافتراء الكذب ، لامن كان راجيا من الله على الصدق الثواب الجزيل ، وخائفا على الكذب العقاب الأليم . وقوله (وأُولَئِكَ هُمُ الكاذِبُونَ) يقول : والذين لايؤمنون بآيات الله هم أهل الكذب لا المؤمنون .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

❁ اختلف أهل العربية فى العامل فى « مَن » من قوله (مَنْ كَفَرَ بِاللهِ) ، ومن قوله (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالكُفْرِ صَدْراً) فقال بعض نحويى البصرة : صار قوله (فَعَلَيْهِمْ) خبرا لقوله (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالكُفْرِ صَدْرًا) ، وقوله (مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدَ إِيمانِهِ) فأخبر لهم بخبر واحد ، وكان ذلك

(١) فى (اللسان : لسن) : اللسان : جارحة الكلام ، وقد يكنى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ قال أعشى باهلة : إنى « أتتنى لسان لا أسر بها » . قال ابن برى : اللسان هنا : الرسالة والمقالة . وقد يذكر على معنى الكلام ، قال الحطيئة : « ندمت على لسان فات منى » . وحان يحين حينا : هلك . وشاهد المؤلف فى البيت : أن اللسان قد يجيء ، مؤنثا بمعنى الكلمة والقصيدة .

يدلّ على المعنى . وقال بعض نحويى الكوفة : إنما هذان جزءان اجتمعا ، أحدهما منعقد بالآخر ، فجوابهما واحد كقول القائل : من يأتنا فمن يحسن نكرمه ، بمعنى : من يحسن ممن يأتنا نكرمه . قال : وكذلك كلّ جزاءين اجتمعا ، الثانى منعقد بالأوّل ، فالجواب لهما واحد . وقال آخر من أهل البصرة : بل قوله (مَنْ كَفَرَ بِاللهِ) مرفوع بالردّ على الذين فى قوله (إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ) ومعنى الكلام عنده : إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ، إلا من أكره من هؤلاء ، وقلبه مطمئنّ بالإيمان ، وهذا قول لاوجه له . وذلك أن معنى الكلام لو كان كما قال قائل هذا القول ، لكان الله تعالى ذكره قد أخرج ممن افترى الكذب فى هذه الآية الذين وُلدوا على الكفر وأقاموا عليه ، ولم يؤمنوا قطّ ، وخصّ به الذين قد كانوا آمنوا فى حال، ثم راجعوا الكفر بعد الإيمان ، والتنزيل يدلّ على أنه لم يخصص بذلك هؤلاء دون سائر المشركين الذين كانوا على الشرك مقيمين ، وذلك أنه تعالى أخبر خبر قوم منهم أضافوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم افتراء الكذب، فقال(وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا : إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) وكذّب جميع المشركين بافترائهم على الله وأخبر أنهم أحقّ بهذه الصفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : (إنما يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ ، وأُولَئِكَ هُمُ الكاذِبُونَ) ، ولو كان الذين عنوا بهذه الآية هم الذين كفروا بالله من بعد إيمانهم ، وجب أن يكون القائلون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما أنت مفتر حين بدّل الله آية مكان آية ، كانوا هم الذين كفروا بالله بعد الإيمان خاصة دون غيرهم من سائر المشركين ، لأن هذه فى سياق الخبر عنهم ، وذلك قول إن قاله قائل، فبين فساده مع خروجه عن تأويل جميع أهل العلم بالتأويل .

❊ والصواب من القول فى ذلك عندى أن الرافع لمن الأولى والثانية ، قوله (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ) والعرب تفعل ذلك فى حروف الجزاء إذا استأنفت أحدهما على آخر .

وذكر أن هذه الآية نزلت فى عمار بن ياسر وقوم كانوا أسلموا ، ففتنهم المشركون عن دينهم ، فثبت على الإسلام بعضهم ، وافتتن بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ) . . . إلى آخر الآية ، وذلك أن المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذّبوه ، ثم تركوه ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدّثه بالذى لقى من قريش ، والذى قال : فأنزل الله تعالى ذكره عذره (مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ) . . . إلى قوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ) قال : ذُكر لنا أنها نزلت فى عمار بن ياسر ، أخذه بنو المغيرة فغطوه فى بئر ميمون وقالوا : اكفر بمحمد ، فتابعهم على ذلك وقلبه كاره ، فأنزل الله تعالى ذكره

(إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ ، ولكِنْ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْرًا) : أى من أتى الكفر على اختيار واستحباب (فعَلَيهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ ولَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن أبي عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر ، قال : «أخذ المشركون عمار بن ياسر ، فعذّبوه حتى باراهم فى بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ ؟ قال : مطمئنا بالإيمان ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : فإنْ عادُوا فَعُدْ» .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك ، فى قوله (إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمَانِ) قال : نزلت فى عمار بن ياسر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبى ، قال : لما عذّب الأعبد أعطوهم ما سألوا إلا خباب بن الأرت ، كانوا يضجعونه على الرضف فلم يستقلوا منه شيئا .

❁ فتأويل الكلام إذن : من كفر بالله من بعد إيمانه ، إلا من أكره على الكفر ، فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئنّ بالإيمان ، موقن بحقيقته ، صحيح عليه عزمه ، غير مفسوح الصدر بالكفر ، لكن من شرح بالكفر صدرا فاختاره وآثره على الإيمان ، وباح به طائعا ، فعليهم غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ورد الخبر ، عن ابن عباس .

حدثني عليّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس قوله (إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمَانِ) فأخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد إيمانه ، فعليه غضب من الله ، وله عذاب عظيم ، فأما من أكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عدوّه ، فلا حرج عليه ، لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم .

القول في تأويل قوله تعالى : **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾**

❁ يقول تعالى ذكره : حلّ بهؤلاء المشركين غضب الله ، ووجب لهم العذاب العظيم ، من أجل أنهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة ، ولأن الله لا يوفق القوم الذين يجحدون آياته مع إصرارهم على جحودها .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾

❁ يقول تعالى ذكره : هؤلاء المشركون الذين وصفت لكم صفتهم فى هذه الآيات أيها الناس ، هم القوم

الذين طبع الله على قلوبهم ، فختم عليها بطابعه ، فلا يؤمنون ، ولا يهتدون ، وأصمّ أسماعهم فلا يسمعون ، داعي الله إلى الهدى ، وأعمى أبصارهم فلا يبصرون بها حجج الله إبصار معتبر ومتعظ (وَأُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ) يقول : وهؤلاء الذين جعل الله فيهم هذه الأفعال هم الساهون ، عما أعدّ الله لأمثالهم من أهل الكفر ، وعما يراد بهم .

وقوله (لاجَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الخَاسِرُونَ) الهالكون، الذين غَبَنُوا أنفسهم حظوظها من كرامة الله تعالى .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

❊ يقول تعالى ذكره : ثم إن ربك يامحمد للذين هاجروا من ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين ، وانتقلوا عنهم إلى ديار أهل الإسلام ومساكنهم وأهل ولايتهم ، من بعد ما فتنهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم قبل هجرتهم عن دينهم ، ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف وبألسنتهم بالبراءة منهم ، ومما يعبدون من دون الله ، وصبروا على جهادهم (إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : إن ربك من بعد فعلتهم هذه لهم لغفور ، يقول : لذو ستر على ما كان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا منهم من كلمة الكفر بألسنتهم ، وهم لغيرها مضمرون ، والإيمان معتقدون ، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع إنابتهم إلى الله وتوبتهم .

وذكر عن بعض أهل التأويل أن هذه الآية نزلت فى قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا تخلّفوا بمكة بعد هجرة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فاشتدّ المشركون عليهم حتى فتنوهم عن دينهم ، فأيسوا من التوبة ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ، فهاجروا ولحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ) قال : ناس من أهل مكة آمنوا ، فكتب إليهم بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، أن هاجروا ، فإنا لانراكم منا حتى تهاجروا إلينا ، فخرجوا يريدون المدينة ، فأدركتهم قريش بالطريق ، ففتنوهم وكفروا مكرهين ، ففيهم نزلت هذه الآية .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

قال ابن جريج : قال الله تعالى ذكره (مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ) ثم نسخ واستثنى ، فقال

(ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) ذكر لنا أنه لما أنزل الله أن أهل مكة لا يُقبل منهم إسلام حتى يهاجروا ، كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة ؛ فلما جاءهم ذلك تبايعوا بينهم على أن يخرجوا ، فإن لحق بهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله ، فخرجوا فأدركهم المشركون ، فقاتلوهم ، فمنهم من قُتل ، ومنهم من نجا ، فأنزل الله تعالى (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا) . . . الآية .

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا أبوأحمد الزبيرى ، قال ثنا محمد بن شريك ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بالإسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم ، فأصيب بعضهم ، وقُتل بعض ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين ، وأكرهوا فاستغفروا لهم ، فنزلت (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) . . . إلى آخر الآية ؛ قال : وكتب إلى من بقى بمكة من المسلمين هذه الآية لاعذر لهم ، قال : فخرجوا فلحقهم المشركون ، فأعطوهم الفتنة ، فنزلت هذه الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ، فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) . . . إلى آخر الآية ، فكتب المسلمون إليهم بذلك ، فخرجوا وأيسوا من كل خير ، ثم نزلت فيهم (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) فكتبوا إليهم بذلك : إن الله قد جعل لكم مخرجا ، فخرجوا ، فأدركهم المشركون فقاتلوهم ، ثم نجا من نجا ، وقُتل من قُتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : نزلت هذه الآية فى عمّار بن ياسر وعياش ابن أبي ربيعة ، والوليد بن الوليد (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا) .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية فى شأن ابن أبي سرح .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى ، قالا فى سورة النحل (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ، فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ثم نسخ واستثنى من ذلك ، فقال (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) وهو عبد الله بن أبي سرح الذى كان يكتب لرسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فأزلّه الشيطان ، فلحق بالكفار ، فأمر به النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يُقتل يوم فتح مكة ، فاستجار له أبو عمرو ١ ، فأجاره النبيّ صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ١١١

يقول تعالى ذكره : إن ربك من بعدها لغفور رحيم (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ) تخاصم عن نفسها ، وتحتجّ عنها بما أسلفت فى الدنيا من خير أو شرّ أو إيمان أو كفر ، (وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ) فى الدنيا من طاعة ومعصية (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) : يقول : وهم لا يفعل بهم إلا ما يستحقونه ويستوجبونه بما قدّموه من خير أو شرّ فلا يجزى المحسن إلا بالإحسان ، ولا المسيء إلا بالذى أسلف من الإساءة ، لا يعاقب محسن ولا يبخس جزاء إحسانه ، ولا يثاب مسيء إلا ثواب عمله .

واختلف أهل العربية فى السبب الذى من أجله قيل تجادل ، فأنّث الكلّ ، فقال بعض نحويّى البصرة : قيل ذلك لأن معنى كلّ نفس : كل إنسان ، وأنث لأن النفس تذكر وتؤنث ، يقال : ما جاءنى نفس واحد وواحدة . وكان بعض أهل العربية يرى هذا القول من قائله غلطا ويقول : كلّ إذا أضيفت إلى نكرة واحدة خرج الفعل على قدر النكرة ، كلّ امرأة قائمة ، وكلّ رجل قائم ، وكل امرأتين قائمتان ، وكلّ رجلين قائمان ، وكل نساء قائمات ، وكل رجال قائمون ، فيخرج على عدد النكرة وتأنيثها وتذكيرها ، ولا حاجة به إلى تأنيث النفس وتذكيرها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ ١١٢

يقول الله تعالى ذكره : ومثل الله مثلا لمكة التى سكانها أهل الشرك بالله هى القرية التى كانت آمنة مطمئنة ، وكان أمنها أن العرب كانت تتعادى ، ويقتل بعضها بعضا ، ويَسْبِى بعضها بعضا ، وأهل مكة لا يغار عليهم ، ولا يحاربون فى بلدهم ، فذلك كان أمنها . وقوله (مُطْمَئِنَّةً) يعنى : قارّة بأهلها ، لا يحتاج أهلها إلى النَّجْع ، كما كان سكان البوادى يحتاجون إليها (يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا) يقول : يأتى أهلها معايشهم واسعة كثيرة . وقوله (مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) يعنى : من كلّ فجّ من فجاج هذه القرية ، ومن كل ناحية فيها .

وبنحو الذى قلنا فى أن القرية التى ذُكرت فى هذا الموضع أريد بها مكة ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(١) أبو عمرو : يريد عثمان بن عفان رحمه الله ، وكان أخا عبد الله بن سعد من الرضاعة ، قاله ابن إسحاق فى السيرة .

قوله (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ)
يعنى : مكة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً) قال : مكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً) قال : ذُكر لنا أنها مكة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً) قال : هى مكة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذه مكة .

وقال آخرون : بل القرية التى ذكر الله فى هذا الموضع مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن عبد الرحيم البرقىّ ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، قال : ثنى عبد الرحمن بن شريح ، أن عبدالكريم بن الحارث الحضرمىّ ، حدث أنه سمع مِشْرَحَ بن عاهانَ ، يقول : سمعت سليم بن نمير يقول : صدرنا من الحجّ مع حفصة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وعثمان محصور بالمدينة ، فكانت تسأل عنه ما فعل ، حتى رأت راكبين ، فأرسلت إليهما تسألهما ، فقالا : قتل ، فقالت حفصة : والذى نفسى بيده إنها القرية ، تعنى المدينة التى قال الله تعالى (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ) قرأها . قال أبوشريح وأخبرنى عبد الله بن المغيرة عمن حدثه ، أنه كان يقول : إنها المدينة ، وقوله : (فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ) يقول : فكفر أهل هذه القرية بأنعم الله التى أنعم عليها .

واختلف أهل العربية فى واحد الأنعم ، فقال بعض نحويّى البصرة : جمع النعمة على أنعم ، كما قال الله (حتى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) فزعم أنه جمع الشِّدّة . وقال آخر منهم الواحد نُعْم ، وقال : يقال : أيام طُعْم ونعم : أى نعيم ، قال : فيجوز أن يكون معناها : فكفرت بنعيم الله لها . واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

وعندى قُرُوضُ الخَيرِ والشَّرّ كلّه ... فبُؤْسٌ لذى بُؤْسٍ ونُعْمٍ بأنْعُمِ [1]

---

(١) فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (١ : ٣٦٩) عند الآية : واحدها « نعم » بضم النون وسكون العين ، ومعناه : نعمة ، وهما واحد . قالوا : نادى منادى النبى صلى الله عليه وسلم بمنى « إنها أيام طعم ونعم ، فلا تصوموا » . وفى (اللسان : نعم) : وجمع النعمة : نعم ، وأنعم . كشدة وأشد حكاه سيبويه . وقال النابغة :

فَلَنْ أَذْكُرَ النُّعْمانَ إلاَّ بِصالِحٍ ... فإنَّ لَهُ عِنْدِي يُدِيًّا وأَنْعُما

والنعم : خلاف البؤس ، ويقال : يوم نعم ، ويوم بؤس . والجمع : أنعم ، وأبؤس .

وكان بعض أهل الكوفة يقول : أنعم : جمع نعماء ، مثل بأساء وأبؤس ، وضرّاء وأضرّ ؛ فأما الأشدّ فإنه زعم أنه جمع شدّ .

وقوله (فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ) يقول تعالى ذكره : فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع ، وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم ، فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها ، وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أكلوا العلهز والجيف . قال أبو جعفر : والعلهز : الوبر يعجن بالدم والقُراد يأكلونه ؛ وأما الخوف فإن ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كانت تطيف بهم . وقوله (بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) يقول : بما كانوا يصنعون من الكفر بأنعم الله ، ويجحدون آياته ، ويكذّبون رسوله ، وقال : بما كانوا يصنعون ، وقد جرى الكلام من ابتداء الآية إلى هذا الموضع على وجه الخبر عن القرية ، لأن الخبر وإن كان جرى فى الكلام عن القرية ، استغناء بذكرها عن ذكر أهلها لمعرفة السامعين بالمراد منها ، فإن المراد أهلها ، فلذلك قيل (بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) فردّ الخبر إلى أهل القرية ، وذلك نظير قوله (فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ) ولم يقل قائلة ، وقد قال قبله (فَجَاءَهَا بَأْسُنَا) ، لأنه رجع بالخبر إلى الإخبار عن أهل القرية ؛ ونظائر ذلك فى القرآن كثيرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾

❁ يقول تعالى ذكره : ولقد جاء أهل هذه القرية التى وصف الله صفتها فى هذه الآية التى قبل هذه الآية (رَسُولٌ مِنْهُمْ) يقول : رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم . يقول : من أنفسهم يعرفونه ، ويعرفون نسبه وصدق لهجته ، يدعوهم إلى الحقّ ، وإلى طريق مستقيم (فَكَذَّبُوهُ) ولم يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله (فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ) وذلك لباس الجوع والخوف مكان الأمن والطمأنينة والرزق الواسع الذى كان قبل ذلك يرزقونه ، وقتل بالسيف (وَهُمْ ظَالِمُونَ) يقول : وهم مشركون ، وذلك أنه قتل عظماؤهم يوم بدر بالسيف على الشرك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ) إى والله ، يعرفون نسبه وأمره ، (فَكَذَّبُوهُ ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) ، فأخذهم الله بالجوع والخوف والقتل .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾

﴿ يقول تعالى ذكره: فكلوا أيها الناس مما رزقكم الله من بهائم الأنعام التى أحلها لكم حلالا طيبا مذكاة غير محرّمة عليكم (وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ) يقول: واشكروا الله على نعمه التى أنعم بها عليكم فى تحليله ما أحلّ لكم من ذلك، وعلى غير ذلك من نعمه (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) يقول: إن كنتم تعبدون الله. فتطيعونه فيما يأمركم وينهاكم. وكان بعضهم يقول: إنما عنى بقوله (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا) طعاما كان بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين من قومه فى سنى الجدب والقحط رقة عليهم، فقال الله تعالى للمشركين: فكلوا مما رزقكم الله من هذا الذى بعث به إليكم حلالا طيبا، وذلك تأويل بعيد مما يدلّ عليه ظاهر التنزيل. وذلك أن الله تعالى قد أتبع ذلك بقوله (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ)... الآية والتى بعدها: فبين بذلك أن قوله (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا) إعلام من الله عباده أن ماكان المشركون يحرّمونه من البحائر والسوائب والوصائل، وغير ذلك مما قد بيّنا قبل فيما مضى لامعنى له، إذ كان ذلك من خطوات الشيطان، فإن كلّ ذلك حلال لم يحرّم الله منه شيئا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

﴿ يقول تعالى ذكره مكذّبا المشركين الذين كانوا يحرّمون ماذكرنا من البحائر وغير ذلك: ماحرّم الله عليكم أيها الناس إلا الميتة والدم ولحم الخنزير، وما ذبح للأنصاب. فسمى عليه غير الله، لأن ذلك من ذبائح من لايحلّ أكل ذبيحته، فمن اضطرّ إلى ذلك أو إلى شىء منه لمجاعة حلّت فأكله (غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ، فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول: ذوستر عليه أن يؤاخذه بأكله ذلك فى حال الضرورة، رحيم به أن يعاقبه عليه.

وقد بيّنا اختلاف المختلفين فى قوله (غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) والصواب عندنا من القول فى ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة. قوله (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ)... الآية، قال: وإن الإسلام دين يطهره الله من كلّ سوء، وجعل لك فيه يا ابن آدم سعة إذا اضطررت إلى شىء من ذلك. قوله (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) غير باغ فى أكله ولاعاد أن يتعدّى حلالا إلى حرام، وهو يجد عنه مندوحة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق (وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ) فتكون تصف الكذب ، بمعنى : ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب، فتكون « ما » بمعنى المصدر . وذُكر عن الحسن البصرى أنه قرأ (وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبِ) هذا بخفض الكذب ، بمعنى : ولا تقولوا للكذب الذى تصفه ألسنتكم (هَذَا حَلالٌ وهذَا حَرَامٌ) فيجعل الكذب ترجمة عن « ما » التى فى لِمَا ، فتخفضه بما تخفض به « ما » . وقد حُكى عن بعضهم (لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكُذُبُ) برفع الكُذُب، فيجعل الكُذُب من صفة الألسنة، ويخرج على فُعُل على أنه جمع كَذُوب وكذب ، مثل شَكُور وشُكُر .

والصواب عندى من القراءة فى ذلك نصب الكَذِب لإجماع الحجة من القرّاء عليه، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك لما ذكرنا : ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذبَ فيما رزق الله عباده من المطاعم : هذا حلال ، وهذا حرام ، كى تفتروا على الله بقيلكم ذلك الكذبَ ، فإن الله لم يحرم من ذلك ما تحرّمون ، ولا أحلّ كثيرا مما تُحلون ، ثم تقدّم إليهم بالوعيد على كذبهم عليه ، فقال (إنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ) يقول : إن الذين يتخرّصون على الله الكذب ويختلقونه ، لا يخلّدون فى الدنيا ، ولا يبقون فيها ، إنما يتمتعون فيها قليلا . وقال (مَتَاعٌ قَلِيلٌ) فرفع ، لأن المعنى الذى هم فيه من هذه الدنيا متاع قليل ، أو لهم متاع قليل فى الدنيا . وقوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ثم إلينا مرجعهم ومعادهم ، ولهم على كذبهم وافترائهم على الله بما كانوا يفترون عذاب عند مصيرهم إليه أليم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هذَا حَلالٌ وهذَا حَرَامٌ) فى البحيرة والسائبة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : البحائر والسوائب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

يقول تعالى ذكره : وحرّمنا من قبلك يا محمد على اليهود ما أنبأناك به من قبل فى سورة الأنعام ، وذلك كلّ ذى ظفر ، ومن البقر والغنم، حرّمنا عليهم شحومهما ، إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا، أو ما اختلط

بعظم (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ) بتحريمنا ذلك عليهم (ولكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) فجزيناهم ذلك ببغيهم على ربهم ، وظلمهم أنفسهم بمعصية الله ، فأورثهم ذلك عقوبة الله :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ) قال : فى سورة الأنعام .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن عكرمة ، فى قوله (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ) قال فى سورة الأنعام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ) قال : ما قصّ الله تعالى فى سوره الأنعام حيث يقول : وعلى الذين هادوا حرّمنا كلّ ذى ظُفُر) . . . الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾

❁ يقول تعالى ذكره : إن ربك للذين عصوا الله فجهلوا بركوبهم ما ركبوا من معصية الله ، وسفهوا بذلك ثم راجعوا طاعة الله والندم عليها ، والاستغفار والتوبة منها ، من بعد ما سلف منهم ما سلف من ركوب المعصية ، وأصلح فعمل بما يحبّ الله ويرضاه (إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا) يقول : إن ربك يا محمد من بعد توبتهم له (لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾

❁ يقول تعالى ذكره : إن إبراهيم خليل الله كان معلّم خير ، يأتمّ به أهل الهدى قانتا ، يقول : مطيعا لله حنيفا : يقول : مستقيما على دين الإسلام (وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يقول : ولم يك يُشرك بالله شيئا ، فيكون من أولياء أهل الشرك به ، وهذا إعلام من الله تعالى أهل الشرك به من قريش أن إبراهيم منهم برىء وأنهم منه برآء (شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ) يقول : كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه ، ولا يجعل معه فى شكره فى نعمه عليه شريكا من الآلهة والأنداد وغير ذلك ، كما يفعل مشركو قريش (اجْتَبَاهُ) يقول : اصطفاه

واختاره لخُلته ، وهداه (إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : وأرشده إلى الطريق المستقيم ، وذلك دين الإسلام لا اليهودية ولا النصرانية .

وبنحو الذى قلنا فى معنى (أُمَّةً قَانِتاً) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى زكريا بن يحيى ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن أبى العُبيدين ، أنه جاء إلى عبد الله فقال : من نسأل إذا لم نسألك ؟ فكأنّ ابن مسعود رقّ له ، فقال : أخبرنى عن الأُمَّة ، قال : الذى يُعلِّم الناس الخير .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبى العُبيدين أنه سأل عبد الله بن مسعود ، عن الأُمَّة القانت : قال : الأمَّة : معلم الخير ، والقانت : المطيع لله ورسوله .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن منصور ، يعنى ابن عبد الرحمن ، عن الشعبى ، قال : ثنى فروة بن نوفل الأشجعى ، قال : قال ابن مسعود : إن معاذا كان أُمَّة قانتا لله حنيفا ، فقلت فى نفسى : غلط أبو عبد الرحمن ، إنما قال الله تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ) فقال : تدرى ما الأُمَّة ، وما القانت ؟ قلت : الله أعلم ، قال : الأُمَّة : الذى يعلم الخير ، والقانت : المطيع لله ولرسوله ، وكذلك كان مُعاذ بن جبل يعلم الخير ، وكان مطيعا لله ولرسوله .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت فراسا يحدّث ، عن الشعبىّ ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود : أنه قال : إن مُعاذا كان أُمَّة قانتاً لله ، قال : فقال رجل من أشجع يقال له فروة بن نوفل : نسى إنما ذاك إبراهيم ، قال : فقال عبد الله : من نسى إنما كنا نشبهه بإبراهيم ، قال : وسئل عبد الله عن الأمَّة ، فقال : معلم الخير ، والقانت : المطيع لله ورسوله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن فراس ، عن الشعبىّ ، عن مسروق قال : قرأت عند عبد الله هذه الآية (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ) فقال : كان معاذ أُمَّة قانتا ، قال : هل تدرى ما الأمَّة ، الأُمَّة الذى يعلم الناس الخير ، والقانت : الذى يطيع الله ورسوله .

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا بيان بن بشر البَجَلى ، عن الشعبىّ ، قال : قال عبد الله : إن معاذا كان أمَّة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ، فقال له رجل : نسيت ، قال : لا ولكنه شبيه إبراهيم ، والأُمَّة : معلِّم الخير ، والقانت : المطيع .

حدثنى علىّ بن سعيد الكندى ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن ابن عون ، عن الشعبىّ ، فى قوله (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً) قال : مطيعا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : قال عبد الله : إن معاذا كان أُمَّة قانتا معلِّم الخير .

وذُكر فى الأُمَّة أشياء مختلف فيها ، قال (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) يعنى : بعد حين (وأُمَّةً وَسَطا)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن سعيد بن سابق ، عن ليث ، عن شَهْر بن حَوْشَب ، قال : لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ، وتخرج بركتها إلا زمن إبراهيم، فإنه كان وحده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : أخبرنا هشيم ، قال : أخبرنا سيار ، عن الشعبيّ . قال : وأخبرنا زكريا ومجالد ، عن الشعبيّ ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، نحو حديث يعقوب ، عن ابن عُلَيّة وزاد فيه : الأُمَّة : الذى يعلم الخير ، ويُؤْتَم به ، ويُقتدى به ؛ والقانت : المطيع لله وللرسول ، قال له أبو فروة الكندى : إنك وهمت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً) على حدة (قَانِتًا لِلَّهِ) قال : مطيعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : مطيعا لله فى الدنيا .

قال ابن جريج : وأخبرنى عويمر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قال : قانتا : مطيعا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ) قال : كان إمام هُدًى مطيعا تُتَّبع سُنَّته ومِلَّته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن ابن مسعود قال : إن مُعاذ بن جَبَل كان أُمَّة قانتا ، قال غير قتادة : قال ابن مسعود : هل تدرون : ما الأُمَّة ؟ الذى يعلم الخير .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوريّ ، عن فراس ، عن الشعبيّ ، عن مسروق ، قال : قرأت عند عبد الله بن مسعود (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا) فقال : إن معاذا كان أُمَّةً قانتا ، قال : فأعادوا ، فأعاد عليهم ، ثم قال : أتدرون ما الأُمَّة ؟ الذى يعلم الناس الخير ، والقانت الذى يطيع الله .

وقد بيَّنا معنى الأمة ووجوهها ، ومعنى القانت باختلاف المختلفين فيه فى غير هذا الموضع من كتابنا بشواهده ، فأغنى بذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : وآتينا إبراهيم على قنوته لله ، وشكره له على نعمه ، وإخلاصه العبادة له فى هذه الدنيا ذكرا حسنا ، وثناء جميلا باقيا على الأيام (وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) يقول : وإنه فى الدار الآخرة يوم القيامة لممن صلح أمره وشأنه عند الله ، وحسُنت فيها منزلته وكرامته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وآتيناه في الدنيا حسنة) قال : لسان صدق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وآتيناه في الدنيا حسنة) فليس من أهل دين إلا يتولاه ويرضاه .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ثم أوحينا إليك يا محمد ، وقلنا لك : اتبع ملة إبراهيم الحنيفية المسلمة . حنيفا : يقول : مسلما على الدين الذي كان عليه إبراهيم ، بريئا من الأوثان والأنداد التي يعبدها قومك ، كما كان إبراهيم تبرأ منها .

وقوله (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) يقول تعالى ذكره : ما فرض الله أيها الناس تعظيم يوم السبت إلا على الذين اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : هو أعظم الأيام ، لأن الله تعالى فرغ من خلق الأشياء يوم الجمعة ، ثم سبت يوم السبت .

وقال آخرون : بل أعظم الأيام يوم الأحد ، لأنه اليوم الذي ابتدأ فيه خلق الأشياء ، فاختاروه وتركوا تعظيم يوم الجمعة الذي فرض الله عليهم تعظيمه واستحلوه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) اتبعوه وتركوا الجمعة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إنما جعل السبت) قال : أرادوا الجمعة فأخطئوا ، فأخذوا السبت مكانه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) استحله بعضهم ، وحرّمه بعضهم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك وسعيد بن جبير (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) قال : باستحلالهم يوم السبت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنى ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) قال : كانوا يطلبون يوم الجمعة فأخطئوه ، وأخذوا يوم السبت فجعله عليهم .

وقوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره : إن ربك يامحمد ليحكم بين هؤلاء المختلفين بينهم فى استحلال السبت وتحريمه عند مصيرهم إليه يوم القيامة ، فيقضى بينهم فى ذلك وفى غيره مما كانوا فيه يختلفون فى الدنيا بالحقّ ، ويفصل بالعدل بمجازاة المصيب فيه جزاءه ، والمخطئْ فيه منهم ما هو أهله :

القول فى تأويل قوله تعالى :

ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (ادْعُ) يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته (إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ) يقول : إلى شريعة ربك التى شرعها لخلقه ، وهو الإسلام (بِالْحِكْمَةِ) يقول بوحى الله الذى يوحيه إليك، وكتابه الذى ينزله عليك (وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) يقول : وبالعبر الجميلة التى جعلها الله حجة عليهم فى كتابه ، وذكّرهم بها فى تنزيله، كالتى عدّد عليهم فى هذه السورة من حججه ، وذكّرهم فيها ما ذكرهم من آلائه (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول : وخاصمهم بالخصومة التى هى أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى ، ولا تعصه فى القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أعرض عن أذاهم إياك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله

عليه وسلم : إن ربك يامحمد هو أعلم بمن جار عن قصد السبيل من المختلفين فى السبت وغيره من خلقه ، وحادّ الله ، وهو أعلم بمن كان منهم سالكا قصد السبيل ، ومَحَجة الحقّ ،وهو مُجازٍ جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين : وإن عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم ، فعاقبوه بمثل الذى نالكم به ظالمكم من العقوبة ، ولئن صبرتم عن عقوبته ، واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم ، ووكلتم أمره إليه ، حتى يكون هو المتولى عقوبته (لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) يقول : للصبر عن عقوبته بذلك خير لأهل الصبر احتسابا ، وابتغاء ثواب الله ، لأن الله يعوّضه منَ الذى أراد أن يناله بانتقامه من ظالمه على ظلمه إياه من لذّة الانتصار ، وهو من قوله (لَهُوَ) كناية عن الصبر ، وحسن ذلك ، وإن لم يكن ذكر قبل ذلك الصبر لدلالة قوله (وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ) عليه .

وقد اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية . وقيل : هى منسوخة أو محكمة ، فقال بعضهم : نزلت من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أقسموا حين فعل المُشركون يوم أُحد ما فعلوا بقتلى المسلمين من التمثيل بهم أن يجاوزوا فعلهم فى المُثْلة بهم إن رزقوا الظفر عليهم يوما ، فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية ، وأمرهم أن يقتصروا فى التمثيل بهم ، إن هم ظفروا على مثل الذى كان منهم ، ثم أمرهم بعد ذلك بترك التمثيل ، وإيثار الصبر عنه بقوله (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) فنسخ بذلك عندهم ما كان أذن لهم فيه من المُثْلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت داود ، عن عامر أن المسلمين قالوا : لما فعل المشركون بقتلاهم يوم أُحد : لئن ظهرنا عليهم لنفعلنّ ولنفعلنّ ، فأنزل الله تعالى (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) قالوا : بل نصبر .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : لما رأى المسلمون ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أُحد ، من تبقير البطون ، وقطع المذاكير ، والمُثْلة السيئة ، قالوا : لئن أظفرنا الله بهم ، لنفعلنّ ولنفعلنّ ، فأنزل الله فيهم (وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال نزلت سورة النحل كلها بمكة ، وهى مكية ، إلا ثلاث آيات فى آخرها نزلت فى المدينة بعد أُحد ، حيث

قُتل حمزة ومُثِّل به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَئِنْ ظَهَرْنا عَلَيْهِم لَنُمَثِّلَنَّ بِثَلاثِينَ رَجُلاً مِنْهُم » فلما سمع المسلمون بذلك ، قالوا : والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مُثْلة لم يمثّلها أحد من العرب بأحد قطُّ ، فأنزل الله (وَإنْ عاقَبْتُمْ فعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابِرِينَ) . . . إلى آخر السورة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ) قال المسلمون يوم أُحد ١ فقال (وَإنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ) . . . إلى قوله (لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابِرِينَ) ، ثم قال بعد (وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إلاَّ باللهِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما أصيب فى أهل أُحد المثْل ، فقال المسلمون : لئن أصبناهم لنمثلن بهم ، فقال الله (وَإنْ عاقَبْتُمْ فعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابِرِينَ) ثم عزم وأخبر فلا يمثل ، فنهى عن المُثْل ، قال مثَّل الكفار بقتلى أُحد ، إلا حنظلة بن الراهب ، كان الراهب أبو عامر مع أبي سفيان ، فتركوا حنظلة لذلك .

وقال آخرون : نسخ ذلك بقوله فى براءة (اقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) قالوا : وإنما قال (وَإنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ماعُوقِبْتُمْ بِهِ) خبرا من الله للمؤمنين أن لا يبدءوهم بقتال حتى يبدءوهم به ، فقال (وقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ ، وَلا تَعْتَدُوا إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ) قال : هذا خبر من الله نبيه أن يُقاتل من قاتله . قال : ثم نزلت براءة ، وانسلاخ الأشهر الحرم ، قال : فهذا من المنسوخ .

وقال آخرون : بل عنى الله تعالى بقوله (وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إلاَّ باللهِ) نبيَّ الله خاصة دون سائر أصحابه ، فكان الأمر بالصبر له عزيمة من الله دونهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَإنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ) قال : أمرهم الله أن يعفوا عن المشركين ، فأسلم رجال لهم منعة ، فقالوا : يا رسول الله ، لو أذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب ، فنزل القرآن (وَإنْ عاقَبْتُمْ فعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابِرِينَ) واصبر أنت يا محمد ، ولا تكن فى ضيق ممن ينتصر ، وما صبرك إلا بالله ، ثم نسخ هذا وأمره بجهادهم ، فهذا كله منسوخ .

(١) أي مقالهم السابق : لئن ظهرنا . . . الخ .

وقال آخرون : لم يُعْنَ بهاتين الآيتين شىء مما ذكر هؤلاء، وإنما عُنِى بهما أن من ظُلِم بظُلامة، فلا يحلّ له أن ينال ممن ظلمه أكثر مما نال الظالم منه ، وقالوا : الآية محكمة غير منسوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن خالد ، عن ابن سيرين (وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ به) يقول : إن أخذ منك رجل شيئا ، فخذ منه مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : إن أخذ منك شيئا فخذ منه مثله ؛ قال الحسن : قال عبد الرزاق : قال سفيان : ويقولون : إن أخذ منك دينارا فلا تأخذ منه إلا دينارا ، وإن أخذ منك شيئا فلا تأخذ منه إلا مثل ذلك الشىء .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ) لا تعتدوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

❊ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أمر من عوقب من المؤمنين بعقوبة أن يعاقب من عاقبه بمثل الذى عوقب به ، إن اختار عقوبته ، وأعلمه أن الصبر على ترك عقوبته ، على ما كان منه إليه خير وعزم على نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصبر ، وذلك أن ذلك هو ظاهر التنزيل ، والتأويلات التى ذكرناها عمن ذكروها عنه ، محتملتها الآية كلها . فإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن فى الآية دلالة على أىّ ذلك عنى بها من خبر ولا عقل كان الواجب علينا (١) الحكم بها إلى ناطق لا دلالة عليه ؛ وأن يقال : هى آية محكمة أمر الله تعالى ذكره عباده أن لا يتجاوزوا فيما وجب لهم قِبَلَ غيرهم من حقّ من مال أو نفس ، الحقّ الذى جعله الله لهم إلى غيره ، وأنها غير منسوخة ، إذ كان لا دلالة على نسخها ، وأن للقول بأنها محكمة وجها صحيحا مفهوما .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ١٢٧

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واصبر يا محمد على ما أصابك من أذى فى الله ، (وَما صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ) يقول : وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله ، وتوفيقه إياك لذلك (وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) يقول : ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذّبونك ، وينكرون ما جئتهم به فى آن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة (وَلا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) يقول : ولا يضق صدرك

(١) لعله كان الواجب علينا تعميم الحكم بها ، لا تأويلها إلى خاص لا دلالة عليه . . . الخ .

بما يقولون من الجهل ، ونسبتهم ما جئتهم به إلى أنه سحر أو شعر أو كهانة . مما يمكرون : مما يحتالون بالخدع في الصدّ عن سبيل الله ، من أراد الإيمان بك ، والتصديق بما أنزل الله إليك .

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء العراق (وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ) بفتح الضّاد في الضيق على المعنى الذي وصفت من تأويله . وقرأه بعض قرّاء أهل المدينة (وَلا تَكُ فِي ضِيقٍ) بكسر الضاد .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا قراءة من قرأه في ضَيْقٍ ، بفتح الضاد ، لأن الله تعالى إنما نهى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يَضيق صدره مما يلقى من أذى المشركين على تبليغه إياهم وحي الله وتنزيله ، فقال له(فَلاَ يَكُنْ فى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ) وقال (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ ما يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ، أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ ، أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ) ، وإذ كان ذلك هو الذى نهاه تعالى ذكره ، ففتح الضاد هو الكلام المعروف من كلام العرب في ذلك المعنى ، تقول العرب في صدرى من هذا الأمر ضيق ، وإنما تكسر الضاد في الشيء المعاش ، وضيق المسكن ، ونحو ذلك ؛ فإن وقع الضَّيق بفتح الضاد في موضع الضِّيق بالكسر ، كان على الذي يتسع أحيانا ، ويضيق من قلة أحد وجهين ، إما على جمع الضيقة ، كما قال أعشى بنى ثعلبة :

فَلَئِنْ رَبُّكَ مِنْ رَحْمَتِـهِ كَشَفَ الضَّيْقَةَ عَنَّا وَفَسَحْ[1]

والآخر على تخفيف الشيء الضَّيِّق ، كما يخفف الهيِّن اللَّيِّن ، فيقال : هو هَيْن لَيْن .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

يقول تعالى ذكره (إِنَّ اللَّهَ) يامحمد (مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا) الله في محارمه فاجتنبوها ، وخافوا عقابه عليها ، فأحجموا عن التقدّم عليها (وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) يقول : وهو مع الذين يحسنون رعاية فرائضه ، والقيام بحقوقه ، ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) قال : اتقوا الله فيما حرّم عليهم ، وأحسنوا فيما افترض عليهم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن رجل ، عن الحسن ، مثله .

(١) البيت في ديوان أعشى بنى ثعلبة ميمون بن قيس (طبع القاهرة ص ٢٣٧) من قصيدة يمدح بها إياس بن قبيصة الطائي ، وهو الرابع في القصيدة . وفي (اللسان : ضيق) : الضيق : الشك يكون في القلب من قوله تعالى : « ولا تك في ضيق مما يمكرون » : وقال الفراء : الضيق ما ضاق عنه صدرك . والضيق (بالكسر) ما يكون في الذي يتسع ويضيق ، مثل الدار والثوب . وإذا رأيت الضيق (بالفتح) قد وقع في موضع الضيق (بالكسر) كان على أحد أمرين : أحدهما أن يكون جمعا للضيقة كما قال الأعشى : فلئن ربك . . . الخ البيت . والوجه الآخر : أن يراد به شيء ضيق ، فيكون ضيق مخففا ، وأصله التشديد ، ومثله : هين ولين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة، قال : ذكر لنا أن هَرِم بن حَيّان العَبْدى لما حضره الموت ، قيل له : أوص ، قال : ما أدرى ما أُوصى ، ولكن بيعوا درعى ، فاقضوا عنى دينى ، فإن لم تف ، فبيعوا فرسى ، فإن لم يف فبيعوا غلامى ، وأوصيكم بخواتيم سورة النحل (ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بالَّتِى هِىَ أحْسَنُ ، إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أعلَمُ بالمُهْتَدِينَ ، وَإنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابِرِينَ) ذُكر لنا «أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال بَلْ نَصْبِرُ » .

آخر تفسير سورة النحل

تمّ الجزء الرابع عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبريّ

ويليه الجزء الخامس عشر

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى (سُبْحانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)